

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة الأمير عبد القادر

قسم التاريخ

للعلوم الإسلامية - قسنطينة

الرقم الترتيبي

رقم تسجيل الطالب

مساهمات جزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية

من مطلع القرن العشرين إلى غاية سنة 1939 م

بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث

شعبة التاريخ الحديث

من إعداد الطالب : خير الدين شترة

الجامعة الأصلية

الرتبة

الاسم واللقب

أعضاء اللجنة :

جامعة الأمير عبد القادر

أستاذ

أ.د / أحمد صاري

1-الرئيس:

جامعة الأمير عبد القادر

أستاذ محاضر

د / احميدة عميراوي

2-المقرر

جامعة منتوري - قسنطينة

أستاذ محاضر

د / مصطفى حداد

3-العضو

جامعة منتوري - قسنطينة

أستاذ محاضر

د / عبد الرحيم سكفالي

4-العضو

نوقشت يوم: 16 / 10 / 2002 م الموافق لـ: 09 شعبان 1423 هـ

السنة الجامعية : 2002 / 2003 م

جامعة الزيتونة
مناقشات جزائرية في الحياة والسياسة

والفكر والتربية

من مطبع النور والشرق إلى غاية سنة

1939م

الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا

رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ

الْأَبْرَارِ» ﴿193﴾ رَبَّنَا وَعَدْنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا

يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿194﴾»

صدق الله العظيم

سورة آل عمران

الإسلامية

أهدى

أهدي هذا العمل المنواضع:

- إلى التي بذرت البذرة - وبقدرة الله - صانها، وحين نمت وأينعت -
وبعطف منها - رعتها غير أن القدر لم عملها أن تجني ثمرة ما بذرت فما
سعدت بها وما رأتها.
- إلى جدتي الغالية (عائشة) تعلمها الله برحمته وواسع فضله وجوده .
- إلى والدي الكريمين
- إلى إخوتي: سعيد، سفيان، عائشة، محمد، الدراجي، إبراهيم، الحسين،
فارس.
- إلى صحبة الأحباب التي لازمتني بالدعاء وأحاطتني بمشاعر الوفاء.
- إلى هؤلاء جميعاً أهدى باكورة هذا الجهد المنواضع.

شكر وامتنان

اقدم شكري الخاص وامتناني العميق للسادة الأساتذة الآتية أسمائهم على ما قدموه

لي من خدمات جليلة لإخراج هذا العمل:

العربي مجيدي، عامر الديسي، عبد الله مقلاتي، رشيد الذوادي، الطاهر

بن عيشة، رشيد الزين.

كما أخص بالشكر الجزيل الأستاذ خليل دالي الذي بذل جهداً مضاعفاً في إخراج

وطبع الرسالة، وكذا الأساتذة زهية رحماني التي أعانتني في مراجعتها اللغوية.

كما لا أنسى أن أقدم أخلص تشكراتي إلى إدارة ثانوية دار الشيوخ التي تفهمت

وضعتني.

وشكراً للجميع

المختصرات الواردة في المذكرة

الفرنسية

- A.E.M.N.A** : Association des étudiants musulmans nord- africaine
A.F : Afrique française
A.P.M.T : Archives du premier ministère.tunis
B : Boîte
C.D.N.T : Centre de documentation national. tunis
C.N.R.S : Centre national de recherche scientifique
C.T : les Cahiers tunisien
D.O.T : Division d'occupation de la tunisie
Doc : Document
Dos : Dossier
E.N.A : Étoile nord-africaine
E.N.L : Entreprise nationale du livre
M.I : Ministère de l'information
N : Note
O.P.U : Office de publications universitaires
P.M : Premier ministre
P.U.F : Presses universitaires françaises
P.U.T : Publications universitaires tunisiens
R.A : Revue africaine
R.F : République française
R.G : Résident général
R.H.M : Revue d'histoire maghrébine
S : Série
S.M.N : Série mouvement national
S.N.E.D : Société nationale d'édition et de distribution

العربية

- م.د.و.ع**: مركز دراسات الوحدة العربية
ش.و.ن.ت: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
م.و.ك: المؤسسة الوطنية للكتاب
د.م.ج: ديوان المطبوعات الجامعية
م.ب.د.ع: معهد البحوث والدراسات العربية
د.ب.ل.ت: دار بوسلامة للطباعة والنشر
د.ت.ن: الدار التونسية للنشر
ش.ت.ن: الشركة التونسية للنشر
م.ت.م: المجلة التاريخية المغربية
م.د.ت: مجلة الدراسات التاريخية
ح.ج.ت: حوليات الجامعة التونسية
م.ت.ع.د.ع: المجلة التاريخية العربية للدراسات
العثمانية
م.أ.ع.ش.ت: مطبعة الاتحاد العام للشغل - تونس

الإسلامية

الفقرنة

جامعة الأميرة
مدرسة الدراسات
للعلوم الإسلامية

تعتبر العلاقات الفكرية والسياسية بين الجزائر وتونس نموذجاً فريداً ومثلاً نادراً، كان لها دور فاعل في إفراس القيادات والزعامات التي تولت تسيير الحركة الفكرية والوطنية في كل من الجزائر وتونس.

فعلى مدى نصف قرن من الزمن تواصلت المهجرات الجزائرية في شكل بعثات جماعية منظمة تارة، وفردية مطلقة الحرية تارة أخرى، من دون أن تقتصر مهمتها على مجرد التعلّم والتثقف أو طلب المقر الآمن وامتد حضورها إلى المشاركة في مختلف أوجه النشاط الوطني والسياسي، والمساعدة على بعث الأحزاب الوطنية وإنشاء الصحف المعبرة عنها، والقيام بنشاط حثيث في المجالات العلمية والأدبية والاقتصادية.

إضافة إلى إقبال النخبة الجزائرية المستنيرة على التأليف والنشر هذا علاوة على الصحف والدوريات والجرائد والمنشورات والتي أصدرتها الجمعيات الطلابية والنوادي الفكرية الجزائرية ونستطيع القول أن هذه المهجرات قد أتاحت للروح التونسية أسباب قوة جديدة سياسياً وفكرياً وحتى اجتماعياً.

وباعتبار أن الظرف الذي أملى هذا التضامن، وحمل أبناء القطرين على توحيد الجهود وتكثيف التبادل كان ظرفاً سياسياً فلا عجب أن يكون موضوع التضامن السياسي وتوحيد الصفوف، وإنشاء أكثر من جبهة نضالية من بين الموضوعات التي احتلت حيزاً هاماً في نشاط النخبتين، وقد بدأت هذه الجهود بتوثيق أواصر التعاون بين العلماء والمثقفين وتطورت لتفضي إلى تشكيل الحزب الحر الدستوري التونسي كإطار لعمل سياسي مغاربي ينخرط فيه التونسيون والجزائريون، وإذا ما استعرضنا الأعضاء الفاعلين فيه منذ نشأته وجدنا عدد الجزائريين فيه قد فاق في بعض الأحيان عدد التونسيين أنفسهم لا سيما إذ احتسبنا ذوي الأصول الجزائرية.

كما تتجلى المساهمة الجزائرية في إقبال كثير منهم على التأيد والتبرع بالمال لصالح الأحزاب والصحف والجمعيات التونسية كلما ألت بها أزمة حادة، وخاصة التجار منهم الجزائريون الذين ينتمون إلى منطقتي وادي ميزاب ووادي سوف.

ومثلما ساند الجزائريون في الربع الأول من القرن العشرين الحركة السياسية والفكرية التونسية وأيدوها فعلاً وقولاً تواصل هذا التضامن بنفس الحماس مع النجم وجمعية العلماء وحزب الشعب وحتى مع الحزب الحر الدستوري الجديد الذي ضمّ في صفوفه المئات من الجزائريين من الجيل الزيتوني الثاني ليتواصل هذا التضامن على أشده إبان الكفاح السياسي والاستقلالي والثوري التونسي فيما بعد.

إن صفحات المساهمة الجزائرية في الحياة التونسية أكثر من أن تُحصى، ووجوهها السياسية والفكرية متعددة، وما هذه السطور القليلة إلاّ إغراء للتعمق في دلالات هذا العمل المشترك والذي يُشكل في عمومهِ صورة ناصعة للعمل المغاربي في جذوره العربية ونقائه القومي وتلقائته الدينية.

- دوافع الدراسة وأهدافها

إن اختياري لمساهمات الجزائريين في الحياة السياسية والفكرية التونسية موضوعاً لهذا البحث ناتج ولا ريب عن رغبة مني في المساهمة قدر الإمكان بإلقاء الضوء على فصيل هام من فصائل الحركة الوطنية الجزائرية، والكشف عن خبايا مرحلة تعتبر من أخرج المراحل التي مرَّ بها تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، وقد كان لولوعي بالبحث في تراجم الأعلام والشخصيات منذ أيام التدرج حظه الأوفر في هذه الدوافع إلى جانب ذلك هناك عوامل متعددة ساهمت في دفعي لاختيار هذا الموضوع وهي:

1. خلو المكتبة الجزائرية من أي عمل بحثي أكاديمي تناول موضوع التأثير الجزائري في الفكر والسياسة على العالم الخارجي إلاّ ما شذ وندر، وخاصة في الفترة المعاصرة (موضوع الدراسة)، وهذا بصفة استقصائية، فعالباً ما اقتصرت بعض هذه الدراسات على عموميات أشارت بصورة سطحية غير مدققة للموضوع ذاته دون الإشارة إلى دور تلك المساهمة وأبعادها وآثارها على المحاولات الوجدانية التي نادى بها الجزائريون سواء المستقرين في الداخل أو من هم في المهجر.
2. الرغبة في إحياء مساهمات الجزائريين التاريخية التي أضحت مغمورة، زيادة على محاولة تسليط الضوء على مبادراتهم المبكرة في إنفاذ الشعور القومي الوجداني.
3. محاولة الكشف عن عمق هذا الاتجاه لدى الجزائريين الأوائل واستكمال الصورة العاكسة الحقيقية لما جمع بينهم وبين التونسيين من دماء و نضال إبان هذه الفترة.
4. محاولة إنصاف الأدباء والمفكرين السياسيين المنتمين إلى أصول جزائرية ممن أُجبروا على الإقامة بتونس سواء إقامة دائمة أو عابرة، ثم أُملى عليهم الضمير واجب المشاركة في الحياة الفكرية السياسية فتولد عن ذلك النشاط تراث زاخر بالإنتاج والعلاقات، ونحكم وضعيتهم هذه فإن الباحثين التونسيين دأبوا على تغليب البحث في العناصر التونسية انتماءً ولم يروا في إقامة وإنتاج هؤلاء الجزائريين بالنشأة ما يُبرر إقحامهم ضمن دراساتهم المتعلقة بالبيئة المحلية، كما لم يظفر هؤلاء المجهولون أيضاً باهتمام الباحثين الجزائريين لأنهم أيضاً لاحظوا ارتباط هذا الإنتاج بالبلد الذي عاشوا

فيه وامتزجوا بأهله واعتبروا فكرهم وتراثهم انعكاساً لأحداث ذلك البلد لذا آثروا الاستغناء عن دراسة تراثهم، فراح إنتاج هؤلاء المفكرين في غياهب النسيان والتجاهل.

5. الكشف عن عمق التواصل بين قطرين وشعبين جمعت بينهما أرومة الدماء ووحدت المحن والأحداث في أهدافهما فكان لقاؤهما على المستوى النضالي والفكري مبعثاً على الإعجاب والإكبار.

6. محاولة إثارة بعض التصورات بأمل إعطاء نظرة أخرى غير التي انطبعت في أذهاننا جراء التكريس التيولوجي الهادف إلى أن الجزائر حقل لتجارب الغير بدءاً باليسار ونهاية باليمين، وأنها لم تكن لتنهض وتنفض الغبار عن نفسها وعن تراثها من دون تأثير شرقي منبه أو خبز غربي موقظ!!.

إضافة إلى هذه الدوافع الموضوعية التي سبق ذكرها والتي تكونت بطريقة تراكمية نتيجة القراءات المتكررة يوجد دافع ذاتي آخر أعتقد أنه كان المحفز المباشر للبحث والتنقيب.

فبمناسبة إحياء جامع الأزهر في منتصف سنة 1998م لذكرى مرور أربعين سنة على وفاة شيخ الجامع الجزائري محمد الخضر حسين (1874-1958)م راحت الجرائد المصرية وعلى رأسها جريدة الأهرام اليومية تشيد بالشيخ وتذكر بمناقبه ومآثره في الحركة الإصلاحية والفكرية المصرية مذكراً نسبته إلى تونس وهو الموقف نفسه الذي وقفته الصحافة التونسية، حيث جازمت هذه الأخيرة بما لا يدع للشك أنه تونسي مبرز في ذلك الإسهام التونسي في المشرق العربي، ورغم أن الشيخ الخضر الحسين بن علي بن عمر الشريف يرجع في نسبه إلى بيت العمري بطولقة (جنوب الجزائر)، إلا أن الصحافة الجزائرية قامت بمحاولة الرد لكن على استحياء، هذا مع صمت مطبق من أهل الاختصاص، فقد كتبت عنه بنوع من الريبة والشك في صحة أصله الجزائري، وما يقال عن الخضر صح أن يُقال على غيره من رجال الفكر الجزائري المغمورين.

إن هذا الموقف دفعني إلى البحث في نسب هذه الشخصية بالقدر الذي كان متوفر لدي، وفي غمرة ذلك كانت تبرز لي في كل مرحلة من مراحل هذا البحث زيف الإدعاء السابق وكذلك كانت تتضح لي شخصيات أخرى ذات الأصل الجزائري غمرها النسيان والسهو وغلب الغموض على آثارها وأدوارها الفكرية السياسية.

وهو الأمر الذي جعلنا نغض الطرف عن أن للجزائر دوراً هاماً في نهضة الآخرين، ورُحنا نسير بالرأي القائل من أنه لولا التأثير الخارجي لما عمّ الجزائر إشعاع اليقظة والتنوير.

إن هذا الذي حزّ في نفسي كان قد أثار مكامن الغيرة في الشيخ ابن باديس من قبلي، غيرة إحقاق الحق ودحض الباطل عندما نشر ذلك السائح العراقي (يونس بحري) مقالاً في العدد 210 من جريدة الشورى جاء في بعضه «...فقيضت العناية الإلهية إلى الجزائر نخبة من الشبيبة التونسية،

وعلى رأسهم الأستاذ أحمد توفيق المدني...!!» فتصدى له الإمام بن باديس مُبرزاً زيف هذا القول، ومؤكداً الدور الكبير الذي قام به الجزائريون في نهضة تونس والتونسيين - وهو دور لا يمكن إنكاره - «... فأما السيد أحمد توفيق المدني، فهو في قوله و أعماله كما قال، وأما في نسبه فهو من أبوين جزائريين، ونفته السلطات إلى وطنه الجزائر فألقى بها أقراراً وأصهاراً، فهو جزائري حقيقةً وحكمًا وأصلاً وفصلاً، وأما ما عدا هذا الأخ، فلا أحد من الشبيبة التي قال عنها السائح أنها (قُبِضت الجزائر) أو (أيقظت الجزائر)، وبعد هذا فإننا لا نعرف في تاريخنا تونسياً رأس حركة جزائرية، وإخواننا التونسيون في حركتهم الدستورية المشهورة رأسهم الأستاذ الثعالبي وهو من أبوين جزائريين انتقلوا إلى تونس، وانشق من الدستوريين جماعة اسموا أنفسهم بالحزب الإصلاحي رأسهم الأستاذ قلائي وهو جزائري أيضاً!!».

مما لا شك فيه أننا نطمح كغيرنا إلى التحري والبحث ومعرفة الحقائق التاريخية، وإنه آن الأوان لدراسة تاريخ الجزائر من كل جوانبه الحضارية، والتخلي عن التاريخ الفتوي الانتقائي الذي يخضع لهوى الإيديولوجيات والتوجيهات وبالتالي فإن هذا الموضوع بغير تلك النظرة حتماً سيُوحى بدراسة المساهمة الجزائرية في تطور البنى الفكرية والسياسية بتونس، وأيضاً ليس هو التشهير بطرف مقابل غمط الطرف الآخر، وإنما هو محاولة جدية لتسليط الضوء قدر الإمكان على شريحة اجتماعية تجسد بمضمونها أنتلجانسيا جزائرية، تفاعلت وأثرت بعدما انصهرت فيها كل الأفكار والتصورات النهضوية والإصلاحية وحتى الثورية، وأضحت بذلك حلقة التأثير المهمة في الصيرورة التاريخية لكثير من المجتمعات ولعل أول مثال لها - المجتمع التونسي -.

- إشكالية البحث

إن اختيار الموضوع والرغبة في تناوله شيء والكتابة الأكاديمية الموثقة شيء آخر، وهو مما زاد في أهمية هذه الدراسة.

من غير ما شك أن بحثنا هذا والموسوم بعنوان " مساهمات جزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية " سوف يُثير أكثر من تساؤل واستفهام وتشوق خصوصاً في الظرف الحاضر قصد التعرف على مدى عمق هذه الروابط والشائج وأيضاً على مدى رسوخ الصلات الحضارية بين الشعبين، ذلك أن تونس كانت على مرّ الحقب التاريخية ملجأً وملاذ الوطنيين الجزائريين المعرضين لاضطهاد الغزاة، فإن هذا لا يعني بأي حال من الأحوال عدمية الوافد الجديد عليها (الجزائريين)، فالجزائر أيضاً كانت مصدراً مهماً لتطور تونس وحركة حياتها كما كانت خزاناً لا ينفذ لطاقت فكرية

وسياسية صبغت الحياة التونسية بشيء من الفكر والسياسة، فالسؤال المطروح هو إذا كانت هناك مساهمة جزائرية حقيقية فكيف تجلت مظاهرها؟ وما هي دوافعها بناءً على أهدافها؟ ثم ماهي نتائجها وآثارها على التونسيين أنفسهم؟.

فهذا الموضوع يستمد أهميته ضمن تاريخ حركية الفكر السياسي للحركة الوطنية الجزائرية فلا بد إذاً من طرح تساؤلات جمة تتعلق بجوانب مهمة في مسيرة هذه الحركة.

فهل كانت المعركة الفكرية بين الأحزاب والتيارات الوطنية والفكرية من جهة وبين السلطة الاستعمارية والأوربية من جهة أخرى، معركة من أجل إصلاحات جزئية محلية؟ أم كانت معركة أمة لها خصوصياتها ومميزاتها وأبعادها؟ أم كانت معركة أهلية يتوجهون فيها بالمطالب الاجتماعية اليومية نحو دولتهم المستعمرة؟ ماذا تعني الأبعاد الثلاث المغاربية - العربية - الإسلامية في ذهنية المناضل والعامي الجزائري على السواء؟ ومن ثم كيف كانت منطلقات مختلف التيارات الوطنية ومواقفها من انتماء الجزائر الحضاري؟ هل كانت فكرة تفعيل الخارجي لخدمة الداخلي وتصدير الفكر والتراث الجزائريين إلى الشعوب الأخرى واردة في تصورات النخبة آنذاك؟

الأکید أن كل عمل من هذا القبيل يقتضي ضبط حدود الذاتية، وبناء على ذلك اعترنا أن نقتصر أساساً على بعض المساهمات لثلة مُعتبرة من الجزائريين، ولا نتعرض إلا باختصار لنشاط قدماء المساهمين، كما تعذر علينا التعرض باستمرار لكل العلاقات التي كانت قائمة آنذاك، وبعبارة أخرى سنعمل في كل مرة على الإشارة إلى الروابط التاريخية والتأثيرات المباشرة لمختلف الإسهامات التي كان لها انعكاس طيب على الوسط التونسي، أما فيما يتعلق بتاريخ بداية ونهاية الفترة المعنية بالدراسة فقد اعتبرنا مطلع القرن العشرين توافق بداية الاستفاقة الفكرية والسياسية التونسية والجزائرية، وكذا لاعتبارات أخرى سُنّيم الدليل عليها فيما بعد ببراهين عديدة، أما سنة 1939م التي اخترناها كنهاية لهذا العمل فهي أيضاً توافق بداية مرحلة جديدة حسمت في أغلب مظاهرها متغيرات الحرب العالمية الثانية وتجلياتها.

- خطة البحث

وبناء على ذلك فتشتمل هذه الدراسة على أربع فصول هي:

الفصل الأول تناولت في بدايته الحالة السياسية والفكرية التي سادت القطرين قبيل القرن العشرين إلى غاية اندلاع الحرب العالمية الثانية وهو تمهيد أراه ضرورياً لمعرفة الإطار الزمني لهذه الإسهامات ولا أنفي أنني قرأت تاريخ القطرين على شكل مُقتضب إن صح التعبير ركزت

على ما لم يتحقق وبقي في حكم المحتمل أو الأمنية حتى بعد أن حصل تصوره وتحديدته، اخترت هذا الأسلوب حتى لا أنغمس في سرد الوقائع أو في الاستطراف العقيم وحتى أجعل من الماضي حاضراً ومفيداً.

وقد اتبعت طريقة الدمج بين المراحل التاريخية والفكرية لكلا القطرين بشكل توافقي وغيابي في ذلك هو محاولة الوصول بهذه الصياغة التاريخية الواحدة إلى معرفة وحدة التاريخ والمصير والموقف. إن هذه الطريقة هي في حد ذاتها كانت رهاناً على المستقبل، فالملاحظ أنه وفيما يتعلق بكل البلاد المغاربية صدرت كتبٌ كثيرة تحمل هذا العنوان ولكن عند الفحص نجد أنها مؤلفة من فصول مُستقلة قابلة للإدراج في مؤلفات أخرى تم مناطق مختلفة، أما التألفة التي توحيها بين القطرين كانت من نوع آخر لم تأت إليّ عفويًا ولم أستسغها بسهولة، فما يهم الأحداث التي مسّت مصير البلاد فعملتُ على تلخيصها بإيجاز، وما تعلق بتأويل معناها فإنني فصلته فصلاً عن أحكام وتأويلات الآخرين، واجتهدت في ذلك حتى يخلوا من الاعتبارات الإقليمية أو المسبقات العقائدية دون الاكتفاء بتقارير لا تختفي من التأليف التاريخي إلا لتترك المكان للتبرير والتمثيل.

هذا الفصل الواضح الذي أصبح مرفوضاً في منطقتنا بمجرد ما أصرت كل دولة بعد انعقادها من الاستعمار على فرض نظرتها المنحازة إلى الماضي المشترك، عندئذ اختلفت الرؤية من بلد إلى آخر إلى الحوادث وإلى أحكام الإخباريين وما يرفض في هذا البلد يُقبل في الآخر، وما يُعتبر حدثاً هاماً هنا يُعتبر عارضاً ثانوياً هناك، وعلى رأس قائمة ضحايا الوطنية القطرية الضيقة يُوجد بالطبع مشروع كتابة تاريخ المنطقة كوحدة، فالدراسات المغاربية لا تنفك أن تجد تحت عناوينها سوى تاريخ مختزل في هذا القطر أو ذاك.

ثم تطرقت إلى سرد كل ما من شأنه أن يكون دافعاً وحافزاً قوياً كان أو جانبياً لتحريك عملية التفاعل والتضامن فإنه لا بد من القول أن عنصراً أو عاملاً ثانوياً عندما لا تتوقف النتيجة على توفره وحده بل يكون له دوراً مكماً فقط أو محسناً، فإنه ينبغي أن نأخذ به بعين الاعتبار، ولا بد أيضاً أن نحيط بظروف كلا الإقليمين اللذين تعملان فيهما هذه العوامل، هذا مع ذكر نماذج فكرية وسياسية تجسّد الإسهام الجزائري في مرحلة سابقة والتي كانت في شكلها العام عفوية وتلقائية بعيداً عن شكل المساهمات اللاحقة ذات الأبعاد الإيديولوجية.

أما في الفصل الثاني والثالث فقد جسدتُ فيهما المظاهر الفكرية والسياسية لإسهام العناصر الجزائرية في تونس والتي تجلّت بشكل أوضح عقب نهاية الحرب العالمية الأولى والتي شكّلت خطأً فاصلاً بينها وبين ما سبقها من إسهامات نظراً لمتغيرات عميقة مسّت وكيّفت كلا المجتمعين.

وفي الفصل الرابع فقد حاولنا بدايةً التفكير في منطلقات المساهمات الجزائرية في العالم العربي والإسلامي وخصوصيتها بالنسبة لتونس فوجدنا أنها ثقافية المنطلقات، كما أن تميز الوجود الاستعماري والتنوع الثقافي في الجزائر قد ساهم إيجاباً في تدعيم هذه الخصوصية، زيادة على ذلك حاولنا فهم العلاقة بين القطري والقومي أي العلاقة بين الإنسيّة الجزائرية وبين الانتماء القومي العربي منصرفين إلى تحديد معنى تلك الإنسية، وأخيراً وبعد التفكير برد فعل كل من فرنسا الاستعمارية والشعب التونسي تجاه هذه الإسهامات حاولنا أن نحدد المدلول الذي يُعطيه الجزائريون لعروبتهم ولقوميتهم، أي كيف يفهمونها؟ هل تتعارض مع هويتهم الوطنية؟ هل تتكامل معها؟ هل تتجاوزها؟.

- مصادر البحث

- إن وثائق الموضوع متعددة ومتنوعة، وإن كان اعتمادي عليها في هذه الدراسة قد اقتصر على القلة القليلة منها نظراً:
- لاعتمادي خطة بحثية مُتكيفة مع الحجم المطابق لمذكرة الماجستير مما يترع بي إلى الإمعان في الاختصار.
 - لقصر الفترة التي قضيتها في تونس خصوصاً، حيث كان تركيزي في البداية على الصحف والنشريات والدوريات وقد نلّمس ذلك من خلال ثبت المصادر والمراجع، بدل الرجوع إلى مركز الوثائق والأرشفات وهو تّما زاد من تقليص حظوظي في العثور على وثائق مركزة في محور الدراسة.
 - لدقة الموضوع المدروس وحساسيته، خصوصاً وأن الوثائق الأرشيفية والصحف التي بين أيدينا ذات صبغة وصفية عمومية، ولم تنطرق إلى التخصيص والتحليل إلا في التمر القليل منها لعوامل إضافية أخرى أدرجناها ضمن ثنايا هذه الدراسة.

- المصادر الأولية

الوثائق الأرشيفية وتمثلت هذه الوثائق عموماً في الأرشيفات الخاصة بالحركة الوطنية في تونس وفي المغرب العربي كبرامج الأحزاب والجمعيات بكل أديانها من مؤلفات ودوريات ونشرات، ونحو ذلك.

وكانت البداية مع أرشيف الوزارة الأولى بتونس، فالمميز في وثائق هذا الأرشيف أنها ما زالت مفتقرة إلى الترتيب تّما يزيد في صعوبة البحث والاقتناء المطلوب، فهناك عدد كبير من علب الوثائق

(Le Boit) لا يمكن الإطلاع عليها لأنها موضوعة بشكل عشوائي وبناءً على ذلك فإن وثائق هذا الأرشيف لا يمكن بالنظر إلى حالته هذه أن يوفر لنا وحده جميع الوثائق اللازمة في بحثنا. ويبدو أن العلب التي استفدنا منها هي العلب الموثقة في السلسلتين (D35) و(D36) واللتين تحصلنا من ملفاتها العديدة على مادة تاريخية معتبرة فيما يتعلق بجامع الزيتونة وحالته العلمية وكذا مدارسه وفروعه ومناهجه؛ لكن في الأخير يبقى أننا استفدنا منه بمعلومات عامة حول ظروف الدراسة به وحالة مدارس سكنى الطلبة إجمالاً، خصوصاً في الملف الأول (Dossier 01)، من السلسلة (D35).

أما السلسلة (D36) فهي أيضاً تحتوي على معلومات قيمة فيما يخص ظروف الطلبة الدراسية والمعاشية بالحاضرة وكذا نضالاتهم الطلابية والنقابية خصوصاً في الملفات (Dossier 08، Dossier 28). ولكن عيب هذه الوثائق بالنسبة إلى دراستي هذه أنها تُفرد في العمل الطلابي الزيتوني (نضالات، تقارير، مراسلات...) من دون تخصيص أو ذكر هوية أو جنسية الفاعلين والناشطين في هذه الهيئات، وفي أتعس الحالات تكفي بذكر الأسماء فقط مما يعني لي الإفراط في تصفح معاجم الأعلام والموسوعات والتراجم لمعرفة أصول هؤلاء الطلبة على أمل العثور على المراد والمرغوب.

والملاحظ أيضاً أن السلسلتين اللتين اعتمدت عليهما من ضمن ما اعتمدت تتمثل أولاً في عدد من المراسلات الإدارية وما يتبعها من تقارير شرطة ومناشير سرية ومُعلقات وعرائض، كما أنها لا تُغطي إلاّ الترتير القليل من فترة العشرينات والثلاثينات فقد كان ارتكازها في الأربعينات وما يليها أكيداً.

- مركز الوثائق الوطني في تونس (وزارة الإعلام)

إن هذا المركز الأرشيفي يحتوي على عدد مهم من الوثائق المصدرية المتعلقة بتاريخ الحركة الوطنية سواء التونسية منها أو المغاربية على وجه الخصوص، والجانب المهم الآخر فيها - بالنسبة لدراستي - هو توفر الدوريات والصحف التي لا وجود لها - في حدود علمي - في المراكز الأرشيفية التي زرناها ووثائق هذا المركز مرتبة ومبوبة في ملفات ومعنونة بحسب طبيعة الموضوع ثم تاريخه، فأغلب الملفات ترفق بهيئة أو بشخصية تاريخية مُعينة، ينطوي تحتها كل ما يتعلق بتلك الشخصية سواء عن ترجمته أو المرحلة التاريخية والأحداث الوطنية التي عاصرها بالإضافة إلى ذكر نضاله.

وأهم ما في هذه الملفات هو احتوائها بشكل مُغري للبحث على قوانين الأحزاب وبرامجها والجمعيات وتراجم الشخصيات، زيادة على كل ما يتعلق بالإدارة الفرنسية من تقارير ومراسلات

ومناشير ومقالات صحفية ونشرات خاصة بالندوات والمؤتمرات والتجمعات، وأهم الملفات التي اعتمدها كمادة مصدريّة أولية هي: Dossier, Mohamed Bach-Hamba. B1.28.

وأهم وثائقه التي رجعت إليها:

Doc N:°15: وهي مراسلة مهمة من الجنرال أليكس (Alix) قائد فرقة احتلال تونس (D.O.T) إلى المقيم العام بتونس مؤرخة في 12 أوت 1916م.

Doc N:°38: وهي ترجمة لمحمد باش حامية كتبها الشاذلي خير الله ونشرها بجريدة (La Voix du Tunisien) بتاريخ 2 فيفري 1932م.

Doc N:°56: وهي بريقة اللجنة الجزائرية - التونسية الموجهة إلى الرئيس ويلسن ونشرتها "مجلة المغرب" في عددها (1918/12/09) ثم نشرتها جريدة (L'action tunisien) بتاريخ 20 فيفري 1968م.

Dossier. Sliman Ben Sliman, B 2.21

- وقد رجعت في هذا الملف إلى وثيقة واحدة ضمت ترجمة شخصية تتعلق بسليمان بن سليمان سنة 1938م.

Dossier. Salah Cherif Ettounsi, B 2.48

- في هذا الملف استفدت من ترجمة الشيخ الصالح شريف.

Dossier. Ali Bach-Hamba, B 3.11

- ورجعت فيه إلى الوثيقة (Doc.N:°32) وتتعلق بترجمة شخصية لعلي باش حامية.

Dossier. E.N.A, B 3.33

- وهو ضمن الملفات المعنونة تحت اسم هيئة معينة.

هذا الملف أعده الشاذلي خير الله، رجعت فيه إلى الوثيقة Doc N:°02 التي تتضمن قوائم النجم الصادرة عن الجمعية المنعقدة يوم الأحد 20 جوان 1926م، كما يضم هذا الملف أيضاً تقرير قدمه الشاذلي خير الله في تجمع النجم ليوم 1927/12/27م، إضافة إلى وثائق أخرى تحتوي على مطالب النجم التي قدمها الشاذلي خير الله في مؤتمر بروكسل المنعقد فيما بين 10 و15 فيفري 1927م، ويضم أيضاً هذا الملف تقريراً لمجلة "السهم" وهذه الوثائق لم تكن مهمة بدرجة الوثيقة الثانية.

Dossier. A.E.M.N.A, A 4.44

- وهو ملف تضمن نشاط جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين رجعت فيه إلى الوثائق التالية (وهي بالعربية).

Doc N:°01: ويتضمن قانون هذه الجمعية لسنة 1928م.

Doc N:°19: ويتضمن قانون هذه الجمعية بباريس ونشرته جريدة المباحث في عددها (32)،

نوفمبر 1947م.

Doc N:°344: عبارة عن نشرة أعمال المؤتمر الثاني للجمعية المنعقد بتلمسان سنة 1932م.

Doc N:°500: عبارة عن نشرة أعمال المؤتمر الخامس للجمعية المنعقد بتلمسان سنة 1935م. كما ضم هذا الملف مجموعة مقالات نشرت في كل من جريدة "مهمة" و"الأسبوع" (في عددين)، و"صوت تونس" (عددين) وأيضاً في جريدة "المباحث".

الأرشيف الوطني الجزائري (بئر خادم)

توجد به دراسة مهمة أعدّها الدكتور عمار هلال مع فريق عمل حول الوثائق الفرنسية والمهجرة الجزائرية إلى الديار الإسلامية تحت رقم (A.N.A, N:°1046)، وبما أن المادة المصدرية في أغلبها قد أستمدت من دراستي راجي، ودي موني فيني فضلت الاستغناء عنها والرجوع إلى الأصل، ومن هذا الأرشيف استفدت من صحيفتين مصدريتين هما:

- البصائر I (1935-1937) من العدد 01 إلى 05 تحت رقم J.A.65

- الأمة (1934 - 1937) تحت رقم J.A.005 .1934/01

أرشيف ولاية قسنطينة (A.W.C) واستفدت من صحفه المصدرية وأغلبها عبارة عن نسخ مصورة (ميكرو فيلم).

- جريدة البرق: (1927)، (1956 - 1958) .

- البصائر: (1938 - 1939) .

- الشهاب: (1925 - 1928)، (1930 - 1931)، (1936 - 1937) .

- النجاح: (1929، 1930، 1937) .

- وادي ميزاب: (1926 - 1928) .

- المغرب: (1930).

- الوثائق المطبوعة والنشرية فمن الوثائق التي رجعنا إليها سلسلة الكتب التي قامت وزارة الإعلام التونسية بطبعتها محاولة منها في سد بعض الثغرات التاريخية في الحركة الوطنية التونسية معنونة بـ "وثائق"، واعتمدت في دراستي هذه على وثيقة واحدة ضمت مجموعة من المقالات والتصريحات الصحفية بالإضافة إلى التقارير والبرامج وبعض القوانين الأساسية، كما نشرت كتابة الدولة للدفاع الوطني سلسلة نشرات منها أعمال للمؤتمر العام للحزب الدستوري المنعقد بقصر هلال.

وفي نفس السياق اعتمدت على نشرات أخرى مطبوعة كمحاضر جلسات جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بالإضافة إلى المذكرات التي وإن اجتهد بعض قادة ومُنظري الحركتين الوطنيتين في تحليل تطور الأحداث السياسية والفكرية بها، والتي شاركوا في صنعها أو عايشوها عن كثب،

إلا أنها تبقى في الأخير نظرة تاريخية من زاوية شخصية، أي كما يراها صاحب المذكرات، حيث يتجلى للقارئ وكأن صاحبها هو محور الأحداث وأساس التطورات، مما يعني بالضرورة غمط الأدوار الأخرى، فينتاب القارئ إحساس بأن الكاتب يمعن في تقديس نفسه رغم أن ذلك يعد عادياً في عرف الكتابة الشخصية ولعل أبرزها على الإطلاق مذكرات حياة كفاح للشيخ توفيق المدني ومذكرات بن العقون.

- المقابلات الشخصية: وهي من المصادر الأولية في هذه الدراسة وإن اقتصرنا فيها على مبحث النضال الطلابي لذلك فقد اتصلت ببعض الجزائريين والتونسيين الذين كانت لهم علاقة بموضوع الدراسة لكن يبدو أن جلّ من تشرفت بمقابلتهم في إطار البحث كانوا يُمثلون جيل الأربعينات من القرن ألفارط، وهو الأمر الذي جعلني مجبراً على التخلي عن أغلبهم مكتفياً باثنين منهم، هما السادة الطاهر بن عيشة والذوايدي رشيد كان من حظي أن التقيت بهما على هامش ملتقى الحوار العربي المنعقد بطرابلس الليبية في الفترة (26-29 جويلية 2001م).

- كتب تاريخية مصدرية: وهي متنوعة ككتب كل من الثعالبي والمدني والفاصي وقناش ومصالي وفرحات عباس والورتلاني، فعلى الرغم من أن هؤلاء عاصروا الفترة المدروسة إلا أن جلّ أطروحاتهم تفتقر إلى جدية البحث العلمي وإلى الدقة في المعلومات، ومع ذلك فهي تعتبر في تصنيف المصادر شهادة شهود عيان تأخذ منهم ما نفتقر إليه وما يُوفي بشروط البحث، وهناك مصدر مهم لا بد من الإشارة إليه في هذا الصنف هو مؤلف محمد علي دبور (نهضة الجزائر) فإنه على الرغم من الطريقة التقليدية التي يُترجم بها الإعلام، والتركيز الكبير الذي يُوجهه نحو مُصلحي ميزاب يبقى على كل حال من المصادر الهامة للبحث، هذا إضافة إلى مصادر ذات اتجاه عام استفدت من بعضها وكان لي في معلوماً وآرائها فائدة مثل كتابات الخضر حسين والزهري والسنوسي وأوزقان والإبراهيمي، وقد أشرنا إليها في ثبت المصادر.

- الصحف والدوريات المصدرية: إن الجرائد والمجلات سواء منها الجزائرية أو التونسية التي صدرت خلال فترة الدراسة تعتبر من أهم المصادر على الإطلاق ذلك كونها تُعطي فسحة كبيرة للباحث في الاستقراء والتحليل والمناقشة، كما أنها تُعد بمثابة المادة الخام ويُمكن تكييفها منهجياً لتُعطي المزيد من الإجابات والاستفسارات حول بعض الزوايا الداكنة والحلقات المُعتمة في مسار الحركات الوطنية

والمغربية وهي بذلك رصيد معين كونها كانت تُجسّد - كصحف الجمعية - واجهة النضال السياسي والفكري، فهي مصادر لبرامج الأحزاب وتوجهاتها وأفكار الحركات الفكرية وتطوراتها.

- المصادر والمراجع الفرنسية: إن الدراسات الفرنسية التي استندت عليها في هذا البحث - وقلتها - ترجع إلى طبيعة متطلبات البحث - كتبًا كانت أو مقالات، فتميز بجدية البحث العلمي وعمق التركيز، والتصنيف الذي يُمكن أن نتناوله بها يتراوح بين انصباها على الموضوع أو بعدها عنه، فمن حيث اقترابها من موضوع البحث نجد سلسلة كتب المؤرخ الفرنسي شارل روبر أجيرون ومحفوظ قداش وكذلك نجد كتابي علي مراد "الإصلاح الإسلامي في الجزائر (1925-1940)م"، و"بن باديس مفسر القرآن" وهناك أيضًا مجموعة من النصوص التي جمعها كوللو وهنري في كتابهما "الحركة الوطنية الجزائرية" وقد وردت فيها مجموعة نصوص تعتبر هامة جدًا للبحث، وفي هذا السياق نجد كتاب نوشي "ولادة الوطنية الجزائرية".

وفيما يتعلق بموضوع الهجرة هناك دراسة رائعة وفريدة من نوعها قام بها العالم (جين جاك راجي) في عام 1950م حيث حاول أن يُجيب فيها على أسئلة تتعلق بالأسباب التي أدت بالجزائريين إلى الهجرة خارج بلادهم والبحث عن مكان للاستيطان لهم بفرنسا والبلاد الإسلامية وقد قام الكاتب الفرنسي بتحليل رائع للأسباب التاريخية التي دفعت بالجزائريين إلى الهجرة في فترات متعددة من التاريخ، والشيء الذي يلفت النظر في أبحاث السيد (راجي) هو تحيزه للمعمرين وتبنيه لقضيتهم. ونخص أيضًا بالذكر هنا كتاب شارل أندري جوليان والذي تعتبر كتبه مصدرًا لا غنى عنه لكل من يعني بتقصي الحقائق عن المغرب العربي وذلك لارتكازه على تجربة أربعين سنة في ميادين التعليم والإدارة خاصة في سلك الوظائف العليا للبحر المتوسط وإفريقيا السوداء لدى رئاسة الحكومة الفرنسية من عام 1936م حتى عام 1939م، وهناك أيضًا كتاب فرحات عباس "ليل الاستعمار" وهو يتسم بعرض الأحداث التي مرّ بها وعاشها بصفته أحد ممثلي النخبة الوطنية.

- المراجع العربية: يمكن تصنيفها إلى صنفين: مراجع لها أهميتها من حيث انصباها على الموضوع مثل كتب كل من الجزائريين محمد ناصر وصالح خرفي وبوعزيز يحي وركيبي عبد الله، وهناك أيضًا مؤلفات أبو القاسم سعد الله التي تمثل دراسة قيّمة للأحزاب والجمعيات والنوادي والشخصيات وكل أنشطتهم، ولكن عيب هذه المؤلفات بالنسبة لدراستنا أنها جاءت شديدة الاختصار بالنظر لدقة الموضوع وشموليته وأهميته هذه الدراسات تبدو في اعتمادها إلى حد كبير على رصانة البحث

وموضوعيته، وفي هذا السياق تأتي سلسلة كتب محمد صالح الجابري ذات الصياغة الأدبية وكذا كتب كل من جلال يحيى والجندي أنور وأحمد الخطيب وصلاح العقاد.

- منهج الدراسة

لدراسة هذا الموضوع سوف نوظف المنهج التاريخي الذي يهتم بتتبع الأحداث وتقديم وصف شامل ودقيق عنها، ويُعطيها سياقاً زمنياً يربط السابق باللاحق، والمنهج التحليلي الذي يهتم بالبحث عن الأسباب وطلب التفسيرات ودراسة العوامل المؤثرة ومجالات التأثير، كما أن دراسة المضمون بالطريقة الإحصائية يُمكن أن يُساعد على رصد الأفكار والكشف عن اتجاهاتها خاصة عند دراسة وثائق الحركة الوطنية في الصحف والمجلات والمؤلفات وبالرغم من هذا الطرح المنهجي للموضوع، فإن الكتابة التاريخية لا تخلو من المزالق ولذلك يصعب علينا كتابة تاريخ الجزائر المعاصر لأن الفترة تعرضت لامتحانات وشخصياتها إلى هزات، وأن البعد الزمني عنصر أساسي في تفهم المرحلة التاريخية.

- الصعوبات التي واجهت البحث

البحث ليس سهلاً كما قد يتبادر إلى بعض الأذهان وصعوبته تعود إلى أنه دراسة جديدة، وبالتالي ليس هناك دراسات سابقة تساعد المؤلف على استجماع أطراف الموضوع والاستئناس بها أثناء الدراسة، ولذلك واجهت صعوبة كبيرة في جمع مادتها، ونظراً لجدية الموضوع فقد عانيت فيه جهداً ومشقة خصوصاً إذا أخذنا بعين الاعتبار عدم توفر كل المصادر الخاصة مما يتطلب جهداً مضاعفاً في الحركة والتنقل السريع لاختصار الزمن، كما أن طبيعة البحث تتطلب معرفة دقيقة بالأشخاص المعنيين وترجمتهم مما يعني الإمام بكل العائلات والأشخاص الجزائريين قدر الإمكان، فكثيراً ما كنتُ أقرأ لمنظمات وحركات ونضالات شخصية ولا أتنبه إلى أن قادتها أو مسيروها هم جزائريون، مما يُحتم عليّ مراعاة الترجمة المتكررة وخصوصاً إذا علمنا بأن رواد ترجمة الأعلام في تونس يعتبرونهم تونسيون مما يُصعبُ عملياً من درجة البحث، وإني أعتبر نفسي قاصراً على الإمام بكل الشخصيات والمنظمات مما يعني قصوري في الإمام بكل الإسهامات.

إن الأمانة تقتضينا القول أن تراث الحركة الوطنية الجزائرية المعاصر يفتقر إلى نصوص نظرية بالمعنى الدقيق حول أي من القضايا التي نبهتها في هذه الدراسة إلا ما كان من بعض الشذرات وهي لا تُغني، كما أن النضال الجزائري في القضية التونسية كان نضالاً عفويّاً لأن دوافعه هي العفوية المعنوية، فقد كانت المساهمة لا تتم باسم تونس لذاها بل كانت تتم باسم المغرب العربي تارة، وباسم القومية العربية الإسلامية تارة أخرى، وهو الذي جعلنا نُكَيّف هذه النصوص بحسب ما تقتضيه

خطة الدراسة، الأمر الذي فاقم من صعوبة استخراج التحديد النظري من خطاب سياسي هو بطبيعته وصفي ولعلنا لمسنا كيف أن هذا الغياب المعرفي للنصوص النظرية هو أيضًا له دلالة كاشفة عن مقدار الوعي القومي وحيّزه في وعي الجزائريين وسلوكهم.

إن الموضوع إذاً مازال بكرًا وإن كانت هناك بعض المحاولات والاجتهادات السابقة التي تطرقت لهذا الموضوع في جوانب أخرى غير ما بحثنا لكن ليس بالشكل الكافي أصلاً ووفق هذه الظروف تحتم علينا تصفح كل ما من شأنه أن يُعيننا في طرق أغلب أبعاد الموضوع سواء مطالعة أو اقتناء أو نسخًا، لعلنا نهندي بها في مسيرة البحث والتنقيب فكان مفروضًا علينا بناءً على ذلك - ومع قلة ما اعتمدنا - أن نطالع مضامين الكتب وحواشيها ومقدماتها وحواسنها وملاحقها وفهارسها مما جعلنا نسرف في استهلاك الوقت مع ضيقه في القراءة والتصفح وفي أكثر الأحيان كنت أعود بخفي حنين، دون الوصول إلى شيء يُذكر، لكن من جهة أخرى كان لاستغراقي في القراءة والتصفح جانبه الإيجابي فقد كانت لنا فيما بعد رصيدًا تاريخيًا معينًا في جوانب أخرى من تاريخ المنطقة المغربية.

ولا أزعم لنفسي أنني وصلت بهذا البحث إلى المستوى العالي المنشود ولكنني أتطلع بكثير من الأمل لجهود الذين سيأتون من بعدي لإكمال الطريق الذي بدأته. وإن كان لابد من كلمة أخيرة فإن هذه الدراسة مدينة بالدرجة الأولى في ظهورها الأكاديمي للأستاذ المشرف الدكتور "عمير اوي أحمد" الذي كان لتوجيهاته القيمة أكبر الأثر في أخذ الدراسة مسارها الصحيح واستيفائها الغرض المطلوب منها.

المبحث الأول: الحالة السياسية للجزائر وتونس

1. تمهيد حول دخول الاستعمار الفرنسي وردود الفعل الوطنية إلى غاية مطلع القرن

العشرين

إن الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830م لا ينفصل في الواقع عن عملية التوسع الأوروبي الاستعماري؛ التي انطلقت بالتفوق الصناعي والعسكري، وفرنسا التي كان الحكم فيها يعاني من معارضة شديدة، وجدت من المناسب توجيه الأنظار إلى الخارج، فكانت الحملة العسكرية التي نزلت في سيدي فرج والتي أعدّها لها باتقان¹.

وجاءت الحملة في وقت كان حكم الداوي في الجزائر يعاني من وضع أممي غير مستقر، نتيجة لتمرد بعض القبائل الداخلية بزعماء رجال الطريقة الدرقاوية التي أرهقت نظام الحكم²، كذلك كانت الدولة الجزائرية تُعاني من وضع اقتصادي مزعزع زاده اضطراباً الحصار البحري الفرنسي الذي استمر ثلاث سنوات³.

وفي يوم 14 جوان 1830م نزلت القوات الفرنسية، التي كان تعدادها قد بلغ 37.000 جندي في منطقة سيدي فرج⁴، وبعد معارك طاحنة وشديدة بين الطرفين، استسلمت الحكومة الجزائرية في 05 جويلية 1830م، ووقع كل من الداوي حسين والكونت دي بورمون اتفاق الهدنة⁵ الذي يعني اتفاقية تسليم عسكري بين غالب ومغلوب⁶، لتصدر السلطة الفرنسية بعدها قرار 22 جويلية 1834م الذي نصّ على أن الجزائر «أرض فرنسية»⁷، ثم دعمته بقانون 15 أبريل 1845م، الذي ينص على تقسيم الجزائر أيضاً إلى ثلاث مناطق (مدنية - عسكرية - مختلطة)⁸ لتكتمل عملية الدمج مع دستور 4 نوفمبر 1848م، الذي اعتبر الجزائر في مادته 109 «أرضاً فرنسية»⁹.

وأصبح سائداً خلال الفترة ما بين (1870 - 1898)م، أنه لا لزوم لاعتبار الجزائريين

¹ - Ageron (ch.R), Histoire de l'Algérie contemporaine (Que-sais-je ?), PUF, Paris 1977, p.8.

² - المرجع نفسه، ص. 8. ينظر أيضاً: - سعد الله (أبو القاسم)، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، القاهرة: م.ب.د.ع، 1977م، ص.ص (33-36).

³ - Mahsas (A), le mouvement révolutionnaire en Algérie, Ed, l'Harmattan, Paris 1979. P.26.

⁴ - Ageron, OP. cit, p.9.

- يراجع أيضاً:

- خوجة (حمدان)، المرأة، تر: محمد العربي الزبيري، الجزائر: ش.و.ن.ت. 1975م، ص.ص (266-268).

⁵ - Bontens (cloude), Manuel des institutions Algériennes. T₁, :Ed. cujas, Paris 1976. p.76.

⁶ - المرجع نفسه، ص. 104.

⁷ - Ageron, OP. cit, P. 9.

⁸ - Bontens, OP. cit, P. 92.

⁹ - المرجع نفسه، ص. 195.

الفصل الأول

الوضع السياسي والفكري للقطرين ودوافع

المساهمة الجزائرية

• المبحث الأول: الحالة السياسية للجزائر وتونس

• المبحث الثاني: الحالة الفكرية للجزائر وتونس

• المبحث الثالث: الدوافع الأساسية لتفاعل الجزائريين

ومساهماتهم في الحياة التونسية

• المبحث الرابع: المظاهر الأولى للتواصل الجزائري التونسي

كالفرنسيين، ولم يكن قانون الأهالي في عام 1874م سوى صياغة قانونية للممارسة القهرية التي كانت قائمة منذ عهد «بيجو»، الذي منح ضباطه صلاحيات مطلقة بمعاينة الجزائريين بسرعة وقسوة¹، وهي القوانين التي تُشابه حسب قول أجيرون: «تلك القوانين التي كانت تطبق على الأرقاء في جزر الأنتيل»².

ولم يكن احتلال فرنسا للجزائر بالأمر اليسير، فمنذ أن وطأت جيوشها الأرض الجزائرية عاشت في قتال عسكري مُستمر لم ينته عملياً إلا مع انتهاء الحرب العالمية الأولى، وبدأت المقاومة المنظمة بعد التفاف قبائل غرب ووسط الجزائر بالأمير عبد القادر إثر مبايعته³ حيث حاصر القوات الفرنسية في المدن الساحلية وبعض المناطق المحصنة، وعندما كان الفرنسيون يستشعرون الضعف راحوا يعقدون الهدنة مع الأمير فكانت معاهدي ديمشيل والتافنة، والتي قبلها الأمير بهدف إعطاء فرصة لتنظيم دولته وبنائها⁴.

لكن الفرنسيين وبعد احتلال قسنطينة، وإلحاق الهزيمة بمقاومة أحمد باي في الشرق لم يتركوا للأمير الفرصة الكافية لتطوير دولته، فخرقوا معاهدة الهدنة لتستمر الحرب بينهما من جديد، وكانت نهايتها استسلام الأمير في 23 ديسمبر 1947م.

لتستمر بعدها الانتفاضات والثورات الشعبية، التي كانت تتفق في مبدأ واحد وهو رفض حكم الرومي عليهم، ولكنها هي بدورها أكدت فشلها لافتقادها التنسيق والقيادة الموحدة، وحتى مطلع القرن العشرين تابعت هذه الثورات فكانت ثورة عين التركي عام 1901م وانتفاضة عين بسام عام 1906م، وثورة بني شقران (معسكر) عام 1914م، وثورة الأوراس عام 1915م⁵.

وبينما لجأ هؤلاء إلى العمل العسكري، استعملت الجزائر الفتاة طريقة العرائض والوفود والإضرابات، وصخب الشوارع، إن هذا التكتيك الجديد للضغط مع بعض الثورات المتجددة قد جعل الجزائر تبدو باستمرار في حالة غليان وعدم استقرار⁶.

¹ - Kaddache (M), Histoire du Nationalisme Algérien, question National et politique Algérienne (1919-1951), T1. S.N.E.D. Alger 1980. p.30.

² - Ageron, OP. cit, P.61.

³ - حرب (أديب)، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري (1808 - 1847)، ج1، الجزائر: ش.و.ن.ت. 1982م، ص.2.

⁴ - الخطيب (أحمد)، الثورة الجزائرية (دراسة وتاريخ)، بيروت: دار العلم للملايين. 1958م، ص.17.

⁵ - Ageron(Ch,R), l'Algérie Algérienne de Napoléon III à degaulle. Sindbad, Paris 1980. p.p(39-61).

- ينظر أيضاً: بوعزيز (بجي)، ثورات الجزائر في القرنين (19 - 20)م، الجزائر: دار البعث 1980م، ص.ص(286-288).

⁶ - سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية (1900 - 1930)م، ط4، ج2، بيروت: دار الغرب

الإسلامي 1992م، ص.102.

وتُعد سنة 1908م البداية الحقيقية للنشاط السياسي للجزائريين نظراً لما شهدته الجزائر من تطورات سياسية هامة على الصعيدين الخارجي والداخلي¹، حيث تأسس خلال هذه السنة أول حزب جزائري قُدِّر له أن يكون قصير العمر هو حزب الجزائر الفتاة، إذ أعلن موافقته على التزامات الخدمة العسكرية المفروضة على الجزائريين مُقابل توسيع تمثيل الجزائريين في الجمعيات والمجالس المنتخبة وتطوير التعليم وتوسيعه وإلغاء القوانين الإضطهادية².

ليبرز التشكيل السياسي الجزائري في جزائر مطلع القرن العشرين عن كتلتين متميزتين يُصوران بوضوح التمايز الاجتماعي والثقافي والاقتصادي الذي انطبع في تلك الفترة الزمنية، أولاهما كتلة المحافظين والتي تتشكل في الغالب من العلماء (رجال الدين، المحاربين القدامى، زعماء الطرق الصوفية...) ولم يكن هؤلاء مندجين في تنظيم واضح ولكن نشاطهم وأفكارهم كانت واضحة، وقد طالبوا بالمساواة ودعوا إلى الجامعة الإسلامية³، «وأغلبهم انغمس في الغموض الديني والسلبية المجردة»⁴.

وثانيهما النخبة التي عرفها علي مراد: «...بأنها جماعة تحسن اللغتين، ويتمون إلى الطبقة المثقفة، فأضحت مشتتة بين حضارتين عربية وفرنسية...»⁵، وظهرت منهم طبقة اجتماعية عُرفت باسم لجنة الدفاع عن مصالح المسلمين، التي يعتبرها كلاً من كلود كولو وروبير هنري «...أنها بداية لظهور الأحزاب السياسية منذ سنة 1912م...»⁶.

وفيما يتعلق بالقطر التونسي، فيبدو أن هُضمت وسعيه في التخلص من كل نفوذ أجنبي قد بدأت في أواسط القرن 19م، حيث أصدر ملكها إذ ذاك محمد الباي في 09 سبتمبر 1857م «عهد الأمان» الذي يعتبر إعلاناً لحقوق الإنسان، وللمبادئ الديمقراطية من مساواة بين الأفراد، والحرية الشخصية،

- ينظر : L'achraf (M), l'Algérie: Nation و Société, S.N.E.D. Alger 1978. p.185.

¹ - جلال (بجي)، الثورة العربية، بيروت: دار المعرفة، 1959م، ص.83.

² - غليسي (جوان)، الجزائر النائرة تر خيري حماد، بيروت: دار الطليعة، 1961م، ص.34.

³ - Collot (C), Henry (J.R), Le Mouvement National Algérien (Texte), (1912-1954), Ed, L'harmattan, et, Algérie :O.P.U. Paris 1978. p.23

⁴ - سعد الله، مرجع سابق، ج2، ص.152.

⁵ - Merad(A), "Conformation du presse Islamique à Algérie". IBLA. N :° 02. Vol. 127. 1964, p.13.

⁶ - Op. cit, p.24.

الفصل الأول ----- الوضع السياسي والفكري

وعدالة الأديان¹، ولما اعتلى خير الدين باشا كرسى الوزارة (1873-1877م)، أُسرع إلى تطبيق النظم الحديثة على الدولة التونسية، وهو ما سيكون فيما بعد أساساً للنهضة والتقدم²

وبعدما تمكنت فرنسا من احتلال الجزائر العاصمة سنة 1830م أصبحت جارة لتونس، وخشيت أن تُصبح هذه الأخيرة قاعدة لانطلاق حركة ثورية تُهدّد وجودها بالجزائر، فبدأت تُخطط لاحتلالها، وساعدها على ذلك ما كانت عليه البلاد التونسية من تدهور وتأخر في نظام الحكم بها³. واغتنمت فرنسا توغل مجموعة من قبائل بني خمير في التراب الجزائري لتنتقم لأحد أفرادها في 16 فيفري 1881م إضافة إلى حوادث 30 و31 مارس التي اصطدمت فيها القوات الفرنسية والقبائل التونسية لتجتاز قواتها المقدرة بـ 31.000 مقاتل بقيادة الجنرال فورجمول (Forgemol)، وتتابع الأحداث بعدها بسرعة فائقة⁴.

ورغم استغاثة والي تونس، ونداءاته المتكررة إلى الدول التي ضمها مؤتمر برلين، إلا أن هذه النداءات المؤثرة لم تلق أي صدى لدى الدول المعنية باستثناء إيطاليا؛ التي قامت بمساعيها لدى الدول الكبرى، والدولة العثمانية التي أرسلت سفينتين حربيّتين في محاولة فاشلة انتهى هدفها في مياه المتوسط⁵ وتمكنت قوات الجنرال "بريار" من احتلال الأيالة وأجبرت الباي على توقيع معاهدة

¹ - الميرلاي (اسماعيل سرهنك)، مجمل تاريخ المغرب، تق، مر، حسن الزين. بيروت: دار الفكر الحديث للطباعة والنشر، ب.ت، ص.ص (207-230).

² - يراجع:- البلهوان (علي)، تونس النائرة. القاهرة: لجنة تحرير المغرب العربي، 1954م، ص.ص (207-225) - عمر (عبد العزيز عمر)، جوانب من تاريخ المغرب العربي في العصر الحديث؛ مصر: دار المعرفة الجامعية. 1998م، ص.ص (51-55).

³ - بن الحاج عثمان الشريف (البشير)، أضواء على تاريخ تونس الحديث (1881-1924م). تونس: د.ب.ل.ن، 1981م، ص.05.

- يزاجع في هذا الصدد أيضا:- عبد العظيم (رمضان)، الغزوة الاستعمارية للعالم العربي وحركة المقاومة، القاهرة: دار المعارف. 1985. ص.ص (141-145).

⁴ - تشايحي (عبد الرحمان)، المسألة التونسية والسياسة العثمانية (1881-1913)، تر التميمي (عبد الجليل)، تونس: دار الكتب المشرقية. 1973 ص.ص (66-78).

- يراجع أيضا: بن الحاج عثمان، المصدر السابق، ص.15.

⁵ - تشايحي، مرجع سابق ص.ص (83-123).

*خير الدين باشا (1810-1889). شركسي الأصل، وقد بيع عبدا في سوق الرقيق بالأستانة، فاشتراه تحسين بك وباعه إلى أحد وكلاء باي تونس، فترى في بلاط الباي، وتعلم في الزيتونة، وزار عدة دول أوروبية اطلع خلالها على تطور أوروبا، شغل منصب الوزارة في تونس (1873-1877م)، وكانت له إصلاحات هضوية كبيرة في البلاد وبسبب فشله في تطبيقها ارتحل إلى الأستانة أين ارتقى مناصب عليا في الباب العالي.

- للتوسع يراجع:- أمين (أحمد)، زعماء الإصلاح في العصر الحديث. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1971م، ص.ص (158-183). - المنجي (الشملي)، خير الدين باشا. تونس: د.ت.ن، 1964م.

«باردو» تحت الضغط¹.

ولما استقر الوضع بفرنسا طالبت على لسان مُقيّمها "جول كامبون" بتحويل معاهدة الحماية، بحلق الوادي - بعد وفاة الصادق باي - وسميت بمعاهدة قصر اسعيد²؛ ليكتمل إحكام السيطرة الكلية على تونس بمعاهدة المرسى في 08 جوان 1883م، وأصبح كل شيء بيد المقيم العام الفرنسي³. واستمرت الحالة السياسية والاجتماعية على هذا النسق، إلى أن ظهر عدد من الشبان من خريجي المدرسة الصادقية؛ وبرز فيهم البشير صفر^{**}، كما حدث تجاوب بين هذه الحركة الناشئة والحركة المصرية بزعامة مصطفى كمال، وتوحدت جهود الإصلاح بتأسيس جريدة الحاضرة سنة 1888م، والجمعية الخلدونية^{***} سنة 1896م، وجمعية قدماء تلامذة المدرسة الصادقية التي أسسها علي باشا⁴ حامية^{****}.

¹ - المرجع نفسه، ص. 130. يراجع أيضا: سمير (أمين) وآخرون، المجتمع والدولة في الوطن العربي في ظل السياسات الرأسمالية الجديدة (المغرب العربي). القاهرة: مكتبة مدبولي، ص. ص (223-235).

² - تشايحي، مرجع سابق، ص. ص (77-78).

³ - عبد العظيم، مرجع سابق، ص. ص (150-153). وللإطلاع على نصوص المعاهدة المبرمة يُمكن الرجوع إلى: زيادة (نيقولا)، تونس في عهد الحماية (1881-1934)م. القاهرة: معهد الدراسات العربية العليا، 1964م، ص. ص (238-241).

⁴ - بن الحاج عثمان الشريف، المصدر السابق، ص. ص (67-85).

* **الصادقية**: أنشأها خير الدين باشا سنة 1876م، على عهد الصادق باشا باي، بأمر مؤرخ في 25 ذي الحجة 1292هـ. وقد كانت تدرس بها لغات عديدة وتباشر التعليم الابتدائي ثم العالي. ومن خصائصها أن تُعول تلاميذها وتؤويهم ليلاً بفضل ما أوقف عليها. للتوسع أكثر يراجع: - العبوري (محمد) وآخرون، التقويم الذهبي التونسي. تونس: المطبعة التونسية (1938-1939)م. ص. 298. - زيادة نيقولا، مرجع سابق، ص. ص (85-86).

** **محمد البشير صفر**: (1863-1917)م، درّس بالمدرسة الصادقية، ثم بالمعهد الفرنسي العليا، أسس جريدة الحاضرة (1888م)، ثم المدرسة الخلدونية (1896م)، كما ساهم في إنشاء عدة مشاريع خيرية. - يراجع في هذا الباب: - الجابري (محمد الصالح)، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس (1900-1962). تونس: الدار العربية للكتاب. 1987م. ص. 69. هـ.

- بن عاشور (محمد الفاضل)، الحركة الأدبية والفكرية في تونس، ط3. تونس: د.ت.ن، 1983م.

*** **الخلدونية**: كان تأسيسها في عهد المقيم الفرنسي ريني ميلي، (1894-1900)م أسسها البشير صفر برفقة الشيوخ: سالم بوحاجب، عمر الشيخ، أحمد كريم، وعمقتضى قرار وزاري مؤرخ في 18 رجب 1314هـ، وأقيم حفل التأسيس في 14 ذي الحجة / 15 مارس 1897م، وينقسم التعليم بهذه المدرسة إلى ثلاثة أقسام: ابتدائي - ثانوي - عالي.. عن ذلك يراجع: - العبوري وآخرون، مرجع سابق، ص. ص (38-44).

le mouvement jeunes tunisien. «Essai d'histoire et de synthèse des mouvements nationalistes tunisiens. (Chedly (kairellah), Tunis établissements Bonici. S.D. p.p(24-30).

**** **علي باش حامية**: (1875 - 1918)م. تونسي الأصل. درس بالصادقية. ثم انتقل إلى باريس حيث حصل على الليسانس في الحقوق. مارس مهنة المحاماة بتونس إلى جانب نشاطه السياسي وهو مؤسس جمعية قدماء الصادقية سنة 1906م بعدها تزعم حركة الشبان التونسيين كما شارك في إصدار جريدة التونسي (1907-1911)م، وفي =

وكانت أولى تشكيلات هذا الفريق الناشئ من السياسيين «حزب التقدم التونسي» الذي دعا إلى ضرورة مشاركة التونسيين في حكم بلادهم دون أن يمسّ ذلك أساس نظام الحماية، ولقد قام علي باش حامية بدور أساسي فيه¹، حيث تزعم هذا الأخير بصحبة أحمد الصافي* في سنة 1910م المؤتمر الشعبي "البلمار" المناهضة لتجنيس اليهود، وتوسيع دائرة حقوقهم، والذي كان من نتائجه مقاطعة اليهود اقتصادياً وأديباً.

كما قام في نفس السنة طلبة جامعة الزيتونة بمظاهرات وإضرابات مطالبين بإصلاح التعليم الزيتوني فوجدت جمعية طلبة الزيتونة مساندة قوية من النخبة التونسية²، ثم كانت انتفاضة "الجلالز" في 07 نوفمبر 1911م.

ونستطيع القول أن النخبة التونسية رغم أن جلّ روادها كانوا من خريجي الجامعات الأوروبية إلا أنهم انسجموا مع كل الطبقات الشعبية وشرائعها، فخلقوا بذلك رأياً عاماً واحداً، ثم جاءت مقاطعة الشعب التونسي للترام الكهربائي تلبية لنداء نُخبته الوطنية، وكانت قد سبقت هذه الأحداث انتفاضة "تالة والقصرين" عام 1906م³.

وقد صاحب اندلاع الحرب العالمية الأولى إعلان حالة الحصار والأحكام العرفية العسكرية في البلاد التونسية (12 أوت 1914م)، فأغلقت النوادي ومُنعت الاجتماعات، وتوقف كل نشاط وطني بسبب إبعاد مجموعة من الوطنيين أمثال حسين الجزيري** والجزائريين أحمد توفيق المدني***

= سنة 1912م، نفتته السلطات الفرنسية إلى إستانبول حيث تولى بها مناصب حكومية، وكان له دور كبير إبان الحرب العالمية الأولى في الدعاية العثمانية - الألمانية. يراجع: S.M.N, Dos Ali Bach-Hamba. B.3.11. Doc n°32. «de cret du 5juillet 1915, seaustrant les biens de Ali Bach-Hamba». S.D.N.T. (M.T).

1 - جلال (بجي)، العالم العربي، ج2، ص.ص(398-697).
 2 - الطاهر (عبد الله)، الحركة الوطنية التونسية، تونس: دار المعارف للطباعة والنشر، 1990م. ص.ص(40-45).
 3 - المرجع نفسه، ص.ص (51-53)، يراجع أيضاً: البلهوان، المصدر السابق، ص.42. حسن حسني (عبد الوهاب)، خلاصة تاريخ تونس، ط2، تونس: المطبعة التونسية، 1344هـ، ص.ص(181-182).
 * أحمد الصافي (1882-1935م)، درس بالصادقية وحصل على إجازة الحقوق في باريس، ثم عمل محامياً منذ سنة 1908م، وشغل الأمانة العامة للحزب الدستوري، وترأس الوفد الدستوري الأول إلى باريس في 13 جوان 1920م، والثالث في سنة 1924م.

- للتوسع يراجع: خرفي صالح، عبد العزيز الثعالبي. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1995م، ص.175. 8.
 ** حسين الجزيري: (1893-1974م)، صحفي وكاتب تونسي، درس بالزيتونة وأصدر سنة 1921م جريدة الندم الأسبوعية، وله أيضاً «تنبيه الغلام إلى شيم الكرام»، وله أيضاً ديوان شعر.
 - للتوسع يراجع:- محفوظ (محمد)، تراجم المؤلفين التونسيين، ج2. بيروت: دار الغرب الإسلامي 1982م، ص.ص(29-34). - بن قفصية (عمر)، أضواء على الصحافة التونسية، تونس: د.ب.ن.ت، 1972م، ص.92.
 *** أحمد توفيق المدني (1899-1983م)، يراجع ترجمته في الملحق أ. رقم 62.

ومحمد صالح الشريف* والخضر حسين**، «غير أن ظهور شخصيّة حسن قلاّتي الجزائري*** في الساحة السياسية فيما بعد، أعطى نفساً مُتجدداً لحركة الشبان التونسيين»¹، كما أمكن رجوع أغلب هؤلاء المنفيين كالثعالبي ومحمد بن نعمان**** إلى تونس، إلاّ علي باش حامية الذي آثر المنفى في استانبول².

من جانب آخر تحرك بعض الوطنيين في الداخل لتنظيم اجتماعات سرية هدفها اتخاذ موقف عملي لصالح السلطان، فعملوا على ترويح الأخبار والمناشير التي تُمجّد انتصارات السلطان وقد غدّى هذه الدعاية من الخارج مجموعة من المهاجرين الجزائريين والتونسيين انطلاقاً من استانبول وبرلين³.

وأُسفرت الحرب العالمية الأولى عن تبلور توجهات الحركة الوطنيّة على شكل أحزاب سياسية منظمة متعددة، كما ظهرت الشبهة الشيوعية التي لم تلبث أن برزت بشكل جدي ومظافر في حركة (الجامعة التونسية) التي أسسها رواد العمل النقابي التونسي⁴.

2. آثار الحرب العالمية الأولى على الجزائر وتونس (والمعطيات السياسية الجديدة):

كان للحرب العالمية الأولى تأثيرٌ ملموس في تفتح الذهنية الوطنية الجزائرية وترقية المستوى الفكري والسياسي للشعب، ولما أعلن ولسن مبادئه التحريرية في العالم، تشكل وفد من الضباط الجزائريين برئاسة الأمير خالد وسافر إلى فرنسا ليُطالب مؤتمر الصلح بتطبيق المبادئ الجديدة

1 - الفاسي (علال)، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، المغرب: دار الطباعة المغربية. 1948م، ص. 51.

2 - جوليان (شارل أندري)، المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي. تر محمد مزالي والبشير سلامة. تونس: أ.ش.ب.ن، 1967م، ص. 139.

3 - الشاي (علي) وآخرون، الزعيم الشيخ عبد العزيز الثعالبي وتجديد الفكر الديني. تونس: المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 1993م. ص.ص (102-103).

4 - الجابري محمد صالح، ديوان الشعر التونسي الحديث (تراجم ومختارات). تونس: الشركة التونسية للنشر، 1976م. ص. 103.

* صالح الشريف: (1862-1920)م جزائري، يراجع ترجمته في الملحق I. رقم 38.

** الخضر حسين: (1874-1958)م، يراجع ترجمته في الملحق I. رقم 23.

*** حسن قلاّتي: (1880-1966)م، يراجع ترجمته في الملحق I. رقم 57.

**** محمد بن نعمان: (1875-1962)م، درس في العلوية وتحصل على الإجازة في الحقوق، واشتهر في المحاماة، من وجوه الشبيبة التونسية، ومن المساهمين في بعث الحزب الحر الدستوري، وكان ملازماً للشيخ صالح بن يحي في أول

العهد بالدستور ولكنه انحاز فيما بعد إلى حسن قلاّتي، وصار من المحررين الرئيسيين في جريدة البرهان.

- للتوسع يراجع: - بن قفصية عمر، مرجع سابق، ص. 94. - خرفي صالح، مرجع سابق، ص. 173. 4هـ.

على الشعب الجزائري¹، ولكن رغم فشلهم في تحقيق الهدف إلا أن هذه المحاولة كانت سابقة تبعتها حركة كفاح قوية.

«ولما كان تشريع سنة 1919م قد وسّع دائرة تمثيل الأهالي في المجالس الأهلية البلدية، أسّس الأمير خالد كتلة المنتخبين المسلمين الجزائريين، وجريدته الإقدام لتكون لسانها المدافع عن مبادئها»²، ورغم نجاحه المستمر ضدّ خصومه، إلا أن الأمير كان يُعاني من ضغط الفرنسيين، ومقاومة أعدائه، مما اضطرّه للسفر إلى خارج الجزائر منذ سنة 1924م، حيث وضع في فرنسا أساس لجنة الدفاع عن شمال إفريقيا، والتي سرعان ما تطوّرت فأصبحت نجم شمال إفريقيا، وعلى كلِّ فإن حركة الأمير هي حركة إصلاحية استوحى برنامجها من القرآن ومن الفكرة الاشتراكية³ وليس كما عبّر عنها أحدهم بأنها «حركة قوميّ ينزع إلى فصل الدين عن الدولة»⁴، وبعد رحيله - الأمير خالد - استمرت الحركة الوطنية في تطورها رغم استخدام السلطة الفرنسية الشدّة والعنف ضدها، ذلك أن جمعيات وهيئات سياسية أخذت في الظهور بعد ذلك⁵، وخصوصاً في الثلاثينات.

إنّ الذكرى المئوية للاحتلال التي أحتفل بها بشكل مُهين للمسلمين يُمكن أن تحدد التاريخ الذي بدأ به انفصال الصفوة الجزائرية عن المطالب السابقة، فقد كان لا بد من انتظار عام 1936م حتى نرى تجسيداً لسياسة جديدة للحركة الوطنية الجزائرية، ذلك أنّه ومع انتخابات الجبهة الشعبية أُعيد الأمل إلى الجزائريين المسلمين، وانهقد المؤتمر الإسلامي الأول في جويلية 1936م، والذي قرّر في نهاية دورته الثانية بعد العودة الفاشلة للوفد في أوت 1937م بالتخلي عن مشروع بلوم فيوليت وبقتل سياسة الدمج⁶.

إن الأحداث التي عرفتها الجزائر خلال هذه الفترة قد جعلت بعض الفرنسيين لا يصدقون أنّ الجزائريين الذين كانوا في نظرهم هادئين، وموالين لفرنسا قبل هذا، يصبحون اليوم يُشكلون

1 - للاطلاع على نص الرسالة أنظر:

- Pétition de l'Emir Khaled adressée au Président des Etas-Unis Wilson (1919).

- Kaddache(Mahfoud), l'Emir Khaled Algerien. O.P.U. Alger 1987. P.P(121-124).

2 - الفاسي، المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى، مصر: المطبعة الفنية الحديثة 1971م، ص.81.

3 - سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، ص.307.

4 - فركوس (صالح)، أصالة وتغريب (مشروع فرنسا الصليبية والمجاهة الإسلامية)، الجزائر: دار الكوثر 1981. ص.85.

- يراجع أيضاً: جلال (بجي)، المغرب العربي، ج4، (الفترة المعاصرة)، بيروت: دار النهضة العربية، 1981م.

ص.ص(215-216).

5 - جلال (بجي)، العالم العربي الحديث. مصر: دار المعرفة 1966م، ص.675.

6 - ينظر: أجيرون (شارل رويبر)، تاريخ الجزائر المعاصرة، تر عيسى عصفور، بيروت: منشورات عويدات. 1982م.

ص.ص(140-145).

وتجنباً للتفاصيل التاريخية والتحليل السياسية العديدة، فإننا نُحمل القول بأن التوجه الإصلاحية بشقيه السياسي بزعامة مصالي الحاج* فيما بعد و السلفي بزعامة ابن باديس** واجه في الميدان الاجتماعي والسياسي نموذجاً آخر من التوجهات والسلوكات، يمكن أن نُطلق عليه التوجه الإستراتيجي أو التيار الاندماجي، والذي كان دعائه مُتَشَبِعِينَ بالثقافة الفرنسية، وهذا دون أن ننسى فضيف إلى هذا التيار المُتَغَرَّب من حيث التوجه جماعة الشُّيُوعِيِّين الجزائريين ..»².

أمّا في تونس فإن هذه الحقبَة التي نتكلم عنها، كانت قد أسفرت عن مظاهر متناقضة فمن جهة المقاومة العسكرية التي لم تُخمد كلياً بعد في جنوب تونس حيث كانت المجموعات الجهادية تنتقل بسهولة عبر الحدود مع ليبيا، و في الصحراء الجزائرية حيث كان التمرد يكاد يكون مُستمرّاً³، ومن جهة أخرى نجد إخلاص الوطنيين التونسيين في الشمال لم ينقطع قط، ولم تصدر عنهم أي حركة معادية أثناء الحرب العالمية الأولى، كما أنه لم ينسب إليهم أحد ثورة الجنوب سنتي (1915-1919 م).
و إثر الحرب تأكد حزب تونس الفتاة الذي انقلب سرياً إلى الحزب التونسي⁴ أن الوقت قد حان للعمل في سبيل التحصيل على دستور، و تعلق اهتمامه بالنظام الذي منحته إيطاليا للطرابلسيين وبرنامج «وورد ويلسن» المحتوي على أربعة عشر فصلاً⁵.

وقررت النخبة التونسية إيفاد أحمد السقا إلى مؤتمر الصلح ليعمل على نشر القضية التونسية أواخر سنة 1918م، ثم أردفت إليه خلال شهر جوان 1919م الشيخ عبد العزيز الثعالبي الجزائري (1874-1946م)***، ولما لم يجد ما كانا يؤملانه من مؤتمر الصلح نتيجة إهمال الدول المنتصرة لقضايا الشعوب الضعيفة توجه الثعالبي إلى إثارة الرأي العام الأوروبي عموماً والفرنسي خصوصاً بحقيقة القضية التونسية فنشر كتاب "تونس الشهيدة" سنة 1920م.

و كنتيجة لتحركات الشيخ الثعالبي مع السلطات الاستعمارية في باريس أو في تونس قررت

1 - سعد الله، الحركة الوطنية، ج3، ص.58.
2 - العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج3، بيروت: المركز الثقافي العربي 1999م، ص.188.
3 - زاهر (رياض)، شمال إفريقيا في العصر الحديث، القاهرة: مكتبة الأنجلومصرية، 1967م، ص.285.
4 - جوليان، إفريقيا الشمالية تسير (القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية) تر، المنجي سليم وآخرون، تونس: د.ت.ن، 1976م، ص.91.
5 - المرجع نفسه.
* مصالي الحاج (1898-1974م). يراجع ترجمته في الملحق ا. رقم. 64.
** ابن باديس (عبد الحميد) (1889 - 1940 م). يراجع ترجمته في الملحق ا. رقم. 06.
*** عبد العزيز الثعالبي (1874 - 1946 م). يراجع ترجمته في الملحق ا. رقم. 14.

هذه الأخيرة رفع الحجر على الصحافة الوطنية التونسية، مما دعم الوعي القومي وعمّقه في أوساط الشعب التونسي.

لقد كانت هذه الفترة عظيمة الأهمية بالنسبة للحركة السياسية التونسية، «والتي بدأ زعماءها يتأرجحون بين الرغبة في الاستقلال وبين الجو الذي أحدثته خيبة الأحرار من تصرف الحلفاء، لكن في الأخير اقتنع التونسيون، عن حسن نية بضرورة المطالبة بالإصلاح أولاً كمرحلة للمطالبة بالاستقلال ثانياً، وهكذا انقلب الحزب التونسي إلى الحزب الدستوري...»¹، الذي تقوم إيديولوجيته على أن مصدر التشريع الملائم للبلاد العربية هو تراثها العربي الإسلامي، وكان انخراط الباي (محمد المنصف) في صفوف الحزب دليل على مساندة الباي للحزب، مما أعطى دفعا قويا للحركة الوطنية².

وموت الباي محمد الناصر مسموماً فقدت الحركة الوطنية أكبر نصير لفكرتها، وبالفعل فقد كثرت الاضطهاد والقمع والتشريد؛ حيث نُفي الشيخ الثعالبي، مما عرض الحزب الدستوري إلى الجمود والضعف بسبب عجز أحمد الصافي ومحي الدين القليبي عن تنظيم الحزب³.

وقد أثار هذا الجمود الذي اعتري الحزب نائرة نفر من شباب الحزب الذين عادوا من فرنسا، فقاموا بتأسيس جريدة التونسي في سنة 1928م، وكان يُديرها الشاذلي خير الله، وفي سنة 1929م حوّلها إلى جريدة باسم "العمل التونسي"، واستطاعت هذه الجريدة بما امتازت به من الصراحة والجرأة من أن تخلق تياراً واسعاً داخل الحزب.

وفي سنة 1929م قرّر غلاة الاستعمار الفرنسيين إقامة مؤتمر الأفخارستي** بسبب مرور نصف قرن على احتلال تونس، مما أدى إلى قيام المظاهرات والإضرابات بقيادة الحركة الوطنية.

1 - الفاسي، المغرب العربي، ص.100.

2 - بن العقون (عبد الرحمان بن إبراهيم)، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، ج2، الجزائر: م.و.ك. ص.151.

3 - الفاسي، المغرب العربي، ص.102.

** القليبي محمد محي الدين (1899 - 1954)م، من رموز الحركة الوطنية والنضال السياسي والقلمي في المغرب العربي، خلف الثعالبي بعد رحيله إلى الشرق سنة 1923م في إدارة الحزب الدستوري، اتخذ مواقف صارمة تجاه المؤتمر الأفخارستي، وإقامة تمثال لافيحري، ساهم في سبيل استقلال ليبيا، سجن في أزمة 1934م، ثم انتهى به المطاف في دمشق وتداعت صحته ونالت الأيام من جسمه، ولم تزل من عزمته، توفي بدمشق، رحل إلى الجزائر في الثلاثينات وكتب عنها في جريدة الأزهر.

- يراجع عنه: - بن قفصية: مرجع سابق، ص.113. - خرفي صالح، الشيخ الثعالبي، ص.ص(41-42). هـ.25.

*** المؤتمر الأفخارستي: الأفخارستا هي الكأس الذي يشرب منه المسيح، والأفخارستي هي تظاهر استعمارية ترمي إلى فرنسا المغاربية عن طريق المؤتمر وتمسيحهم عن طريق استغلال الدين ورجاله، واستعمال القوة الروحية التي تمثلها المسيحية لتمكين المستعمر من الوصول إلى أهدافهم في هدم الشخصية العربية في تونس. ينظر: خيرية (عبد الصاحب وادي)، الفكر القومي العربي في المغرب العربي (1830-1962)م. بغداد: دار الرشيد للنشر 1982م، ص.78.

وفي سنة 1932م انشغل الرأي العام بقضية التجنيس، حيث برز جيل جديد من الوطنيين رفض هذا القانون، وتزعمه محمود المطاطي والطاهر صفر* والحبيب بورقيبة¹.

وإزاء الحماس الذي أظهره الشعب وبخاصة الشباب الدستوري الجديد تجاه الأحداث الأخيرة، قرّرت اللجنة التنفيذية عقد مؤتمر للحزب من أجل تنظيمه وتجديد قواعده، وانهقد المؤتمر يومي 12 و13 ماي 1933م في قسم الجبل، وانضمت إليهم جماعة العمل التونسي².

حيث خرج المؤتمر بقرار مقاطعة كل خبطة تدعوا إلى التعاون مع النظام القائم، وحدد غاية الحزب في تحرير الشعب التونسي، وكرد فعل منه تجاه قرارات هذا المؤتمر الخطيرة قرّر المقيم العام (منصورون) حلّ الحزب الحرّ الدستوري ومصادرة سائر صحفه³.

وبعد تعيين (بييرتون) الذي أظهر للدستوريين عطفه واستعداده للتعاون معهم، وبعد اجتماعه بهم، أعلن موافقته على بعض المطالب، ولكنّه اشترط عليهم عدم إعلان موافقته هذه ليتمكن من تنفيذها دون أن تمنعه من ذلك معارضة الفرنسيين، غير أنّ (البحري قيقة) لم يتأخر عن إعلان ما صرّح به بييرتون من شأن التقليل من الموظفين في الصحافة وأخذ عليه أصدقاؤه إخلافه للوعد، وأدى عزل البحري قيقة عن الحزب إلى حدوث الانشقاق داخله⁴، هذا إضافة إلى تداعيات قضية وفد المنستير الذي ترأسه الحبيب بورقيبة في مقابلة الباي⁵.

وفي مؤتمر قصر هلال يوم 02 مارس 1934م ولد الحزب الدستوري الجديد، وأنتخب الدكتور المطاطي رئيساً له، والحبيب بورقيبة أمينه العام، وتسمّت هيئته الإدارية باسم (الديوان السياسي) وقد قرر المؤتمر حل اللجنة التنفيذية للحزب الحرّ الدستوري⁶.

وخلال هذه الفترة برزت شخصية الحبيب بورقيبة الذي تبني سياسة «خذ وطالب» أو سياسة

1 - جاسم (حسن العدول) وآخرون، تاريخ الوطن العربي المعاصر، العراق: جامعة الموصل. ب.ت، ص. 504.

- يراجع أيضا: الطاهر عبد الله، مرجع سابق، ص. 57.

2 - الفاسي، الحركات الاستقلالية. ص. 74.

3 - جاسم العدول وآخرون، مرجع سابق، ص. 505.

4 - الفاسي، الحركات الاستقلالية، ص. 76. يراجع أيضا: تاريخ الحركة الوطنية، وثائق (04)، الدستور الجديد والجهة الشعبية بفرنسا - 2 - القطيعة (1936-1938)م، تونس: دار العمل للنشر والتوزيع والصحافة. 1981م، ص. 62.

5 - طالع نص الاستقالة وتداعيها على الوضع في: المؤتمر العام للحزب الدستوري، المنعقد بمدينة قصر هلال، يوم 17 ذي القعدة 1352هـ / 2 مارس 1934، تونس: كتابة الدولة للدفاع الوطني. ب.ت، ص. ص. (14 - 15).

6 - المؤتمر العام للحزب الحرّ الدستوري، ص. ص. (49 - 50).

* الطاهر صفر: (1830 - 1942)م، درس بالصادقية ومعهد كارنو، وفي كلية الحقوق بباريس، عمل في المحاماة منذ سنة 1928م، وهو من مؤسسي الحزب الدستوري الجديد، عمل في الصحافة، وترأس تحرير جريدة العمل سنة 1934م، وساهم في إدارة وتحرير العديد من الصحف الوطنية باللغة الفرنسية. - ينظر: خرفي، الشيخ الثعالبي، ص. 289. 20هـ.

المراحل، ومع العفو العام الذي أعطته الجبهة الشعبية سنة 1936م، تسنى للثعالبي العودة إلى تونس حيث عُلمت عليه الآمال في رأب الصدع الحادث داخل الحزب الدستوري¹.

وقام الثعالبي بالاتصال مباشرة بالشعب، حيث كان له أول اجتماع خارج العاصمة بمدينة «ماطر»، أين سعى الدستوريون الجدد إلى إفساده، ووقع إطلاق الرصاص أثناء الاجتماع وعلى سيارة الثعالبي، مما تسبب في مقتل شخصين من أنصاره.

ولما شعرت فرنسا بانبعث الروح من جديد في الحركة الوطنية غيرت سياستها السالفة، وأصدرت قانوناً يقضي بحل الأحزاب ومنع الاجتماعات العامة ومصادرة الحريات.

وفي سنة 1937م عُقد المؤتمر الثاني للحزب الدستوري الجديد، حيث اتخذ قرار «إعلان العصيان المدني ومجاهمة الاستعمار بالعنف»، لتبدأ المحنة الكبرى التي دامت خمس سنوات لم يعرف شعب تونس خلالها غير البطش والطغيان، وقد تولّى قيادة الحركة الوطنية في هذه الأثناء الباهي الأدغم الذي أخذ في تأسيس خلايا سرية للحزب - فاندلعت من جديد ثورة الجماهير بالعاصمة في نوفمبر 1938م بمناسبة تعيين مقيم جديد وهو «لابون»².

وإزاء الاعتقالات التي مسّت بقية القادة، وعدم القدرة على تسيير الحزب على الصفة التي كان عليها، أسس بعض أعضاء الحزب «لجنة الدفاع عن الحريات العامة في تونس»، والتي قامت بنشاطات عامة، ليتم بعدها تنظيم حركة خفية تزعمها الحبيب ثامر، قامت بنشاطات تخريبية وإصدار منشورات سرية، وإعلان العصيان المدني بين المجندين في الحرب العالمية الثانية³.

وقد كان للجزائري صلاح الدين بوشوشة وآخرون الدور المهم في تنظيم هذه الخلايا، فزادت السلطات الفرنسية من سياسة القمع والاعتقال⁴.

1 - الطاهر عبد الله، مرجع سابق، ص.ص (63 - 64).

2 - جاسم العدول وآخرون، مرجع سابق، ص.ص (512-513).

3 - الفاسي، الحركات الاستقلالية، ص.85.

4 - الطاهر عبد الله، مرجع سابق، ص.66.

المبحث الثاني: الحالة الفكرية للجزائر وتونس

1. توطئة حول المظهر الفكري العام والفعل الاستعماري:

جاء في بعض التقارير الفرنسية أنه في بداية احتلال الجزائر كان عدد الأشخاص الجزائريين الذين يعرفون القراءة والكتابة تفوق نسبتهم 40% وأنه لا يكاد يكون في الجزائر أمي واحد¹، وخلال الربع الأخير من القرن الماضي زار الشيخ بيرم التونسي الذي اتصل بكثير من مفاتي الجزائر ومثقفاتها، وكان متحفظاً في إبداء رأيه فيما يخص حالة الثقافة في الجزائر في تلك الحقبة واكتفى بقوله: «إن الثقافة في الجزائر شأنها شأن تونس...»².

ويذكر المؤرخ هنري كلين في كتابه «تاريخ الجزائر» قائمة طويلة للمؤسسات الدينية الجزائرية التي صايرها الاستعمار الفرنسي، ووضع يده عليها في بداية الاحتلال، ومن جهته يذكر السيد دفول (Devoul)، أنه كان بالجزائر العاصمة قرابة 176 مؤسسة دينية في سنة 1830م، وفي سنة 1862م نظراً للنهب والتخريب الذي تعرضت له هذه المؤسسات من طرف الفرنسيين لم يعد قائماً منها إلا 67 مؤسسة، ولا تعمل منها سوى 21 مؤسسة، أما ما تبقى فهو عاطل عن العمل وبعد هذه السنة سينخفض عددها إلى دون ذلك³.

وقد خطب أوجين كومليس بمجلس الشيوخ الفرنسي فقال: «إنّ ما لا شك فيه أنّ التعليم في الجزائر كان سنة 1830م أكثر انتشاراً وأحسن حالاً مما هو عليه الآن»⁴.

والواقع أنه إذا كانت المؤسسات الفكرية الإسلامية عام 1830م تُسبّر ثقافة لأربعين بالمئة تقريباً من أبناء الجزائريين، فإن المدارس الفرنسية لم تتمكن أبداً من استيعاب أكثر من خمسم، غير أن سلاح الأمية هذا ارتد ضد المسؤولين عنه وهم المستعمرون الفرنسيون، وذلك بتنشيط السكان لانطلاق ثقافة إسلامية بصورة جوهريّة تبرز معالم اليقظة القومية العربية في الجزائر⁵.

أما في تونس فقد استطاع خير الدين باشا أن يكسب تأييد شيوخ الزيتونة في السعي لفتح مدرسة عصرية، وقد حقق ما كان يرغب فيه بإنشائه المدرسة الصادقية، كما قام خير الدين بالعناية

1- هلال (عمار)، «الطلبة الجزائريون في الأزهر عام 1916م»، الثقافة، عدد 79، الجزائر: جانفي/فيفري 1984م، ص. 128.

2 - بيرم الخامس (التونسي)، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، ج1، مصر: المطبعة الإعلامية، 1311هـ. 1895م، ص. 6.

3 - هلال (عمار)، «مرجع سابق»، الثقافة، عدد 79، ص. 129.

4 - درمونة (بونس)، المغرب العربي في قطر، مصر: دار الطباعة الحديثة، 1956، ص. 36. يراجع أيضاً: عبد الغفار (محمد حسين)، صفحات من تاريخ العرب المعاصر، القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، ب.ت.ص.ص (183-184).

5 - هنري (كلود) وأندري (برينان) وايف (لاكوست)، الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي، تر محمد عثمان. بيروت: منشورات مكتبة المعارف. ب.ت.ص.ص (121-122).

بجامع الزيتونة وتعديل مناهجه، بالإضافة إلى إنشاء المكتبة العبدلية، وضم إليها شتات المخطوطات ونظمها تنظيمًا عصريًا¹، كما أنشأ مطبعة عصرية وشجّع حركة التأليف، وكانت أولى الكتب التي طبعها كتاب «البهجة الحسينية في التواريخ الحالية» للجزائري الشيخ حسن لازغلي البوني².

«وبالرغم من قصر المدة التي بقيها خير الدين في الحكم (1873-1877)م، فإن أثره في النهضة الفكرية كان عظيمًا»³، حيث شعر الفكر التونسي بتحرره فصحاّ واندفع ينشد التجديد في الإنتاج الفكري والأدبي، وإذا كان خصوم خير الدين قد أفلحوا في إبعاده عن الحكم فإن موجة الإصلاح لم يتوقف تيارها بل على العكس فقد أحدث عزله رد فعل قوي لدى أنصاره⁴.

كما أن جامع الزيتونة كان يؤيد أي حركة فكرية، تهدف إلى مقاومة الاستعمار الفرنسي شريطة أن تأخذ بيد الإسلام، وتدافع عن مصالحه⁵.

وعلى العموم فإن المتأثرين بإصلاحات خير الدين باشا وجامع الزيتونة بخرجييه وعلمائيه كانوا هم السمة البارزة في الحياة الفكرية بتونس؛ هذا إضافة إلى الأحداث والتطورات التي وقعت في أوائل القرن العشرين في كل العالم الشرقي الإسلامي وفي أوروبا نفسها، والتي ساعدت على بداية الحركة القومية التونسية كما ساعدت على تطورها ونموها واتخاذها الشكل والصفات التي امتازت بها عن غيرها من الحركات القومية الأخرى.

لقد كان مخطط الاستعمار منذ احتلاله المنطقة مبنياً على إفراغ الشخصية القومية الإسلامية للجزائر وتونس من مضمونها القومي لإحلال مضمون الشخصية الفرنسية محلها، وكان هذا المخطط ذا حدين:

- الحد الأول مباشر وهو غلق جميع الفرص أمام الجزائري والتونسي لمنعهم من تعلم لغته ودينه.
 - الحد الثاني غير مباشر وهو إفساد مظاهر الحياة الجزائرية التونسية من فن ولغة وتاريخ⁶.
- يقول الشيخ الإبراهيمي: «يُنكر الاستعمار عروبة الشمال الإفريقي بالقول ويعمل لها بالفعل،

¹ - بيرم التونسي، المصدر السابق، ج1، ص.67.

² - الغزوي (المهادي حمودة)، الأدب التونسي في العهد الحسيني (شعر)، (1881-1905)م، تونس: د.ت.ن. 1972م، ص.ص(33-34).

³ - حسن الحسني، المصدر السابق، ص.177.

⁴ - الغزوي، مرجع سابق، ص.29.

⁵ - R.H.M. " La jeunesse du Nationalisme tunisien le mouvement jeunes tunisien " (c), Sammut - N :°02. Tunis: Imp du L.U.C.T.T. Juillet 1974, p.p(157-158).

⁶ - سعدي (عثمان)، عروبة الجزائر عبر التاريخ، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1982م. ص.ص(93-94).

* الإبراهيمي (محمد البشير) (1889 - 1966)م. يراجع ترجمته في الملحق 1. رقم.01.

وهو في جميع أعماله يرمي إلى تهوين العربية بالفرنسية وقتل الموجود بالمعدوم، ليتم له ما يريد»¹.
والواقع أن الحديث عن الفكر الجزائري يشبه إلى حد كبير الحديث عن الفكر التونسي،
فقد عاشا تقريباً نفس الظروف والمشكلات التاريخية².

ففي تونس اتجهت حركة الوعي العربي إلى أصول الإصلاح امتداداً لحركة خير الدين التونسي،
وتزعمها كل من البشير صفر وبيرم التونسي وسالم بوحاجب، وتوسعت بعد سنة 1905م إثر الزيارة
الثانية للشيخ محمد عبده، لتتحول بعدها هذه الحركة إلى حزب تونس الفتاة، بزعامة علي باش حامبة
الذي أضاف إلى حركة الوعي التونسي بعداً عميقاً بدعوته لتوحيد المغرب العربي، لتشهد مرحلة ما
بعد الحرب العالمية الأولى تصاعد المد القومي العربي فظهرت أحزاب سياسية وجمعيات فكرية أخذت
تتمحور حول فكر قومي جسد أهدافها في بناء شخصية المغرب العربي في إطار الأمة العربية³.

وفي الجزائر فقد ركزت كل التيارات الجزائرية على اعتبار اللغة العربية لغة رسمية، وعلى محاربة
السياسة الفرنسية والتجنس والإدماج والتبشير المسيحي وإفشال الظهير البربري.
حقيقة إن زيارة الشيخ محمد عبده للمنطقة لم تعط نتائج مباشرة لكنها تركت أثراً في بعض
النفوس التي استطاعت فهم هذا المصلح الشرقي.

ثم جاء الانقلاب العثماني سنة 1908م والحرب الاستعمارية الإيطالية على طرابلس الغرب،
هذه الحرب التي هزت العالم الإسلامي، وكم من متطوع من تونس والجزائر قام بالسير على الأقدام
للاشتراك في معسكرات المجاهدين⁴.

وكانت آراء جمال الدين الأفغاني قد فعلت فعلها، كما كانت سياسة السلطان عبد الحميد
لتقوية الجامعة الإسلامية قد قطعت مراحل واضحة، وتكاثف هذا الشعور مع فرض فرنسا للخدمة
العسكرية الإجبارية على الجزائريين والتونسيين، حيث جندت بما ينيف على 170.000 جندي
جزائري توفي منهم 25.000 فيما غادر الجزائر $\frac{1}{3}$ الرجال أي (119.000 سنة 1919م) ليخلفوا
في المصانع الفرنسية العمال المجندين على الجبهة، كما جندت 56.000 جندي تونسي مات
منهم 12.000⁵.

1 - الإبراهيمي (محمد البشير)، عيون البصائر، ط2، ج2، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1971م. ص.ص(477-478).

2 - سعد الله (أبو القاسم)، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط2، القاهرة: دار الأدب، 1970م، ص.20.

3 - العلي (صالح أحمد) وآخرون، تطور الفكر القومي العربي، ط1، بيروت: م.د.و.ع. 1986م، ص.277.

4 - جلال يحيى، السياسة الفرنسية في الجزائر (1830 - 1960) م، مصر: دار المعرفة 1959م، ص.272.

5 - العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج3، ص.189.

وبعد الصلح عاد الجزائريون كما التونسيون إلى وطنهم بشعور جديد وبتحارب جديدة اكتسبوها بسواعدهم وبصدورهم، حيث شعروا أنهم شاركوا اقتصادياً وبشرياً في هذه الحرب بدرجة تزيد عن التي شارك بها الفرنسيون أنفسهم، لكن آمالهم في إصلاح البلاد كانت وخيمة ومخيبة، فاستنتجوا أنهم أتباع عليهم الخدمة وللفرنسيين النصر والغنم، فبدأ بعض الجزائريين والتونسيين يفكرون في السياسة والصحافة خصوصاً من بعض الشخصيات التي تأثرت كثيراً بتجربة هذه الحرب كالجزائريان الأمير خالد* والشيخ الثعالبي¹.

2. التطور الفكري النهضوي من مطلع القرن العشرين إلى اندلاع الحرب العالمية الثانية:

عندما زار بيرم التونسي الجزائر سنة 1895م ذكر بأن «عدد سكانها حوالي مليونين وسبعمئة وستون ألف، والمسلمون منهم مليونين وخمسمئة ألف والنصارى مائتا ألف ونيّف واليهود نحو الثلاثين ألف وقاعدة الجميع هي الجزائر، والسكان المسلمون من أصل بربري، هم أكثر الجهات الجنوبية والجبال أما باقي الجهات فسكانها من نسل العرب»².

أما في تونس فقد كان سكانها يبلغون مليون وخمسمئة ألف نسمة سنة 1881م³، ويتركز معظمهم في الأقاليم الساحلية على حين كان الداخل مقفراً من السكان⁴، وأن ثلاثة أرباع الكهول هم سكان البوادي (450.000 من جملة 600.000)، والفوارق بين أقسام هذه الطبقة الفلاحية أوضح منها في الجزائر، وهي تخضع إلى التغيرات الاجتماعية التي تتولد عن اختلاف محصول الفلاحة حسب السنين وصدفها⁵، أما نسبة الأوروبيين بالمحمية فتجاوز عددهم (239.549) سنة 1946م مقابل 3.280.952 نسمة من الأهالي⁶، وقد كانوا لا يبلغون 18.800 أن سنة 1881م منهم 700 فرنسي⁷.

وكان من أثر الحدث الاستعماري أن ضعفت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية القديمة، فقد أدخل على البلاد واقتصادها مظاهر عصرية لم تنسجم معها على الوجه الأكمل فلاحية البلاد⁸.

1 - جلال يحيى، السياسة الفرنسية، ص. 277.

2 - بيرم التونسي، المصدر السابق، ج2، ص.ص (6-7).

3 - دييوا، تونس، تر الصادق مزيف، تونس: د.ت.ن. 1969م، ص. 83.

4 - الخضر (محمد الحسين)، تونس وجامع الزيتونة، دمشق: المطبعة التعاونية، 1871م، ص. 128.

5 - جوليان، مرجع سابق، ص. 74.

6 - جعفر (الماجد)، الطاهر حداد، تونس: الشركة التونسية للتوزيع، 1979م، ص.ص (44-54).

7 - عبد العظيم، مرجع سابق، ص. 139.

8 - دييوا، مرجع سابق، ص. 84.

* الأمير خالد (1874 - 1936)م، يراجع ترجمته في الملحق ا. رقم. 05.

فعرفت تونس ثلاثة أنواع من الملكية العقارية قبل الحماية الفرنسية وهي: الملكية الخاصة للأفراد، الملكية المشاعة بين أفراد القبائل وملكية الدولة، فضلاً عن الأراضي المحبوسة¹.

أما الجزائر فقد كانت كما يقول عباس فرحات: «تتطور سياسياً واجتماعياً في نطاق محدود فالرأي العام يُوجّه توجيهاً ضيقاً حتى يُخنق فينعدم، فالتناس تستهويهم مشاحنات الأفراد أكثر ما تستهويهم سياسة البلاد، إن عقلية القبيل والقال تسيطر على الأفكار، وتجعل من الخزعبلات الصيبانية سياسة الوطن العليا، فنحن هنا تحت سيادة الإقطاعيات..»².

وبالرغم من استمرار مظاهر الرفض للوجود الاستعماري، فإن القيادات الوراثة من تجار وأرباب حرف في تونس، ومن رجال دين وكبار الملاكين العقارين في الجزائر، اتبعوا خطة التعاون مع النظام القائم إمّا علناً وإمّا على استحياء.

ومن جانبها فرنسا راحت تعمل على فتح قنوات الاتصال مع قيادات جديدة قادرة على إقناع الأهالي، فشجعت صغار الموظفين والمتخرجين من المعاهد الفرنسية على تأسيس جمعيات وأندية ثقافية، بتشجيع من الحاكم العام جونار، الذي لعب دوراً بارزاً في جلب الطبقة المثقفة إلى فرنسا، وهذا لجعلهم أداة لبث رسالة فرنسا (الحضارية) وسط الأهالي³، فظهرت هذه الأنشطة أولاً في تونس قبل أن تظهر في الجزائر.

وأسّس متنورو الجزائر كما كانوا يُنتعون في الأدبيات الاستعمارية، وداديات وأندية ثقافية «كالرشيدية وصالح باي وجمعيات كجمعية العلوم الحديثة في خنشلة والجمعية الأخوية في معسكر...» لتبرز صحافة جزائرية (كالمصباح - الهلال - الإسلام - الرشيدية...)،⁴ ودعوا إلى اتخاذ تدابير إصلاحية تُطبق تدريجياً تحت وصاية فرنسا، لا فرق إذن بين هذه المقالات وما كان يُنشر في جريدة التونسي⁵.

ومع بلوغ تصدع البنية الاجتماعية ذروته بتفاقم الظلم الاستعماري أخذت بعض المناطق في الهجرة الجماعية والفردية بسبب تدهور أرزاقهم ونزع أراضيهم، زيادة على ذلك فإنّ أوضاع

1 - جاك (توبي)، الإمبريالية الفرنسية والولايات العربية في السلطنة العثمانية (1840-1934م)، تر فارس غصوب تر مسعود طاهر، بيروت: دار الفارس، 1980م، ص.ص(88-96).

2 - عباس فرحات، حرب الجزائر وثورتها- ليل الاستعمار -، تر بوبكر رحّال، المغرب: مطبعة فضالة المحمدية، ب.ت، ص.120.

3 - سعد الله (أبو القاسم)، "مدارس الثقافة العربية في المغرب العربي (1830-1854م)"، الثقافة، عدد79، الجزائر: جانفي/فيفري، 1984م، ص.ص(76-78)

4 - جفلول (عبد القادر)، الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر، تر سليم قسطون، بيروت: دار الحداثة، 1984م، ص.70.

5 - العروي، مرجع سابق، ج3، ص.193.

الحرب العالمية الأولى ساعدت على مواصلة العدوان الفرنسي لأملاك الجزائريين والتونسيين بدعوى إخماد المقاومات الشعبية الثائرة¹.

كانت حصيلة إقحام الجزائريين و التونسيين في الحرب العالمية الأولى باهضة ومكلفة - كما ذكرنا سلفاً - والأدهى من ذلك هو معدّل سنّ هؤلاء؛ إذ كانوا جميعاً من الشبان بين العشرين والأربعين من العمر وهي خسارة مضاعفة للسكان، فكان النقص العام يُقدر بنسبة 134.000 طفل سنة 1919م².

ففي السنوات الأولى من القرن العشرين نجد المجتمع الجزائري والتونسي متأرجحاً بين الضعف والقوة، مجتمع يحكمه قانون التبعية الأهلية، مجتمع مفتقر مُكوّن من مدن، ثكنات تُراقب أريافاً، مجتمع متروّع الثقافة بفعل هدم وإخضاع الأجهزة الثقافية من قبل الاستعمار.

فظهرت في الجزائر العناصر الأولى من أنتلجانسيا جديدة تُرتب جُزئياً على الأقل في الجهاز الثقافي الاستعماري، أنتلجانسيا محدودة عشية الحرب العالمية الأولى، (كانت الجزائر تعدّ 240 مدرساً و 40 من حملة الشهادة الثانوية و 25 محامياً وطبيباً)، أنتلجانسيا هشة مكونة في أغلبها من نخبة صغيرة دون قاعدة اجتماعية مهمة توشك أن تنقطع عن المجتمع الجزائري وتندمج بشكل فردي في المجتمع الاستعماري³.

لكن بعد الحرب حدث تغير جذري ضمن النخبة الجزائرية خصوصاً بعد عودة هؤلاء العمال والمجندين إلى الجزائر اضطرارياً بسبب الأزمة الاقتصادية العالمية، مما أدى إلى وعي سياسي وفكري ونمو اقتصادي جديد⁴، غير أن الاستعمار كان قوياً جداً رغم بروز الإشارات الأولى لانتهائه، فخلال العشرينيات تراكمت في الجزائر وتونس أنتلجانسيا من طراز جديد، وبرز بشكل مُتزامن قطبان يتكاملان أكثر مما يتناقضان قطب ناطق بالفرنسية وآخر بالعربية، أعاد الأعمال التاريخية و نهضة الأدب و الفكر و الصحافة⁵.

وكل ذلك زاد في حدة التناقضات بين المُستعمرين والمُستعمرين، كما زاد في نغمة الأهالي على وضعهم المتردي، وأسهم بقوة في ترشيد وعيهم الوطني، و تجاوبهم مع كل حركة سياسة

¹ - أندري (برينان) وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، تر رابع إستانبول وآخرون، الجزائر: د.م.ج. 1960م، ص.ص(405-406).

² - المرجع نفسه، ص.415.

³ - جغلول، مرجع سابق، ص.61.

⁴ - أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي(معهد الاستشراق)، تاريخ الأقطار العربية المعاصرة (1917 - 1970)، ج 2، موسكو: دار التقدم، 1976م، ص.ص(318-319).

⁵ - جغلول، مرجع سابق، ص.ص(81-82).

تستقطب غضبهم وتُعبّر عن طموحاتهم وتنسجم مع أصالتهم وهويتهم العربية الإسلامية¹.
لقد بدت أواخر العشرينيات للمعاصرين شبه عاطلة لأن التطورات الحاصلة كانت تتم في بواطن الفرد و المجتمع حيث كان يجري البحث عن الهوية و الانتماء القومي فيما يتعلق بالفرد والعمل على التكتل فيما يمس المجتمع².

ويبدو أن القطرين رغم الفوارق التي تفصل بين وضعيهما الخاصين كانا يسيران في نفس الاتجاه وهو تأكيد هويتهما العربية الإسلامية، و إضفاء صبغة وطنية واجتماعية على كل مبادرة إصلاحية، و مما ساعد على تعميق هذا التوجه هو إجراءات استثنائية أقدمت عليها الإدارة الاستعمارية كالمؤتمر الأفخارستي بتونس والاحتفال بمئوية استعمار الجزائر.

وعن حال التعليم واللغة العربية في الجزائر تحدّث عبد الحق الناصري في مؤتمر طلبة شمال إفريقيا* بتونس سنة 1931م قائلاً بأنه: «توجد بالجزائر [إلى غاية تلك الفترة] معاهد منها ما هي رسمية ومنها ما هي أهلية، أما الرسمية فهي التي أسستها الحكومة الفرنسية وهي المدارس الابتدائية والثانوية وكلية الآداب والمدارس الثلاث التي بقسنطينة والجزائر وتلمسان... أما الأهلية فهي الزوايا التي أسست كما قلنا في عهد الدولة العربية ببلاد الزواوة...»³.

ولقد لعبت المدارس العربية الثلاث دوراً مميّزاً في الحياة التعليمية بالجزائر، جعل توفيق المدني يعترف بفضلها: «... لأنها أخرجت في قطر الجزائر طبقة من القضاة والوكلاء لا يُستهان بهم، وإن لم تكن لهم معارف الأسلاف وتوسّعهم في العلم والتحقيق، فإنّ لهم ملكة عربية إسلامية طيبة، ولهم من الأفكار الصحيحة ما يجعلهم في طبقة المتنورين بالقطر الجزائري»⁴.

أمّا في تونس فقد كان جامع الزيتونة وجامعته الحصن الحصين للثقافة العربية وللروح الإسلامية ومعقلاً للحركة الوطنية في تونس، وقد عجز الفرنسيون في البداية عن التدخّل في شؤونه، بل كانت جماعة الزيتونة الأولى من أشدّ أعداء فرنسا، وهم الذين حملوا شعلة التحرر الوطني⁵.

1 - الشابي وآخرون، مرجع سابق، ج2، ص.109.

2 - العروي، مرجع سابق، ج3، ص.204.

3 - جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين لفرنسا، نشر محاضر جلسات مؤتمر طلبة شمال إفريقيا المسلمين بتونس. المنعقد تحت إشراف الجمعية الخلدونية، تونس: المطبعة الأهلية، 1931م، ص.77.

4 - كتاب الجزائر، الجزائر: دار الكتاب. 1963م، ص.ص(92-93).

5 - زاهية قدورة، تاريخ العرب الحديث، بيروت: دار النهضة العربية الحديثة، 1975م، ص.474.

- ينظر: الخضر حسين، المصدر السابق، ص.ص(22-23).

* جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين كان مقرها بـ (26 Rue Gay Lussac)، وترأسها في حدود سنة 1935م الجزائري أحمد بومنجل، وكما يقول الفاسي: «حتى هي جمعية سلكت سياسة المراضاة رغبة منها في تحقيق فكرة العمل لتوحيد الصفوف». للتوسع يراجع: الفاسي: الحركات الاستقلالية، ص.422.

لهذا عملت فرنسا على تضيق دائرة التعليم ما استطاعت، حتى أن الشيخ الخضر حسين يذكر بأنه مع مطلع القرن العشرين «لا يوجد في المملكة كلية للطب أو للهندسة أو الكيمياء، ولا يبرع من التونسيين في علم من هذه العلوم إلا الذين يرحلون إلى أوروبا ويجوزون على الشهادات العليا من إحدى جامعاتها، و من العجب أن تكون المدارس القرآنية الأهلية تابعة لوزارة المعارف وهو فرنسي»¹.

هذه الوضعية جعلت الشيخ الثعالبي يتساءل عن ادّعاءات الفرنسيين بالحفاظ على الحريات قائلا: «لقد ظننا عندما احتلت القطعات الفرنسية أرضنا أن هذه الحريات و الحقوق، التي تطلق عليها اليوم صفة الطبيعية سوف تتأكد وتتوسع لكننا رأينا أن سلسلة من الإجراءات المُعدّة سلفاً تحوّلها بيسر وبساطة، كأنها ضد الإنجيل الجديد، وتحوّل عدم وجود الضمانة للفرد إلى نظام دولة...»².

ويصف المدني أيضاً حالة الجزائر الفكرية في تلك الفترة بقوله: «..إن خلافاً هائلاً حول المناهج والأهداف موجود بين الشبان الجزائريين المتناقضي الثقافة (عربية فرنسية)، كما أن فرنسا قد كوّنت حول سلطاتها الاستعماري الفضيع سياجاً مؤلفاً من شيوخ الطرق الصوفية.. ورجال الدين الرسميين.. إضافة إلى أن الجهل الأسود والفقير المُدقع والظلم الشنيع والإهمال الفادح قد حط بكل كلكه على الشعب في كامل البلاد..»³.

ورغم ذلك يُمكن أن نُسَمي هذه الفترة التي شهدتها الجزائر بفترة النهضة العربية⁴، ومن دلائل هذه النهضة إقبال النخبة المتنورة في المدن والقرى على تأسيس المدارس القرآنية ببرنامج عربي إسلامي، كما برزت النوادي التي سبق نشوؤها بكثير نشوء الصحافة، وأن النوادي التي نشأت في الجزائر العاصمة و قسنطينة ابتداءً من سنة 1893م، كانت الأرضية التي نبتت فيها فكرة إنشاء صحافة جزائرية عربية⁵، وكل ذلك ساهم في دفع عجلة اليقظة الجزائرية نحو النهضة، غير أن هذه الجمعيات وتلك النوادي غالباً ما يكون تأسيسها بإشارة من الإدارة الفرنسية، وقد تتلقى مساعدات مادية سنوية من الحكومة⁶ ولذلك فهي تدور في فلكها، كما شهد الجنوب نهضة إصلاحية انطلقت من جمعية الإصلاح لتؤسس مدارس خاصة بها وجمعيات ونوادي محلية.

1 - المصدر نفسه، ص.140.

2 - تونس الشهيدة، تر سامي الجندي، بيروت: دار القدس، 1975م.

3 - حياة الكفاح (مذكرات)، ج2. الجزائر: ش.و.ن.ت. 1983م. ص.ص(15-16).

4 - المدني، كتاب الجزائر. ص.92.

5 - يراجع الزبير (سيف الإسلام)، تاريخ الصحافة في الجزائر، ج1، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1982م، ص.ص(27-28).

6 - خرفي (صالح)، الشعر الجزائري، الجزائر: ش.و.ن.ت. 1970م، ص.ص(139-140).

أما في فترة الثلاثينيات فإن فكرة تأسيس النوادي و المدارس عرفت رواجاً كبيراً، فحزب الشعب على الرغم من انشغاله بالسياسة إلا أنه أنشأ المدارس الحرة في كثير من المدن الجزائرية، وقد بلغ مجموع مدارسه بالعاصمة 11 مدرسة.

أما مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والجمعيات الخاصة (مدارس الشبيبة الإسلامية 1927م - مدارس السلام - 1929م - المدارس العربية القرآنية 1929م - مدارس الجمعيات الخيرية بوادي ميزاب)، فقد عملت على نقض الجهل الأسود والإهمال الفادح - اللذين تحدث عنهما المسدي، والذي كان يُخيم على الساحة الفكرية الجزائرية¹، كما كان لبعض الزوايا جهودها البارزة في هذا الميدان، وهي كثيرة العدد ولا تكاد تخلوا منها مدينة أو قرية.

ويختلف وضع تونس الثقافي عن وضع أختها الجزائر، إذ أن الفرنسيين رغم أنهم حرّموا تونس من الاستفادة من الصحف والمنشورات العربية والإسلامية الصادرة بالشرق، لم يُفلحوا في ذلك بنفس الدرجة التي أفلحوا بها في الجزائر، فبالإضافة إلى قيمة جامع الزيتونة العلمية، فإن التونسيين لم ينقطع مددهم من المشرق، كما كانت الخلدونية مركز إشعاع ثقافي وإصلاحي كان له أثر كبير في الحياة الفكرية التونسية².

مما حدا بأحد المعمرين إلى القول: «إذا قُدِّر أن تندلع ثورة بالبلاد التونسية فإن هيئة أركانها تكون قد تخرجت من الخلدونية»³.

وعلق أحد الكتاب الفرنسيين على مستوى الثقافة والتعليم بتونس في إنشاء النوادي

1 - الخطيب (أحمد)، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، الجزائر: م. و. ك. 1985م، ص. 7.

2 - مواعدا (محمد)، محمد الخضر حسن. حياته وآثاره، تونس: د. ت. ن. 1974م، ص. 52.

- يراجع أيضا: ابن الحاج عثمان الشريف، المصدر السابق، ص. (72-73).

3 - Sammaut, "La Jeunesse du Nationalisme Tunisien", Tunis R.H.M. N:°2. juill 1974, p.p (159-163).

* وادي ميزاب: واحة تقع في أرض الشبكة (تبعد عن الجزائر جنوباً بمسافة 647 كلم)، وهي منطقة تضم سبع مدن: غرداية، بني يزقن، مليكة، بنورة، العطف، بريان، القرارة، وتشتهر هذه المنطقة بالعمل التجاري، وكلمة بني مصعب تحوّرت إلى مصاب ثم تحوّرت الصاد إلى ضاد لقرب المخارج، ليصبح بعدها الضاد يُنطق زايا. وهناك من يرى أنها نسبة إلى جبال الزاب، وأمزاب هي كلمة بربرية زتانية يقصد بها الهضبة.

- للتوسع أكثر يراجع:

- أعوش (بكير سعيد)، وادي ميزاب في الحضارة الإسلامية. الجزائر: المطبعة العربية 1991م، ص. (24-72).

- معمر (علي يحيى)، الإباضية في الجزائر. ط1. القاهرة: مكتبة وهبة. ب. ت.

- دبور (محمد علي)، هضبة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ط1، ج2. الجزائر: المطبعة العربية 1971م.

ص. (149-150). ص. (161-186).

- الحاج (محمد عمر بن عيسى بن إبراهيم). مذكرات ووثائق رسمية عن وادي ميزاب. (1853-1951)م.

تونس: مطبعة النهضة 1951م. ص. (4-6).

والجمعيات على أنهما تعمل كلهما في إطار الحركة الإسلامية ومحاربة رجالها الطرقيين مُعتبرينهم «الجُرح المُهين للإسلام» فأدى نشاطهم المتواصل إلى نقص سيطرة الطرقيين بخلاف ما هو عليه الأمر بالجزائر خلال هذه الفترة¹.

ففي سنة 1914م كانت الجزائر برمتها تقرأ 8000 عدد من الفاروق وذو الفقار في الشهر على حساب ألف عدد كل أسبوع من كل جريدة، أما في سنة 1930م فقد أصبحت أمة الجزائر تقرأ شهرياً 184.000 عدد من الصحف والمجلات، ولو كانت قوانين سنة 1881م تشمل الصحف العربية، كما تشمل الصحف الفرنسية «لكان للصحافة الجزائرية شأن وأي شأن»².

يقول الأستاذ علي مرّاد بأن: «النقطة الحقيقية لانطلاق الصحافة الإسلامية في الجزائر تتحدد في عتبة الحرب العالمية الأولى (1912 - 1914 م)»³، ثم في نهاية العشرينات ظهرت بقوة أكبر من السابق نظراً لتغيرات سياسية وثقافية واجتماعية عاشها المجتمع الجزائري.

ولقد نشر أبو اليقظان* في جريدة الأمة سنة 1934م إحصائية بما صدر في الجزائر من جرائد باللغة العربية وما أُسس فيها من معاهد وجمعيات ثقافية في الفترة الممتدة بين سنوات (1904-1934)م، فكانت كما يلي: 35 جريدة ومجلة، و18 جمعية إصلاحية، و15 نادي ثقافي و15 معهد ومدرسة⁴.

وأما في تونس فإن فترة الثلث الأول لهذا القرن كانت فترة خصبة بامتداد إصلاحات بدأها خير الدين باشا، وزيادة إصلاحات أخرى جديدة، فهي فترة ثرية بالإنتاج الشعري والنثري، وفيها ظهر العديد من الأدباء ورجال الفكر وقادة الحركة الوطنية في جوها الثقافي القومي⁵.

فكانت جريدة الرائد التونسي تُمثل الحدث الفكري الأهم في حركة الانبعاث الأدبي، لكتّبا صودرت مع بداية فرض الحماية، ومع صدور قانون 1884م، ظهرت جرائد الحاضرة، الأخبار، وجريدتا الزهرة والمبشر التونسي، ومع مطلع القرن العشرين ظهرت سبيل الرشاد ولسان

1 - جوليان، مرجع سابق، ص. 89.

2 - المدني: كتاب الجزائر، ص.ص (347-348).

- يراجع: مرحوم (علي)، "نظرة على تاريخ الصحافة العربية الجزائرية"، الثقافة، عدد 42، الجزائر: ديسمبر/جانفي 1978م، ص.ص (22-32).

3 - Le Réformisme Musulman en Algérie de (1925 à 1940), Paris, 1967. P.389.

4 - خرفي (صالح)، في رحاب المغرب العربي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ص. 299.

- يراجع أيضاً: بلاسي (أحمد نبيل)، الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب 1990م، ص.ص (46-47).

5 - أحمد (بخالد)، أضواء من البيئة التونسية على الطاهر حداد ونضال جليل، ط2، تونس: د.ت.ن. 1979م، ص. 6.

* أبو اليقظان (1888 - 1973)م. يراجع ترجمته في الملحق 1. رقم. 02.

الحق والراشدية والصباح والصواب وإظهار الحق وغيرها، إن هذه الوفرة من الصحف على منازعتها واتجاهاتها دلالة واضحة عما يعمل في صدور التونسيين من ثورة ونهضة¹، «لكن وفي سنة 1912م جاءت الأحكام العرفية التي أصبحت فيما بعد هي الحالة الطبيعية، في تونس وعلقت معها كل المطبوعات التونسية ماعدا جريدة الزهرة»²، لكن بعد الحرب العالمية الأولى تنتعش الصحافة التونسية من جديد، لتواكب الصحوة السياسية والفكرية في فترة العشرينات والثلاثينات.

وكانت كل أمور الدين الإسلامي في الجزائر ترجع بصفة عملية إلى إدارة الأمور الأهلية في الولاية العامة، لأن قوانين سنة 1905م المطبقة في الجزائر سنة 1907م قد فصلت الدين عن الدولة، ولم يشمل هذا القانون الدين الإسلامي، وكان قبل ذلك تسيره إدارة الأديان حيث تقوم بنفقات رجال الدين «وكان في ذلك حيفاً غريباً حيث كانت تنفق على الدين المسيحي 884.000 فرنك فرنسي، وعدد أفراده 623.000 نسمة، وعلى الدين اليهودي 31.000 فرنك وعدد أفراده 64.000 نسمة، وعلى الدين الإسلامي 337.000 فرنك، رغم أن عدد أفراده 4.500.000 نسمة»³.

ومع قرار 27 سبتمبر 1907م أصبحت كل المساجد والمعاهد الدينية وأوقافها ملكاً للدولة، وتتصرف فيها جمعيات دينية يُمكن للمسلمين أن يؤلفوها في كل ناحية، وتعترف بها الدولة⁴. وكانت الطرق الصوفية ذات حظوة كبيرة ونفوذ عظيم، وكان لها مزية تاريخية لا تنكر «تلك هي أئمة استطاعت أن تحفظ الإسلام بهذه البلاد في عصور الجهل والظلمات ..»⁵.

فالزوايا الكبرى أمثال زاوية الهامل، وزاوية اليلولي، وزاوية سيدي منصور، هي التي كوّنت في هذه البلاد طبقة فاضلة من العلماء وحفظة القرآن، لكن بموت مؤسسيها وأفاضلها انقلبت من زوايا علم وإحسان وإرشاد إلى زوايا خرافات وأباطيل وآل أمر كثير منها إلى إحداث وثنية في الإسلام، ومن أهم الطرق الصوفية في القطر الجزائري، الرّحمانية التي أسسها محمد بن عبد الرحمان القشتولي الجرجري (1720-1794م)، والقادرية التي أسسها محي الدين عبد القادر الكيلاني (1079 - 1166م)، والشاذلية نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي التونسي (ت 1258م)، والعيساوية التي أسسها محمد بن عيسى الإدريسي (المكناسي) (ت 1524م) والسنسوية التي أسسها الشيخ محمد بن علي

¹ - الجابري، الشعر التونسي، ص.ص (59-60).

² - الثعالبي، المصدر السابق، ص 41. وللتوسع أكثر يراجع: سلمان (إسماعيل)، "صفحة من نضال التيار الإصلاحية في الشمال الإفريقي"، مجلة الفيصل، عدد 284. السعودية: جويلية 2000م، ص.ص (29-32).

³ - المدني، كتاب الجزائر، ص 348.

⁴ - المصدر نفسه، ص. 349.

⁵ - المصدر نفسه، ص. 350.

السنوسي الخطابي (1792-1859م)، والطيبية التي أسسها مولاي عبد الله بن إبراهيم، والتيجانية التي أسسها الجزائري الشيخ أحمد بن محمد المختار التيجاني (ت 1668م)¹، والعلوية التي أسسها أحمد بن مصطفى بن عليوة سنة 1910م.

و كان بالجزائر سنة 1930م حسب تحقيقات دوبون (Dupont) و كوبولاني (Coppolani) ثلاثة وعشرين طريقة صوفية بما مائتان وخمسة وتسعون ألفاً ومئة وخمسة وثمانون مريدًا (295,185)، وعليها سبعة وخمسون شيخاً وستة آلاف مُقدم، وعندها تسع وأربعون زاوية، وتجي من الإخوان سبعة ملايين².

وعندما بدأت الحركة الإصلاحية المنظمة بزعامة الشيخ ابن باديس في سنة 1925م، رأت أنه من الحكمة القضاء على نفوذ هؤلاء الطرفين أولاً، حتى يتسنى للحركة الأخذ بزعامة الأمة في الطريق السلفي الصحيح، بحيث كانت عقيدة زعمائها في الطريقة هي أنها «علة العليل في الإفساد، ومنبع الشرور...»³، فجاءت أسماء الصحف الصادرة في فترة ما بين (1925-1931)م مُجسمة لعنف هذه المعركة فكانت «المنتقد» و«الشهاب» و«الإصلاح» و«البرق»، من أشدها تحاملاً على الطريقة ومن أصليها وقوفاً أمام هجوماتها، بحيث دامت دعوة العلماء الأحرار بضع سنوات يحمل رايتها أفراد مبعثرون هنا وهناك، وفي سنة 1931م تداعى فريق منهم إلى الاجتماع في عاصمة الجزائر لتأسيس هيئة تنظم شملهم وتبث فكرهم وتشر دعوتهم⁴، وكانت أدوات العلماء في ذلك هي اللسان والقلم وميادينهم هي المساجد والأندية والمدارس والصحف⁵.

وعموماً فإن الإيديولوجية الوطنية الإصلاحية «.. تتميز بإرادة الوصول إلى الاستقلال بيسر وتبصر وبالسياسة اللاعنفية، كأن يتم الاستقلال بالتعلم أو بالتجارة أو بالصناعة...»⁶ فلقد كان لمشاركتها الفعالة دور في إضعاف الاتجاه الاندماحي، كما كان للشيخ ابن باديس دور في كل عمل مناهض للاستعمار، ولا يطلب من كل مرحلة تاريخية أكثر مما تستطيع أن تُعطي.

1 - المصدر نفسه، ص.ص(352-353).

2 - ناصر (محمد)، المقالة الصحفية، مج1، الجزائر، ش.و.ن.ت، 1978م، ص.107.
- يراجع أيضاً: - المحافظة (علي)، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (1898-1914)، ط3، بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، 1983م، ص.37. - شكري (محمود فؤاد)، السنوسية دين ودولة. سوريا: دار الفكر العربي. 1948م.

3 - ناصر، المقالة الصحفية، ج1، ص.110.

4 - الورتلاني (الفضيل)، الجزائر الثائرة، الجزائر: دار الهدى، 1992م، ص.144.

5 - الجندي (أنور)، الرسائل الإسلامية (أعلام الإسلام)، مصر: دار الاعتصام، ب.ت، ص.139.

6 - أوزقان (عمار)، الجهاد الأفضل، ط1، بيروت: دار الطليعة، 1962م، ص.18.

المبحث الثالث: الدوافع الأساسية لتفاعل الجزائريين ومساهماتهم في الحياة التونسية:

1. توطئة: إذا كان يُمكن القول أن عنصراً أو عاملاً ثانوياً عندما لا تتوقف النتيجة على توفره وحده، بل يكون له دوراً مُكماً فقط أو مُحسناً، فإنه ينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار ظروف كلا الإقليمين أو البيئتين الإقليميتين اللتين تعملان فيهما هذه العوامل، مع مراعاة هذه الاختلافات والفوارق والظروف الموجودة في كل منطقة وخصوصيتها الدقيقة، كما أنه ليس من الضروري توفر جميع هذه العناصر دفعة واحدة حتى يُمكن فيما بعد أن يحصل التفاعل والتكامل في النضال والكفاح السوحدوي المشترك، وقد يطغى عامل مؤثر قوي على كل العوامل الأخرى، فيكون له من القوة ما يدعو إلى التفاعل أكثر من العوامل الأخرى مجتمعة. ومن هنا فإنّ هناك دوافع خاصة ترتبط بالتفاعل داخل المنطقتين، وعوامل ثانوية عامة قد تهيئ وتدفع للتجمع والاشتراك والمساهمة، وربما يُمكن تسجيل وتبرير عدد أكبر منها.

2. المعطيات الطبيعية والحضارية:

أ/ عوامل جغرافية:

إنّ للموقع الجغرافي مكانة استراتيجية مهمّة في تماسك القطرين ووحدهما، شأنه في ذلك شأن الروابط الأخرى، التي شكّلت مجتمعة قاعدة العمل المشترك خلال المرحلة الاستعمارية، وكانت الأساس في أي مشروع وحدوي مُستقبلي، هذا إضافة إلى العامل البشري الذي له من الثقل ما يجعله عنصراً فاعلاً في مُسلسل الوحدة¹.

فتونس والجزائر إقليمان يُشكلان كتلة جغرافية مُتناسقة ذات خصائص مُتماثلة، حيث يُمثل ساحل البحر المتوسط أداة وصل لهما من الشمال في نطاق حضارة المتوسط²، في حين هيأت لهما هذه الوضعية الجغرافية الخاصة تشابهاً كبيراً في الظروف المناخية والاقتصادية والاجتماعية ويسّرت لهما أسباب التواصل، فتيسّرت للحياة في القطرين عبر العصور عوامل التبادل بينهما.

«.. فقد جعل الله من هذه المنطقة بقعة واحدة مُتماثلة مُتشابكة يكاد لا يفصل بينهما أي حاجز طبيعي حصين، وكل ما عرفته هذه المنطقة من تقسيمات سياسية منفصلة في بعض فترات التاريخ إنما هو إجراء اصطناعي، فالطبيعة الجغرافية مُتصلة الحلقات والسلاسل المُتساكنة متشابهة

1 - مالكي (محمد)، "إشكالية وحدة المغرب العربي (دراسة تحليلية لمشروع الوحدة بعد الاستقلال)"، م.ت.م، عدد (45، 46). تونس: م.أ.ع.ش.ت. جوان 1986م، ص 67.

2 - مرسى (مصطفى عبد العزيز)، "اتحاد المغرب العربي (دراسة للعوامل المهينة للتجمع)"، مجلة التعاون، عدد 14. مصر: جوان 1989، ص 115.

الميزات، وقد يتجلى هذا التجانس في تربة هذه المنطقة ومناخها¹، وأيضاً في السلسلة الجبلية العالية المتصلة من شمال تونس إلى غرب الجزائر²، ويفصلهما عن الصحراء ساحل متفاوت العمق ذو مناخ متوسطي³.

إذاً فتونس والجزائر تشتركان في كثير من مقوماتهما التضاريسية.. فكلاهما يتمتع بمناخ البحر الأبيض المتوسط والمناخ الصحراوي، علاوة على التشابه في نظام استغلال الأرض⁴.

ب/ عوامل ثقافية واجتماعية مشتركة:

إن وجود تقارب في القيم الاجتماعية والثقافية له تأثيره الإيجابي في تهيئة التفاعل الموحد فوجود أسلوب معيشة مُمَيَّز مشترك، وحدوث تقارب في القيم الثقافية بين الطرفين قد وحد الإحساس المشترك بأهمية زيادة الترابط فيما بينهما، وأهمية الشعور بأنهما أقرب إلى بعضهما البعض وهو ما يؤدي إلى سرعة الاستجابة النفسية والعاطفية ممثلة في الرسائل والاتصالات التي كان يُوجَّهها كل طرف للآخر⁵، لقد أدى انضمام الجزائر وتونس إلى حضيرة الأمة العربية والإسلامية وانتشار الثقافة العربية بهما في وقت مبكر إلى صبغهما بالصبغة الواحدة⁶.

فلقد شكّل الإسلام أهم مُقَوِّمٍ من مقومات الكيان المغاربي، وما من شك في أنه قد صهر كل المُقَوِّمات الأخرى واستوعبها بصورة تركيبية، فقد ارتبطت به ثقافة المجتمع وطقوسه اليومية، وأعطى الكيان الوطني كل عناصر الوحدة والبقاء، ومكّن المغاربة من عناصر تحديد شخصيتهم، وصاغ وعيهم الجماعي بالنسبة إلى العالم⁷، وبكلمة واحدة فقد مثل فضاء تكوينهم الفكري والنفسي

1 - الناصري (محمد المكي)، "وحدة المغرب العربي في ظل الإسلام"، الثقافة. عدد15، الجزائر: جوان/جويلية 1973م، ص.ص(193-203).

2 - ابن خلدون (عبد الرحمان)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخير، مج06، قسم01. لبنان: دار الكتاب للطباعة والنشر. 1958م.

3 - الكشيري (مصطفى)، الخصوصية التاريخية والحضارية لبلدان المغرب العربي ومدى انعكاساتها على التنمية الإدارية، عمان: شركة الشرق الأوسط للطباعة، 1986م، ص15. يراجع أيضاً: إبراهيمي (عبد الحميد)، المغرب العربي في مفترق الطرق في ظل التحولات العالمية، ط1، بيروت: م.د.و.ع. 1996م، ص.ص(28-79).

4 - الجوهرى (يسرى)، جغرافية المغرب العربي، الإسكندرية: منشأة المعارف، 1981م، ص229. ينظر: ديوب، مرجع سابق، ص.ص(9-10).

5 - مرسى، "اتحاد المغرب"، مجلة التعاون، عدد14، ص114. يراجع أيضاً: علي الدين (هلال): "إشكالية التوحيد العربي"، مجلة شؤون عربية، عدد43، تونس: سبتمبر 1985م، ص50.

6 - Massaudi, "Algériens en Tunisie (1830-1962)", revue correspondance, n°54. Tunis Jan - Fev. 1999. P.10.

7 - بلقرين (عبد الإله) وآخرون، الحركة الوطنية المغربية والمسألة القومية (1947-1986)م، ط1، بيروت: م.د.و.ع، 1992م، ص20.

والاجتماعي، ولاعتبارات تاريخية لم يرق شعور المغاربة بالعروبة إلى مصاف شعورهم بالإسلام¹. كما عرفت المنطقتين من حيث الاختيار الديني ما عرفته الأقطار الإسلامية الأخرى، غير أن سكان المنطقتين أصبحوا فيما بعد سُنين مالكيين، ولا نجد فيما بعد القرن الرابع عشر دينا غير الإسلام²، فالعروبة التي تمكنت من هذه المنطقة لدليل على الإحساس الواحد عند الخطر «وهي تعبير عن العرق للعرق، ومجاوبة الروح للروح ونداء الدم للدم»³.

ويؤجّزها الشيخ الإبراهيمي بقوله: «كل هذه العوامل صيّرت هذا الشمال عربيا على الأسس الثابتة من دين عربي ولغة عربية وآداب عربية ومنازع عربية وتشريع عربي.. وجاء التاريخ وهو الحكم في مثل هذا فشهد وأدّى، وجاءت الجغرافيا فوصلت هذا الشمال بمنابت العروبة من جزيرة العرب، وجاء الزمن بثلاثة عشر قرنا تشهد سنونها وأيامها بأنها فرغت من عملها»⁴. وعدم إدراك العروبة بمعزل عن الإسلام كان يجعل أهل هذه المنطقة يستغربون وجود عربي العرق مسيحي الديانة، بل إن إدراك ذلك كان أمرا مُربكا لهم تماما، وهو ما لم يحصل إلا في فترات متأخرة فقط.

وهذين العاملين تؤكد دورهما في توثيق الصلة والترابط بين سكان القطرين فيقول فرحات بن الدراجي*: «إن ما بيننا وبين البلاد الشرقية من وشائج الصلة ومتانة الرابطة لما لا تقوى على فصمه وتوهينه ظروف الزمان ولا طوارق الحدثان، فالعقيدة واللغة هما أبرز مظاهر الأمم وأمتن الروابط بين الشعوب»⁵.

فسكان المنطقة يفهمون الدين على أنه أساس الوطنية، ولا يقولون تونسي أو جزائري بقدر ما يقولون مسلم، فالوعي إذاً كان وطنيا ولكن بالمفهوم الديني، وأظن أن المُستعمرين لو لم يكونوا مسيحيين، ولم يمسوا الدين الإسلامي بمحاولة نشر المسيحية في المناطق البربرية على الأخص، لكان من الصعب بث الوعي ضدّهم في بداية الأمر، باعتبارهم مُستعمرين يسلبون سيادة الدولة

1 - هنري كلود، مرجع سابق، ص:22.

2 - الكثيري، مرجع سابق، ص22. يراجع أيضا: غراب (سعد)، المذهب المالكي عنصر ائتلاف في المغرب العربي الإسلامي، تونس: الجامعة التونسية. 1978م، ص394.

3 - الإبراهيمي، المصدر السابق، ص471.

4 - المصدر نفسه، ص.ص(469-470).

5 - " كلمة عتاب إلى إخواننا الشرقيين "، البصائر، عدد89. الجزائر: 3 ديسمبر 1937م، ص1.

* بن الدراجي (فرحات). (1906-1951). يراجع ترجمته في الملحق1. رقم.28.

ومن هنا فقد كان الفكر القومي غير قادر على القيام بنفس الدور الذي قام به الدين الإسلامي في لَحْمِ الشعب التونسي و الجزائر و دفعه للمساهمة والتواصل¹.

إضافة إلى ذلك، فإننا نجد أن الأراضية المشتركة حاضرة في ثقافة المنطقتين و المساواة بالتراث الأمازيغي بعناصره المختلفة، والتي يُمكن اعتبارها مُعطى أساسي لكل المقومات الثقافية الأخرى، فضلا عن التراث الأندلسي في ميادين العلوم والفنون، وهو تراثٍ اعترى شعباً المنطقه أنفسهما أنهما ورثته ومكلفين بالحفاظ عليه².

وبالتالي فقد كانت هذه المقومات من أهم عوامل توحيد شعوب المنطقة حيث استطاعت مجتمعة أن تصبها في كتلة متجانسة³.

فالمنطقة المعنية على درجة كبيرة من التعددية من ناحية العناصر التي يتكوّن منها فهناك العرب والبربر والأفارقة والأندلسيون⁴، إلا أن هذه العناصر اختلطت وتزاوجت فيما بينها وإن كان انصهارها لم يتم بعد بشكل كامل، وتُقدر المصادر عدد المتكلمين باللغات البربرية في الجزائر بـ 25% وفي تونس بـ 1%⁵، كما يشبه تركيب السكان في تونس تركيب السكان في الجزائر من حيث فئات السن، والذي هو في الغالب يتميز بارتكاز هرمه السكاني على قاعدة عريضة من الشباب (أقل من 20 سنة)، وقمة من كبار السن⁶.

كما أن أغلب عوائد الأهالي وتقاليدهم متشابهة، يذكر بيرم التونسي ذلك بقوله: - أثناء زيارته للجزائر - «وصفة عوائدهم في الجزائر هي مثل أهالي تونس في السلام و الحياء .. وأما بقية الصنائع فإنها على نحو ما بتونس.. وأما هيئة المساكن والطرق فإن الجديد على ما في فرنسا والقلم على نحو ما في تونس... ولَبَسَ الأهالي نحو لَبَسَ التونسيين... وكذلك الأكل والمواكب على أنواعها، فإنها نحو ما في تونس... وأما اللغة فهي أيضاً عربية مُحرفة على نحو ما في تونس...»⁷، وما يؤكد أيضاً وحدة

1 - الأزهر (علال)، المسألة القومية والنزعة الأمازيغية وبناء المغرب العربي، الرباط: دار الخطابي للطباعة والنشر. 1988م، ص36.

2 - زنيير (محمد)، " دور الثقافة في بناء المغرب الكبير "، مجلة المستقبل العربي، عدد79. بيروت: م.د.و.ع. سبتمبر 1989م. ص50.

- يراجع أيضا: *Revue correspondance*, N :°54, P.P(11-13)..Messaoudi, "Algérie"

3 - ألفرد (بل)، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي إلى اليوم، تر بدوي (عبد الرحمان)، ط3. بيروت: دار الغرب الإسلامي. 1987. ص42.

4 - الجابري (محمد العابد)، يقظة الوعي العربي في المغرب، بيروت: م.د.و.ع. 1986م. صص(19-20).

5 - مرسي، " اتحاد المغرب "، مجلة التعاون، عدد14. ص119.

6 - الجوهري، جغرافية المغرب العربي، ص244. يراجع أيضا: الجوهري، الوطن العربي، صص(442 - 444) وفيما يتعلق بالجزائر يراجع الصفحات صص(450-451).

7 - المصدر السابق، ج3، صص(14-21).

الطباع والعوائد بين القطرين... مراسلة جرت بين الأمير عبد القادر والأخوين أحمد الخضير ومحمد الشارف، يثمنها فيها على السفر إلى تونس قائلاً لهما « وأما ما كان من خارجيتها فتونس أليق لقرب عوائدها وطبائعها [للجزائريين]»¹.

زيادة على ذلك فالتاريخ المشترك للقطرين صنع وحدة اجتماعية وحضارية بينهما هي بالضرورة وحدة في المصير والهدف، فعلى طول التاريخ وأحداثه نجد الوقائع متشابهة وكما يقول بيرم التونسي: «..اعلم أن أحوال هذه القطر [الجزائر] التاريخية في القديم كانت في الأغلب مُتحدة مع تونس..فما بيناه [..] في أحوال تونس كان شاملاً لهذا القطر حتى زمن الفتح واستقرار الحكومات الإسلامية، لأنه في أغلب الأعصر تابع لتونس...»².

3. معطيات ذاتية وسياسية متجددة:

أ/ الوعي القومي للجزائريين: فالجزائريون كما قال عباس فرحات: «كانوا دائماً واعين لعلاقتهم بالعالمين العربي الإسلامي، وكانوا دائماً غيورين على انتمائهم الإسلامي.. وجزائر سنة 1830م، كانت لا تفكر في حدودها الطبيعية ولكن في الحدود التي تفصل الإسلام عن المسيحية.. فهي ككل كانت جزءاً من كل..»³.

والجزائر كانت من أوائل المبادرين فكرياً في خلق فكرة الجامعة الإسلامية بزعامة حمدان خوجه* والأمير عبد القادر وابن إسماعيل والشيخ الحداد والونيسي و ابن الموهوب**، وعندما وصلت النسخة الشرقية من الجامعة الإسلامية إلى الجزائر في أوائل القرن العشرين، كانت قد طورت نسختها الخاصة التي بدأت في الحقيقة من القرن الماضي، و بالتالي فالفكرة العربية الإسلامية ليست بالجديدة على الجزائريين، وتجسدت خصوصاً في محافظتهم على شخصيتهم رغم المسخ الاستعماري للتاريخ واللغة والثقافة والدين.

وتأكد أخيراً هذا التحسيد بعد جهود العلماء في منتصف القرن العشرين، الذين أحيوا الثقافة

1 - بوعزيز (يحي)، "عودة إلى مراسلات الأمير عبد القادر ومواقفه من رفقاء السلاح بالجزائر"، م.ت.م، عدد (41-42). تونس. م.ا.ع.ش.ت. 1986. ص.139.

2 - المصدر السابق، ج1، ص7.

- Messaoudi, "Algérien.", *Revue correspondance*, N :°54, P.P(11-13).

- يراجع أيضا:

3 - عباس فرحات، المصدر السابق، ص134.

* خوجه (حمدان) (1773 - 1840)، يراجع ترجمته في الملحق I. رقم.26.

** ابن الموهوب بن مولود (1866 - 1939) م. يراجع ترجمته في الملحق I. رقم.70.

إذا ما استعرضنا أدب الجزائر في التاريخ الحديث و المعاصر وجدنا الأدباء والكتاب يُلحُّون على العروبة والإسلام، وهذا راجع إلى الحرمان الذي كان يحسه الجزائري من ممارسة الاستعمار واضطهاده لدينه وعروبته، فحتى العرب المشاركة كانوا يعتبرونه فرنسيًا . وهو ما دعا محمد العيد آل خليفة* بحس بغربة في بلده و يؤكد دوام عروبته:

إن الذي يبغى اندماجك ❁ في سواك لأحمق
لا يُمحي شعب بشارات ❁ الرسول مُطوّق

ونفس الإحساس يُعبّر عنه حمزة بوكوشة** في هذه الأبيات:

يا بلبل الشرق ما أشجاك أشجاني ❁ قم وناج قلبي بتغريد وحنان
فأنا مثل كتيب حلّ في شرك ❁ وأنت مثلي غريب بين أوطاني²

أما الشاعر مفدي زكريا*** فيُلح على الماضي التليد؛ لأنه عاش في بيئة كل ما فيها عربي، ولأن روحه وثقافته كلها تربطه بماض العروبة بأكثر حدة وأدق أسلوب في التعبير عن ذلك بقوله:

يا أمة العرب الكرام كرامة ❁ لك في الجزائر حركة وذمام
في كل أرض للعروبة عندنا ❁ رحمٌ تشابك عندها الأرحام

وفي موضع آخر نلاحظه لا يمل من الحديث عن العروبة والوحدة والشرق:

وفي الشرق إخوان كرام أعزة ❁ عروبتنا كم عبّدت بيننا الطرّقا
هي الوحدة الكبرى فمن رام قطعها ❁ فقد رام أن يستلّ من صُلبنا عرقا
رسول الشرق قل للشرق إنّا ❁ على عهد العروبة سوف نبقا³

ورغم الظروف التي كانت تعيشها الجزائر، والعزلة التي فرضها عليها الاستعمار، إلا أن الصحف الجزائرية والكتّاب الجزائريون شاركوا في الحياة المشرقية، غير أنهم في أغلب الأحوال كانوا لا يجدون صدى لِمَا يكتبون ولم يُعَرمهم المشاركة اهتمامًا كافيًا، الأمر الذي شكاه منه بعض

¹ - بلاسي، مرجع سابق، ص.ص(220-222)، يراجع أيضا: جفلول، تاريخ الجزائر الحديث (دراسة سوسولوجية)، تر فيصل عباس، بيروت: دار الحدائة 1983م، ص11.

² - سعدي، مرجع سابق، ص.ص(134-137).

³ - ركيبي (عبد الله خليفة)، قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، الجزائر: م.و.ك. 1983م، ص.ص(28-29).

* محمد العيد (آل خليفة). (1904-1979). يراجع ترجمته في الملحق ا. رقم.61.

** بوكوشة (حمزة) "شئوف" (1907-1979). يراجع ترجمته في الملحق ا. رقم.09.

*** مفدي زكريا (1912-1973). يراجع ترجمته في الملحق ا. رقم.34.

الكتاب الجزائريين، كتألم الشيخ فرحات بن الدراجي وتبرمه من صحيفة الرسالة التي خصصت مكاناً لراقصات أوروبا، وعنتُ بكلب العقاد وسنور المازني، ولم تذكر شيئاً عن سجل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذي أهدته الجمعية للمجلة، رغم أن الجزائريين يعرفون عن الشرق وأهله أكثر مما يعرفون هم عن أنفسهم، حيث ذكر ابن باديس مرة: «أن الشرق كاد يُلهينا عن واقعنا»¹. ويُعتبر الشعور القومي في الجزائر فريداً من نوعه بين المشاعر القومية في العالم المعاصر، وكذا بالنسبة لتلك المشاعر الموجودة في البلاد المجاورة للجزائر²، ونلمس تشبث الجزائري بعروبته وإسلامه في قول لابن باديس سنة 1937م: «إن الاتحاد الإسلامي والوحدة العربية بالمعنى الروحي والمعنى الأدبي والمعنى الأخوي، هما موحدان تزول الجبال ولا يزولان...»³ وكما يقول عمر بن قنور: «لو كان لعرب الجزائر حرية مُطلقة كغيرهم من الأمم لظهر ذلك الشعور بأوضح المظاهر وأشدّها تأثيراً وحسبهم تاريخهم القديم شاهداً»⁴.

ب/ دور الجامعة الإسلامية: إن من أهم نتائج المد الاستعماري على المغرب العربي

هو تعلق جيل الربع الأخير من القرن التاسع عشر ميلادي، بفكرة الجامعة الإسلامية، التي هي تيار تجديدي قاده جمال الدين الأفغاني (1838-1897)م، هدفه تجديد الإسلام ليتحول من شعوذة وخرافة إلى طاقة ثورية تُجابه بها الأمة أعدائها، فدعت بذلك إلى سلفية علمية وعقلانية إسلامية وتجدد ذاتي، وإلى النظر في الحضارة الغربية من موقع مستقل ومُتميز لمعرفة أسرار تفوقها⁵، ومعلوم أن هذا التيار لا يعني ترك الجامعة العربية، بل يعني عقد لواء قيادة المحيط الإسلامي الكبير للأمة العربية⁶.

فالجناح المغربي لتيار الجامعة الإسلامية مثله في النصف الأول من القرن العشرين الشيخ

إبن باديس حيث قام باعتماد النضال ضد المستعمر الفرنسي على امتزاج العروبة والإسلام.

¹ - المرجع نفسه، ص.ص (15-18).

- يراجع: البصائر، عدد 171. الجزائر: 22 جوان 1939م.

² - غليسي، مرجع سابق، ص.55.

³ - خرفي (صالح)، الجزائر والأصالة الثورية، الجزائر: ش.و.ت.ب.ت. ص.139.

⁴ - بن قنور (عمر)، "الشعور الإسلامي في الجزائر"، اللواء القاهرية، عدد. القاهرة: 3 فيفري، نقلا عن: خرفي، الجزائر والأصالة، ص.141.

⁵ - م.د.و.ع، القومية العربية والإسلام، ط1، بيروت: م.د.و.ع. 1981م، ص.

- يراجع: المحافظة، الاتجاهات، ص.ص (111-114).

⁶ - عمارة (محمد)، الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني. القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر. 1968م،

وعند البحث عن الجامعة الإسلامية ودورها في الجزائر من خلال أهدافها، فإن الجزائريين كانوا أول من نادى بالتضامن بين المسلمين، وبإصلاح الإسلام مُستفيدين من التجربة الأوروبية، وكما قلنا سابقاً فإن حمدان خوجة هو أول من نادى بالتفاهم بين الحضارتين الإسلامية والأوروبية، وبرهن الأمير عبد القادر، أنه كان مصلحاً إسلامياً في اتجاهه، ولا ننسى أصول الجامعة الإسلامية في الأدب الشعبي الجزائري منذ الخمسينيات من القرن التاسع عشر، على أن الجامعة الإسلامية الجزائرية كان أغلب نشاطها في الخارج، وبذلك اختلطت المساهمة الجزائرية بالجامعة الإسلامية الشرقية في شكلها العام¹.

غير أن الهدف الحقيقي لهذه الحركة هو توحيد جهود المسلمين والعمل على ترقية الفكرية ثم السياسية، وهو الهدف الذي كان له الأثر الطيب على الحياة التونسية والجزائرية، وتحلّى في نهضتهما الاجتماعية والسياسية والثقافية²، التي لم تكن بمعزل عن الجامعة الإسلامية بل كانت جزءاً منها، وهو مما زاد في توثيق الصلات وربط المصير بينهما.

ج/ دور الدعاية الأجنبية والمؤثرات الخارجية: إن من العوامل التي ساهمت في نهضة

الفكر العربي في المنطقة المغاربية التطورات الأوروبية التي حدثت في تلك الفترة كمبادئ الثورة الفرنسية والحرب العالمية الأولى أثر لا يقل عما ذكرنا في يقظة الشعوب المغاربية³، «كما أن النقط الأربع عشر للرئيس وورد ويلسن واسترجاع بولونيا وتشيكوسلوفاكيا استقلالهما، وتحرير بلاد البلقان وقيام روسيا الشيوعية وتأسيس عصبة الأمم وبروز تركيا الجديدة... كلها حوادث كانت مواضيع الأحاديث في أوساطنا وساهمت في ترقية مستوى [شعوبنا] السياسية...»⁴.

كما أن الحرية التي استعملتها الصحف الفرنسية جهاراً بالمستعمرة الجزائرية، كانت صالحة لتؤثر على المسلمين حيث أخذوا منها شرعية الدفاع عن حقوقهم، والتعبير علانية عن مطالبهم، ذلك هو الدور الخطير الذي لعبته الصحافة الفرنسية في بلورة الرأي العام الوطني⁵.

- يراجع: سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، ص.ص(112-116).

- مناصرية يوسف، الحزب الحر الدستوري التونسي (1919 - 1934) م رسالة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ

الحديث والمعاصر، معهد العلوم الاجتماعية (التاريخ)، جامعة الجزائر، السنة الجامعية (1985 - 1986)م، ص41.

- يراجع أيضاً: سعد الله، "مدارس الثقافة"، الثقافة، عدد79، ص.ص(73-77).

- حوراني (ألبرت)، الفكر العربي في عصر النهضة (1798-1939)م، ط3. بيروت: دار النهار للنشر. 1977م.

ص.437.

- عباس فرحات، المصدر السابق، ص.ص(139-140).

- الزبير سيف الإسلام، مرجع سابق، ج4، ص.33.

إضافة إلى وسائل الدعاية الألمانية التي ساعدتهم على نشر أفكارهم وإبصاها إلى أوساط دولية حيث انتشر المنفيون الجزائريون والتونسيون في دول أوروبا كألمانيا وسويسرا وشنوا في تواصل بينهما الحملات العنيفة على الاستعمار الفرنسي.¹

هذه الأمور متفرقة أو متجمعة كان لها الأثر العميق في ذهنية النخبة الجزائرية والتونسية، في إطار تعاطف إسلامي واسع، ومن هنا تولدت أفكار ومحاولات لتوحيد الصف المغربي سواء كانوا من المستقرين أو من المهاجرين، هؤلاء الأخيرين الذين كانوا أكثر تنظيماً وتنسيقاً.

كما أحدث مكتب الدعاية الألماني عشية الحرب العالمية الثانية تواصلاً وثيقاً بين الجزائريين والتونسيين عن طريق فروع مختصة بالدعاية بالمغرب العربي، فالفرع الجزائري كان يُسيره راجف بلقاسم ومحمد اغوبوشن، أما الفرع التونسي فتولاه البشير المهدي «رئيس قديم لجمعية طلبة شمال إفريقيا» وينوبه فيها عبد الرحمان ياسين وسليمان بن أحمد جرّاد (رئيس قديم للدستور بقفصة).

وقد كوّنوا شبكة اتصالات واسعة بين الوطنيين الجزائريين والتونسيين، وأصبحت مدينة نانسي (Nancy) وبرلين مراكز لتدريب الجنود الأسرى المغاربة من طرف مناضلي حزب الشعب الجزائري، وكانوا يُسرحون إلى تونس والجزائر خاصة تحت غطاء أهم أسرى حرب فارين أو مُسرحين من قبل المنظمات الصحية.²

ويلاحظ أيضاً تزايد برامج البث الإذاعي الإيطالي الموجه نحو أهالي المغرب العربي من "راديو باري" و"روما" بإيطاليا، وكان هدفها توعية قبائل الجنوب الجزائري والتونسي أو تجنيدها ضد فرنسا.³

ومع نهاية سنة 1938م أنشأت جمعية بينغازي، سُميت لجنة الدفاع عن أهالي إفريقيا الشمالية بليبيا كان على رأسها السيد محمد الويشي (M^{ed} el-ouichi) [ليبي]، وضمت نخبة من المواطنين من ليبيا وتونس والجزائر والمغرب الأقصى⁴، وفي ذلك الحين كانت إذاعات لندن وموسكو وواشنطن تغمر العالم أجمع بالمناداة بحرية الإنسان، وبمساواة الشعوب «وساهمت هذه الإذاعات مساهمة فعالة في تكوين شعوب إفريقيا وآسيا تكويناً سياسياً صحيحاً، فعرفت الشعوب المستعمرة حقوقها واكتشفت شخصيتها، وصارت تتساءل عن مستقبلها...»⁵.

1 - مناصرة، الحزب الحر الدستوري، ص.42، ويمكن التوسع أكثر في المبحث الثالث من الفصل الثاني.

2 - بلقاسم (محمد)، الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي (1910-1954)م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، معهد العلوم الاجتماعية (التاريخ)، جامعة الجزائر، السنة الجامعية (1993-1994)، ص.267.

3 - المرجع نفسه، ص.268.

4 - المرجع نفسه، ص.269.

5 - عباس فرحات، المصدر السابق، ص.166.

وقد لعب الشيوعيون دوراً مهماً في نشر الوعي السياسي بين طبقات الشعب في تونس والجزائر، وبرز دوره المناهض للاستعمار في مهاجمة الاحتفال بالذكرى المئوية الأولى للاحتلال، غير أنه لم يتمكن من استقطاب هذه الجماهير التي كان يهملها استعادة مقوماتها الدينية والقومية¹.

د/ تأثير الشرق في التواصل بين القطرين:

لقد تلقت هذه المنطقة من المغرب العربي من المشرق خاصة إمدادات أنضجت حضارتها وأطعمت ثقافتها وأنظمتها، ثم وحدتها وكانت لهذه الإمدادات أعمق الأثر في تكييف عقليتها وتنمية وجود الحياة فيها وبذلك تعرض أبنائها لمؤثرات حضارية واحدة، جعلت حضارتهم تنمو نمواً واحداً متجانساً، وجعلت مجتمعهم يتطور تطوراً متماثلاً متكاملًا؛ مما زاد في روح التواصل بينهم، كما أن تونس مدينة لشعوب المنطقة إلى مدى بعيد بشخصيتها وواقعها الجغرافي وشكلها الثقافي والاجتماعي.

أ/ دور النهضة العربية في العصر الحديث: كان للنهضة العربية في المشرق العربي في نهاية

القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين أثر كبير في يقظة الفكر القومي وتطوره في تونس والجزائر، واندفع هذا التلاقي والاتصال بشكل أقوى عقب الحرب العالمية الأولى بفضل ظهور قادة عرب كان تأثيرهم أقوى ومستوى عملهم أعلى كمصطفى كامل وشكيب أرسلان².

في سنة 1925م لاحظ المؤرخ توينبي أن: «الجزائر منطقة من العالم الإسلامي، حيث كان من الصعب على المجتمع الجزائري الإسلامي أن يُحافظ على قواعده خاصة وأن الحركات الوطنية في مصر وفلسطين وسورية تجددت في تونس والجزائر...»³.

وكان للجزائريين والتونسيين على السواء طرق شتى للإطلاع على الأحداث في الشرق الأدنى منها: الصحافة والحج والاتصالات الخاصة والزوار، وبناءً على رأي كاتب فرنسي فإن كل ما كانت تمر به فرنسا في سورية، يُترجمه الجزائريون إلى أعمال وطنية.

كما أن نشاط الزعماء المشاركة كان له تأثير عميق في قادة الحركات القومية في المنطقة المغاربية، كزيارة الشيخ محمد عبده للجزائر وتونس⁴.

1 - الخطيب، جمعية العلماء، ص. 45.

2 - خيرية، مرجع سابق، ص. 113.

3 - سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، ص. 325.

4 - قنانش (محمد)، المواقف السياسية بين الإصلاح والوطنية (في فجر النهضة)، الجزائر: ش.و.ت.ب.ت، ص.ص (57-58).

- يراجع أيضاً: سلمان اسماعيل، مرجع سابق، ص. 784.

هذا زيادة على دور الشخصيات التونسية والجزائرية التي هاجرت أو أبعدت وعاشت في المشرق العربي وبقيت على ارتباط مع الوطن الأم؛ بنقل أفكارها وإنتاجها إليه في الكتب أو في الصحافة.

فكانت هذه الصحف والمجلات تأتيهم من المشرق بطرق شتى « وكان كل عدد من تلك النشرات يزيدهم شجاعة وإيماناً بمستقبلهم العربي الإسلامي»¹، «لقد فتحت هذه الصحف العربية صفحاتها دائماً لصرخات تونس والجزائر، كاللواء والمؤيد والبلاغ وكوكب الشرق...»². ولقد عبر أحد الكتاب الفرنسيين عن هذه الطرق السرية بقوله: «لقد كان هناك مجرى سري، ولكنه غزير ومتواصل من الصحف والمجلات الشرقية التي أعانت المغاربة في توحيد مجهوداتهم الإصلاحية وجعلتهم مرتبطين أبداً بالرأي العام العربي الإسلامي...»³.

ويذكر الشيخ رشيد رضا أن الإمام محمد عبده، عندما زار الجزائر وتونس في صيف عام 1903م، وجد له حزباً دينياً كونه «مجلة المنار» فقال: «ومن خيرة العلماء الشيخ محمد بن الخوجة من تونس، صاحب المصنّفات والشيخ عبد الحليم بن سماية.. وقد عهد هؤلاء الفضلاء إلى الشيخ "محمد عبده" أن يُوصي صاحب المنار بالألا يذكر دولة فرنسا بسوء لئلا تمنع "المنار" وقالوا له: إننا نعهده مدى الحياة، فإذا انقطع انقطعت الحياة»⁴.

ب/ دور تونس العلمي والحضاري ومكانتها لدى الجزائريين: «لئن أُتيح لإفريقيا الشمالية

أن تُساهم على تعاقب في مختلف الحضارات التي ازدهرت على ضفاف البحر المتوسط فقد كان ذلك إلى مدى بعيد عبر تونس وبواسطتها»⁵، وليس من باب المصادفة أن تكون تونس هي البلد الذي كان أعمق تأثراً بالحضارة البونيقية والقرطاجية، والتي انطبع به أكثر من غيره بالطابع الروماني والمسيحي، ثم كان فيما بعد أشمل أقطار المغرب تعرباً، فتونس عبارة عن مدخل ومعبّر الفاتحين والمكتسحين، وهي القطر الأكثر انفتاحاً لحضارات البحر المتوسط وللحضارات الشرقية.

1 - بن شنب(سعد الدين)، "النهضة العربية بالجزائر"، مجلة كلية الأدب. عدد 01، الجزائر: جامعة الجزائر. 1964م. ص. 64.

2 - Merad, " la formation ". I.B.L.A. N:°108. 1964. P.22.

3 - المرجع نفسه، ص. 23.

4 - بن شنب، المصدر السابق، (63-64). يراجع أيضاً: تركي(رابح)، ابن باديس فلسفته في التربية والتعليم، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1984م. تركي(رابح)، " ابن باديس ونشأة الحركة الإصلاحية في الجزائر "، مجلة الأصالة، العدد 24.

الجزائر: مارس/ أبريل 1975م، ص. 78.

5 - دييوا، مرجع سابق، ص. 16.

ونجد الشيخ ابن باديس يعترف في مناسبات عديدة بجميل تونس في تكوينه؛ حيث كتب مقالاً بعنوان «في تونس العزيزة»¹، جاء في بعضه: «حقاً إن لتونس هوى روحياً بقلبي لا يُضارعه إلا هوى تلمسان، أعرف ذلك من انشراح في الصدر، ونشاط في الفكر، وغبطة في القلب لا أجد مثلهما إلا في ربوعهما...»، وهذا الشيخ السعيد الزاهري يُجسد صورة من وفاء جيل مُظهرًا شتى عواطف الولاء والتقدير لما قدمته الزيتونة من خدمات قائلًا: «..أنا مدين لكلية جامع الزيتونة فقد تخرجت فيها، وأحرزتُ على شهادتها، وما تراه في الجزائر من حركة العلم والأدب... هذه أيضًا مدينة لجامع الزيتونة»².

وهو الموقف نفسه الذي تبناه عبد اللطيف بن علي القنطري: «إن الكلية الزيتونية لها الفضل الكبير على أبناء الشمال الإفريقي عمومًا أيًا كانوا، وذلك لأننا نرى في كل سنة ما تُنتجه من خيار الشبية المتنورة أفكارهم»³.

ويُقرّ الشيخ خير الدين* بدور تونس الحضاري قائلًا: «لقد عشت في تونس خلال مقامي بها ما بين (1918 - 1925)م... إنها فترة خصبة عامرة باليقظة والنهضة، رأيتُ فيها ما لم أشاهده من قبلُ في حياتي الأولى في الجزائر فأثّر ذلك في تكويني وهيأني للعمل على نهضة الجزائر...»⁴.

ويذكرها الشيخ بن عتيق بقوله: «إني أعترف بما لجامع الزيتونة من أثر في انتشار اللغة العربية والثقافة الإسلامية في الجزائر، فدعاة الإصلاح في هذا الوطن.. إنما هم من غرس الجامع الأعظم بتونس...»⁵.

إن المعطيات الجغرافية والثقافية والاجتماعية المشتركة، إضافة إلى الوعي القومي للجزائريين، وكذا القوى الخارجية التي كان لها فرصة العمل في نطاق الجزائر وتونس والتي تشمل: الجامعة الإسلامية، والدعاية المشرقية والأوروبية والإمدادات المتواصلة من الشرق والغرب والاستعمار، والشيعوية، قد فتحت آفاقًا جديدة أمام الحركتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية، ونفس القوى قد ساهمت بطرق شتى في تحقيق التفاعل بين القطرين وفي تحديد اتجاه الحركتين الوطنيتين، وباختصار فإنها ساعدت من خلال توحيد فكرة المغرب العربي الموحد، وعلى خلق الأرضية السياسية والفكرية لذلك ولو بالقدر الضئيل.

1 - الشهاب، ج5، مج13، الجزائر: جويلية 1937م.

2 - الشهاب، ج2، مج09، الجزائر: ديسمبر 1933م.

3 - الشهاب، عدد 89. الجزائر: 27 أكتوبر 1927م.

4 - خير الدين (محمد)، مذكرات، ج1، الجزائر: مطبعة دحلب، 1985م، ص.80.

5 - أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر، الجزائر: مطبعة دحلب. 1990م، ص.70.

* خير الدين (محمد)، (1902 - 1994). يراجع ترجمته في الملحق I. رقم.27.

وسواء كان هذا الدور مرئي أو غير مرئي فإن الوطنيين والمفكرين الجزائريين والتونسيين على السواء، قد كانوا على جانب تلك القوى في زخم مستمر وكبير، وقد عبروا عن ذلك في مواقف مختلفة وتحت ستائر وأغطية مُتباينة.

وينبغي أن نوضح في الأخير أن أسس التنسيق والتضامن والإحساس بوحدة الهوية وبالتالي بوحدة النضال، لم تتم بصفة شاملة إلاّ مع البدايات الأولى لدخول الاستعمار لشمال إفريقيا. لقد أنتجت عملية الاستعمار الشامل للمنطقة وعياً بضرورة المواجهة المنسقة والجماعية معاً، صيانةً للذات، وحفاظاً على أصالة الهوية؛ فكان التفكير بضرورة خلق إطارات كفيلة بتوحيد أساليب المقاومة لدى الحركات الوطنية.

المءء الرلس: المظاهر الأولى للءواسل الءزلسرلس - الءونسلس

1. الءبالء الفءرلس و الءور الءزلسرلس فلس ءونس:

إن الءءسبة المءءفة من الءزلسرلس فلسا بلس الءرلس الءاسع عءر و العءرلس الملسللسلس السلس ءان ءان لها علاقة علملس و فءرلس و سلسلس بالءونسلس قءر لها أن ءساهر فلس الءهوس الفءرلس و السلسلس الءونسلس، وأن ءرءك بصلماءها واضءة ءللس فلس المءالاء السابقة. و الملاءظ فلس هءه الفءرة أءما قء أنءءب ءلسرلة العلماء و السءءسلال السلسلسلس فلس الءزلسرلس¹، ءما أن أغلب الءلس الءلءر ولس إلى ءونس سرعان ما اءءءكوا بالءونسلس و منهم من طالء به الإقالمة فلسا إلى ءلء الانصهار، و نظراً لءأقلمه مع البلسة الاءءماعلس و الءءافلس و السلسلس السلسلس الءلس الءلس ءعله بلسءل صفة ءلك الوسل الفءرلس و السلسلس و أصبح لا بعرل إلا به ءابن رءشق القلسرلس (385-463هـ)، الءلس هو أصلاً من الءزلسرلس من منءقة المسلسة، وهو أول عالم إفرلسلس و ءلء أسس فن الءقء الأءلس²، و ابن الءلسب الءسن بن مءء القاهرلس (340-420هـ)، (951-1029م) الءلس اءءل الصءارة فلس قول الشعر بلس معاصرله القلسرلس و الللس.

و ءءبر الفءرة المءءة بلس الءرلس الءلسرلس و العءرلس الملسللسلس فلس ءرءة الءزلسرلس نءو ءونس من أزهل الفءرل و أغناها ءواسلا بلس القطرلس، و ذلك بواسطة الصفوة الءزلسرلس المءءفة السلس ءارءل فلس الءلسة الءونسلسة، و أقوى شاهء علملس ذلك هو العالم الءزلسرلس ابن الإمام عبء الرءمان بن مءء (ء741هـ - 1340م) الءلس ءان بلاءاع ءءاب الءراءم و السلسرلس «من أشهر علماء عصره و لم بءن فلس المغرب الءبلسرلس أعظم رءبلس منه»³ و ءذا الملسءلسلس مءء بن عمر البءءلسلس الءزلسرلس (ء740هـ - 1339م)، الءلس ءولى ءلطة الإنشاء بءونس⁴، و الرصاع مءء بن قاسم (ء894هـ - 1489م)⁵ الءلس ءولى قءلاء الءماعة بءونس العاصمة، ءم إمامة ءامع الءلسءونة و ءلله فلس هءه الءرءة بءونس الطولقس إبراهلس بن مءء الأءضرلس (ء899هـ - 1494م)⁶ و ءلرهم ءءلسرلس.

¹ - هلال (عمار)، العلماء الءزلسرلس فلس البلاءان العربلس الإسلاملس فلسا بلس الءرلس الءاسع و العءرلس الملسللسلس (14/3هـ)، الءزلسرلس: ء.م.ء، ء1995م، ص.83.

² - نوبهض (عاءل)، معجم أعلام الءزلسرلس (من صءر الإسلام ءءل العصر الءاضر)، بلسرل: مؤسسه نوبهض الءءافلس. 1983. ص.ص (150-151).

³ - الءفناول (أبو القاسم مءء)، ءعرلف الءلف برءال السلف، ء1، الءزلسرلس: مطبعة فونءانة. 1324هـ-1906م، ص.106.

⁴ - المصءر نفسه، ء1، ص.67.

⁵ - نوبهض، المرءع السابلس، ص.205.

⁶ - المرءع نفسه، ص.250.

كما هاجر إلى تونس مصطفى بن عزوز؛ الذي كان قد انطلق من برج طولقة بعد احتلال بسكرة سنة 1844م؛ حيث أسس بتوزر زاوية نفطة الشهيرة التي كان لها دور كبير في تونس، وأخرجت علماء أفذاذ¹.

وكان للشيخ مصطفى بن عزوز عدد من الأبناء أشهرهم الحفناوي الذي خلفه على زاوية نفطة ومحمد الذي أسس زاوية رحمانية أخرى بالقيروان، والمكي الذي اشتهر بالعلم وعمل في نطاق الجامعة الإسلامية².

بالإضافة إلى أن مؤسس زاوية نفطة القادرية هو أبو بكر بن أحمد الشريف الجزائري الذي امتد تأثيره سنة 1897م إلى غدامس وغات وعين صالح وتوات، وله أتباع في بلاد الطوارق وعلى رأسهم الشيخ عابدين³، وكان الشيخ إبراهيم بن أحمد الشريف (المؤسس الحقيقي للزاوية)، له أولاد عديدون انتشروا في كامل شمال إفريقيا، حيث أسسوا في تونس بالإضافة إلى نفطة زوايا في كل من قفصة والكاف وقابس⁴.

ولئن ظهرت الطريقة التيجانية على يد مؤسسها أحمد التيجاني (ت 1814م) في الجنوب الجزائري، فإن دخولها إلى البلاد التونسية كان في منتصف القرن التاسع عشر على يد إبراهيم الرياحي الجزائري (ت 1850م)، حيث كانت أول زاوية للطريقة التيجانية بالبلاد التونسية، وتركزت أولاً بالحاضرة ثم غزت الجنوب فأسست زويتا توزر ونفطة، في حين لم تظهر لها زوايا في النصف الشمالي إلا بعد النصف الثاني من القرن التاسع عشر، منها زاوية الشاوش صالح بياجة سنة 1846م، وأخرى بينزت سنة 1860م، وباب المنارة سنة 1875م وزاوية سيدي صالح التيجاني ببوعرادة⁵ والتي ولد بها محمد الشريف التيجاني المنوبي، ستحدث عن دوره لاحقاً.

أما عن مساهمات الجزائريين في الحياة الفكرية خلال هذه الفترة فالأمثلة على ذلك كثيرة، نقتصر على ذكر إسهامات عبد القادر المجاوي والأمير عبد القادر وحسن بن بريهمات.

فقد كان من أنصار فكر خير الدين باشا، الجزائري حسن بن بريهمات؛ الذي عبّر عن إعجابه (بأقوم المسالك) شعراً، وذلك في أبيات بعثها إلى خير الدين سنة (1284هـ - 1867م)

1 - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، ج5، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998م، ص.490.

2 - المرجع نفسه، ج4، ص.182.

3 - المرجع نفسه، ج4، ص.47.

4 - المرجع نفسه، ج4، ص.48.

5 - التليطي (العجيلي)، "أضواء على محمد الشريف التيجاني وأوضاع المحليين في تونس خلال الثلث الأول من القرن العشرين"، م.ت.م. عدد (55-56)، تونس: م.ا.ع.ش.ت. 1989م، ص.ص (137-138).

يقول في بعضها:

لله درك خير الدين من عَلمٍ ❁ أبدى منار الهدى للناس في القَتنِ
نَهجت نَهجًا قويًّا قلَّ سالكه ❁ إلى السياسة كي ينجو من الفِتنِ

كما أن الشيخ مصطفى خوجة الكمال - أحد أعيان الجزائر - كان معجبًا هو الآخر بأفكار خير الدين¹.

ولقد تحدث عبد القادر المجاوي عن خير الدين وكتابه في رسالته المسماة (إرشاد المتعلمين)؛ حيث شكك في نسبة (أقوم المسالك) إلى خير الدين وفي قدرته على تحقيق الإصلاح المنسوب إليه. كما دون في رسالته قصيدة طويلة في مدح خير الدين، للشيخ إبراهيم سراج المدني وهو جزائري كان يعيش في الحجاز ودعواه في ذلك هي وقوف خير الدين مع مد خط حديد باجه، إذ في ذلك تحيين لتونس².

كما كان الأمير عبد القادر يُكاتبُ أعيان تونس ولا سيما الوزراء، وأهم موضوعات المراسلة معهم كانت بشأن أهالي الجزائر وتونس؛ وكانت بين الأمير وخير الدين علاقات علمية وسياسية في أغلبها تمسُ حال المهاجرين الجزائريين إلى تونس³.

2. المشاركة السياسية الجزائرية والموقف من الحماية:

لقد كان الصراع قائمًا بين الإيالتين فترة الوجود العثماني حيث كان يصل مداه في حالة التوتر الحاد بين البايات والدايات، وهو التشنج الذي كان من العوامل التي دفعت بباي تونس إلى التحالف مع فرنسا عندما عرضت عليه بايليك وهران⁴. فقبيل هجوم الأسطول الفرنسي بمدة قليلة كان حسين باي تونس (1824 - 1835)م قد منع نزول طاهر باشا⁵ الذي جاء مكلفًا من طرف السلطان العثماني محمود الثاني لإنهاء الخلاف بين الجزائر وفرنسا.

1 - سعد الله (أبو القاسم)، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1996م، ص.166.

- يراجع أيضا: الحفناوي. المصدر السابق، ج2. ص.119.

2 - سعد الله، أبحاث وآراء، ج4، ص.ص(164-165).

3 - الأمير عبد القادر (محمد بن عبد القادر الجزائري)، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر. ط1. ج2.

بيروت: دار اليقظة العربية، 1964م، ص.ص(196، 199، 252).

4 - المدني (أحمد توفيق)، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار (نقيب أشرف الجزائر)، الجزائر: ش.و.ن.ت. 1974م،

ص.ص(106-109) - (138-139) - (146-147).

5 - فلالي (السايج)، العلاقات السياسية الجزائرية التونسية (1792-1837)م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث

والمعاصر، معهد العلوم الاجتماعية (التاريخ)، جامعة قسنطينة، السنة الجامعية (1997-1998). ص.115.

وهو ما يؤكد تواطؤ البايات التونسيين مع الفرنسيين منذ بداية الأزمة الجزائرية الفرنسية¹، حيث يذكر ألفونس روسو، بأن البايات التونسيين كانوا على شبه اتفاق تام مع الجانب الفرنسي منذ 1827م على تقديمهم للمساعدات اللازمة للفرنسيين في هذا الموضوع مقابل منحهم حكم بايلك وهران، وبايلك قسنطينة وهو ما نصت عليه اتفاقية 18 ديسمبر 1830م².

أما موقف الفئة المستنيرة والمتنفذة في أجهزة الحكم فعمل موقفها نستخلصه من موقف أحمد بن أبي ضياف³، والذي لم يُول أي اهتمام بالموضوع كونه من المقربين للباي، ولا يُعقل أن يكون له رأي مخالف لحكامه⁴.

كما يتجلى موقف السلطات التونسية من القضية الجزائرية في حجزهم للإمدادات الحربية التي أرسلتها السلطنة إلى أحمد باي، هذا بالإضافة إلى محاولة مصطفى باشا (1835-1837)م فرض الحصار على البايك الشرقي، لمنع الاستيراد والتصدير من ميناء عنابة وقطع التعامل التجاري بينه وبين أحمد باي⁵.

ولقد تنبه الأمير عبد القادر (1808-1883)م في مقاومته (1832-1847)م إلى ضرورة وحدة وتضامن دول المغرب العربي لكنه لم يلق التأييد من الجانب التونسي الرسمي باستثناء بعض الخدمات المتأخرة التي قدمها الباي للأمير عبد القادر⁶.

كما لم تلق المقاومة الشعبية بعد الأمير عبد القادر أي مساعدة من طرف السلطات التونسية وهذا بخلاف الشعب التونسي الذي وقف موقفاً إيجابياً، وكانت عاطفته مع المقاومة الجزائرية، فقدم العون والمساعدة رغم معارضة حكامه⁷.

ففي خلال مقاومة الحاج أحمد باي والأمير عبد القادر لجأ إلى تونس عدد كبير من المقاومين منهم: الشيخ محمد الحسناوي، بن بلقاسم الحناشي، كما أنه وبعد ثورة سكان واحة الزعاطشة

¹ - المرجع نفسه، ص. 117.

² - Alphonse (Rousseau), *Les aghales tunisiennes* 2^{ed}, Ed. Bousslama. Tunis 1980. P.391.

- يراجع أيضاً: التميمي (عبد الجليل)، "مغامرة الحماية التونسية على وهران، 1831م". م.ت.م. عدد 05. تونس: م.أ.ع.ش.ت. جانفي 1976م، ص. 05.

³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ - ابن أبي ضياف (أحمد)، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج3، تر أحمد الطويلي. الجزائر: ش.و.ن.ت. 1979م، ص. 115.

⁵ - المصدر نفسه، ج3، ص. 226.

⁶ - المدني (أحمد توفيق)، "الأحوال الجزائرية التونسية أواخر أيام الأمير عبد القادر"، مجلة الثقافة (عدد خاص) عدد 75. الجزائر: ماي/جوان 1983م، ص.ص (150-175).

⁷ - بوغزيز (يحيى)، "دور تونس في دعم حركات التحرير الجزائرية وموقف الجزائريين من احتلالها عام 1881م"، الثقافة. عدد 70. الجزائر: أوت/جويلية 1982م، ص.ص (39-50).

الفصل الأول ----- الوضع السياسي والفكري

عام 1849م وقيام الجيش الفرنسي بتخريب الواحة. لجأ من نجا من الثوار إلى نفطة وتوزر ونفزاوة بإقليم الجريد التونسي فأواهم السكان وقدموا لهم ولغيرهم من الفارين العون والمساعدة¹.

وكانت أكبر هجرة قام بها المقاومون الجزائريون إلى تونس هي هجرة زمالات الحدود الشرقية والكلبوتي والمقرانيين وابن ناصرة بن شهرة عام 1871م، والذين توزعوا في عدة جهات من تونس².

ومع انطلاق الحملة الفرنسية على تونس، بدأت مقاومة التونسيين لها مُتواضعة؛ فقد قام بها نفر من علماء جامع الزيتونة وعلى رأسهم الجزائري الشيخ محمد السنوسي؛ إذ قدّم عريضة وقعها أعيان البلاد يطالب فيها بإلغاء الحكم المباشر³، ولقد ضمت العريضة قائمة بأسماء أعيان البلاد (57شخصية) ثلثهم ذوي أصول جزائرية مثل: محمد السنوسي، المختار فتاش، محمود القروي، الباجي القسنطيني، حسن العتايي⁴.

ولم تمر سنتان على إحماد حركة الأعيان سنة 1885م، حتى ظهرت دعوة إصلاحية جادة تزعمها الجزائري الشيخ محمد المكي بن عزوز* (1854 - 1915م)، حثّ فيها على العودة إلى مقاومة الجمود والتخلف، وقد اشترك هذا الشيخ الجزائري في إصلاحات خير الدين على عهد محمد الصادق باي؛ إذ كان يشغل منصب خطة الفتية بنفطة، وكان قد زار الجزائر حوالي 1880م، وعندما كان غائباً عن تونس عند حدوث النازلة، بعث بقصيدة شعرية يشدّ فيها أزر السنوسي في منفاه في غيرة وطنية ثابتة⁵، وقد زاد إطلاعه على ظنك وضر المسلمين بالجزائر وتونس تمسكاً بمبدأ الإصلاح وأثر به في طلبه الزيتونة وشيوخها، مما أدى بعد ذلك إلى تأسيس مدارس عصرية كالخلدونية.

وهاجر الشيخ المكي بن عزوز إلى الشرق (وكان له دور بارز سنذكره في الفصل الثاني)، ومات فيه ولكن أفكاره ظلت قائمة مستمرة مترعرة، وسرعان ما اجتمع تلامذته وأسسوا جريدته

1 - بوعزيز (بحي)، "أضواء على انتفاضة سكان واحة الزعاطشة والشيخ بوزيان عام 1848م"، الثقافة. عدد 32. الجزائر: أفريل/ماي. 1976م. ص.ص (39-50).

- يراجع أيضا:

- Rinn(louis), Histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie. Alger. Ed. 1891. p.p(122-127).

2 - بوعزيز: "دور تونس"، الثقافة، عدد 70. ص.ص (47-48).

3 - اطوم (نور الدين)، محاضرات من المراحل التاريخية للقومية العربية، مصر: 1963. ص. 51.

4 - السنوسي (محمد بن عثمان)، خلاصة النازلة التونسية، تق. تح. (محمد الصادق)، تونس: د.ت.ن. 1976. ص.ص (229،300).

5 - مناصرية، الحزب الحر الدستوري، ص 18.

* بن عزوز (المكي) (1854 - 1915)، يراجع ترجمته في الملحق أ. رقم 65.

(المستقبل التونسي) - فرنسية - وأخرى تحمل اسم (حبيب الأمة) - عربية - وأخرى في سبيل الرشاد كان يُديرها الجزائري عبد العزيز الثعالبي بنفسه..¹

ومن جهة أخرى هناك من الجزائريين في تونس مجموعة تولت مناصب قيادية في تونس كالشيخ (الطاهر الجنادي) الذي كان مُعلماً خاصاً لأبناء الوزراء، و(محمد العربي) الذي شغل منصب طبيب البلاط، ومنهم أيضاً من تولى التدريس بالزيتونة خلال هذه الفترة مثل (محمد اللقاني) و(محمد عبيد السلام) و(سلطاني..). ومنهم أيضاً (علي بوشوشة) الذي أسس جريدة الحاضرة لسان حال مدرسي الزيتونة والصادقية، ولقد عمل صاحبها على ربط تونس بتيار الجامعة الإسلامية².

3. دور الجزائريين في المقاومة التونسية:

إن المتتبع للثورات الجزائرية منذ بداية الاحتلال الفرنسي على العاصمة يجدها في بعض معانيها إلا امتداداً للجهاد الإسلامي ضد الغزاة الصليبيين كوفهم لا يرون في الحدود التي وضعها الاستعمار الفرنسي إلا حدود فاصلة بين المسيحية والإسلام ومن هذا كانت الفكرة التي تبناها الجزائريون على أن الدفاع عن أرضهم هو دفاع عن الأمة الإسلامية جمعاء، وبالتالي فردود فعلهم تجاه ما كان يجري في تونس، لم تكن لتنتقل إلا بعيون عربية مسلمة.

ففي خلال شهر ماي 1881م دخل عدد من المهاجرين الجزائريين إلى نفطة ونفزاوة مع إخوانهم التونسيين في حركة عسكرية ضد الوجود الفرنسي بتونس، كما ظهر دعاة جزائريون وتونسيون في واحات وادي سوف، ووادي ريغ، وتقرت، وحثوا الناس على حمل السلاح لمقاومة الفرنسيين، من أجل تقديم العون للمجاهدين بتونس³.

وإزاء اشتداد مشاركة الجزائريين في المقاومة المسلحة بتونس، تخوّف الفرنسيون كثيراً حيث حشدوا ثلاثة عشر ألف جندي في مدينة تبسة، قرب الحدود خلال جويلية 1881م ووضعوا مشروعاً لاكتساح كل مناطق عمالة قسنطينة ومنطقة القيروان، لتتبع الثوار المقاومين والقضاء على نشاطهم، كما حدثت اضطرابات في المناطق الوسطى من الجزائر، بسبب أحداث تونس، وظهر دعاة جزائريون في تيارت والسررسو والشلالة وثنية الحد، ليحثوا الناس على دعم إخوانهم التونسيين وفي الحراكته بالأوراس ظهر داعية آخر أعلن للناس عن قرب إعلان الجهاد ضد النصارى المحتلين، في كل من تونس والجزائر، ووصل تأثيره إلى قرى الحدود التونسية كما تضامن

1 - الفاسي، الحركات الاستقلالية، ص.48.

2 - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص.ص(491-492).

3 - بوعزيز يحيى، " دور تونس"، الثقافة، عدد 70. ص.53.

المهاجرون الجزائريون مع التونسيين في وشتاتة والفراشيش والهمامة والحريد ونظموا حركة جهاد واسعة مع إخوانهم التونسيين، وأكثروا من اقتناء الأسلحة والبارود والخيول والجمال والأحصنة، مما عقد من أمور جيش الاحتلال الفرنسي في تونس¹.

وتجلى موقف الجزائريين الراض لاحتلال تونس في انتفاضة الشيخ بوعمامة حيث حملوا السلاح مع التونسيين في مختلف جهات القتال والمقاومة على طول منطقة الحدود، وفي أعماق البلاد التونسية وداخل الجزائر نفسها²، ففي جبال جرجرة دعا شيخ الزاوية (علي أوموسي) بالسمعاعة في ذراع الميزان إلى الجهاد تضامناً مع الإخوان التونسيين، ووجدت دعوته صدى واسعاً.

زيادة على ذلك فقد ظهرت مجموعة مسلحة للمقاومة في أولاد سلطان ومسكيانة ووادي الزناتي وبرج بوعريريج وتاقيطونت وأقبو وغيرها من المناطق أعلنت تضامنها مع المقاومين في تونس. وحتى سكان وادي ميزاب تحفزوا للمقاومة بسبب تأثرهم بأحداث احتلال تونس، فقام سكان مدينة بريان بقتل شيخهم الموالي للفرنسيين، ونظم الشعابنة دوريات مسلحة في الجنوب التونسي، كما اهتموا بنشر أخبار المقاومين بتونس³.

وهكذا كانت الجزائر مسرحاً للاضطرابات والعمليات العسكرية طوال عام 1881م، كرد فعل للاحتلال الفرنسي لتونس، وبذلك شاركوا إخوانهم التونسيين، رغم انعدام الإمكانيات، ورغم الزجر الكبير الذي كان مسلطاً عليهم وقدموا مساهماتهم المادية والمعنوية، وضحوا بأقدس ما يملكون من أجل نصرة إخوانهم التونسيين.

4. دور الهجرة الجزائرية في الحياة التونسية:

- اتفقت آراء معظم علماء الهجرة الدوليين على أنه لا بد لكل هجرة من توفر سببين رئيسيين:
- أن تُصبح الحالة في الوطن الأصلي بحيث لا يطبقها المهاجر أو تبدوا له على الأقل أنها تفوق احتمالها.
 - أن يبدوا لطالب الهجرة بلداً آخر مهرباً له من حالته المظنية، بحيث يعتقد أنه سيجده بدلاً فيما عزَّ عليه في موطنه الأصلي⁴.

1 - المرجع نفسه، ص.ص(54-55).

2 - الشوابكة (أحمد فهد)، حركة الجامعة الإسلامية، سوريا: مكتبة المنار، 1984م، ص.ص(263-269).

3 - بوعزيز (يحيى)، " دور تونس. "، الثقافة، عدد 70، ص.56.

4 - بوعزيز (يحيى)، السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري (1830-1954)م.

الجزائر: د.م.ج. 1995. ص.237.

حيث يقول راجي (Rager): «لقد ذهب الوهم ببعضهم إلى القول بأن تلك الهجرة الجزائرية ما هي إلا مظهر لطبيعة الارتحال البدوي التي تمكنت في أعماق سريرة الجزائري، وذلك خطأ، فإن الإحصاء دلّ على أن أكبر عدد من المهاجرين الجزائريين من أهل الحضرة، ومعظمهم من إقليم وهران وأولئك من أصل بربري مُستعرب.. فليست تلك الهجرة إذن صدى لِنزعة بدوية..»¹.

ولعل أشيع تعليل للهجرة الجزائرية في الأذهان، هو القول بأنها حدثت تحت ضغط ازدياد عدد السكان، وذلك هو التعليل الرسمي الذي تقوله الإدارة الفرنسية في الجزائر وليس بخاف علينا مثل هذا السبب ولكننا لا نراه كافياً لتعليل الهجرة ولذلك نرى تقسيم أسباب الهجرة في دراستنا هذه إلى: أ/ أسباب نفسية معنوية: وبما أن الهجرة كمفهوم هي «نوع من الدفاع عن النفس، وتبرز هذه الظاهرة خاصة بعد الحروب وعملية الغزو والاحتلال..»²، فهو المفهوم الذي ينطبق على الهجرة الجزائرية إلى البلاد التونسية.

ومن هنا فالجانب الأمني - أي غريزة الحياة - كانت من أهم أسباب هذه الظاهرة، كما كانت عوامل الجذب والإغراء المادي والمعنوي عوامل مكتملة فقط، وإلا فكيف نفسر الطابع العام لكل هذه الهجرات إلى تونس وغيرها، والذي كان يُميّزه الاستقرار الدائم، فالجزائري عندما كان يعزم على الهجرة كان يُودع أرضه وعرشه وعائلته ووطنه من أجل أن يبقى حياً، فالهجرة التي قام بها الجزائريون باتجاه تونس وغيرها من دول الشرق والغرب، كانت نوع من المقاومة السلبية، فقد كان عنوانها هو الرفض المطلق لسيادة الرومي على المسلم.

ولهذا نجد مفهوم الوطن عند الجزائريين المهاجرين إلى البلاد الإسلامية واحد وهو الوطن الإسلامي³.

حيث يقول مارسى: «إنّ الحياة الاستعمارية الجديدة كانت من الأسباب التي قادت إلى الهجرة الجزائرية، فقد كان ذلك يعني أنه لم يعد في استطاعة الجزائريين أن يتمتعوا بحياتهم القديمة كما كانوا سابقاً»⁴.

¹ - Rager (Jean Jacques), Les Musulmans Algériens en France et dans les payes Islamiques, Société, Ed, les Belles lettres, Paris 1950. P.48.

² - عطية الله (أحمد)، القاموس السياسي، ط3. القاهرة: دار النهضة العربية 1968م، ص.1343.

³ - سعد الله (أبو القاسم)، "الاتجاه العربي في الحركة الوطنية"، الثقافة، عدد31. الجزائر: فيفري / مارس 1976م. ص.25.

⁴ - نقلا عن سعد الله، الحركة الوطنية، ج2. ص.128.

ولعل هناك سبباً آخر محفز للهجرة تغافل عنه كثير ممن تخصصوا في هذا الموضوع وهو أنه من بين المهاجرين من كانوا ذوي أصول تونسية فضلوا الرجوع إلى بلد أجدادهم بمجرد سقوط الحكم العثماني وهذا دائماً طلباً للأمان.

كما أن دعاية المهاجرين الجزائريين الأوائل إلى تونس وغيرها، قد أتت أكلها أيضاً، حيث كانوا يُزَيّنون لإخوانهم الإقامة، ويذكروهم بمساوئ الحكم الاستعماري¹، هذا إضافة إلى دعوة الجامعة الإسلامية، التي أثرت بعمق في الجزائريين، فبعض الطرق الصوفية كالسنوسية قد جعلت من سياستها دعوة الجزائريين للهجرة إلى أرض الإسلام².

إن هذه الأسباب النفسية ركز عليها كثيراً فرحات عباس³، ورآها كافيةً في هجرة الجزائريين ذلك أن المراسلات التي كانت بين المهاجرين الأوائل وذويهم في الداخل أو حتى عودة بعضهم، قد نسجت في أذهان الجزائريين المقيمين أساطير كثيرة عن الوضعية العامة التي يعيشها المهاجرون في الخارج، «فلم يبق للخماس حينئذ سوى أن يقف على أثر المغامرين الأوائل ويُهاجر هو أيضاً من البلد اللعين - بلد المهانة والفاقة»⁴.

ب/ أسباب اقتصادية: كاستلاب الأراضي من أصحابها الشرعيين و تسليمها إلى أوريبيين غرباء وتشجيع الاستيطان الرسمي (972 قرية ونصب 150.000 معمر، ليستثمروا في 9.65000 هكتار سنة 1934)⁵.

إن إقصاء الأهالي من الأراضي الخصبة، ترتب عليه أيضاً نقصان في ثروتهم الزراعية والحيوانية والأسوأ من ذلك أن هذا النقصان رافقته زيادة سكانية مُعتبرة (122000 ن خلال سنة 1936)⁶، مما يعني أن الإنتاج الزراعي المحلي (حبوب - زيتون - تين) أصبح عاجزاً عن إطعام كل السكان، أما المرافق التي كان يمكنها استيعاب اليد العاملة الجزائرية، فقد كانت هي أيضاً في خدمة الأقلية

1 - كما فعل المهدي السكلاوي الذي هاجر من مدينة دلس إلى الشرق مع عدد من أعيان زاوية، وكان زعيماً للطريقة الرحمانية، لتشهد زاوية بسببه حركات هجرة متوالية سيما سنوات: 1847م، 1857م، 1871م.

- عن ذلك يراجع: سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص.475.

2 - المرجع نفسه، ج5، ص.474.

3 - Abbas (Ferhat), De la colonie à la province (le jeune Algérien), Paris. 1931. P.23.

4 - المصدر نفسه. ينظر أيضاً: Ageron, Histoire d'Algérie . P. 70

5 - المصدر نفسه. ينظر أيضاً: Ageron, Histoire de l'Algérie..., P.63.

6 - Le spes (Renés). Pour comprendre l'Algérie. - Ageron, Histoire de l'Algérie..., P.63.

- نقلا عن: زوزو، مرجع سابق، ص.21

6 - بوحوش (عمار)، "أسباب الهجرة إلى فرنسا"، الثقافة، عدد14. الجزائر: أفريل/ماي. 1973م، ص.56.

الأوربية¹، كل ذلك حفّز على الارتحال من الجزائر، هذا إضافة إلى عامل الجذب في البلد المستقبل لهم، فالكثير من الدراسات تحدثت عن تحسن المستوى المعيشي والاقتصادي في تونس، بسبب نظام الحماية القائم، إضافة إلى استقرار الوضع الأمني والاقتصادي بها².

كما كانت تونس مجالاً واسعاً لنشاط الطرق الصوفية ومريديها الذين تستهويهم زيارة الزوايا والمزارات، فمع دخول الفرنسيين إلى الجزائر اختار هؤلاء تونس موطنًا للدعة والأمن من اضطهاد الفرنسيين لتصبح بعدها المهجرة مسألة ضرورية وواجبة لتلبية فتوى بعض المجتهدين نجاة للمال والدين والعرض، وأن «دعوة القرآن إلى المهجرة من الكفر إلى دار الإسلام ضرورة كما فعل الرسول ﷺ»³.

لقد حدثت عدة موجات وهجرات جماعية كانت أولها تلك التي أعقبت رحيل القوات الإنكشارية إلى تركيا بعد تجريدتها من السلاح، ثم هاجر أعيان العاصمة ومجموعات كبيرة من معسكر وتلمسان عام 1832م⁴، كما عرفت الجزائر أيضاً هجرة عنيفة بعد توقف الأمير عبد القادر عن مواصلة الجهاد، فمنذ عام 1851م حتى 1870م، انتقلت قبائل بأكملها إلى تونس قصد الاستقرار بها أو الارتحال منها إلى بلاد الشام فيما بعد⁵.

وتشير بعض المصادر إلى أن الجزائريين المهاجرين إلى الولايات العثمانية، قد اتخذوا تونس ليس فقط كمعبر إلى سوريا وإنما كذلك كملجأ مؤقت في بعض الأحيان يركنون إليه في أوقات الشدة، وقد أكدت هذا التقارير الفرنسية فيما بين سنتي (1855-1860)م⁶.

كما عرفت الجزائر هجرة كبيرة إلى تونس بعد القضاء على المقاومة الشعبية المسلحة التي قادها المقراني والشيخ الحداد⁷، لتعرف الجزائر فيما بعد هجرات أخرى عقب ثورة بوعمامة، وكذا عقب إصدار قانون التجنيد الإجباري منذ 1907م.

1 - زوزو، المرجع السابق، ص.43، ينظر أيضاً: بلاسي، مرجع سابق، ص.ص (30-31).

2 - هلال (عمار)، "الهجرة الجزائرية نحو الولايات العثمانية في المشرق العربي (1903-1918)م"، الثقافة. عدد82. الجزائر: جويلية / أوت 1984م، ص.70. ينظر: زوزو، المرجع السابق، ص.45.

3 - Rager, OP. cit, P.48.

- يراجع أيضاً :

- العبيد (مسعود)، "العلاقات الثقافية بين الجزائر والمشرق في العهد العثماني"، مجلة سيرتا، عدد01. الجزائر: جامعة قسنطينة 1979م، ص.ص (46-54).

4 - سعد الله، محاضرات، ص.56.

5 - Ageron (Ch.R), Les Algériens musulmans et la France (1871-1914). T.ii.P.U.F. Paris 1968, p.p (1080-1081).

6 - هلال (عمار)، "الهجرة الجزائرية"، الثقافة، عدد82، ص.74. ينظر أيضاً: هلال (عمار)، "أصداء المهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي (في بعض التقارير الرسمية)"، الثقافة، عدد88. الجزائر: جويلية 1985. ص.150.

7 - بوعزيز (يحيى)، ثورة 1871م ودور عائلتي المقراني وحداد، الجزائر: ش.و.ن.ت. 1978م. ص.ص (92-100).

وتذكر المصادر الفرنسية تواريخ مختلفة للهجرة الجزائرية، فهذا أوغسطين بيرك يذكر السنوات الآتية كمعالم بارزة في تاريخ الهجرة وهي: 1830م - 1832م - 1854م - 1860م - 1870م - 1875م - 1888م - 1898م - 1910م - 1911م، وهناك تواريخ أخرى ألح عليها كل من أجيرون وباردان هي: 1837م - 1845م - 1864م، ويذكر باردان أن حركة الهجرة تكثفت بين (1847-1914)م، ومن ذلك تبين أن الهجرة لم تنقطع بين سنوات (1830-1914)م وإنما الفرق في كثافتها فقط، وفي موقف السلطات الفرنسية من التغاضي عنها أو منعها.

أما عن المناطق الجزائرية التي شهدت هذه الهجرات؛ فالثابت أن المرحلة الأولى شهدت أكثر هجرة مدنية ابتداءً من العاصمة، لتلحقها المدن الآتية: البليدة - المدية - قسنطينة - وهران - بجاية - تلمسان... الخ¹، وشهدت النواحي الشرقية أيضاً تفاوتاً في حركة الهجرة، وكان أبرزها هجرة أعيان عنابة، الذين استقروا في بترت الساحلية التي لازالت إلى يومنا هذا تحفظ ملكيات جزائرية، وحين سقطت وهران خرج العديد من الأسر متجهة إلى تونس، وكان الشيوخ الجزائريون يُدعون إلى هذه الهجرة حتى لا يموت تحت سلطة كافرة، كما أن فرنسا الاستعمارية لم تُعطي أي اهتمام لهذه الهجرات كونها تعتبرها تخلصاً من الأعيان والمثقفين، حيث كانت ترتفع هذه الهجرات بعد كل هزيمة تلحق الانتفاضات الشعبية².

إذ عرفت قسنطينة خصوصاً بعد سقوطها سنة 1837م، هجرة واسعة اتجهت في أغلبها نحو تونس - استناداً إلى ما ذكرناه سالفاً - ويتكلم مالك بن نبي* عن هذه الفترة والتي تلتها قائلاً: «... حتى أنه لم يبق في قسنطينة وجود لعائلة بشارزي الكبيرة.. أما عائلة حاج باي، فإنها أخذت في النزوح إلى تونس...، وأن أغنياء عائلة بن الفقون، فلم يبق منهم سوى فئة صغيرة تملك ورشة متواضعة...»³.

أما الهجرة الكبيرة من نواحي سطيف فكانت عقب ثورة 1871م، وقصدت أغلبها جنوب تونس⁴، وكانت من ضمنها قبيلة المقراني التي جرّدت من أملاكها واضطهاد أفرادها⁵، كما عرفت

- ينظر له أيضاً: كفاح الجزائريين من خلال الوثائق. الجزائر: م.و.ك. 1986م. ص.ص (361-373).

1 - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص.474.

- Rager, OP. cit, p.p (9-10).

2 ينظر:

3 - بن نبي (مالك)، مذكرات شاهد القرن (الطفل)، ط1، ج1، تر مروان القنواقي، بيروت: دار الفكر، 1969. ص.ص (10-11).

4 - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5. 474.

5 - بوعزيز (يحيى)، ثورة 1871م، ص.ص (329-331).

- Rager, OP. cit, p10.

- يراجع أيضاً:

* بن نبي (مالك) (1905-1973)م. يراجع ترجمته في الملحق ا. رقم.72.

الفصل الأول ----- الوضع السياسي والفكري

نفس المصير بعض العائلات الكبيرة الأخرى المنتشرة في المناطق القبائلية وخصوصاً منها التي تزعمت المقاومة المسلحة، لتسوء حالتها المادية، حيث يذكر أجيرون: «..وهذا لا يمنع من ترك أحفاد الشيخ الحدّاد في فقر مُدقع، كما أن أبناء المقراني أصبحوا تجاراً صغاراً...»¹، فمدينة الجزائر وحدها فقدت أكثر من 10 آلاف نسمة، الأمر نفسه وقع في مدن أخرى².

ويذكر راجي (Rager) بأنه منذ سنة 1874م بدأت الهجرة تأخذ أبعاداً سياسية بدلاً من أبعادها الدينية حسب قوله، ويرجع هذا التحول إلى الدعاية التونسية³، ولا ندري ما هذه الدعاية التونسية، وتونس كانت تشهد أكبر فترات الضعف في تاريخها، فقد يكون قصده أن مصدر الدعاية المقصودة، إنما كان من المهاجرين الجزائريين في تونس والذين كانوا يمارسهم المستمرة مع أهاليهم يُثيرون غريزة الهجرة والترحال لديهم.

وقد جاءت هذه الهجرات من مناطق عدة في الجزائر، فبالإضافة إلى المناطق السابقة الذكر، شهد الجنوب الجزائري هو الآخر هجرات متتالية، أولها تلك التي ضمت 300 فرداً قطعوا الجنوب وصولاً إلى الجريد التونسي دون إذن بالسفر كما تلتها مجموعات أخرى من وادي سوف وتقرت قدرت بجوالي 2000 فرد و1200 أخرى هاجرت من وادي ميزاب⁴.

وللعلم فقد كانت بين سكان الجنوب الجزائري و التونسي علاقات تجارية قديمة عن طريق الصحراء، ولهم دراية بمسالك الطرق.

أما عن مناطق استقرارهم بالأريالة التونسية؛ فنجد سكان القبائل قد استقروا بشمال الأريالة وكانوا أكثر من 1000 شخص، يُضاف إليهم 500 شخص أخرى ينتمون إلى القطاع القسنطيني، أما سكان العاصمة فقد استقروا في مناطق الشمال الغربي لتونس⁵؛ بحيث أصبحت بترت مع تونس، والمهدية من أكثر البلاد التونسية عمراناً بالجالية الجزائرية، وخصوصاً ذات الأصول التركية، وبمرور الأيام تضاعف عدد أتباع المذهب الحنفي⁶.

ومنهم تشكلت فرقة زواوة كما دخلت مجموعة كبيرة من الجزائريين مع الحملة الفرنسية سنة 1881م، وقد قدر عدد الجزائريين بتونس سنة 1907م بحوالي عشرين ألف جزائري¹،

¹ - Ageron, les Algériens Musulmans,..., T_{II}. P.820.

² - فرحات عباس، المصدر السابق، ص.100.

³ - Rager, OP. cit, p. 13.

⁴ - المرجع نفسه، ص.ص (13-14). يراجع أيضاً: مارسسي (جورج)، " في تونس العاصمة، العناصر الدخيلة والنشاطات المهنية (الجزائريون في تونس)"، مجلة إبلا، سنة 1948م.

⁵ - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص.492.

⁶ - يراجع: سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، ص.136.

لكن هذا العدد تزايد بكثافة بعد هذا التاريخ بسبب صدور مشروع قانون التجنيد الإجباري منذ سنة 1908م، والعدد الهائل من الجزائريين الذين هاجروا بعد هذه الفترة ليضاف إليهم مهاجري منطقة الأوراس بعد قمع ثورتهم (سنة 1916م)²، كما أن أغلب الحجاج، وطلبة العلم والتجار المتنقلين، كانوا يستقرون بتونس بدلاً من العودة إلى وطنهم، هذا بالإضافة إلى موجات الهجرة المنظمة التي تزايدت بفعل نشاط الإصلاحيين بعد نهاية الحرب العالمية الأولى.

أما عن أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية في تونس، فهي بلا شك أحسن بكثير من الجزائر، وكان تمركز أغلب الجزائريين في الشريط الساحلي الشمالي والمناطق المحاذية للحدود الجزائرية التونسية، ولا نملك الآن إلا إحصاء يرجع إلى سنة 1936م، وآخر إلى سنة 1950م، ويذكر الأول أن عدد المهاجرين الجزائريين في تونس بلغ واحداً وأربعين ألفاً (41000) نسمة، كما يذكر الإحصاء الثاني خمسين ألفاً (50.000) نسمة، وكانت جالية أهل سوف من أكبر الجاليات الجزائرية بتونس خلال هذه الفترة بعد أن كانت جالية قسنطينة تحتل الريادة، كما كانت لبني ميزاب جالية مهمة، ونفس الحال بالنسبة لأهل توات، وأهل زواوة، وسطيف، والذين هاجروا في أغلبهم بعد سنة 1871م، وكان يُطلق عليهم في تونس لقب «المقرانيون»³.

وقد كان لهم تنظيماتهم الخاصة حيث كان لكل جماعة شيخ يعين من السلطة المحلية، وقبل دخول الفرنسيين إلى تونس كانت هذه المشيخة تورث أباً عن جد، وقد احتفظوا بنفس النظام القبلي الذي كان سائداً في الجزائر، ثم أن الهجرة كانت جماعية تضم قبائل وأسر كاملة، وكانوا حين وصولهم إلى مناطق استقرارهم في تونس يعملون على الحفاظ على نفس عاداتهم وتقاليدهم التي اكتسبوها أيام وجودهم في الجزائر، ويستمتتون في المحافظة عليها وتوريثها للأجيال اللاحقة⁴، وبفعل التواصل مع سكان الأرض الأصليين، استطاعوا أن يؤثروا فيهم، ويكسبهم عادات وتقاليدهم الجزائرية مازالت ماثلة لحد الآن في الممارسات اليومية للتونسيين.

ومن مهام شيخ الجماعة المعين حل النزاعات بينهم كما يشكل الوساطة بينهم وبين السلطة الحاكمة، لكن مع فرض الحماية على تونس تلقى المهاجرون الجزائريون عدة مضايقات من طرف سلطات الحماية، حيث فرض عليهم التجنيد الإجباري سنة 1917م كما أن الفرنسيين حاولوا أن يستميلوا بعضهم ليجعلوا منهم أداة تخدمهم في ضرب المقاومة التونسية⁵.

¹ - Rager, OP. cit, P.P (16-17).

² - المرجع السابق.

³ - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج، ص.492.

⁴ - Rager, OP. cit, P.P(16-17).

⁵ - المرجع نفسه، ص.17.

الفصل الأول ----- الوضع السياسي والفكري

ومن المهن التي مارسها هؤلاء المهاجرون: التجارة، الحرف، الصنائع والفلاحة، وإلى جانب الحرف والصنائع فقد حملوا معهم مهنتهم الحرة من الخبز، ونحت وحياسة، وغيرها واستطاعوا بفضل شبكة علاقاتهم بالتونسيين، واندماجهم في الحياة الاقتصادية أن يؤثروا في التونسيين، وبذلك أضافوا رافداً اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً جديداً للبيئة التونسية.

كما انخرط البعض منهم في فرق الباي، وتحول البعض الآخر إلى مالكين للأراضي في كل من تالة، وباجة، والقلعة، والجرداء، وسوق الأربعاء، وبنزرت، وتونس العاصمة. ويُعتبر المهاجرون من منطقة قسنطينة هم الأكثر ثراء من بين كل الجالية الجزائرية، وكان أقلهم ثراء المهاجرون القادمون من تبسة وخنشلة¹.

ومن بين أشهر العائلات التي استقرت بتونس، وكان تأثيرها بارزاً في الحياة السياسية والفكرية التونسية عائلات: بن رويلة، بن عزوز، بن شهرة، بوشوشة، المدني، المقراني، السنوسي، الثعالبي، القلاطي، اللقاني، الشريف، الجنّادي بن عيسى وبن الحسين، بن قدور، ختاش، الجباري، والهاشمي، الحنفي، المنوي...².

¹ - Rager, OP. cit. . P.18.

- ينظر أيضاً:

- حمادي بن حماد، بنزرت عبر العصور، تونس: مطبعة شركة فنون الرسم والنشر والصحافة، 1979م، ص.95.

² - يراجع: سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص.490.

المبحث الأول: أثر النشاط السياسي الجزائري في الحركة الوطنية التونسية

من الملاحظ أن الجزائريين قد تعلموا أساليب العمل السياسي والوطني في تونس؛ «ولهذه الشجاعة التي يُرييها جو تونس السياسي في الأبناء آثرت الجزائر المناهضة تونس معقلاً لأبنائها يتدربون فيها على النضال، ولولاها لما وجدت الجزائر مجالاً علمياً أو فكرياً أو سياسياً يُهيئ أبنائها للجهاد الذي تنشده...»¹.

1. النضال الجزائري (من مطلع القرن العشرين إلى سنة 1919م):

على إثر الأحداث الدموية بمقبرة "الجلّاز" بتونس، جرت اتصالات مكثفة بين الشبان الجزائريين والتونسيين، حول إمكانية عقد مؤتمر إسلامي كبير لكل إفريقيا الشمالية في شكل جمعية تأسيسية ستضع أسس « أمة شمال إفريقيا»²، ومهما يكن فإن الجبهة المشتركة لم تتم، كما لم يُعقد المؤتمر بسبب حل حركة الشباب التونسي ونفي زعمائها، ولكن الأعمال في سبيل وحدة نضال المغرب العربي تواصلت في المشرق العربي، وعاصمة الخلافة الإسلامية على يد المهاجرين التونسيين والجزائريين، وفي ظل ظروف سياسية جديدة.

وبعد عملية المقاطعة الجماعية لشركة الترام في 09 فيفري 1912، كانت جماعة «التونسي» قد عيّنوا لجنة مكونة من رئيس فرنسي هو المحامي "دستوي"، ومن أبرز أعضائها الجزائري حسن قلاطي*، بالإضافة إلى علي باش حامية وأحمد الصافي ومحمد بن النعمان، للمطالبة بحقوق العمال، عندها تيقنت الإدارة الفرنسية أن عملية المقاطعة لم تكن تلقائية فقامت بنفي كل أعضاء اللجنة بما فيهم حسن قلاطي وعبد العزيز الثعالبي³، لكن سمحت لهم فيما بعد بالعودة، ليدخل الوطنيون الجزائريون والتونسيون في العمل السري «تحت زعامة قلاطي وعبد العزيز الثعالبي»⁴ وانحصر عملهم في توزيع بعض المنشور، وكانت السلطة تتابعهم متابعة فعّالة، فكانوا يجتمعون بمزل الأمير محمد الحبيب - الذي سيصبح بآياً بعد وفاة محمد الناصر - ومع ذلك ورغم سرّيتهم في العمل فقد اعتقلت السلطة سنة 1914م جمعاً من أنصارهم من بينهم أحمد توفيق المدني، الذي لم يكن عمره آنذاك يتجاوز الخمس عشرة سنة، وهذا بتهمة توزيع المنشور المناهضة لفرنسا، وزجت به في السجن من دون محاكمة «حيث أشفق عليه قائد قوات الاحتلال لصغر سنه»، وبقي رهين

¹ - دبور، هضة الجزائر، ج2، ص.19.

² - Gilbert (Meynier), l'Algérie révoluée, Libraire Droz, Genève :1981. P..249.

³ - أحمد خالد، مرجع سابق، ص.43.

⁴ - الفاسي، الحركات الاستقلالية، ص.55.

* حسن قلاطي (1880 - 1966)، يراجع ترجمته في المجلد 1. رقم 57.

الفصل الثاني

مساهمات جزائرية في الحياة السياسية

التونسية

• المبحث الأول: أثر النشاط السياسي الجزائري

في الحركة الوطنية التونسية

• المبحث الثاني: مساهمة التيارات الجزائرية في الحياة

السياسية التونسية

• المبحث الثالث: النضال المهجري الجزائري التونسي وأثره

على القضية التونسية

الفصل الثاني ----- مساهمات جزائرية في الحياة السياسية

السجن قرابة الأربع سنوات أي من يوم 14 فيفري 1915م إلى أول نوفمبر 1918م¹، ولما فُتسح بيته عُثِر فيه على مراسلات بينه وبين السيد الحسين الجزائري صاحب جريدة الندم، وكذا الشيخ عمر بن قدور الجزائري* (صاحب جريدة الفاروق)².

ومعلوم أن توفيق المدني قد كتب عدة موضوعات انتقادية في جريدة الفاروق (بوساطة الحسين الجزائري)، وقام بإلصاق منشورات معادية للحلفاء على أبواب المسجد الكبير بتونس و(أناشيد الشاذلي عزندار)، فضلاً عن مصاحبته للصحفي التونسي حسين الجزائري والمعروف بعذائه لفرنسا³. وقد تحدث المقيم العام بتونس بخصوص نشاط المدني هناك على أنه (خطر جاد) وذكر توفيق المدني أن سجنه «كان نتيجة محاولة قام بها لتفجير طاقات الأمة في المغرب العربي ضد فرنسا»⁴.

حيث كان يُحضّر لخطّة انتفاضة مغاربية منذ ديسمبر 1914م مع جماعة من التونسيين هم: الصادق الرزقي**، أحمد نجاح، محمد النيفر، محمد السعيد الخلصي، الهادي مزاح، واتفقوا على خطة ثم اتصلوا بأحد زعماء قبائل بني زيد في الجنوب التونسي، كما أنشأوا شفرة خاصة بهم وكانت عمليتهم ستنتقل بعد الاتصال بالطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة، على أن تكون العملية بالتنسيق مع قبائل الجنوب التونسي والقائد التركي نوري باشا المستقر بمنطقة (نالوت) بليبيا، غير أن خطتهم هذه كشفها المستعمر في شهر فيفري 1915م⁵.

ويتحدث توفيق المدني لجمع من المثقفين الجزائريين قائلاً: - بعد نفيه الأخير إلى الجزائر - «إني قدمت من بلد فيه كفاح سياسي مرير، وقد نظمنا الشعب تنظيمًا سياسيًا مُحكمًا، وأنا مؤمن بوحدة المغرب العربي جنسًا ودينًا ولغةً وأخلاقًا، فهل من عمل سياسي مُمكن في هذه الأرض الجزائرية.. يربط بين القطرين ويوحد بين الجهاديين...»⁶.

1 - الساحلي (حمادي)، "نشاط الوطنيين التونسيين في المهجر أثناء الحرب العالمية الأولى"، م.ت.م. عدد (33-34). تونس: م.أ.ع.ش.ت. جوان 1984م، ص.182.
2 - الفاسي، الحركات الاستقلالية، ص.56.
3 - Mahdjoubi, Les origines du mouvement national en Tunisie (1904-1930). Publications de l'université de tunis, Tunis 1982, P.148.

4 - المدني، حياة كفاح، ج.1. ص.ص (82-86).

5 - المصدر نفسه، ج.1، ص.ص (86-105).

6 - المصدر نفسه، ج.2، ص.14.

* بن قدور عمر (1886-1932)م، يراجع ترجمته في الملحق I. رقم.56.

* الصادق الرزقي: (1875-1939)م، تونسي من بترت درس بالزيتونة، وأصدر مجلة "العمران" الاقتصادية سنة 1921م ثم جريدة إفريقيا، ومن مؤلفاته: "الساحرة التونسية"، و"الأمثال"، و"الأغاني التونسية"، و"مسرحية عنتره".

- للتوسع يراجع: - محفوظ محمد، مرجع سابق، ج.2. ص.ص (346-347).

- بن قفصية، مرجع سابق، ص.ص (134-154).

ويقول أيضاً مجيباً على سؤال طرحه عليه مبارك الملي عند أوّل نفيه من تونس: «إني والله لست بمُفروق والله بين الجزائر وتونس فتلك أرض الجهاد ومنبت الأجداد، وهذه وطن الميلاد ومرتع القراع والجلاد...»¹.

وعن عمق الإحساس بالانتماء، والتواصل يقول المدني: «كنت أعمل في تونس بروح جزائرية فإذا بي أعمل في الجزائر بروح تونسية.. واكتشفتُ أن العمل واحد وأن الكفاح واحد وإن جهادنا المُشترك إنما هو وعاء متصل الأجزاء ما صببت في جزء من أجزائه شيئاً إلا تَوَزَع بصفة مُتعادلة على سائر الأجزاء»².

ولما قامت الحرب الليبية - الإيطالية قام باعامر يحي بن قاسم* من بني اخفيان من مليكة (وادي ميزاب)، بتموين الجيش العثماني بالذخائر والمعدات من الجنوب التونسي، حيث كان يدعو التونسيين ويؤلبهم ضد الغزو الإيطالي، كما فتحت له تركيا أبواب المصارف لدفع ما يحتاجه للتموين من داخل تونس، وهيأت له جميع الإمكانيات فقام برفقة العديد من المتطوعين الجزائريين بمحورته أحسن قيام³، وكثير هم الجزائريون الذين قاموا بالدعاية لصالح الجيش العثماني ضد الغزو الإيطالي من داخل تونس، يؤلبون في ذلك الأمة التونسية للوقوف إلى جانب إخوانهم الليبيين.

ولما أنشأت الجامعة الإسلامية في استانبول جمعيات سرية في أنحاء العالم العربي كان يرأس جمعية تونس الشيخ عبد العزيز الثعالبي، وهو ممن سعى إلى تكوين فروع لها في أنحاء المغرب العربي، وكان من فروعها الجمعية السرية في وادي ميزاب والقرارة، وأنشأها الشيخ صالح بن يحي** في عام 1915م في القرارة وكان رئيسها الحاج بكير العنق***، ومن أعضائها البارزين الحاج بن يحي⁴، ويروي أبو اليقظان أحد المُقربين من الثعالبي في هذه الفترة وكان موضع ثقة الزعيم الدستوري - الشيخ عبد العزيز الثعالبي - في الأمور السرية الخطيرة: «في سنة 1917م أنشأ (الشيخ عبد العزيز الثعالبي) في تونس جمعية سرية فذائية غرضها إحداث حركة تحريرية في المغرب العربي كله، وفي تونس كان رئيسها هو الشيخ الثعالبي ومعه خمسة أعضاء والجمعية تتركب من ستة،

1 - المصدر نفسه، ج2، ص.09.

2 - المصدر نفسه، ج2، ص.97.

3 - حمو (محمد عيسى النوري)، نبذة من حياة الميزابيين الدينية والسياسية والعلمية من سنة 1505م إلى 1962م، ج1. باريس: دار الكروان، 1984م، ص.322. يراجع أيضاً: جمعية التراث، معجم أعلام الأباضية من القرن 1هـ إلى 15هـ، ج4. الجزائر: نشر جمعية التراث، 1999م، ص.972.

4 - دبو، هضة الجزائر. ، ج2، ص.186.

* باعامر (بن يحي) (1850 - 1930)، يراجع ترجمته في الملحق I. رقم 07.

** بن يحي (صالح) (ت 1948م)، يراجع ترجمته في الملحق I. رقم 53.

*** العنق بكير (1882 - 1956)، يراجع ترجمته في الملحق I. رقم 50.

الفصل الثاني----- مساهمات جزائرية في الحياة السياسية

ولكل من هؤلاء الستة أن يستأذن الجمعية في إنشاء فرع من أناس تثق بهم الجمعية وترضاهم، يكون رئيسهم لا يعرفون غيره من أعضاء الجمعية...»¹، وبعد تفصيل في قضية عمل هذه الشبكة السرية يذكر الشيخ أبو اليقظان أن: «للشيخ صالح بن يحيى فرع من الميزابيين في تونس يتركب من ستة أعضاء (أبو اليقظان، يوسف بن بكير، عبد الله بن إبراهيم أبو العلا، الناصر بن صالح ملالي، أحمد بن الحاج إبراهيم بن كاسي، وعمر بن محمد بوحمام...)، وكان لنا جلسة في كل أسبوع، كنا لا نعرف غير الشيخ صالح من أعضاء اللجنة الأصلية كان هو صلتنا ينقل إلينا أوامرنا...»².

حقاً لقد أعطى الثعالبي تونس حقها³ «.. ووضع لها كل أسس نهضتها ثم فارقها في رحلته إلى الشرق ليُعطي حق العروبة والإسلام فكان نظام العقد، عنوان الوحدة وروح الاتصال والعلم الإفريقي الخفاق الذي وجه أنظار الشرق إلى الشمال الإفريقي، وإلى تونس عروس ذلك الشمال...»⁴.

2. النضال السياسي الجزائري ما بين الحربين:

عموماً فقد تميز النشاط الذي اتسم به المهاجرون الجزائريون منذ مطلع القرن العشرين حتى سنة 1939م في جلّ مراحلها بالحيوية والاندفاع والعمل الدائب، كما كان هذا النشاط متلاحقاً توارثته الأقاليم والأجيال، وتفرد فيه كل جيل بخصوصية المراحل التي عاشها، ومثلما ساهم في توسيع دائرة هذا النشاط نخبة من المهاجرين بأفكارهم وآرائهم، فقد ساهم في تزييته ومتابعته بحرص فلول المهاجرين بأنفسهم وأموالهم وأقلامهم.

وانكشفت الحرب العالمية الأولى عن انتصار الحلفاء وانهزام الدولة العلية، التي كانت حركة تونس الفتاة تُعلّق عليها أملاً كبيراً، كما انكشفت على يقظة العالم الشرقي برمته، وظهر تيار يُبشر بحقوق الإنسان ويُنادي بحرية الشعوب، ترعّمه الرئيس الأمريكي ويلسن، لهذا نجد الثعالبي وزميله أحمد السقا يتقدما بمذكرة إلى الرئيس ويلسن يُطالبان فيها باستقلال تونس في الوقت الذي قدم فيه الضباط الجزائريون برئاسة الأمير خالد نفس الطلب⁵، ولكن قضيتي تونس والجزائر لم تجد من رسل السلم والحرية في المؤتمر إلا إهمالاً كاملاً.

1 - خرفي (صالح)، الشيخ الثعالبي. ، ص.67.

2 - المرجع نفسه، ص.68.

3 - الفاسي، المغرب العربي. ، ص.99.

4 - الشهاب، ج7، مج13، رجب 1356هـ / سبتمبر 1937.

5 - الفاسي، الحركات الاستقلالية. ، ص.57.

فتوجه الشيخ الثعالبي باسم التونسيين نحو العمل على تنوير الرأي العام الفرنسي فأصدر في سنة 1920م كراسته القيمة (تونس الشهيدة)، بينما كان رفاقؤه في الداخل ينظمون اتصالات أخرى بسمو الباي والمقيم العام فلانندان من أجل تأسيس حزب سياسي يُنظم مطالبهم، « والمتفق عليه أن الذين قاموا بهذه المحاولة الدستورية كانوا كلهم من مُتخرجي الجامعات الفرنسية، وأن الزيتونيين من الوطنيين لم ينظموا إليهم إلا بعد رجوع الثعالبي وترأسه للحزب... هذا الأخير لم يكن موافقاً في قرارة نفسه على هذه الخطة، وإنما أُضطر إلى مسابرة التيار العام»¹.

وكان من أبرز الأعضاء في هذا الحزب بعد الشيخ عبد العزيز الثعالبي، قاسم الجزائري، محمد صالح ختاش وتوفيق المدني وصالح بن يحيى (الجزائريون) ومحي الدين القليبي وصالح فرحات وأحمد الصافي (التونسيون)².

1.2- النضال الجزائري في الحزب الحر الدستوري التونسي:

يذكر المدني أنه كان يشغل منصب أمين عام مساعد يتولى القلم العربي باللجنة التنفيذية منذ أول جلسة تأسيسية للوطنيين في 29 ماي 1921م، وكانت تحت إشراف الشيخ الثعالبي الذي انتخب أعضاء اللجنة التنفيذية وكان من أعضائها بعض الجزائريين³ منهم:

- | | |
|-----------------------------|---------------------------|
| - صالح بن يحيى: (عضو) | - محمد زروق: (عضو) |
| - محمد الصالح ختاش (عضو) | - التيجاني بن سالم: (عضو) |
| - الطيب بن عيسى: (عضو) | - قاسم الجزائري: (عضو) |
| - عبد السلام القليبي: (عضو) | - حسن قلاقي:؟ |
| - محمد بن حسين: (عضو) | - محمد الهنتاتي:؟ |

كما قام بتشكيل عدة لجان تشريعية للحزب منها:

- لجنة نشر الدعوة التي تضم: الطيب بن عيسى، صالح بن يحيى والثعالبي.
- اللجنة المالية التي تضم: محمد الصالح ختاش، صالح بن يحيى ومحمد الهنتاتي؟⁴

¹ - هذا حسب رواية ذكرها الفاسي، كان قد أخبره بها محي الدين القليبي.

- ينظر: الفاسي، الحركات الاستقلالية. ، ص.ص (58-59).

² - درمونة يونس، مرجع سابق، ص.88.

³ - المدني، حياة كفاح. ، ج1. ص.194.

⁴ - المصدر نفسه، ج1، ص.195.

* بن عيسى الطيب (1885 - 1965)م. يراجع ترجمته في الملحق I. رقم.52.

الفصل الثاني ----- مساهمات جزائريته في الحياة السياسية

ولقد أصبح الشيخ الثعالبي بعد ذلك هو الممثل للحركة الدستورية في تونس، وإن كان يختلف عن كثير من قادتها في أنه يتخذها كمرحلة أولى للاستقلال، ولقد استفادت هذه الحركة من وجود اسم الشيخ الثعالبي على رأسها، وكان كل ذلك مكسباً لتونس¹، إذ أنه كان يُمثل وهو الجزائري مرحلة طبيعية لتطور الفكر وتطور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في هذا الإقليم.

فقد كان الشيخ الثعالبي «يجلجلُ فيه كالرعد بخطبه العظيمة، ومحاضراته الكبرى... وكان أكبر سبب لليقظة في المغرب و العالم الإسلامي...»².

قال عنه سامي الجندي في تقديم كتاب "تونس الشهيدة": «عندما تريد أن تُقيّم الثعالبي الإنسان لا أستطيع أن أصفه إلاّ أنه كان همزة وصل... همزة وصل بين ماضي التراث وحاضر الثورة العربية... وهمزة وصل بين الأفكار الأفغانية الثائرة و الأفكار التي ظهرت في أعقاب الحرب (العالمية) الأولى، وكذلك بين مغرب الوطن العربي و مشرقه... ثم أن تونس الشهيدة هي همزة وصل بين الفرنسيين و التونسيين وأول كتاب لعربي استطاع أن يُقنع الغرب بعقلية الحجة والرقم والمستند...»³.

ويقول في رسالة كتبها إلى الجزائري السيد قبائلي مؤرخة بـ(2 أوت 1919م): «لم آت طلباً للنزهة أو الراحة، لكنني جئتُها موفداً من أمتنا المضطهدة التي كلفتني في أن أضع على بساط البحث القضية التونسية..، وإذا فشلت فسأهجر وطني لأنني لم أستطع خدمته كما أردت، وسوف أقتصر على العمل من أجل عائلتي التي ضحيتُ بها لمصلحة وطني الغالي»⁴.

ولم يدع الثعالبي مجالاً ينفذ منه إلى الرأي العام الفرنسي إلا و وجه خدمةً للقضية التونسية، حيث انتسب إلى عدة جمعيات منها: «اللجنة الفرنسية الشرقية، الجمعية الفرنسية الشرقية، اللجنة الفرنسية الإسلامية»، وأسس وترأس «جمعية الطلاب التونسيين» كما أسس مع شارل جيد «الجمعية الفرنسية التونسية»⁵؛ وأصبح الثعالبي شخصية معروفة بباريس، ولكن الوسط الذي تحرك فيه بحرية وقوة هو وسط الحزب الاشتراكي، فقد كانت القضية الأولى في جهاد الثعالبي هي تحرير تونس من النفوذ الأجنبي، ولم يكن الثعالبي إلا امتداداً لجده عبد الرحمان في جهاده ضد الاحتلال الفرنسي للجزائر، ولم تكن قضية تونس إلا امتداداً لقضية الجزائر⁶.

1 - جلال يحيى، العالم العربي، ص. 703.

2 - دبوز، نهضة الجزائر، ج2، ص.ص (17-18).

3 - الثعالبي، تونس الشهيدة، (مقدمة)، ص. 21.

4 - المصدر نفسه، ص. 16.

5 - المصدر نفسه.

6 - الجندي (أنور)، عبد العزيز الثعالبي (رائد الحركة والنهضة الإسلامية)، بيروت: دار الغرب الإسلامي 1984م، ص. 35.

فالشيخ الثعالبي هو الذي وضع القواعد العامة لمطالب التونسيين في ترشيد العمل الوطني والتحرر من نفوذ الاستعمار الفرنسي وفي مُقدمتها الدعوة إلى الاحتكام بالكفاية في الترشيح لسلوظائف الحكومية وفرض التعليم الإلجباري، وإيجاد مجلس نيابي ثابت ينتخب عن طريق الاقتراع المباشر، وتوزيع الأراضي الحكومية بنسبة مُتعادلة بين التونسيين و الفرنسيين، وحماية اليد العاملة وتنشيطها¹، وهذه القواعد صادفت هوى في نفوس جميع الطبقات الشعبية التونسية.

لكن دعايته القوية جعلت السلطات تعتقله بتهمة التآمر على أمن الدولة حيث سُجن في تونس هو وصديقيه [الجزائرين] الشيخ محمد الرياحي والشيخ صالح بن يحي².

ومن هنا أخذ اتجاه الثعالبي يقوى ويشتد في تونس، فلما خرج من السجن قلَّ أثر منافسيه وبات هو الزعيم، وأطلق عليه الناس لقب «سعادة الرئيس»، ولم يغفر له خصومه ذلك فانقسمت الحركة الدستورية إلى قسمين: قسم الإصلاح، وقسم الرفض الذي يُمثله الأغلبية ويقوده الثعالبي، لم يكن ذلك ببعيد عن الإدارة الفرنسية فأثقل الجو على الشيخ الثعالبي و أحس للمرة الأولى باليأس، وعندما أقنعه رفاقه أن بقاءه قد يضر بالقضية التونسية والتونسيين، غادر البلاد متحملاً مشاق الغربة والمنافي في 26 جويلية 1923م متجهًا إلى الشرق و تونس و عذاب تونس في قلبه.³

كما كان الجزائري عبد الرحمان اليعلاوي من الدعاة الناشطين للحزب الحر الدستوري حيث كان ممثله في (سوق الأربعاء) ومن المناهضين للسلطة في تونس، والمتصدّرين للمظاهرات الوطنية، حيث كانت له مواقف مشهودة ضد قضية (التجنيس)، ووضع تحت مراقبة سلطات الأمن في سنة 1921م، ليتم نفيه في 06 ديسمبر 1925م إلى عنابة، وعاش محافظاً على ولائه ووفائه لتونس ، فقد كانت التقارير الأمنية السرية الفرنسية تقول: «هذا الشخص غير مؤهل للحديث عن القضية التونسية فهو من أصل جزائري...»⁴.

و لقد حظي المدني بعزة في نفوس أبناء الشعب التونسي حيث قوبل إبعاده من طرف الجماهير باضطرابات ومظاهرات وإضرابات تضامناً معه واستياءً على ما وقع له، والمدني بفضل ما أوتي من وطنية وحماس تبوأ مراكز هامة في إدارة الحزب الدستوري حيث كان ضمن الوفد الثالث الذي اختير للذهاب إلى فرنسا ليُفاوض باسم عموم التونسيين وساهم في حل القضية الوطنية.⁵

1 - المرجع نفسه، ص.ص (45-46).

2 - الفاسي، الحركات الاستقلالية، ص.61.

3 - الثعالبي، تونس الشهيدة (مقدمة)، ص.20.

4 - خرفي صالح، الشيخ الثعالبي، ص.328. هـ.81.

5 - الجابري (محمد صالح)، النشاط العلمي، ص.281.

الفصل الثاني ----- مساهمات جزائرية في الحياة السياسية

ومن أهم مساهمات المدني مبادرته بإنشاء جمعية الخلافة التي حاول فصلها ظاهرياً عن الحزب الدستوري، ليتفرغ لها فيما بعد كلياً بعد أن تخلى عن منصبه ككاتب عام، وأصبحت اجتماعات لجنة الخلافة تُقام كلها بمقره بنهج الديوان، وكان هدفه من ذلك اغتنام فرصة حماس الجماهير من أجل تحريك الساحة السياسية الراكدة منذ أحداث أبريل 1922م، ولجلب المال الذي يحتاجه¹، حيث كانت تعمل هذه اللجنة في استقلالية نسبية عن الحزب الذي كان في هذه الفترة يمر بأزمة حادة، وذلك رغم حضور أهم أعضاء الحزب اجتماعاتها.

وقد سجل المدني موقف اللجنة من مسألة إلغاء الخلافة منذ بداية مارس 1924م، مما كان له أثر إيجابي لدى الرأي العام التونسي الذي ساند لجنة توفيق المدني ورفاقه في استيائهم منذ الإعلان عن هذا الخبر؛ حيث قامت اللجنة بإرسال برقيات الاحتجاج إلى الكمالين ممثلي الدولة التركية². ومن مآثر المدني في خدمة القضية التونسية حتى بعد نفيه إلى الجزائر هو فتحه لمنبر نافي الشرقي في جويلية 1927م والذي جعله جسراً للتبادل والتزاور بين السياسيين والمثقفين التونسيين والجزائريين³، ولقد مثّلت شخصية المدني نموذج المحارب المغاربي، فقد كافح مع التونسيين وأبعد مع الجزائريين، وكان السبب في إبعاده دفاعه عن المغاربة.

لقد كان اليعلاوي والمدني عضوان بارزان في الحزب الدستوري، وكانا يقومان باتصالات في كل أنحاء تونس لجلب المنخرطين والاجتماع بهم، وتحفيزهم على الثورة ضد الأوضاع الاجتماعية والسياسية وتعرضا للسجن عدة مرات ثم النفي والإبعاد معاً إلى الجزائر⁴. فاليعلاوي تمّ نفيه بسبب مشاركته المباشرة في المظاهرة التي نظمت بمناسبة نصب السلطة لتمثال الكاردينال لافيغري في إحدى ساحات العاصمة، أما المدني فتّم بسبب مواقفه الصلبة السابقة، كانت آخرها موقفه من قضية حرب الريف.

وحتى بعد نفيهما فقد كانا ملاذاً التونسيين الذين كانوا يؤمّون الجزائر من حين لآخر كما أنّهما وهما في الجزائر لم ينقطعوا عن خدمة القضية التونسية والوفاء لها.

لقد اعتبر الجزائريون قضية الحزب الحر الدستوري قضيتهم وانتصارها هو انتصارهم فاندفعوا إلى العمل فيه ودعموه بجهودهم السياسية والمالية والفكرية، ولم يكن هذا العمل مقتصرًا على المهاجرين الجزائريين في تونس بل كان منتشرًا أيضًا في المدن الجزائرية وأريافها «فحسب تقرير

¹ - إدريس (محمد) وبن ميلاد (أحمد)، " الخلافة مؤتمر القاهرة (ماي 1936م)، والحزب الدستوري "، م.ت.م. عدد 01، تونس: م.أ.ع.ش.ت. ص. 168.

² - المرجع نفسه، ص.ص (169-170).

³ - الجابري، النشاط العلمي، ص. 296.

⁴ - المرجع نفسه، ص. 298.

حاكم الجزائر العام إلى المقيم العام الفرنسي بتونس في نهاية سنة 1920م، أن الجزائريين كانوا مُلتفين حول جمعية دينية تعمل على الدعاية لاستقلال القطرين التونسي والجزائري معاً، وهم كلهم ثقة بأن المستعمرات الفرنسية ستنال استقلالها عن طريق هذه الجمعية... بناءً على مبادئ الرئيس ويلسن...»¹.

ومن أنشط أعضاء هذه الجمعية وأبرزهم: الشيخان بعلي صالح بن بعلي، واطفيش إبراهيم وهما مراقبان للطلبة الجزائريين بمدرسة السلام القرآنية الحرة في تونس التي كان يُشرف على إدارتها الأستاذ الشاذلي المورالي «ويذكر التقرير السابق أيضاً الشيخ صالح بن الحاج عمر المدعو (سيوسيو) والسادة: بعلي الحاج صالح بن محمد (من منطقة أولاد عنان)، ملاك بمدينة قالملة وقاطن بمنطقة بني يزقن، وزكري بن السعيد - تاجر - بمدينة قالملة أيضاً»².

وكان الشيخ صالح بن يحيى - أحد أبرز أقطاب الحزب الحر الدستوري - وأحد مساعدي الثعالبي المخلصين، متفائلاً ببرنامج حزبه فقد راسل الثعالبي يوم 06 مارس 1920م يطلب رأيه في مطالب الحزب الحر الذي تأسس في غيابه كخطة على قبول المطلب الأول القاضي بتكوين مجلس منتخب انتخاباً عاماً قائلاً: «فيه خير كثير، إذ الأغلبية ستكون للتونسيين فتسير الأمور بإرادتهم»³.

فالشيخ صالح بن يحيى (ت 1948م)، من بني يزقن وكان تاجراً بتونس وكان يقوم بالدعاية إلى تأسيس حزب تونس الفتاة (المؤسس سنة 1908م)، ثم أصبح عضواً في اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري⁴.

وبحكم تأثيره المعنوي على أبناء الجنوب الجزائري وصلاته الحميمة بالتجار التونسيين كان ملاذ الحزب في الأزمات، قال عنه إبراهيم اطفيش بأنه: «في سنة 1920م قام بجولة في الجزائر فجمع من التجار الميزابيين ثمانين ألف (80000) فرنك، تبرعوا بها للحزب الدستوري وهي وأمثالها من تبرعات الميزابيين المتصلة بالحزب هي التي مكنت الشيخ الثعالبي من السفر إلى فرنسا للتعريف بالقضية التونسية»⁵، ويقول عنه أيضاً في موضع آخر «كان يمدُّ حزب الدستور كلما احتاج إلى المال في آخر كل شهر، وكان التونسيون يثقون به ثقة كاملة، وقد أنفق أمواله الطائلة عن الحزب، وتشاغل عن تجارته لاستغراقه في جهاده السياسي فمات فقيراً»⁶، ويذكر الشيخ أبو اليقظان

1 - مناصرة، الحزب الحر الدستوري. ، ص.77.

2 - المرجع نفسه، ص.79.

3 - دبو، هضمة الجزائر. ، ج2، ص.ص(29-40). ينظر: مناصرة، الحزب الحر الدستوري. ، ص.ص(39-40).

4 - حمو النوري، مرجع سابق، ص.416.

5 - دبو، هضمة الجزائر. ، ج2، ص.37.

6 - حمو النوري، مرجع سابق، ص.417.

الفصل الثاني ----- مساهمات جزائرية في الحياة السياسية

أن الثعالبي قال: «لولا الميزابيين الذين يمدوني بالمال ما استطعت أن أمكث في باريس أكثر من أربعة أشهر، ولكنني بفضلهم مكثتُ عاماً وأربعة أشهر...» كما يذكر عثمان الكعاك: «أن دار الشيخ صالح بن يحيى في سوق اللفة وفي رادس في تونس كانت نادي إدارة حزب الدستور المراقبة بشدة من طرف جواسيس الاستعمار».

كما يذكر توفيق المدني «أن الشيخ صالح بن يحيى هو الذي أظهر حزب الدستور في تونس بدعايته وحماسه ومساندته للشيخ الثعالبي مادياً ومعنوياً، ولا أتصور كمالاً إنسانياً فيمن عاشرت بلغ في رجل ما بلغه في الشيخ صالح»¹، ولقد كانت وفاة الشيخ صالح في تونس عام 1367هـ - جانفي 1948م، ومن أمثاله الشيخ محمد بن الحاج صالح الثميني والشيخ قاسم بن الحاج عيسى وكان لهم مكتبة الاستقامة بتونس².

كما كان الشيخ الحاج بكير العنق (1868-1934م)، مُتصلاً بزعماء النهضة في المغرب الكبير وكانت له صلة وثيقة بالشيخ الثعالبي، وهو العضو الأيمن للسيد عباس بن حمّانة (ت 1914م) ففي سنة 1920م لما نشأ الحزب الدستوري، سافر بكير إلى تونس ليطلع على سير البعثات الميزابية وكان له دور مميز في بعض لجانه³.

ويعد إبراهيم اطفيش (1886-1965م) من أقرب المقرّبين من أبناء وادي ميزاب إلى الشيخ الثعالبي، فقد كانا صديقي السراء والضراء في نضالهما الدستوري في تونس وغربتهما الطويلة في المشرق، أما بتونس فقد كان أصغر عضو في اللجنة التنفيذية للحزب وكان مؤفده في المهمات الصعبة إلى الجزائر لجمع الأموال، أو محاولة توحيد الحركة الوطنية بين الثعالبي والأمير خالد⁴.

زيادة على ذلك فهو أول المُبعدين من الدستوريين سنة 1923م، ودامت الصحافة التونسية شهوراً عدة تخوض في قضية إبعاده، ويوم صدر قرار لوسيان سان**، بإبعاد اطفيش كتبت الصحيفة الاستعمارية (le tunisien Français) (تونس الفرنسية) في 30 جانفي 1928م: «وكان اطفيش

1 - دبور، نهضة الجزائر .، ج2، ص.39.

2 - المصدر نفسه، ج2، ص.40.

3 - دبور، نهضة الجزائر .، ج2، ص.ص (213-214).

4 - خرفي صالح، الجزائر والأصالة .، ص.ص (83-84).

* بن حمّانة (عباس) (ت1914)، يراجع ترجمته في الملحق I، رقم 20.

** لوسيان سان: أخطر مقيم فرنسي عرفته تونس، كان صاحب مكر ودهاء، وكان السبب في ضرب الحزب الدستوري. وبت الشقاق بين صفوفه وتشريد زعمائه، في عهده نفي إبراهيم اطفيش والثعالبي والمدني والبعلاوي، وأحكم على الباقيين بالحصار والزّج في السجون، صادر عدة جرائد منها: الصواب، المشير، الأمة، العصر الجديد.

- ينظر: خرفي صالح، الشيخ الثعالبي، ص.ص (74-75). 7/هـ.

الفصل الثاني ----- مساهمات جزائرية في الحياة السياسية

يحظى لدى الثعالبي بتقدير كبير، وما لبث أن أصبح يُسند إليه مهام لا تسند إلا لمن حظي بثقتهم، لكن السلطات استطاعت أن تضع حداً لتصرفات هذا الشخص الماكر!¹.

وما يعرف عن الشيخ إبراهيم بيوض*، أنه كان على اتصال وثيق بتونس وبرجال الحزب الحر الدستوري، لاعتقاده أن الأوضاع الجزائرية لا تختلف عن تونس مادام يرزحان تحت الجهل والفقر والاستعمار، وكان سنداً قوياً للشيخ يحيى و الشيخ اطفيش في نضالهما السياسي السابق، لا سيما في جمع الأموال بمنطقة وادي ميزاب².

وخلاصة القول فإن النشاط السياسي الذي بذله الجزائريون داخل لجان وهياكل الحزب الحر الدستوري، كان أوضح دليل على عمق المساهمة الجزائرية، ذلك أنها لم تقتصر على تحرير الشكاوي وجمع الأموال، بل تعداه إلى القيادة والمشاركة والمواجهة الفعالة والعملية والممارسة المباشرة.

2.2- النضال الجزائري في الحزب الإصلاحي:

تأسس الحزب الإصلاحي في شهر فيفري سنة 1921م بعد رجوع الوفد الدستوري الثاني من باريس وسبب الخلاف بين الدستوريين والإصلاحيين هو تنافر شخصي بين الثعالبي وأحمد الصافي من جهة وحسن قلاطي ومحمد بن نعمان من جهة أخرى، حيث عاب الإصلاحيون على الدستوريين العمل حسب إرادة القيادة من دون استشارة القاعدة³، كما اتهموهم بالاستحواذ على أموال الحزب والتطرف في إزعاج الفرنسيين، وذلك ما نجده في مقال لحسن قلاطي بعنوان "المسألة التونسية" نشره في جريدة «تونس الاشتراكية» بعدد يوم 28 أوت 1921م، واعتبر الإصلاحيون الاندماج سبيلاً أسلم لانعتاق التونسيين في حين تجنب الدستوريون استعمال لفظ الاندماج، غير أن أبعاد مطالبهم كانت اندماجية⁴.

وقد تكونت بين الحزب الإصلاحي و الإقامة العامة علاقة تعاون أضعفت الحركة الوطنية فقد آيد إصلاحات المقيم العام في جويلية 1922م، وعلى إثر هذه القطيعة أسس الإصلاحيون جريدة

1 - خرفي صالح، الشيخ الثعالبي، ص.ص (327-328). 7/هـ.

2 - قرقب (عيسى)، الإمام إبراهيم بيوض، رائد الحركة الإصلاحية في الجنوب الجزائري (1920-1981)، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة، معهد العلوم الاجتماعية (التاريخ)، السنة الجامعية (1995-1996). ص.ص (135-137).

3 - Kariem (M), "le parti Réformiste Tunisien (1920-1926)", R.H.M. N:°04. Tunis du L.U.G.T.T. Juillet 1975. P.158.

4 - خرفي، الشيخ الثعالبي، ص.172.

* بيوض إبراهيم (1920-1981)م، يراجع ترجمته في الملحق I. رقم 11.

«البرهان» وسموها فيما بعد «النهضة».¹

والحقيقة أن الاختلافات بين الدستوريين و الإصلاحيين تركزت على عدد من المشاكل، والمتمثلة في العلاقات التي يجب إقامتها مع حكومة الحماية، ثم طبيعة وعمق المطالب التونسية، حيث طالب الإصلاحيون بإقامة تعاون فرنسي- تونسي، أساسه المبادئ الأساسية للثورة الفرنسية². وكان من أهداف جماعة حسن قلاطي الجزائري فتح أبواب العمل للتونسيين وتحقيق السلام وشرعية امتلاك تونس مؤسسات بلد حر ومستقل، يتمتع بمجلس نيابي يتكون من تونسيين وفرنسيين منتخبين، وحكم تنفيذي يُعين بموافقة الشعب ومسؤول أمام الرأي العام، وتحقيق حكم ذاتي فرنسي - تونسي، وأكد قلاطي أن هذه السياسة لا يُمكن لها أن تحقق إلا في إطار المراحل التدريجية المتعاقبة المُتسعة، واعتبر برنامج الدستور غير واقعي لا يتناسب مع الظروف الحالية لتونس³.

ولعل جماعة قلاطي قد اغتنتم رد المقيم العام «لوسيان سان» على مطالب الحزب الدستوري في جانفي 1921م، إذ قال أنها معارضة لنظام الحماية، فاعتبر قلاطي برنامج هذا الحزب عقبة في وجه كل تفاهم مع السلطة، وهو ما جعله يتنازل عن مبادئ الحزب الرئيسية، ولا يُؤكد موافقته إلا على مبادئ الحزب التسعة أمام لجنة الصادق النيفر وعبد الرحمان الكعك التي توسطت بينه وبين الدستوريين من أجل حل الخلاف بينهما.

وقد نجح قلاطي في ضمّ فئة كبيرة من المتورين إلى صفه، ولسوء الحظ لم يكن له أنصار من الطبقات الشعبية، وقد أسس قلاطي جريدة (البرهان) - كما ذكرنا سالفاً - التي تنطق بلسان حزبه، حيث شنّ فيها حملات واسعة ضد الحزب الدستوري وسياسته⁴.

كما أسس قلاطي جريدة أخرى سماها (النهضة) بالإضافة إلى نشاطه الصحفي في جرائد أخرى كجريدة «تونس الاشتراكية».

وفي نشاطه السياسي نجده قد وافق على إصلاحات سنة 1922م، ودام الأمر كذلك إلى أن انهزم في انتخابات المجلس الكبير سنة 1926م، وفقد الأمل في ضم القاعدة الشعبية للدستوريين، رغم رحلاته الدعائية المكثفة في أرجاء تونس، ثم لم يلبث أن انحل حزبه و أنظم أعضاؤه إلى الحزب الشيوعي⁵.

ورغم التباين بينه وبين الدستوريين إلا أنه اغتنتم فرصة وجود هيريو على رأس السلطة الفرنسية

1 - أحمد خالد، مرجع سابق، ص. 57.

2 - Kariem (M), " le partie". R.H.M. N:°04. P. P (151-152).

3 - مناصرة، الحزب الحر. ، ص. 186.

4 - المدني، حياة كفاف. ، ج 1، ص.ص (205-207).

5 - مناصرة، الحزب الحر. ، ص. 138.

الفصل الثاني ----- مساهمات جزائريّة في الحياة السياسيّة
فاتّحد معهم في جبهة ائتلافية في نهاية شهر فيفري 1925م، وضمّ معهما بعض المنظمات وأعيان
البلاد، وقد وقع هذا التجمع أمام الخطر الذي كان يُهدد المسألة التونسية ومواجهة حملات الصحافة
الاستعمارية، كما شكّلوا وفدًا باسمهم سافر إلى باريس ليعرض على الرئيس «هيريو» البرنامج
الإصلاحي الذي احترم نظام الحماية¹.

3.2- النضال الجزائري في الحركة الوطنية التونسية خلال الفترة (1925-1939)م وموقفهم من الانشقاق:

في 07 ديسمبر 1924م انعقد أول مؤتمر شمال إفريقي في باريس، حضره 150 عضوًا يُمثّلون
75.000 عامل من شمال إفريقيا في باريس، معظمهم جزائريون.²
وفي الختام وافق المؤتمر على بعض الإجراءات، فقد بعث ببرقية تأييد وتعاطف إلى كل شعوب
المغرب العربي، وانتهت بهذه الكلمات «..ليحيّا استقلال الشعوب المستعمرة ولتسقط الإمبريالية
الفرنسية..»³.

بعد المظاهرة الكبرى التي نظمها الحزب الدستوري سنة 1925م، ضد تنصيب تمثال الكاردينال
لافيجري قامت سلطات الحماية باعتقالات واسعة في صفوف الوطنيين، ونفت مديري
هذه المظاهرة «الجزائريين» عبد الرحمان اليعلاوي والمكي أبو شامي ومحمد أبو شامي إلى الجزائر⁴.
وبعد الانشقاق الذي حدث بين الجناحين في الدستور سنة 1934م، كتب أبو اليقظان مقالاً
مطولاً بعنوان «تونس في أيام الامتحان»: «إن الحزب القدم بشكله وأساليه مؤلف من الشيوخ
والمفكرين الكبار المحنكين، والحزب الجديد بمغامراته ومطامحه مؤلف من نخبة الشباب المثقفين فالأول
يعتز بشيخوخته وأسبقيته، والثاني يُباهي بثقافته العلمية وحيويته الخصب، الأول يعتمد على قوة إيمانه
وإخلاصه وخبرته، والثاني يعتز بفتوته وعلومه الجديدة، فمن أين يجتمع هذان العنصران، ويعملان
في صعيد واحد جنباً إلى جنب، إذا لم تجتمع بينهما نية صافية وتلحم قوتيهما العقيدة وإرادة
حديدية فتوحد خطتيهما وتوجهها إلى هدف الأمة الأسمى ومقصدها الأعلى...»⁵.

ويتحدث المدني في مذكراته عن مساهماته في التوفيق بين الجناحين قائلاً: «..بعد أن آلت
القضية إلى خلاف مرير مؤلم وعنيف، غادرت الجزائر من جديد قاصداً تونس ساعياً لجمع الشتات

1 - مناصرة، الحزب الحر. ، ص.ص (210-212).

2 - سعد الله، الحركة الوطنية. ، ج1، ص.332.

3 - المرجع نفسه، ج2، ص.333.

4 - الفاسي، الحركات الاستقلالية. ، ص.69.

5 - الأمة، عدد 02، الجزائر: الثلاثاء 25 سبتمبر 1934م.

الفصل الثاني ----- مساهمات جزائريتي في الحياة السياسية

ولإصلاح الموقف بذلت مع أصحابي رجال اللجنة طريقي في العمل، فوافقوا بالإجماع على تفويضني في حل المشكل لإعادة الوحدة للحزب، وتعهدوا بقبول أي اتفاق أمضيه باسمهم..¹، ولكنه فشل في مهمته بسبب تعنت صالح بن يوسف والحبيب بورقيبة.

ولقد لعب حسن النوري* الجزائري (1905-1939)م دوراً كبيراً في إنجاح مؤتمر قصر هلال، وكان أحد النواب الستة الذين مثلوا شُعبة بنزرت زيادة على جزائري آخر هو الطيب بن قائد حسين².

ونظراً للحماس الذي أظهره حسن النوري ورفاقه لهذه النخبة التي اختيرت في قصر هلال زار الحبيب بورقيبة مدينة بترت مرتين، وأسس فيها أول شُعبة للحزب، حيث انتخب حسن النوري فيها للكتابة العامة، لتصبح بترت في عهده قلعة من القلاع الحصينة للحركة الدستورية، فكان يعقد الاجتماعات ويبحث على توجيه الناشئة إلى التعليم، ويسهر على المشاريع الخيرية ويرعى جمعية النهضة التمثيلية وغيرها من المشاريع الاجتماعية، كما ساهم سنة 1936م في تأسيس الجامعة الدستورية في بترت، وعمل على نشر الوعي بكل جهد في نفوس التونسيين، حيث كان يطوف بالمقاهي باحثاً عن الشباب يبحثه على الإنضمام إلى الحركة الدستورية ليووجه الوجهة الصالحة وليدفعه إلى تحمل المسؤولية الحزبية، وكان يتصل بكل الطبقات الشعبية في نادي الشُعبة وفي الخيرية وفي المساجد³.

هكذا نجد أنه ما إن ظهر الحزب الجديد في 02 مارس 1934م، واستقل عن اللجنة التنفيذية حتى هرع نفر من المهاجرين الجزائريين يُجددون صلاتهم بالحزب، وينخرطون في عضويته، ويتولون مهام إعلامية وتنظيمية في إدارته، فقد برز في هذا المجال أيضاً الجزائري الجباري محمد العيد** (1911-1942)م، الذي أشرف على إدارة جريدة (العمل) اللسان الرسمي للحزب الدستوري الجديد، وعلى رئاسته للشبيبة الدستورية، بالإضافة إلى ما كان يتطوع له وطنياً ومغارياً كتأسيسه لجمعية شباب شمال إفريقيا في سنة 1936م - سنتكلم عن هذا في الفصل الثالث - ورئاسته للجنة إسعاف فلسطين، هذا إلى جانب كتابته لعدد هائل من القصائد والمقالات السياسية، وبسبب هذا النضال المُستमित قبضت عليه السلطات الفرنسية سبع مرات أدخل خلالها السجن لئيفي بعدها في أقسى السجون بالجزائر، كما أُبعد مع تونسيين آخرين إلى قرية (بن قردان) بأقصى الجنوب التونسي،

¹ - حياة كفاح، ج2، ص.242.

² - الذوايدي (رشيد)، حسن النوري (1905-1939)م، ط1. تونس: منشورات محمد بودينة. 1997م. ص.10.

³ - مقابلة شخصية مع الأستاذ رشيد الذوايدي (تونس)، فندق زليتن، زليتن. الجماهيرية الليبية، الثلاثاء 24 جويلية 2001م. الساعة (10:05 إلى 11:30).

* حسن النوري (1905-1939)م، يراجع ترجمته في الملحق 1. رقم 73.

** الجباري (محمد العيد) (1911-1942)م/ يراجع ترجمته في الملحق 1. رقم 15.

الفصل الثاني ----- مساهمات جزائرية في الحياة السياسية

ثم نُفسي لوحده بعدها إلى منفى (برج البوف)، إمعاناً في التنكيل به، وكان آخر عهد الجباري بالسجن في ديسمبر 1939م، عندما أُبعد إلى الجزائر باعتبار أصله الجزائري¹، ولكنه استطاع في هذه المرة أن يفلت من سجنه في الجزائر ويقطع المسافة الفاصلة بينه وبين تونس راجلاً ومنتكراً ووصل إلى تونس وهو في أقصى حالات الإرهاق وقام بجمع تراثه الأدبي لتدوينه، ولم تمض إلا أيام معدودة حتى مات العيد الجباري في تونس في 12 أكتوبر 1942م².

ولا ننسى هنا - فيما يتعلق بقضية الانشقاق - مساهمة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي حضرت في شخص رئيسها عبد الحميد ابن باديس اجتماع الوفاق التمهيدي، حيث يذكر الشيخ الثعالبي في كلمته الحاسمة³ بأنه قد دعا: «...أعضاء الهيأتين للحزب الدستوري إلى اجتماع حُبي يوم 21 جويلية 1937م، فاجتمعوا بمحضر المصلح الجليل علامة الجزائر الشيخ عبد الحميد ابن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكان الاجتماع مُشبعاً بالولاء لا يُعكر صفوه مُعكر، حتى اعتقد الحاضرون أن وشيجة الخلاف قُطعت وعادت الصداقة القديمة إلى مجاريها...».

وفي 5 جويلية 1937م نزل الشيخ الثعالبي بتونس في وقت بلغت فيه سمعة قادة الحزب الدستوري الجديد أوجها، وكان الحبيب بورقيبة يمسك في قبضته 400 من الشعب الحزبية، بخلاف الدستوري القديم، الذي كانت تبدوا عليه علامات التبرجز والتحجر⁴.

وهكذا طرح رجوع الثعالبي مسألة خطيرة مجهول حلها، من الذي سينتفع بسمعته التي اكتسبها باتصالاته بالعالم الإسلامي؟ غير أن الشيخ الثعالبي اتجه عطفه تلقائياً إلى الدستوري القديم - ذي النزعة التقليدية المتدينة - ، وقد حاول أن يُوحد من جديد بين الحزبين تحت قيادتهم، فكان جواب بورقيبة بتحكيم الجماهير الشعبية مما اضطر الشيخ الثعالبي إلى الرجوع على أعقابها واقتصر عمله في دائرة جماعات ضئيلة العدد⁵.

وفي بيانه إلى الشعب التونسي تحدث الشيخ الثعالبي عن أسباب توسطه للخلاف ثم ذكر ما سمعه من أعضاء الديوان السياسي، وما سمعه أيضاً من أعضاء اللجنة التنفيذية.

هناك شيء آخر مهم ذكره أعضاء هذه الهيئة الأخيرة، وإن كان يدخل في باب التلويح بعيداً عن التصريح، حيث جاءت عبارة مهمة تؤكد المنعرج المهم (الخطر)، الذي أخذته الحركة السياسية التونسية.

1 - الجباري، النشاط العلمي، ص.ص (317-320).

2 - المرجع نفسه، ص.322.

3 - Merad (Ali), Ibn badis. Commentateur du coran, S.N.E D, Alger 1971. P.42.

4 - جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، ص.110.

5 - المرجع نفسه، ص.111.

هذا الدور الذي عمل على [تونس]¹ الإطارات المسيرة للحزب الدستوري ومحاولة إنهاء دور غير التونسيين - داخل الأجهزة المهمة في الحركة الوطنية، وبالأخص الجزائريين في المعركة السياسية التونسية - وهو ما سنلمسه في التوجه البورقيبي بعد الخمسينات من القومية والمغربية إلى القطرية الضيقة، والدليل هو أفول كل دور للجزائريين في اللجان العليا وصاحبة القرار في التيارات التونسية²، بعد أن كانوا يمثلون بأكثر من الثلث ويزيد من الأعضاء في كل الهيئات والشعب والمنظمات التونسية، وقد نلمس لهذا التحليل دليلاً بيّناً في بعض ما ذكره أعضاء اللجنة التنفيذية للشيخ الثعالبي عندما توسط للخلاف قائلين - كما جاء في البيان الموجه للشعب التونسي³ - : «وطبيعي أن يجد حراس الاستعمار في استجماع قواهم لمراقبة الحزب من مختلف النواحي والدخول معه في كفاح مستمر ومما يدخل في ذلك القيام بنشر الدعايات المختلفة ضد العاملين وخلق التهم الهازية بهم، فقد رأينا طفيليين عديدين ينفثون تلك السموم القاتلة في المجتمع التونسي ضد الحزب بلا انقطاع، وبعد ما يُلقونه يوماً من أثر فعال في البيئات التونسية المختلفة البعيدة عن الحزب، وكذلك إقصاء العناصر الرشيدة عن الحركة إقصاء تاماً، فقد كانت الحكومة تتعقب العاملين في الحزب داخلاً وخارجاً، وتُبعدهم عن مراكز النشاط والعمل: كما فعلت بالأستاذ توفيق المدني والشيخ إبراهيم اطفيش والشيخ عبد الرحمان اليعلاوي والسيد محمد بن عمار والسيد المكي أبو شامي وإبراهيم الزواوي [وهؤلاء كلهم جزائريون وليس فيهم تونسي..].. وغيرهم من أنجاد القومية التونسية»⁴.

ويؤكد الفاسي معنى التوجه البورقيبي الجديد الذي يتوافق مع الطرح السابق، ذلك أننا نلمسه في هذه العبارة: «..إن الدستور الجديد.. كان يتبنى سياسة ديمقراطية ولائكية، ولم يكن يريد ليقايسها بالقومية العربية والجامعة الإسلامية التي لم تكن لتُحرك فيهم أي شعور..»⁵.

والمعروف عن الحركة الوطنية في تونس هو انقسام جماعة الدستور القديم في شهر ماي 1938م

1 - يراجع: الثعالبي عبد العزيز، " كلمة إلى الشعب التونسي إزاء حملة الصحف الاستعمارية الأثيمة "، الشهاب، ج6، مج13. الجزائر: جمادى الثانية 1356هـ / أوت 1937م. ينظر نصها كاملاً في الملحق II، رقم. 15.

2 - طوال تلك الفترة لم أعر على شخصية جزائرية بارزة في أحد أجهزة القرار بالحزب ماعدا الشيخ الطيب بن عيسى الذي شغل بعد الحرب العالمية الثانية عضوية المجالس العامة لإحدى الشعب الدستورية لينزوي بعدها في العمل الصحفي متخلياً عن أي نشاط سياسي.

3 - الذي تم حرق جميع نسخه، ومُنع تداوله لدى الشعب الدستورية بالإضافة إلى حرق المطبعة التي نشرته، وهذه الحقائق لم يُسمح بمناقشتها إلا في السنوات الأخيرة، كما تغافلت عن ذكرها العديد من الدراسات التاريخية.

4 - يراجع: الثعالبي (عبد العزيز)، الكلمة الحاسمة، تح حسن أحمد جغام، تونس: منشورات دار المعارف للطباعة والنشر 1989م. ص.ص (35-36).

5 - الفاسي، الحركات الاستقلالية، ص.ص (83-84).

الفصل الثاني----- مساهمات جزائرية في الحياة السياسية

إلى قسمين جناح تزعمه الشاذلي خلادي ومنصف المستيري وصالح فرحات* كان لا يريد التضامن مع جماعة الدستوري الجديد وجناح ثاني تزعمه الثعالبي وعلي كاهية** والشاذلي خزندار، وهؤلاء آمنوا بضرورة التضامن مع الدستور الجديد.

وخلال المرحلة السرية للدستوري الجديد بعد سنة 1938م، أوردت المخابرات الفرنسية، أن المكتب السياسي السادس للحزب الذي كان يقوده الحبيب ثامر، كانت له خلال شهر فيفري 1940م «شعب في الجزائر وبخاصة لدى مناضلي حزب الشعب الجزائري»، وقالت نفس المصادر أنه خلال شهري مارس وأفريل عقد الحزب صلات مع مجموعة من الوطنيين الجزائريين في عنابة وقسنطينة - حيث برز فيها الناشط الجزائري صلاح الدين أبو شوشة كمنسق بين الشعب التونسية والجزائرية- وأضافت ذات المصادر قائلة: «إن الأمور اختلطت علينا بين جماعة الدستور والأحزاب الجزائرية، وأن هناك منشوراً مُتداولاً في تونس "لأول مرة" موقعا من طرف مصالي الحاج (1898-1974)م، زعيم حزب الشعب الجزائري».¹

¹ - Ahmed Khaled, Bulletin d'information générale., N :°15, 1940, P.40.

- نقلا عن: بلقاسم محمد، مرجع سابق، ص.279.

- ينظر أيضاً: الطاهر عبد الله، مرجع سابق، ص.66.

* صالح فرحات (1890-1977)م: درس الحقوق وامتحن المحاماة، من الوجوه الدستورية البارزة، وكان على رأس اللجنة التنفيذية للحزب الحر الدستوري في الأربعينات وعاش وفيًا للثعالبي واللجنة التنفيذية للحزب.

- يراجع: خرفي، الشيخ الثعالبي، ص.177. 10/هـ.

** كاهية (علي بن مختار) (1877-1956)م، درس في الزيتونة من مؤسسي الحزب الحر الدستوري وفي منزله صيغت المطالب الثمانية للحزب، كان ملازمًا للثعالبي وصدرت مجلة (الفجر) بامتياز في سنة 1920م، وساهم في تحرير

(الاتحاد)، (الفجر)، (النديم)، (الإرادة)، (النهضة)، (العالم).

ينظر: - خرفي، الشيخ الثعالبي. ، ص.ص (30-31). 09/هـ.

- بن قفصية، مرجع سابق، ص.93.

المبحث الثاني: مساهمة التيارات الجزائرية في الحياة السياسية التونسية:

1. مساهمة حركة الأمير خالد (1919 - 1924) م:

لقد كان الأمير خالد في الجزائر رائداً للتيار القومي- الإصلاحى، ذو الجذور الشعبية العميقة في المدن والريف وهو: « ذاته الجزائري الذي كان يسير في مقدمة الشعب، والذي كان طليعة الانتفاض على الظلم والذل والبؤس، والذي كان يُعتبر شخصية كبيرة من شخصيات الجزائر...»¹.
ويذكر قداش أن الأمير « لم يُشارك في حركة الوطنيين المغاربة المنفيين وقتئذ إلى سويسرا ولا في نشاط اللجنة الإسلامية لاستقلال الجزائر وتونس المنشأة في برلين في شهر جانفي 1916م والتي كان عمه الأمير علي باشا وابن عمه الأمير سعيد وبعض الجزائريين منتمين إليها»²، ورغم ذلك فإنه خلال الحرب العالمية الأولى انغمس في نشاط سري ثوري لتحرير المغرب العربي.

ففي الفترة الممتدة من (1917م إلى 1920م)، كان الشيخ الثعالبي مع الشيخ صالح بن يحيى يعملان ضمن التشكيلات الفدائية السرية التي كان الشيخ الثعالبي يُكوّنها - راجع المبحث الأول -³، وكان الثعالبي العامل بالتنسيق مع هؤلاء المغاربة المهاجرين قد أسس ضمن التشكيلات "جمعية تونس السرية"، وسعى إلى تكوين فروع لها في أنحاء المغرب العربي، وكان من فروعها الجمعية السرية في وادي ميزاب والقرارة التي أنشأها الشيخ صالح بن يحيى في عام 1915م، وكان رئيسها الحاج بكير العنق⁴ ومن أعضائها الشيخ عمر بن يحيى⁵.

ويبدو أن الأمير خالد قد عمل في هذه الجمعية السرية إلى جانب الشيخ الثعالبي حيث كانت "ترمي إلى التزام المنخرط فيها لتنفيذ كل ما تأمره به التشكيلة من قلب نظام الحكم وتخريب المؤسسات، وتحمل مسؤولية القتل والاعتقال إلى آخر ما يعرفه الثوار"⁶.

وفي عام 1917م قام الأمير خالد بخطوة جريئة حين شارك مع إخوانه التونسيين في مؤتمر رابطة حقوق الإنسان بباريس، وطالب بأن يكون للجزائريين والتونسيين تمثيل في البرلمان الفرنسي وفي مجلس الشيوخ، وذلك من دون تخليهم عن هويتهم العربية الإسلامية⁷، وفي نفس الإطار يذهب

¹ - أوزقان، المصدر السابق، ص.99.

² - Kaddache (M), El Emir., P.31.

³ - محمد ناصر، " أبو اليقظان والقضايا الإسلامية والعربية "، الثقافة، عدد27. الجزائر: أوت/سبتمبر. 1974م. ص.ص (89-90).

⁴ - دبورز، هُضة الجزائر. ج2، ص.ص (208-214).

⁵ - المصدر نفسه، ج2، ص.ص (162-207).

⁶ - ناصر، " أبو اليقظان "، الثقافة، عدد23، ص.90.

⁷ - Ageron (Ch.R), Politique coloniale. au Magreb., P.U.F, Paris 1972.

بن العقون إلى أن الأمير خالد كتب رسالة إلى إخوانه التونسيين في شهر فيفري 1920م «وبعد أن أحيهم بعدم جدوى شروط ويلسن.. حثهم على الاعتماد على النفس بالكفاح والمثابرة والجهاد لزمّن طويل.. واقترح عليهم إنشاء حركة سياسية على أن تُسمى الحزب الحر الدستوري التونسي..»¹، وإن صحت هذه الرواية فإن ذلك يُعد مساهمة سياسية كبرى وقفزة نوعية وبادرة مُتميزة من طرف الأمير خالد.

وبعد تأسيس الأمير خالد لهيئة وحدة النواب الجزائريين، قام الشيخ أبو اليقظان بحملة دعائية في تونس قصد المساهمة بالنضال في حزب الأمير خالد، فقد قام بنشر فصول عن حركته في الصحافة التونسية، كجريدة (الصواب) للجعائي، و(مرشد الأمة) لسليمان الجادوي و(الوزير) للجزائري الطيب بن عيسى، تدعوا الجزائريين المهاجرين لدعم ترشح الأمير خالد للمجلس الجزائري وتأييد حركته²، هذه الدعاية كان لها أثر كبير في توجيه الرأي العام السياسي في تونس لصالح القضية الجزائرية وهو ما سيكون له انعكاس إيجابي على الحركة الوطنية التونسية.

ولقد تحدث الشيخ إبراهيم اطفيش العضو البارز في الحزب الحر الدستوري أن الشيخ الثعالبي أرسله ثلاث مرات إلى الأمير خالد في الجزائر ليعرض عليه اتحاد حزبه وحزب الدستور واتباع خطة واحدة في الجهاد، وكان الشيخ الثعالبي أكثر حكمة، وأقوى شخصية وأدهى، فاجتمع في الجزائر العاصمة بالأمير خالد فأبى هذا الأخير إلا أن تُطبق طريقته الصارمة³.

وتتأكد لنا علاقة الأمير بالثعالبي وبالحزب الدستوري، من خلال اطلاعه على أحوال الحركة الوطنية التونسية، وغيرته على الوطنيين التونسيين، من خلال رسالة التوبيخ التي وجهها الأمير إلى المحامي حسن قلاّتي (الجزائري) بعد انشاققه عن الحزب الدستوري وتكوينه للحزب الإصلاحي سنة 1921م، فقد جاء في هذه الرسالة التي نُشرت بجريدة الإقدام بتاريخ 09 محرم 1341هـ - سبتمبر 1922م، كلها لوم وعتاب لشخص حسن قلاّتي، ومما جاء فيها⁴: «لقد تجاوزت والله وقاحتك الحد، وما جزاؤك وسياستك المخادعة إلاّ الصد عنك والبعد، أتريد أن تُدير شؤون التونسيين وأنت لست منهم؟ أم هذا جزاء أولئك الكرام الذين أكرموا مثواك؟ لقد انكشف عنك اليوم الستر، وارتكبتك العار، وبؤت بغضب من التونسيين ومقت من الجزائريين، حَيِّبَ اللهُ سعيك،

1 - المصدر السابق، ج2، ص.150.

2 - حمو النوري، مرجع سابق، ص.362.

3 - المرجع نفسه، ص.ص (363-364).

4 - طالع النص الكامل للمقال في الملحق II. رقم 03.

ووقى الله التونسيين من مكرك وجعل كيدك في نحرك..»¹.

وتذكر وثيقة فرنسية أن العوامل المتجمعة السابقة تُبين العلاقة الوثيقة المتوازنة والمتشابهة بين الأهداف التونسية والجزائرية خلال هذه الفترة، مما يُوحى بوجود نوع من الاتفاق المُضمر، حيث تبين أن مطالبها تبدأ على مراحل.

المرحلة الأولى تبدأ بالحصول على المساواة للجنسين، وحالما يتحقق هذا المطلب تُطالب هذه الأحزاب الوطنية في المرحلة الثانية بمنح الأهالي للمناصب الإدارية وهذه عقيدة الشبان التونسيين والجزائريين، أما في المرحلة الثالثة فتأتي فكرة المطالبة بالاستقلال الكامل².

فقد سبق للأمير خالد أن طالب بتقرير مصير الجزائر سنة 1919م، وفي نفس الوقت طالب الشيخ الثعالبي لتونس بالاستقلال، غير أن كلا الرجلين وفي نفس الوقت تقريباً تراجع مرحلياً عن مبدأ المطالبة بالاستقلال إثر خيبة الأمل في مؤتمر فرساي، ونظراً لظروف ما بعد الحرب اتجه الأمير خالد إلى المطالبة بإصلاحات سياسية واجتماعية في إطار المحافظة على الأحوال الشخصية الإسلامية، وكذلك فعل الشيخ الثعالبي في برنامج الحزب الدستوري.

والمصادفة الغريبة هو توافق فترة نفيهما، فقد خرج الشيخ الثعالبي من تونس في 26 جويلية 1923م وبعد أربعة أيام من ذلك (أي في 30 جويلية)، صرّح الأمير خالد لزملائه أنه «..لا يستطيع العيش في الجزائر»³، ليتعرض بعد ذلك للنفي من طرف الحاكم العام الفرنسي (ستيف) بفترة قليلة.

ومن جهة أخرى تؤكد الوثائق الفرنسية أن علاقات كانت موجودة بين أولئك الجزائريين المنضويين في تيار الأمير خالد والعناصر الجزائرية المتواجدة بتونس والمتعاطفين مع الحركة الدستورية، ويتجلى ذلك من خلال احتجاجات جريدة "الإقدام"، ضد ما قامت به السلطات الفرنسية من منع الصحف التونسية من الدخول إلى الجزائر⁴.

وكانت جريدة الإقدام تتبنى نزعة إصلاحية وطنية وتُلاقى الابتهاج، والثناء من مختلف الصحف الوطنية التونسية⁵.

وبعد فوز اليساريين بالحكم في فرنسا سُمح للأمير خالد بالعودة إلى فرنسا، وهناك أُتيح له الاتصال بالوطنيين الجزائريين والمراكشيين والتونسيين فغرس فيهم فكرة العمل المشترك بين أجزاء

¹ - Kaddache, L'Emir., P. P (140 -147).

² - بلقاسم محمد، مرجع سابق، ص.106.

³ - Ageron, Histoire de l'Algérie., T_{II}, P.288.

⁴ - بلقاسم محمد، مرجع سابق، ص.107.

⁵ - الجابري (محمد الصالح)، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، بيروت: دار الغرب الإسلامي. 1990م. ص.ص (196-197).

الفصل الثاني ----- مساهمات جزائرية في الحياة السياسية

المغرب، واشترك الأمير خالد في أول مؤتمر مغربي من نوعه انعقد في باريس يوم 7 ديسمبر 1924م للنظر في أحوال المغرب العربي السياسية والاقتصادية والثقافية.

وكان من أعماله إرسال برقية تأييد للشعبين المصري والتونسي¹، وبهذا تعتبر منظمة نجم شمال إفريقيا من بنات أفكار خالد، وهذا على رأي عمار أوزقان²، حيث استفادت هذه المنظمة من «سطوة الأمير خالد، كما استفادت من مواقفه الشخصية ومساعدته غير المشروطة»³، ولقد لقي الأمير خلال هذا المؤتمر استقبالا كبيرا من طرف أبناء المغرب العربي، الذين كانوا يرفعون شعار «عاشت إفريقيا الشمالية حرة مستقلة»⁴.

وبهذا يُعتبر الأمير خالد هو جامع الطاقات الجديدة في المغرب العربي المحتل، لذا فهو وسيط الاستعادة التاريخية الحبلى بالمسائل، التي لا تزال في بعض جوانبها مسائلنا نحن»⁵.

فلقد اعتبرته إحدى الجرائد الإيطالية سنة 1922م «الرجل الأكثر أهمية في العالم الإسلامي الشمال الإفريقي، وهو يقود الحركة الوطنية في الجزائر وتونس والمغرب الأقصى»⁶.

ويذكر محمد البجاوي: «أن اجتماعاً آخر سبق الاجتماع العام المنعقد في 7 ديسمبر 1924م - السالف الذكر - عُقد بقاعة المهندسين المدنيين (نهج فلانتين) في 12 جويلية 1924 تناول الكلمة في هذا التجمع المغربي الأمير خالد، وحسب شهادات المناضلين المغاربة الذين حضروا هذا التجمع أن توصيات سرية أعطيت لهم من طرف الأمير خالد، تمثلت في كلمة السر (mot d'ordre)، وهي استقلال شمال إفريقيا»⁷.

3. مساهمة نجم شمال إفريقيا (1926 - 1937) م:

في 20 مارس 1926م، تقرر إنشاء حزب يضم قادة المغرب العربي الذين يُناضلون ضد الإمبريالية والاستعمار، وانطلاقاً من هذه الفكرة تأسس حزب نجم شمال إفريقيا⁸، بصفة رسمية

¹ - بن العقون، المصدر السابق، ج1، ص.83.

² - أوزقان، المصدر السابق، ص.116.

³ - بوصفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى، الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1998م، ص.224.

⁴ - عباس فرحات، المصدر السابق، ص.162.

- يراجع أيضاً: العسلي (بسام)، الأمير خالد الهاشمي الجزائري، ط2. بيروت: دار النفائس، 1984م. ص.161.

⁵ - جغلول، الاستعمار والصراعات الثقافية، ص.213.

⁶ - Kaddache, L'Emir., P.P(129-133).

⁷ - Vérités sur la Révolution Algérienne, Ed Gallimard, Paris 1970. P.P(20-25).

⁸ - أوزقان، المصدر السابق، ص.101.

يوم 15 جوان 1926م بباريس¹.

ومن الناحية النظرية كان رئيس الحزب هو الشاذلي خير الله، ولكن من الناحية العملية كان الحاج علي عبد القادر الجزائري هو الرئيس الحقيقي للحزب، ومصالي الحاج الأمين العام، وشبيلة الجيلالي أمين المال، وعندما قامت فرنسا بطرد الشاذلي خير الله من فرنسا يوم 27 ديسمبر 1927م أصبحت قيادة الحزب جزائرية².

وقد أكد السيد بلغول أن نجمة الشمال الإفريقي لم تكن صدفة، وإنما اختياراً وامتداداً لمجد الجد الأكبر (الأمير عبد القادر) « لتوحيد شمال إفريقيا من المحيط الأطلسي إلى قناة السويس، فقد كان الأمير محلّ تمجيد وثناء من طرف أعضاء النجم ويعتبرونه رمزاً من رموز المقاومة المغاربية ضد الاستعمار»³.

ويذكر توفيق المدني في مذكراته أنه أثناء لقائه بباريس عضواً في الوفد الثالث للحزب الدستوري في باريس، أن السيدين عبد القادر حاج علي وأحمد مصالي قد اتصلا به في ديسمبر 1925م، وتحدثا معه عن عزمهما عن إعلان عن حركة سياسية استقلالية وطنية تحت اسم «نجم شمال إفريقيا» وطلبا منه تحديد موعد مع وفد الحزب الدستوري، غير أن أعضاء الوفد رفضوا العمل مع النجم اعتقاداً منهم أنه حركة شيوعية⁴.

لقد عملت حركة النجمة وفق إطار مغاربي، لهذا نجدها تقوم بتوزيع عدة منشورات في تونس باسم «اللجنة المركزية لتحرير شمال إفريقيا»، وذلك بعد تأسيسها مباشرة، ودعت المنشورات الشعب التونسي لتوحيد القوى ضد العدو المشترك ونادت بسقوط الاستعمار الفرنسي وباستقلال شمال إفريقيا...»⁵.

وكان من أهم شعارات النجم التي تتردد في تجمعاته وعرائضه، وتُختم بها مطالبه ونداءاته

¹ - وللإطلاع على نظامها الأساسي ومبادئها وأهدافها يراجع:

- S.M.N, Dossier, E.N.A, (par chedly Khairallah), B.B.33.3, Doc. N:°02, C.D.N.T. M.I. «Statues du l'E.N.A, adapté par l'assemblée du 20 / 06 / 1926 ».

- Guenache (M), le mouvement d'indépendance en Algérie entre les deux guerres, E.N.L, Alger 1990. P.P(40 – 41).

² - Ageron, Histoire de l'Algérie., TII. P.350.

³ - Kaddache, L'Emir., P.P (181-189).

⁴ - حياة كفاح. ، ج2، ص.ص (132-135).

⁵ - L'ikdam Nord Africain , Juin / Juillet. 1927

- الخطيب (أحمد)، حزب الشعب الجزائري جذوره التاريخية والوطنية ونشاطه السياسي والاجتماعي، ج1- الجزائر: م.و.ك، 1986م، ص.172.

شعار عاش استقلال شمال إفريقيا - عاشت شمال إفريقيا حرة، وهو الموقف ذاته الذي تبناه مصالي الحاج في التجمعات والمهرجانات الدولية ويُردده كبنده مهم من بنود الجمعية، وكانت له مواقف عدة من قضايا شمال إفريقيا المتنوعة¹، فحتى البطاقات التضامنية التي كان يُوزعها الحزب على مناضليه من أجل جمع التبرعات المالية كان يُجدد فيها مطلبه المغاربي، وجاء في نشيده الوطني:

فداء الجزائر روجي ومالي ❁ ألا في سبيل الحرية
ألا في سبيل الاستقلال ❁ حياة شمال إفريقية

وجاء في مذكرات مصالي أن العمال المغاربة أحجموا بادئ الأمر في الانخراط كونهم تخوفوا من السيطرة الشيوعية عليه ويقول في ذلك: «لقد اعتبرونا من أعضاء النقابات، وكانوا يخلطون بيننا وبين الشيوعيين...»²، ومن فكرة التأسيس هذه نستطيع أن نقول بأن من أهم عوامل نشأة النجم هو وجود إرادة جزائرية تمثلت في رغبة الأغلبية الساحقة من العمال الجزائريين بإنشاء منظمة وطنية مستقلة تضع في رأس اهتماماتها تحرير المغرب العربي من الاستعمار.

«حقًا لقد كان مصالي الحاج هو الروح المحركة للنجم»³، الذي ضمّ إليه العمال التونسيين كما ضمت المراكشيين وتركز معظم نشاط هذه الحركة في بدايتها بين العمال المغاربة الذين يخدمون في المنطقة الباريسية قصد الدفاع عن المصالح المادية والمعنوية والاجتماعية للمسلمين المغاربة، ولتعليم أعضاء الجمعية وتثقيفهم، وبلغ عدد أعضائها أربعة آلاف في عام 1929م، وزادت من نشاطها واستخدمت المنشورات والصحف وقدمت المحاضرات واحتفظت بالطابع العمالي الثوري في نضالها⁴، وربطًا للحديث بإمكاننا عن طريق المقارنة أن نُدرك الجهد الذي بذلته الروح المحركة للنجم (مصالي) وكذا عمق التأثير والتواصل الذي أحدثه بنضاله الثوري والمغاربي عن طريق تجمعاته وجمعياته العامة وصحفه ومنشوراته في الوطنيين المغاربة الذين سيُشكلون فيما بعد مادة مؤهلة للقيادة والنضال الوطني في أقطارهم.

ولما انعقد مؤتمر بروكسل بين 10 و15 فبراير 1927م⁵، اغتنمت جمعية النجم هذه الفرصة

¹ - المرجع نفسه.

² - Les Mémoires de Messali Hadj, Ed. j.e. lattes, Paris 1982. P.153.

- ينظر أيضًا:

- Messali (Hadj), le Problème Algérien. Ap pel aux nations vines. Imp du château d'eau. Paris S.D. P.143.

³ - عباس فرحات، المصدر السابق، ص. 162.

⁴ - جلال يحيى، العالم العربي، ص.ص (672-673).

⁵ - El Ouma, N:°58. Algérie Dec. 1937.

⁵ - لتفاصيل أكثر طالع:

الفصل الثاني ----- مساهمات جزائرية في الحياة السياسية

فأوفدت إلى المؤتمر مصالي الحاج والشاذلي خير الله.. «كان ممثلاً للحزب الدستوري» الذي قدّم المطالب التونسية فقط، نقيض مصالي الذي قدّم مطالب المغاربة جملة¹، وبالمناسبة أقامت جمعية النجم تجمّعاً شعبياً عرض فيه ممثلوها ما قاموا به من نشاط في هذا المؤتمر²، وجاء على لسان مصالي الحاج عقب مشاركته في هذا المؤتمر - الذي اجتمع فيه الضعفاء يُنددوا بالأقوياء - «إننا قد عرفنا الرأي العام العالمي ببرنامج الاستقلال السياسي وبوحدة شمال إفريقيا»³، ثم لم يلبث أن أدرجت هذه العبارة في نفس السنة في القوانين الأساسية، إذ أصبحت المادة الثالثة تنص على أنه «من أهداف الجمعية الأساسية، تنظيم الكفاح من أجل استقلال بلدان إفريقيا الشمالية الثلاثة»⁴.

بينما تنص المادة السادسة بأن الجمعية تعلن: «..بأنها تُساند المطالب الديمقراطية المقدمة من كافة المنظمات الشمال إفريقية، في حدود التقاء هذه المطالب مع الأهداف المعلنة للجمعية»⁵.

ومن أبرز مظاهر مساهمات النجم في الحياة التونسية هي تلك المنشورات والجرائد التي يصدرها تبعاً، وتوزع سراً وعلانية في تونس والأدهى من ذلك، أنها فتحت أعمدها لكتاب تونسيين فكانت متنفساً لهم وللمطالبهم حيث كانت أولى جرائد النجم هي الإقدام الباريسي التي تم تعويضها بجريدة إقدام الشمال الإفريقي تأكيداً منه على تحقيق مطلبه المغاربي الوجودي المدوّن في مواده الأساسية.

فقد دعت في أحد أعدادها إلى: «استقلال البلدان المغاربية الثلاثة» قائلة: «إن استقلال بلد من هذه البلدان لا يتم إلا بمؤازرة البلدين الآخرين له.. فمن الواجب إذن توحيد جهود الحركات لاستقلال البلدان الثلاث»⁶.

كما صدرت الإقدام للمرة الثالثة بعنوان "إقدام نجم الشمال الإفريقي" فيما بين ديسمبر 1927م وجويلية 1928م⁷، أي بعد أن أصبح النجم في مكتبه جزائرياً بالكامل وانسحاب التونسيين والمراكشيين منه وكانت في هذه الفترة تسحب حوالي 3000 نسخة، وكانت توزع على المغاربة في فرنسا وبلدان المغرب العربي⁸.

¹ - Guenanche , le mouvement , P.42.

² - المرجع نفسه، ص.45.

³ - Le mémoire de Messali, P.158.

⁴ - Guenanche, le mouvement , P.48.

⁵ - المرجع نفسه، ص.ص(48-49).

-Dossier. E.N.A, B3.33. Doc.2, C.D.N.T, M.I.

- يراجع أيضاً:

⁶ - Kaddache, histoire ,T1 , P.197.

⁷ - Ageron, Histoire de l'Algérie ,T1.P.356.

⁸ - Guenanche, le mouvement , P.39.

ويعود هذا النجاح والانتشار في توزيعها إلى لجان "أحباب الإقدام"، التي أسسها مكتب النجم، والتي كان لها فروع في تونس، ويتبين ذلك من خلال إحدى منشوراتها الدعائية التي وزعها تونسيون من أحبابها، جاء في هذا المنشور: «إن جميع المغاربة يُمكنهم من غير تحفظ الدفاع عن مصالح بلادهم المبنية على الوطنية الصادقة، من خلال جريدة الإقدام»، ولكي يُطمئنوا أحباب الإقدام من التونسيين ذكرهم هذا المنشور «إن الجريدة ليس لها أي ارتباط بأي حزب سياسي سوى حزب الاستقلال الوطني الثوري، الذي يُعبّر عن أغلبية الشعب التونسي»¹، وقد كانت الجريدة تصل إلى تونس بانتظام حتى ضاقت بها الإقامة العامة ومنعتها من الدخول بقرار وزاري بتاريخ 28 ماي 1927م². وهنا يبرز أكثر مدى تعلق التونسيين بهذه الجريدة وتبنيهم لكل أفكارها، حيث يتبين من خلال لهجة القرار الوزاري مدى تغلغل أفكار جريدة الإقدام في أوساط التونسيين.

وخلال سنة 1928م نشر النجم بياناً في جريدة الإقدام (عدد جوان-جويلية) تحت عنوان «من أجل استقلال إفريقيا الشمالية» ولقد طالب هذا البيان جميع أهالي إفريقيا الشمالية أن يُنشئوا «جبهة واحدة معادية للإمبريالية»، ولكنه هاجم حزب الدستور التونسي على سياسة الصمت التي هي بعيدة كل البعد عن خدمة القضية الوطنية والتي تُشجع الإمبريالية على هجومها ضد التونسيين³، وبناءً على هذا البيان فإن الحزب الوطني التونسي قد التجأ إلى الصمت منذ سنة 1925م، ولكن هذا الموقف لم يُفشل النجم الذي سيواصل، حسب وعد البيان جهوده لخلق حزب وطني جماهيري للحصول على استقلال تونس، وهو ما ستؤكد الأحداث فيما بعد، فنظرة سطحية على تشكيلة الدستور الجديد نجد أن أغلبهم قد أخذوا قسطاً وافراً من التأطير والتسيير داخل هياكل وشعب النجم في فرنسا كأحمد بن ميلاد والحبيب بورقيبة والحبيب ثامر والهادي نويرة وعلي البلهوان، والطيب الجميل سلمان بن سليمان وإن صح هذا التحليل فإن النجم يكون قد وفى بوعدده.

ويلاحظ على جميع منشورات النجم (كمنشورات 10 جويلية 1926م)⁴، أنها كانت تتضمن في محتوياتها الدعوة الصريحة إلى ضرورة الوحدة المغاربية ومُتطلباتها، كما أنها اهتمت أكثر بمعالجة قضايا أقطار الشمال الإفريقي بما فيها تونس، فكانت هذه المنشورات إلى جانب الصحافة تعكس نشاطات النجم ومواقفه من القضايا المُستجدة على الساحة التونسية.

1 - المرجع نفسه، ص.ص(39-40)

2 - المرجع نفسه، ص.40.

3 - سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، ص.404.

4 - Kaddache, Histoire, T₂, P.P(195-196).

ويعتبر الكتاب الفرنسيين (خاصة) النجم هو أول من نادى بفكرة وحدة المغرب العربي بداية من ولادته سنة 1926م، فهذا الطرح لا يُفيدنا بطبيعة البعد المغاربي للنجم بقدر ما يفيدنا بوجهة نظر هؤلاء الكتاب الذين يجزمون أن النجم جمعية جزائرية بعناصرها الجزائرية ومناضليها وقد ذكر بعضهم أنها لم تكن "مغاربية" إلا بالاسم لأنهما مؤسسة أصلاً من الجزائريين.

فنحن وإن كانت تُفيدنا هذه الآراء في تدعيم فكرة هذه الدراسة بخصوص الدور الكبير الذي قامت به العناصر الجزائرية في وضع اللبنة الأولى لقواعد المغربي العربي إلا أنه ما يهمنا أكثر هو اتجاهها التوحيدي وتعلق مناضليها بفكرة الوحدة المغاربية والدفاع عن مصالح إخوانهم في أقطار هذا الاتحاد.

فرغم الطابع المغاربي الذي أضفاه مؤسسوا النجم منذ البداية على هذه الهيئة، إلا أن العناصر التونسية والمراكشية شككت في نوايا هذه الهيئة، فكما يقول مصالي في مذكراته: «إن المراكشيين لم يكونوا يريدون الانضمام إلى جمعية النجم دون رضا "سيدنا" (أي مولاي يوسف)، أما بعض أعضاء الدستور بتونس ومنهم محي الدين القليبي فقد اشتبهوا في أمر الجمعية واعتبروها شيوعية...»¹.

فمحي الدين القليبي وفي رسائل عديدة إلى خير الله (ممثل الدستوريين في باريس في الفترة 1827-1928)م أنكر على هذا الأخير انضمامه إلى جمعية النجم، وحذره من خطر ضياع شخصيته السياسية التي هي شخصية الحزب².

ورغم ذلك فإن أعضاء النجم الأوائل (وكان أغلبهم عناصر جزائرية)، ولتأكيد روح التواصل بينهم وبين التونسيين، نصبوا التونسي الشاذلي خير الله رئيساً للنجم³.

والواقع أن النجم عمل بكل ما أوتي من قوة لجذب هذه العناصر إلى صفوفه ومما هو متعارف عليه في الدراسات التاريخية النظرية هو أن طبيعة النظام الاستعماري المفروض في البلدان الثلاثة، هو الذي أدى إلى انسحاب العناصر التونسية والمراكشية أو لثقل حال دون استمرارهم في العمل داخل إطار النجم، فالجزائر مستعمرة من نوع خاص وواقعها أكثر تعقيداً مما هو في قُطريهما.

غير أنه على الأقل يبدو جلياً، أن نتساءل هل صحيح أن أسباب الانسحاب هو تعقيد مشكلة الجزائر فقط!! أم أن هناك دوافع أخرى خفية أكثر تبريراً لانسحابهم؟ وإذا كان كذلك ((تعقد مشكلة الجزائر))، فهل هذا يعني أنهم كانوا قصيري النظر وأكثر

¹ - Le mémoire de Messali., P.155.

² - مناصرة، الحزب الحر.، ص.285.

³ - Le mémoire de Messali., P.155. - Messali, le problème Algérie., P.165.

سطحية في معالجة القضايا واتخاذ المواقف!!؟ قبل تأسيس النجم، أي أنهم لم يكونوا واعين لهذه المشكلة أو بمعنى آخر أنهم لم يدركوا هذه الحقيقة الكبرى إلا بعد النضال المشترك الذي دام سنوات!! .

الشيء الأكيد أن السبب الخفي الذي دفع بهم إلى الانسحاب كان أقوى من ذلك وهو ما ذكره الفيلسوف الجزائري مالك بن نبي؛ ذلك أن غلبة التيار البربري «والأمثلة العديدة» داخل المناضلين الجزائريين، والذين أضحووا يطالبون - بسبب أغلبيتهم - انطلاقاً من البعد العرقي، وهو ما يخشاه مناضلو القطرين، الذين كانت دعوتهم عربية إسلامية خالصة ولم يكن بمقدورهم التورط في هذه الإشكالية، حتى لا يفتحوا مجالاً للاستعمار يُمكنه من ضرب المقومات العربية، وهو ما يعني أيضاً أن الاستعمار كان وراء القضية، وبالتالي يُعد سبباً آخر في الانسحاب.¹

كما اهتم النجم بالعمال اهتم أيضاً بالطلبة المغاربة، فقد لاحظت الشرطة الفرنسية حضور نفر من الطلبة في جمعية النجم العامة المنعقدة بتاريخ (18 نوفمبر 1927م) وكان النجم قد أقام لهم وليمة قبل ذلك في جويلية 1926²، ومن الذين حضروها مصالي الحاج والشاذلي خير الله والطالب الحبيب بورقيبة، وبناءً على بعض الكتابات فإن جمعية النجم أنشأت حركة طلابية لجميع المغاربة الذين يُواصلون دراستهم في فرنسا في نوفمبر أو ديسمبر 1927م - سميت بجمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين - كوّن اثنين من كتابها كانا قد انتميا إليها وهما أحمد بن ميلاد التونسي وأحمد كسوس الجزائري.

لكن الدور الطلابي لا نلمسه إلا خلال الثلاثينيات عندما وطد بعض الطلاب صلاتهم مع إدارة النجم فقد ساهموا في التحرير بجريدة "الأمة" ونذكر منهم الطالب أحمد بن ميلاد الذي كانت

1 - وهو ما أكدته الأحداث فيما بعد، حيث بادر الاستعمار إلى خلق مشكلة الظهر البربري في نهاية العشرينات، والتي خلقت حساسية كبيرة لدى الوطنيين المغاربة.. وخصوصاً التونسيين الذين يعملون على الارتباط بالاتجاه العروبي المشرقي إضافة إلى أن العنصر الأمازيغي لا يشكل في تونس إلا قلة ضئيلة 1% من جملة تعداد السكان.
- طالع: معريش (محمد العربي)، "مالك بن نبي والاتجاه الحضاري في الحركة الوطنية بين الحربين (1920-1938)م"، الثقافة، عدد 85. الجزائر: جانفي/فيفري 1985م. ص. 211.
- العقاد (صلاح)، الجزائر المعاصرة، مصر: مطبعة الرسالة، 1964م، ص.ص (37-38).

² - Guenanche, le mouvement., P.38.

*أحمد بن ميلاد التونسي (1902م): سّماه الثعالبي بالنايعة، من رموز الحركة الوطنية التونسية، درس في معهد كارنو، ثم انتقل إلى باريس سنة 1927م، التحق بكلية الحقوق وتخرج منها سنة 1933م، من المؤسسين الأوائل لجمعية ط.ش.ا.م بفرنسا، انتدب للحزب الاشتراكي، وإليه يعود الفضل في حفظ الإرث الفكري للشيخ الثعالبي، أسس مدرسة تربية لخدمة الأطفال البُساء، لديه عدة مؤلفات طبية واقتصادية وتاريخية، ساهم في تحرير عدة صحف منها: المستقبل الاشتراكي، تونس الجديدة، اللواء التونسي، الإرادة.

- ينظر: خرفي، الشيخ الثعالبي، ص.ص (337-339). ه/10.

الفصل الثاني ----- مساهمات جزائرية في الحياة السياسية

مساهمته هو وباقي الطلاب وفق إيديولوجية النجم وقد كان تدعيمهم مهماً في هذا الجانب في وقت خرج مرت به جريدة الأمة، ومعلوم أن بن ميلاد كان يُوقع مقالاته فيها باسم زعموم¹.

كما أن هؤلاء الطلبة التونسيين وإلى جانب إخوانهم الجزائريين قد ساهموا في بعث النجم الجديد تحت اسم نجم شمال إفريقيا المجيد سنة 1933م، نذكر منهم الهادي نويرة، وسليمان بن سليمان²، وأصبحت اجتماعات النجم بدايةً من هذه الفترة لا تخلوا من تواجدهم - حيث لوحظت تدخلاتهم في اجتماعاته - كتدخلات أحمد بن ميلاد في الوليمة التي أقامها النجم في جوان 1933م.

وفي مؤتمر طلبة شمال إفريقيا المسلمين، تدخل في اختتامه مصالي الحاج، الذي ندد بالمؤتمر الأفخارستي الذي أقيم بتونس واعتبروه استفزازاً حقيقياً ضد الإسلام³.

وفي سبتمبر 1934م وقعت حوادث تونس، وذلك بحل الحزب الحر الدستوري و اعتقال قاداته ونفيهم إلى (برج لوبوف)⁴، وبهذه المناسبة ذهبت لجنة من النجم إلى مختلف الكتل اليسارية في البرلمان الفرنسي، تطلب منهم التدخل لتحرير القادة التونسيين ونظمت تجمعات للاحتجاج ضد القمع والضغط، وكونت لجنة لجمع المال لإعانتهم والدفاع عنهم حيث قدر أحد المبالغ المتبرع بها 265 فرنك فرنسي⁵.

وكتيجة أخرى لحوادث تونس اعتقل مصالي الحاج بتهمة إعادة جمعية محلة في 01 نوفمبر إلى جانب عمار عيماش و بلقاسم راجف، حيث حُكم عليهم في الخامس منه بستة أشهر سجنًا⁶.

أما التأييد المعنوي فقد عبرت عنه جريدة الأمة مرات عديدة بلسان النجم، فبشأن مساندة التونسيين بالذات، صرحت الأمة بأها: «تعاقد نشاط الحزب الدستوري المقدم الذي يناضل لتحرير الشعب التونسي..»⁷، و في مطلع 1935م مثل عمّار خيذر عمال شمال إفريقيا في المؤتمر العالمي بجنيف، وفي 14 جويلية 1935م شارك النجم بعشرة آلاف من الجزائريين و التونسيين في تجمع

1 - المرجع نفسه، ص.ص(38-40).

2 - للتوسع يراجع: S.M.N. Dossier, Sliman Ben Sliman. B2. 21. Doc. N:°02. S.D.N.T. M.I.

- «Notice, individuelle concernent, Sliman Ben Sliman».

3 - الفاسي، الحركات الاستقلالية، ص.ص(15-16).

4 - المصدر نفسه.

5 - في حديث لبانون آكلي مع زوزو. - يراجع: زوزو، مرجع سابق، ص.150.

- وينظر أيضاً: EL Ouma, N:°36, Algérie, Dec 1935.

6 - Guenanche, le mouvement., P.P (39-40).

- يراجع أيضاً: غليسي، مرجع سابق، ص.ص(57-59). - جلال يحي، العالم العربي، ص.674.

7 - Guenanche, le mouvement., P.65.

الفصل الثاني ----- مساهمات جزائرية في الحياة السياسية

أحزاب اليسار الفرنسي. بمناسبة العيد الوطني لتحتيم سجن الباستيل، وبمناسبة انعقاد المؤتمر الإسلامي الأوروبي في سبتمبر 1935م بجنيف، شارك مصالي الحاج باسم شعوب شمال إفريقيا حيث صور حالة المسلمين بها¹.

وكان أبرز مثال على التنسيق في العمل بين النجميين و التونسيين، قد تمثل في خطة المطالب الفورية التي قدمت إلى الجبهة الشعبية بتاريخ فيفري 1936م، حيث تمكن الطرفان من اتخاذ موقف موحد²، وقد شارك في صياغة هذه المطالب إلى جانب النجم لجتان يبدوا أنهما من صنع النجم هما لجنة الدفاع عن المصالح المغربية (مراكشية)، وأخرى عن المصالح التونسية. ورغم جهلنا بظروف تأسيس هذين اللجنتين إلا أنه وحسب إحدى الوثائق الأرشيفية تكون لجنة الدفاع عن الحريات بتونس تحت قيادة سليمان بن سليمان و الهادي نويرة، وهما من الحزب الدستوري الجديد³.

ومن بين هذه المطالب التي دعا إليها النجم :

- إزالة اللجان المالية في الجزائر، و المجلس الكبرى في تونس و تعويضها :

- بجمعية تمثيلية منتخبة بالاقتراع العام.

- بلديات منتخبة.

- بفصل السلطات التشريعية - التنفيذية - القضائية .

- بإلغاء المناطق العسكرية في الجنوب التونسي والجزائري وتعويضهما بإدارة مدنية⁴.

وفي شهر فيفري 1937م، و بعد حل النجم قرّر الحزب الذي كان يعمل باسم «أحباب الأمة أن يبعث وفداً إلى تونس لإطلاع الرأي العام التونسي على الحالة بالجزائر، وليبحث مع رجال الحزب الدستوري وسائل العمل الموحد في مختلف المجالات على نطاق الحزب ومنظمات الشباب والثقافة وإرساء لبنة المغرب العربي⁵، وسافر الوفد⁶، محتفياً حيث وصل تونس ليلة العيد الأضحى، وكان الشعب التونسي يعيش مجاعة لا مثيل لها، و شارك في عدة مهرجانات و قدم مساهمة الحزب

¹ - المرجع نفسه، ص.ص(66-67).

² - زوزو، مرجع سابق، ص.150.

³ - Dossier, E.N.A, B.3.33, DOC2, S.D.N.T.(MI).

⁴ - لأكثر تفاصيل يراجع:

-kaddache. (M), et Geunaneche (M), l'étoile Nord-Africaine(1926-1937). O.P.U. Alger 1984. P.P(70-71).

⁵ - Guenanche, le mouvement., P.80.

⁶ - وضم الوفد (مفدي زكريا - محمد قنانش - عبد القادر هرقة - الحسين لحول - عبد الرحمان بن العقون..).

فيها كالتقارب الذي حدث بين طلبة الصادقية والزيتونة، وفي إحداها ألقى مفدي زكريا قصيدته الشهيرة :

تونس اليوم والجزائر والمغرب ❁ شعب لن يستطيع انفصلاً
لحمة أحكم الإله سداها ❁ من يرد قطعها أراد محالاً¹

وفي إطار عمله السري دائماً لبّي رجال النجم دعوة الأمير شكيب أرسلان في 21 فيفري 1937م من أجل توحيد الحركات المغاربية وتقاربها، واجتمع في باريس كل من مصالي الحاج والفضيل الورتلاني* عن جمعية العلماء والسعيد الساحلي والحبيب بورقيبة عن الحركة الوطنية التونسية²، كما أن هذا اللقاء حضره شكيب أرسلان الذي كانت غايته أيضاً توحيد الحزبين الدستوريين في تونس.

لعل الخلاف في الرأي بين الدستوريين والنجميين، حول طريقة العمل كان من جملة الأسباب التي جعلت الجزائريين يؤسسون حزب الشعب الجزائري، ويوجهون جل اهتمامهم إلى الجزائر خاصة، ومع ذلك لم يعتمد حزب الشعب الجزائري إلى تغيير موقفه كليا مع التونسيين³، وهو ما سنتطرق له في المطلب الموالي.

4. مساهمة حزب الشعب الجزائري (1937 - 1939)م:

إن مصالي الحاج بعد تأسيسه لحزب الشعب الجزائري وثق اتصالاته مع زعماء الحركة القومية في تونس حيث طالب بتحقيق الشخصية المغاربية العربية الإسلامية⁴، نقيض ما ذهب إليه جوليان من أن مصالي « قد قام بتحويل نجم شمال إفريقيا من بعده المغاربي إلى النطاق الجزائري، وذلك على غرار الحزب الحر الدستوري والعمل المغربي...»⁵، حيث يذكر محمد حربي أنه كان لحزب الشعب الجزائري فروع تونسية، وكان ينشط في صفوفه تونسيون، ولم يكن يخضع أبداً في توزيع مناصب المسؤولية داخل أجهزته التنفيذية انطلاقاً من تحديد جنسيتهم⁶.

¹ - Guenanche, le mouvement., P.81

- طالعتها أيضاً في:

- الشباب التونسية، عدد 1937/4/5م. والعدد 1937/4/7م.

² - Ageron, Histoire de l'Algérie. ,TII. P.356.

- El Ouma, N:° 61, Algérie 11 mars 1938

³ - طالعتها في جريدة:

⁴ - Les mémoires de messali. , P.240.

⁵ - جوليان، إفريقيا الشمالية تسير. ، ص.143.

⁶ - م.د.و.ع، وحدة المغرب العربي. ، ص.76.

*الفضيل الورتلاني (1900-1959)م. يراجع ترجمته في الملحق I. رقم.75.

ويذكر علال الفاسي* من أن هذا الحزب قد «ولد من ظروف عصبية.. واستمد نظام الأساسي من حزبي الدستور والحزب الوطني المراكشي.. كما كان لرئيسه اتصال كبير بإخوانه في مراكش وتونس...»¹.

حيث دعا حزب الشعب مباشرة بعد تأسيسه إلى ضرورة تكوين «جبهة موحدة من التونسيين والجزائريين والمراكشيين للنضال ضد الجبهة الإمبريالية..»² وقد لبث الأحزاب المغاربية هذه الدعوة إذ اقترنت خلال شهر جويلية 1937م، في لقاء جمعهم وقوى تضامنهم³.

و حين عاد الزعيم الثعالبي، قام الحزب بتهنئة تونس بهذه العودة المباركة التي سترأب الصدع الذي حدث في صفوف الحركة الوطنية، كما ألقى العضو البارز في حزب الشعب مفدي زكريا قصيدته بعنوان له دلالاته السياسية البعيدة (الشمال الإفريقي يتحد..) وفيها يقول :

أيها الشعب والتهاني توالي	✽	والمسرّات يتضمن عقوداً
يا زعيم الشمال والشرق يا من	✽	ملاً الشرق والشمال جهوداً
إن الشعب الجزائري اليوم قد جاء	✽	يهنئ لواءك المعقوداً
ويُحييك باسمه (حزب الشعب)	✽	في المبادئ قد كان منك وليداً ⁴

ولقد ظلّ زكريا وفياً لمبادئه الوحدوية حتى آخر أيام حياته لم يزد تنكر بعض ذوي القربى إلا وفاءً لمبدئه، حيث لفظ أنفاسه على ثرى تونس التي طالما آوته واحتضنته⁵.

وفي نفس المناسبة كتبت جريدة الشعب تحت عنوان زعيم الأمة يُوحّد صفوفها «نحن مغتربين بالوفاق الذي سيكون بين الهيئتين الدستوريتين على إثر الاجتماع الذي عُقد بدار الثعالبي بين الجناحين، وإن لنا وطيد الأمل وعظيم الثقة في رجل يدعو لوحدة الشمال الإفريقي..»،

¹ - الفاسي، الحركات الاستقلالية. ، ص.26.

² - محمد عابدين الجابري، " تطور فكرة المغرب العربي "، وقائع وآفاق، مجلة دراسات عربية، عدد07، السنة التاسعة. بيروت: دار الطليعة، ماي 1983م. ص.07.

³ - L'acheraf, L'Algérie Nation., P.253.

⁴ - يراجع نص القصيدة كاملا في جريدتي الوطن التونسية، عدد 15 أوت 1937م، والشعب الجزائرية. عدد01 (1937/8/27).

⁵ - ناصر (محمد)، مفدي زكريا (شاعر النضال والثورة)، الجزائر: المطبعة العربية 1984م، ص.68.

*الفاسي علال (1910-1974)م: ولد في فاس، درس في جامع القيروين، تزعم الأنوية الأولى للعمل الوطني بفاس. تعرض للاعتقال عدة مرات، ساهم في تحرير دفتر مطالب الشعب المغربي سنة 1934م، وانتخب نهاية 1936م رئيساً لكتلة العمل الوطني ليمت نفيه إلى الغابون سنة 1937م حيث بدأ نضاله المغاربي هناك، ساهم في العمل المسلح لجيش التحرير المغربي وتحفظ من محادثات إيكس-ليبين، وفي 1958م شارك في مؤتمر طنجة متراًساً وفد حزب الاستقلال. - يراجع: بلقريز، مرجع سابق، ص.279.

كما أوفد الحزب من يُمثله لاستقبال الشيخ الثعالبي والترحيب به إلى تونس¹.
واغتنم حزب الشعب فرصة التجاوب مع دعوة الحزب الحر الدستوري إلى إضراب عام فأعلن تضامناً مع الشعب التونسي في جريدة الأمة نداءً يقول: «أيها التجار، أيها الصناع، أيها العمال استجيبوا ككلكم في كتلة واحدة لندائنا، فالإمبريالية الفرنسية بدأت تلعب بورقتها الأخيرة إننا في بداية الكفاح الذي لا يعرف مهادنة معها.. أسسوا جبهة موحدة للكفاح التي يجب أن تجمع تونس والجزائر والمغرب الأقصى..»².

وكان قبل ذلك وفي 20 نوفمبر 1937م، قد دعا إلى إضراب رمزي من الساعة 11.00 إلى الساعة 12.00 احتجاجاً على الأحكام العنصرية التي أصدرتها المحكمة الفرنسية على زعماء الحركة الوطنية في الأقطار المغاربية، وقد استجاب الشعب الجزائري فأضرب في الوقت المحدد رغم استعمال الشرطة الاستعمارية غاية الشدة ضد كل من استجاب للنداء³.

وجاء في تقرير رسمي عن ولاية العاصمة برقم "38": «أنه وتأثراً بحوادث (المتلوي) بتونس فإن عمال مناجم الكويف أثاروا حوادث خطيرة، بعدما تركوا أعمالهم دون أية إجراءات قانونية»⁴.
وعندما نراجع الوثائق السرية لدوائر الشرطة الفرنسية نجد أن القلق عمّ جميع نواحي الوطن، وإعطاء نظرة عن هذه الحالة نقل عن مجلة مركز الوثائق الوطنية - عدد 06 - إحدى تقارير الشرطة الفرنسية عقب الحوادث المساندة للأحداث التونسية والتي نشرتها بعنوان: «الحالة النفسية لأهالي شمال إفريقيا سنة (1936 - 1939م)» حيث جاء في التقرير أنه عُثر أثناء تفتيش لمركز هذا الحزب في مدينة سكيكدة على جرائد ومنشورات للحزب الدستوري الجديد كما وجدت وثيقة تثبت أن حزب الشعب بعث بمبلغ ألفي فرنك (2000)، إعانة للحزب الدستوري..»⁵.

وهو ما يُثبت أن حزب الشعب لازال يتابع نشاطه المضاد للسيادة الفرنسية في كل الأقطار المغاربية سراً، وأن له علاقات أكثر من متينة بالحزب الدستوري الجديد.

ومن جهة أخرى نجده خلال سنة 1938م يُكثر من توزيع المناشير التي تطالب بإطلاق سراح زعماء الشمال الإفريقي بما فيهم الحبيب بورقيبة، ومناشير أخرى تدعوا إلى حضور اجتماعاته السرية وإلى عقد رابطة بين تونس والجزائر وفاس للمطالبة بإطلاق سراح الزعماء الثلاثة⁶.

¹ - الشعب الجزائرية، عدد 01، (27 أوت 1937م).

² - El Ouma, N :°58. Dec 1937.

³ - بن العقون، المصدر السابق، ج2، ص.63.

⁴ - المصدر نفسه، ص.64.

⁵ - المصدر نفسه، ص.66.

⁶ - Kaddache, Histoire., T_{II}, P.P(947-950).

وفي ظل المستجدات العالمية عشية الحرب العالمية الثانية قام حزب الشعب انطلاقاً من تدعيم نشاطه المغاربي بتأسيس عدة هيئات ثورية سرية، حيث أوردت المخابرات الفرنسية أن حزب الشعب أسّس مكتباً مركزياً للعمل الشمال الإفريقي وكان سرّياً جداً، مركزه الجزائر العاصمة وله فروع حتى بتونس، وأن هذا المكتب المركزي أعطى تعليمات صارمة إلى أنصاره، منها عدم ترك أي أثر عند الاتصال بالحزب في تونس، وعدم إتباع أي تعليمات من أي طرف كان إلا تلك الصادرة عن المكتب المركزي، حيث تعامل هذا المكتب مع الأحزاب في تونس وفروعه بواسطة نظام الشفرة (CODE) ومن الرموز المستعملة في الشفرة مثلاً:

- NZ: وتقرأ تونس.

- H.2.B.5: وتقرأ المكتب السياسي بتونس.

- Khadra.ou. kodro: تقرأ تونس.

- B.5: وتقرأ المكتب السياسي الدستوري الخامس.

- Commenca actuel: العمل الشمال لإفريقي .

- Le malade: بورقية: مثلاً: المريض لا يزال مريضاً أي بورقية لا يزال في السجن.¹

ومهما يكن من أمر فإن اللجنة كان هدفها تنظيم مقاومة مسلحة في المغرب العربي، ولاشك أن الحركة الوطنية التونسية قد استفادت من تجاربها بعد خروج زعمائها من السجون وعودتهم من المنافي، إذ وجد هؤلاء أن اللجنة قد كونت مجموعات من الشباب التونسي «كانوا بمثابة القاعدة لعملمهم السياسي والعسكري في المستقبل، ويكفي أن هذه اللجنة قد شكلت بديلاً لدعوة الوحدة المغاربية في الإطار الفرنسي التي دعت إليها بعض الأطراف السياسية مثل دعوة الحبيب بورقية فيما بعد.

5. مساهمة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (1931-1939)م:

من المعروف أن ابن باديس تصدّر للتدريس بالجامع الأعظم طيلة السنة الدراسية (1911 - 1912)م، مثل كل المتطوعين الجدد، ومن بين الذين درسوا على يده في هذه السنة الشاعر التونسي الطاهر الحداد الذي شهد له ابن باديس في الصفحة (12) من دفتره المدرسي بالمواظبة والفهم

¹ - Ahmed Khaled, Bulletin de renseignement. N :°24./ 1940, P.P(699-702).

- نقلا عن: بلقاسم محمد، مرجع سابق، ص.ص (442-439).

الفصل الثاني ----- مساهمات جزائرية في الحياة السياسية

والأدب، ربما كان لهذه الملاحظة دورها في تفجير طاقات هذا الشاب الذي قُدر له أن يقوم بدور مشهود في التاريخ النضالي والعمالي التونسي¹.

وبعد أول بعثة علمية في اتجاه الزيتونة اشتهر اسمه كرائد من رواد الحركة الإصلاحية²، حيث عَبَّرت صحافة جمعية العلماء إلى تونس فقبلها القراء التونسيين بارتياح وعرفوا من خلالها الجهد الذي يبذله ابن باديس ورفقاؤه وما إن زار تونس أواخر سنة 1936م حتى استقبله العلماء والطلاب وعامة الناس استقبالاً يليق بمكانته وأقيمت له الحفلات على شرفه، وقد نوّهت الصحافة الصادرة آنذاك بشخصيته العلمية ولهذه الأسباب كانت العلاقة وطيدة بين ابن باديس والنخبة التونسية، ورغم انقطاعه عن زيارة تونس مدة طويلة منذ دراسته، وحتى سنة 1921م بداية أول زيارة له³.

والاستقبال الكبير الذي حظي به في سنة 1936م شجعه على التردد على تونس مرتين أخريتين، فزارها في جوان 1937م، بمناسبة ذكرى وفاة البشير صفر، أين ألقى محاضرة بقصر الجمعيات الفرنسية، تحت إشراف كل من جمعية الطلبة الجزائريين والجمعية الودادية الجزائرية بتونس، حيث اعتذر عن اختيار الجمعيتين الحديث عن الجزائر دون المغرب العربي قائلاً: «لأنني أؤمن بأن هذا الشمال الإفريقي لا ينهض إلا بتضامننا مع بعضنا بعضاً...»⁴، وبعد عودته إلى الجزائر وجه تحية (شكر ووداع) بعد زيارته الأولى، وقال: «أودع الأمة التونسية الكريمة، شاكراً لها ولصحافتها الراقية، ما أبدته نحوي من عاطفة الود الأخوي، الذي فاق كل تقدير، وإن الذي يسرني حقاً من ذلك هو أنه كان مُوجهاً في الحقيقة، نحو مبدأ... [الاحتفاظ بالذاتية العربية الإسلامية في الشمال الإفريقي كله] و الإعلان بوحدة أقطاره... في الحاضر والمستقبل... مثلما هي ثابتة في الماضي...»⁵.

والزيارة الثانية لتونس كانت في شهر أوت 1937م بمناسبة عودة الشيخ الثعالبي من منفاه بالشرق العربي، ف جاء ابن باديس مُوفداً من قبل جمعية العلماء، كما نوّه بدوره النضالي في تونس في جريدة الشهاب⁶.

1 - الجابري، النشاط العلمي، ص.80.

2 - الفاسي، الحركات الاستقلالية، ص.16.

3 - الجابري، النشاط العلمي، ص.83.

4 - الزمان التونسية، عد 06 جويلية 1937م.

5 - عن أصداء الرحلة وما كتب عنها في الصحافة التونسية، ينظر جريدة الشهاب، ج5، مع13، الجزائر: جويلية 1937. ص.225.

6 - الشهاب، ج7، مع13، سبتمبر 1937م / رجب 1356هـ.

الفصل الثاني ----- مساهمات جزائرية في الحياة السياسية

ويتضح من خلال هذه الزيارة أنه كان لابن باديس غرض سياسي مُعين وهو تأييد موقف الثعالي بعد تصدع الحزب الدستوري التونسي ذلك أن هذا التأييد كان مرتبطاً بعدة عوامل:

- فالثعالي جزائري من أسرة جزائرية عريقة¹، وهو في نظر ابن باديس يُمثل بهذا الانتساب جانباً من نضال الجزائريين في تونس.

- إضافة إلى مظاهر التشابه بين أهدافهما، فكلاهما زواج بين العمل السياسي والاندفاع الوطني الإصلاحي وكلاهما كان وطنياً مغربياً عربياً إسلامياً في مبادئه وأهدافه.

إن هذا الموقف من ابن باديس ورجال الإصلاح في الجزائر زيادة على موقف النجميين وكل النخبة الوطنية الجزائرية، التي آيدت بشكل ضمني أو صريح الشيخ الثعالي ضد خصومه انطلاقاً من جنسيته الأصلية، هو الذي سيُحسب أيضاً على كل المهاجرين الجزائريين والمنضويين في الأجهزة المتنفذة في الحركة الوطنية التونسية، بأن جعلت الدستورين الجدد يتخذون مبدأ تونس الإطارات والأجهزة الإدارية الحزبية والجمعية، انطلاقاً من هذه الفترة لينعدم بعدها وجود العنصر الجزائري عقب الحرب العالمية الثانية في هذه الأجهزة المعنية.

كما أن ابن باديس كان أحد الشهود التاريخيين لقضية الوفاق²، وقد ورد اسمه في الكلمة الحاسمة وكان حريصاً على متابعة هذه القضية التي أرقته، وشغلت صفحات متوالية من جريدة الشهاب انطلاقاً من وحدة الشعور بمحنة المغرب العربي، وقد سمى الشقاق الحادث في تونس «بالفتنة الملعونة»³.

حيث استهلت الشهاب مقالها بهذه الافتتاحية «الله..الله، في وطنكم أيها التونسيون، فالرعاة يتنازعون، والذئب على الباب، ولئن أكله الذئب، وأنتم عصابة، إنا إذا لخاسرون»⁴، وأعدت جريدة (الإرادة التونسية)، نشر المقال تحت عنوان «صوت علماء الجزائر ورأيهم في فتنة الشقاق في تونس». كما أوردت المخابرات التونسية أن ابن باديس قام بزيارة إلى تونس فيما بين 22 و29 أوت 1938م واتصل بأنصار الدستور القديم، واطلع على الأوضاع هناك وقام باتصالات بالعناصر المثقفة ورجال مجلة «الجمعية الزيتونية» فقد وضع برنامج عمل مشترك بين تونس والجزائر على أرضية ثقافية ودينية وأنه أجرى محادثات مطولة مع الشيخ الثعالي حول الأوضاع السياسية في شمال إفريقيا،

1 - المصدر نفسه.

2 - سعد الله، أبحاث وآراء. ، ج4، ص.352.

3 - خرفي، الشيخ الثعالي. ، ص.55.

4 - ج5، مج13، جويلية 1937م.

الفصل الثاني ----- مساهمات جزائرية في الحياة السياسية

كما اتفق الاثنان على تمثيل تونس والجزائر، في مؤتمر حزب الوفد المصري الذي كان سيعقد في أكتوبر أو نوفمبر من نفس السنة¹.

ويظهر من خلال بعض المصادر أن مساهمات الجمعية في الحزب الدستوري التونسي كانت عديدة ومتنوعة فقد تجاوزت الجمعية مع إضراب العمال التونسيين في يوم 20 نوفمبر 1937 م، والذي كان يوحى من الحزب الدستوري²، حيث وجه الشيخ ابن باديس على اثر هذا الإضراب رسالة إلى زعماء الحزب الدستوري هنأهم وشكرهم على هذه المبادرة الطيبة التي تتجلى فيها الأهداف القومية الموحدة³، وكانت قد تحدثت الجمعية في الشهاب في جانفي من نفس السنة عن هذا التضامن الجزائري التونسي قائلة: «إننا إذ نمد من وراء هذه الحدود الوضعية يد الإخلاص والولاء إلى رجال المغرب العربي، وإلى مُجاهديهم الأحرار...، وإنما نمدها إلى الإخوان من الأم والأب وإلى شركائنا في الأصل والنسب، إلى الذين خلقنا الله معهم أمة واحدة...، ولتونس الخضراء أيام عزة وفخار هي أيام الحزب الحر الدستوري التونسي...»⁴.

ومواقف الجمعية ومساهماتها في الحياة السياسية التونسية عديدة تعدد شبكة علاقاتها بالشخصيات البارزة في الساحة التونسية، مثلا في الشهاب نجد نقدا لاذعا لحسن حسني عبد الوهاب على تصريح إذاعي له أُعتبر أنه في صالح فرنسا⁵، وفي عدد آخر من الشهاب نجد إشادة بدور الثعالبي في تونس والمشرق، حتى أنها انتصرت له باسم الجمعية ضد من هاجمه من علماء الأزهر عندما دعا (الثعالبي) إلى إصلاح الأزهر⁶، ومساهمات الجمعية في قضية إصلاح جامع الزيتونة عديدة ومتنوعة ستتناولها في بابها⁷.

وقد تبنت الجمعية كل مطالب جمعية طلبة شمال إفريقيا، وساهمت في عقد مؤتمراتها بالجزائر سنة 1932م وسنة 1935م، نظرا للحضور المكثف لأبرز أعضائها في فعاليات مؤتمراتها ففي مؤتمر

- نقلًا عن: Ahmed Khaled, Bulletin de Renseignement, N :°09, 1938. P.405.¹
- بلقاسم محمد، مرجع سابق، ص. 287.
- بلاسي، مرجع سابق، ص. 84.²
- بوصفصاف (ع الكريم)، جمعية العلماء المسلمين ودورها في تطور الحركة الوطنية (1931-1945م)، ط1. الجزائر: دار البعث 1981م. ص. 351.³
- عبد الحميد ابن باديس، " الأيام الخالدة في تاريخ المغرب الحديث "، الشهاب، ج11، مج12. الجزائر: جانفي 1937م. ص.ص (480-491).
- الشهاب، ج2، مج8، الجزائر: مارس 1932م.⁵
- الشهاب، ج1، مج7، الجزائر: أبريل 1931م.⁶
- الشهاب، ج1، مج8، الجزائر: أكتوبر 1931م.⁷

الفصل الثاني ----- مساهمات جزائريته في الحياة السياسية

الجزائر سنة 1932م، كان على رأس الحاضرين الشيوخ: ابن باديس، والإبراهيمي والعُقي¹. هكذا يتضح أن الجمعية، وإن حصرنا مساهمتها في الجانب الفكري أكثر من السياسي، إلا أنها كانت تناور وتعمل على أن يكون لها مواقف ومساهمات في كل القضايا السياسية المستجدة بتونس إمعاناً منها في المساهمة المثيرة والنقاش الهادف خدمة للتونسيين بالدرجة الأولى وتجسيداً لفكرة الوحدة المغاربية التي كانت تصبوا إليها الجمعية، وبالرغم من موقف الجمعية البين تجاه القضايا السياسية والفكرية التونسية، فإنها تعرضت إلى انتقادات شديدة، وتُهم مُلققة من قبل خصومها².

الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

¹ - سعد الله، أبحاث وآراء. ، ج.4. ص.153.

² - ينظر على سبيل المثال: "عبد الحميد ابن باديس، شيخ الإسلام بتونس، يقاوم السنة ويؤيد البدعة ويُغري السلطة بالمسلمين"، البصائر، الأعداد (16، 17، 18، 19)، السنة 01. الجزائر: من 24 أبريل 1936م إلى 15 ماي 1936م.

المبحث الثالث: النضال المهجري الجزائري- التونسي، وأثره على القضية التونسية

1. النضال المهجري المشترك (1910 - 1919)

لقد اختار الوطنيون الجزائريون والتونسيون الأستانة مقراً لهم، حيث ستكون سياستهم أثناء الحرب العالمية الأولى، هي سياسة الجامعة الإسلامية في أغلبها وفي توافق مع الدولة العثمانية في كل شمال إفريقيا حيث اتصلوا في الأستانة بالأمر شكيب أرسلان، وسليمان الباروني، وعبد العزيز جاويش (التونسي الأصل) ومحمد فريد وألفوا هيئة لتحرير شمال إفريقيا، تعاونت مع السنوسيين في برفية، واتصلت بعدد من الطوارق في الجنوب الليبي والجزائري¹، ووصلت دعائهم إلى قلب الصحراء الكبرى، وكانت هذه اللجنة وراء إمداد السيد أحمد الشريف السنوسي، ببعض ما يحتاج إليه كما كانت وراء إرسال الباروني إلى طرابلس، الذي عمل هناك على إثارة حركة تحريرية تمتد من طرابلس حتى تونس والجزائر، وحاولت اللجنة أيضاً تجميع قوات من أبناء المغرب الموجودين في أوروبا وإرسالهم إلى شمال إفريقيا والمشاركة في عمليات التحرير².

ومنذ حوالي 1910م أسس الشيخان صالح الشريف^{**}، وإسماعيل الصفانحي^{***} (1853-1918)م (جمعية الأخوة الجزائرية التونسية) في استانبول، وكان لها فرع في دمشق ينشط بين المهاجرين الذين كان أغلبهم من الجزائر، ولها فروع في بلاد الشام والحجاز، ولا سيما فرع المدينة المنورة. وخلال نفس الفترة شارك الجزائريون في مصر داخل تنظيم يسمى (الاتحاد المغاربي) وكان صاحب الفكرة فيها هو الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد لتي كانت تتبع سياسة الجامعة

1 - جلال يحيى، المغرب الكبير. ج 4، ص. 211.

2 - المرجع نفسه، ج 4، ص. ص (242-243).

- للتوسع يراجع: - محفوظ (محمد)، مرجع سابق، ج 3، ص. ص (233-235). - عليان الجالودي، الشيخ اسماعيل الصفانحي، " دراسة في مواقفه وآثاره (1853-1918)م"، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، عدد 10. الجزائر: سبتمبر 2001م، ص. 98 وما يليها.

* الباروني (سليمان) (1873-1940)م: هو بطل الحرب الطرابلسية في وجه الغزوة الإيطالية، درس في جامع الزيتونة وفي وادي ميزاب، أصدر في القاهرة جريدة "الأسد الإسلامي" سنة 1906م، وأسّس مطبعة الأزهار البارونية، وانتخب نائباً عن الجبل الغربي في الأستانة سنة 1908م، ومنذ سنة 1911م تصدى للهجمة الإيطالية وعارض فكرة الصلح مع إيطاليا، وأسّس سنة 1918م «الجمهورية الطرابلسية»، واضطر إلى الإقامة بعد فشله في مرسليليا، ولما انقطع عنه المدد أعانه أبناء وادي ميزاب وكان يسميهم "إخوان الصفا"، ثم استقر في العراق سنة 1929م ثم إلى عمان سنة 1938م، ثم توجه إلى الهند سنة 1940م، أين وافاه الأجل في بومباي.

- يراجع عنه في: - حمو النوري، مرجع سابق، ص. ص (327-330). - خري، الشيخ الثعالبي. ص. 43. هـ. 261.

- أبي اليقظان (الحاج إبراهيم)، سليمان الباروني في أطوار حياته، ج 1، مج 2. الجزائر: المطبعة العربية للكتاب 1956م.

** صالح الشريف (1862 - 1920)م، يراجع ترجمته في الملحق 1. رقم. 38.

*** إسماعيل الصفانحي (1853-1918)م تونسي من شيوخ الزيتونة، تولى القضاء الحنفي بتونس العاصمة.

الإسلامية ومقر هذا التنظيم كان في الإسكندرية، وكان يرأسه محمد شرعي باشا¹ - الذي ربما يكون من أصول مهاجرة -، كما كان مُدعماً من طرف الخديوي عباس حلمي، وقد أرسل الاتحاد موفدين إلى المغرب العربي وخاصة إلى المنطقة الوهرانية بالجزائر للاتصال بصف ضباط جزائريين كانوا يؤيدون الجامعة الإسلامية².

ونظراً لعدم اقتناع الجزائريين بالتحديد في الجيش الفرنسي، فإنهم بدأوا يفرون من الخدمة العسكرية من جبهة الشرق الأدنى، والجبهة الأوروبية زرافات ووحداً والتحقوا بمواطنيهم الثائرين في الجزائر، ومن هناك واصلوا نشاطهم في شكل حرب عصابات معلنين الثورة على الاحتلال الفرنسي³، وقد بقي بعضهم خارج الجزائر، وشكلوا مع بعض التونسيين لجأناً وطنية في جنيف وبرلين والآستانة ومصر والحجاز للدعوة لاستقلال شمال إفريقيا.

ولقد وظّفت حركة الجامعة الإسلامية في مرحلتها الأخيرة العديد من رجالات الجزائر وتونس سواء من المهاجرين أو من الزعماء الذين اختاروا الشرق مُستقراً، كما جندت الدولة العثمانية بعض أبناء الأمير عبد القادر كمحي الدين الذي أصبح له شأن في تلك الفترة.

وقد ساعدت هجرة الوطنيين الجزائريين إلى المشرق أمثال الخضر حسين والمكي بن عزوز وصالح الشريف وكذا التونسيين أمثال محمد بيرم وإسماعيل الصفائحي وعلي باش حامبة، على بلورة السياسة الإسلامية نحو شمال إفريقيا⁴، ويجب أن نلاحظ أن هؤلاء جميعاً كانوا يعملون في إطار الوطن (الجزائري التونسي) وليس في إطار القطرية الضيقة، وكانت جهودهم متظافرة مع المجاهدين السابقين وأحفادهم وكانت لهم صحفهم ومنشوراتهم ونواديبهم الخاصة.

ومن عاصمة الخلافة انطلقوا مجاهدين إلى الدول الأوروبية مع بداية الحرب وبخاصة إلى ألمانيا وسويسرا، حيث كانت هجرة هؤلاء المغاربة أسلوباً من أساليب الكفاح ووسيلة لتجميع وتوحيد القوى في جبهات خارجية، من أجل القضية المغاربية الإسلامية وقد كان لذلك أثره العميق على القضايا السياسية والفكرية لهذه الأقطار، وفي طليعة هذه النخبة المهاجرة الجنرال زروق الجزائري الذي اقترح على الباب العالي برنامجاً لإرجاع سلطة السلطان على تونس والجزائر، لتحقيق

¹ - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص.602.

² - Bardine (P), Algériens et tunisiens dans l'empire ottoman de (1848 à 1914). Ed, du C.N.R.S, Paris1979. P.P(230-231).

³ - حجاج (السعيد زروق)، العالم الإسلامي في الحرب العالمية الأولى (1914-1918)م، ط1. مصر: مطبعة الأمانة 1989، ص.68.

⁴ - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص.520.

الفصل الثاني ----- مساهمات جزائرية في الحياة السياسية

ذلك اقترح الاعتماد على الجزائريين الذين هم على أتم الاستعداد للثورة¹.

ومن الشخصيات الجزائرية التي حلت باستانبول في مطلع القرن العشرين الشيخ السمكي بن عزوز (1854 - 1915)م سنة 1905م، الذي انتقل من استانبول إلى الحجاز وأسس بالمدينة المنورة «جمعية الشرفاء» سنة 1913م، وهي جمعية إسلامية كان من أهدافها إثارة مناطق في إفريقيا الشمالية، فخلال أحد اجتماعاتها التي حضرها مغاربة من الجزائر وتونس ومراكش منهم القائد الأخضر من تلمسان ومحمد بن زاوي جلول من قسنطينة تقرر إرسال مبعوثين إلى الجزائر والمغرب الأقصى بغية تحقيق أهداف الجمعية².

ولا ندري لقلة مصادرنا مصير هذه الجمعية، ولا إلى ما آلت إليه ولكن الأكيد أنها كانت تضم بعض الوطنيين التونسيين الذين سيكون لهم دور في الحركة السياسية التونسية أمثال: البشير الفورقي (1882 - 1954)م ومحمد باش حامبة* (1881-1921)م، ومن الجزائريين الذين نشطوا في إطارها الشاذلي السنوسي، ومحي الدين السنوسي، ومحمد البشير زروق، والشيخ محمد عبد السلام التيجاني.

إن الجمعية التي أسسها صالح الشريف وإسماعيل الصفائح سنة 1910م كانت لها فروع من أهمها فرع دمشق ومن أعضائه الشيخ الحسين ومحمد بن الصغير وكلاهما من مدينة سدارته (الجزائر)، والدراجي بن الحسين والحاج إسماعيل بن محمد وكلاهما من قسنطينة ومحمد بن شطة من الأغواط³. وفي سنة 1916م، قررت الحكومة العثمانية أن تؤسس في الأستانة هيئة لغزو شمال إفريقيا بالاتفاق مع رجالها اللاجئين⁴، ولما عُين سليمان الباروني والياً عاماً على المناطق المحررة في طرابلس الغرب، انتظمت مقاومته ضد الإيطاليين، ومن بين ما قام به الباروني [تلميذ محمد اطفيش** الجزائري] هو أنه بعث رسله في نشر الدعوة للجزائر وتونس، وربط الصلة بين أنور باشا وحسن

¹ - Bardin, OP.cit , P.P(116 -117).

² - المرجع نفسه، ص.ص(230-233). ينظر: - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص.603.

³ - Bardin, OP.cit . P.230.

⁴ - الفاسي، الحركات الاستقلالية. ، ص.53. يراجع: بن ميلاد إدريس، "مرجع سابق"، م.ت.م، ع(1)، ص.164. * محمد باش حامبة (1881-1921)م: ولد بتونس من أصل عثماني، درس بالصادقية، اشتغل مُستخدماً في إدارة المال ثم في إدارة العدالة، وفي سنة 1912م يُسمى حاكماً بمحكمة الدرية، الخرط في كلية الحقوق بباريس ثم عمل في تونس بسلك المحاماة، له ثقافة مزدوجة، أصدر مجلة المغرب.

ينظر:

- S.M.N. Dossier. Mohamed Bach Hamb. B1.28. Doc N:°38. C.D.N.T (M.I). par (chedly kairellah). " Mohamed Bach Hamb". In la voix du tunisien du 02/02/1932.

** اطفيش (محمد) (1818 - 1914)م، يراجع ترجمته في الملحق ا. رقم.04.

الفصل الثاني ----- مساهمات جزائرية في الحياة السياسية

قلاقي (الجزائري)، أحد الذين بقوا في تونس من حزب علي باش حامبة، وفي سنة 1917م ثار التوارق بزعمامة شيوخ الطريقة الرحمانية انطلاقاً من الصحراء الجزائرية «وقامت بثورة عمت الصحراء كلها من أعالي النيل إلى أدرار في الساحل الأطلسي مروراً بالجنوب التونسي، فاضطرت جميع المراكز الصحراوية الفرنسية للانسحاب إلى الواحات، ودارت معارك عدة شارك فيها الجزائريون إلى جانب إخوانهم التونسيين في الجنوب التونسي، حيث قُتل في إحداهما الكولونيل لوبوف الذي تسمّى به برج لوبوف»¹، الذي أصبح فيما بعد معتقلاً للأحرار التونسيين.

وفي السنة (1917م) بدأت الهيئة السابقة في عملها المتمثل في جمع أسرى الحرب من المغاربة في ألمانيا وتركيا، وتنظيمهم ضمن فرقة واحدة تزوّد بالسلح والذخيرة وترسل عن طريق الغواصات إلى طرابلس، وكان مُقررًا أن يرأسها علي باش حامبة بنفسه، ولكن قبل أن يبدأ في نقل أركان هذه الحملة من عثمانين ومغاربة إلى طرابلس، أُصيب باش حامبة بمرض خطير مات على إثره بأسبوع قبل هدنة (مدرس)²، وبذلك «فقدت النخبة التونسية، دماغها المفكر ورأسها المدير...»³.

وفي المؤتمر الثالث الذي عقد في لوزان سنة 1916م، مثّل قضية الجزائر وتونس السيد محمد باش حامبة، هذا الأخير الذي أخطر المؤتمرين بأن الجزائريين الذين أصبحوا فرنسيين بعد ثمانين سنة من الاحتلال الفرنسي، لا يعدون 500 أو 600 شخص، وقد طالب باش حامبة باسم القومية بالحكم الذاتي لكل إفريقيا الشمالية، وشاركه في هذا النشاط المعادي لفرنسا الجزائري الشيخ الخضر حسين⁴.

كما كان من قادة هيئة التشكيلات الجزائرية علي رضا⁵، وكذا القائد الجزائري محمد برالي الذي كان يتمتع بنفوذ كبير في منطقة الحدود المشتركة بين ليبيا والجزائر وتونس⁶.

وقد كان الأمير علي ابن الأمير عبد القادر، زعيم المهاجرين الجزائريين شخصية هامة في تلك الفترة، وامتدت الدعاية بين الجزائريين إلى النشاطات السياسية، فبين سنتي (1915-1916)م، أنشئت في برلين اللجنة الإسلامية لاستقلال إفريقيا الشمالية، وكان من منسئها الأمير علي، وعدد من الفتيان الجزائريين الذين كانوا يضمون مثقفين ساخطين.

¹ - الفاسي، الحركات الاستقلالية. ، ص.54.

² - الحاج عثمان الشريف، المصدر السابق، ص.169.

³ - المدني، حياة كفاح. ، ج1، ص.73.

- يراجع: حمادي الساحلي، "الوطنيون التونسيون". ، م.ت.م. عدد (33-34).

⁴ - سعد الله، الحركة الوطنية. ، ج2، ص.220.

⁵ - بلقاسم، مرجع سابق، ص.67.

الفصل الثاني ----- مساهمات جزائريتي في الحياة السياسية

وفي سنة 1916م، اجتمعت لجنة استقلال إفريقيا الشمالية في برلين، ووضعت خطة عمل ضد فرنسا في المغرب العربي، حيث وقعت اتصالات بينهم وبين مولاي حفيظ سلطان المغرب الأقصى المخلوع والمسؤولين في كل من الجزائر والمغرب الأقصى، فتسربت بعض المناشير والكتيبات مع نغمة الجامعة الإسلامية إلى الجزائر من طرابلس وتونس، تُنادي بالثورة ضد فرنسا¹.

وترأس لجنة استقلال الجزائر وتونس، الجزائريان صالح الشريف ومحمد مزيان التلمساني بالإضافة إلى التونسي إسماعيل الصفناحي وقرعت هذه اللجنة عن لجنة تحمل نفس الاسم أسسها في نفس السنة علي باش حامبة باستانبول، ثم ظهرت لجنة فرعية أخرى بجنيف برئاسة محمد باش حامبة²، وكل هذه اللجان تضم أعضاء جزائريين نشيطين³.

وأعمال هذه اللجنة برزت خصوصاً في مجلة المغرب (la Revue du Maghreb)، الناطقة باللغة الفرنسية والتي أسسها محمد باش حامبة في شهر ماي 1916م بجنيف⁴، حيث كانت تسحب في ألف نسخة وتصدر شهرياً ولكن بصفة متقطعة ومتنامية أحياناً إلى نهاية سنة 1918م⁵، حيث جاء في ديباجة مجلة المغرب أنها "منبر مطالب أهالي الجزائر وتونس ومراكش وطرابلس"، وفي عددها الثاني كتب أحد الجزائريين قائلاً: «إننا جزائريون وسنبقى جزائريين مسلمين...»⁶.

وقد تدعّم نشاط الجزائريين وإخوانهم التونسيين بقدم شخصية فذة هي شخصية محمد الحضر حسين (1873-1958م) الذي وُلد بقرية من قرى الجزائر في أسرة تعتر بعراقة النسب، وقد راعه أن يرى الاحتلال الفرنسي يأخذ بمقبضه الحديدي على أعناق المسلمين في أصقاع المغرب، فطفق يدعوا إلى اليقظة والتحرر و أنشأ مجلة السعادة العظمى، لنشر محاسن الإسلام و فضح أساليب الاستعمار، فأذاه الاستعمار وناو و حكم عليه بالإعدام⁷، حتى أُضطر إلى الفرار إلى الأستانة هو واخوته الأربعة من بينهم زين العابدين (الذي سيجمع تراث أخيه)، ومحمد المكي، ولكنه فوجئ

¹ - سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، ص.ص(257-259).

- ينظر أيضاً: عليان الجالودي، " الشيخ اسماعيل الصفناحي"، مجلة الجامعة الإسلامية، عدد. 10، ص. 113.

² Ageron, Histoire de l'Algérie, T_{II}, P.263.

يراجع أيضاً:

- الهادي الحسيني، " الشيخ صالح الشريف الجزائري المجهول"، جريدة الشعب، عدد7023. الجزائر: 17مارس1986م.

³ - سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، ص.ص(220-221).

⁴ - Ageron, Histoire de l'Algérie, T_{II}, P.263.

⁵ - الفاسي الحركات الاستقلالية، ص.55. ينظر: Tlili (B). La Grande Guerre et les questions tunisiennes.

- " Les Groupements de la Revue du Magreb (1916-1918)", In. C.T, T₂₆, N:° (101-102). Tunis 1978, P.P(66-70).

⁶ - Merad, " OP.cit ", I.B.L.A, N:°2, Vol. 27, P.16.

⁷ - بن عاشور(محمد الفاضل)، أركان النهضة الأدبية بتونس، تونس: مكتبة النجاح، 1381هـ، ص.ص(40 - 42).

الفصل الثاني ----- مساهمات جزائرية في الحياة السياسية

بانهيار آماله حين وجد عاصمة الخلافة مسرحاً للدسائس المغرضة والمؤامرات الرخيصة، فهاجر إلى دمشق وحرص على البقاء بها مدرساً للعربية في المدرسة السلطانية¹، وكان من ضحايا الحاكم التركي لبلاد الشام جمال باشا، لكنه أفرج عليه بعد ستة أشهر من ذلك لئُستدعى إلى الأستانة سنة 1915م ويُعيّن مُنشئاً عربياً بوزارة الحربية، وقد يكون وراء هذا التعيين علي باش حامبة، ليكون الشيخ الخضر قوة تُعاضدهم في العمل من أجل تحرير المغرب العربي، حيث يعملون على إعداد حملات تحريرية مسلحة ضد الاستعمار الإيطالي والفرنسي، وكانوا يتحركون بين العواصم ولهم اتصالاتهم السرية وأنصارهم الكثيرون في تونس والجزائر².

بعدها كُلّف الشيخ الخضر بمهمة في ألمانيا، حيث كان عدد أبناء الشمال الإفريقي المجندين في الجيش الفرنسي يزيدون عن المائتي ألف جندي، ولخص هدفه في بث الدعاية في صفوفهم لحملهم على القتال ضد فرنسا، حيث حل الخضر في ألمانيا مع بعثة من العلماء المسلمين من بينهم الشيخ الجزائري صالح الشريف، ومكث في ألمانيا زهاء تسعة أشهر، ثم تردد بين الأستانة وبرلين إلى أواخر الحرب العالمية الأولى، حيث أقام مرة أخرى زهاء السبعة أشهر³.

ولا نملك بالقدر الكافي معلومات دقيقة حول حركة تنقلات الوطنيين الجزائريين خلال هذه الفترة و ذلك راجع إلى :

- كثرة تنقلاتهم المتتالية بين الحواضر الأوروبية والشرقية.
- قلة المعلومات بسبب السرية التي طبعت تنقلاتهم نظرا لحالة الحرب .
- غلبة بروز الإطار السياسي والديني (الجماعي) على النشاط الفردي، وهذا بدوره راجع إلى محاولة تغليب العمل الجماعي على العمل الفردي من أجل تنسيق الجهود والوصول إلى تحقيق الهدف بسهولة وبسرعة.
- وعندما كان الجو ملائماً في ألمانيا و سويسرا تنقل التونسيين والجزائريين إلى برلين وجنيف وغيرها من المدن الأوروبية لمواصلة النشاط السياسي من أجل تحرير المغرب العربي ككل، حيث

= - يراجع أيضا:
- الجندي (أنور)، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر 1965م، ص.ص (166-172).
- أبو خليل (شوقي)، الإسلام وحركات التحرير العربية، دمشق. دار الفكر 1991م، ص.ص (117-119).
1- البيومي (محمد رجب)، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، بيروت: منشورات المكتبة العصرية 1980م، ص.ص (65-70).

2 - كرو (محمد أبو القاسم)، محمد الخضر حسين، تونس: دار المغرب العربي، 1973م، ص.ص 74.

3 - المرجع نفسه، ص.ص 25. يراجع أيضا: مواعدة، مرجع سابق، ص.ص (74-75).

الفصل الثاني ----- مساهمات جزائرية في الحياة السياسية

كانت التسهيلات من طرف السلطات العثمانية و الألمانية، إضافة إلى وجود عناصر عربية ذات اتجاه إسلامي كانوا سنداً لإخوانهم المغاربة¹.

ومن الجزائريين الذين هاجروا إلى برلين الشيخ الصالح الشريف الذي حل في نوفمبر أو ديسمبر من سنة 1914م، برفقة الأمير علي باشا الجزائري، ثم تعاقبت أسفاره إلى برلين انطلاقاً من استنبول، حيث سعى في سنة 1916م بالصلح بين أمراء نجد من آل السعود وآل الرشيد الذين دخلوا في قتال قبلي².

وصالح الشريف (1862-1920)م من بيت جزائري عريق³، وهاجر من تونس إلى المشرق حوالي 1916م ونشط في استنبول ودمشق، وكان على صلة بأعيان المهاجرين من أبناء الأمير عبد القادر وغيرهم، وقيل أنه عارض الفكرة الإصلاحية المعتدلة التي دعا إليها رشيد رضا حتى أنهم عزوا محاولة اغتيال رشيد رضا سنة 1909م إلى اعتراضاته عليه⁴، ثم نشط الشريف مع جماعة الاتحاد والترقي وشارك في حرب طرابلس إلى جانب أنور باشا حيث أصبح فيما بعد مستشاراً في شؤون المغرب العربي، لتكلفه الحكومة التركية بعدها بالقيام بمهمات خاصة في ألمانيا صحبة الشيخين إسماعيل الصفائحي والخضر حسين، والتي تتمثل بالخصوص في الاتصال بأسرى الحرب المغاربة وتنظيمهم ضمن فرقة واحدة تُرسل إلى طرابلس عن طريق الغواصات⁵، وما إن وصل صالح الشريف إلى برلين حتى كون رفقة بعض الجزائريين والتونسيين لجنة استقلال تونس والجزائر - السابقة الذكر -، وبناءً على ذلك فقد اعتبرته الحكومة الفرنسية (من أخطر الدعاة العاملين في خدمة ألمانيا وتركيا⁶، نتيجة التأثير العميق الذي أحدثته نشاطاته في الساحة السياسية خصوصاً التونسية.

وأول ما يلاحظ على هذه الشخصية الجزائرية الفذة، هو وعيه الدقيق للأخطار التي كان يمر بها العالم الإسلامي، وإدراكه لأطماع الدول الأوروبية، وهذا ما يُفسر دعوته للجهاد وحثه للدفاع

1 - وارنير آنده، "الوطنيون العرب ونشاطهم الصحفي حتى نهاية الحرب العالمية الأولى"، الأصلة، ع52، الجزائر: ديسمبر 1977م، ص.ص (55-57).

2 - التميمي (عبد الجليل)، "من أعلامنا البارزين والمنسيين «الشيخ صالح الشريف موسى»"، م.ت.م، عدد (23-24). تونس: م.أ.ع.ش.ت، نوفمبر 1981م. ينظر: محمد الفاضل بن العاشور، "الشيخ صالح الشريف"، المجلة التونسية، مج08. تونس: أبريل 1954م، ص.ص (118-125).

3 - S.M.N, Dossier, Salah Chérif Ettounsi, B2.84, DOC N :°01, C.D.N.T (M.I).

4 - الطيب بن عيسى، "حياة الشيخ صالح الشريف"، جريدة الوزير، عدد16، 17 ذي القعدة 1338هـ/2 أوت 1920م.

5 - بيتر هاين، قومي من شمال إفريقيا في برلين أثناء الحرب العالمية الأولى (صالح الشريف التونسي)، م.د.ت.ع. الجزائر: 1984، يراجع بيتر هاين، "صالح الشريف التونسي"، ح.ج.ت، عدد24. تونس: 1985م، ص.ص (101-106).

6 - حمادي الساحلي، "الوطنيون التونسيون"، م.ت.م، ع (33-34)، ص.ص (184-185). ينظر أيضاً: بيتر هاين، "صالح الشريف"، ح.ج.ت، عدد24، ص.107. - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص.616.

6 - حمادي الساحلي، "الوطنيون التونسيون"، م.ت.م، ع (33-34)، ص.185.

الفصل الثاني ----- مساهمات جزائرية في الحياة السياسية

عن طرابلس الغرب والمجهود الحربي والمساعدات المالية التي قدمها لمسلمي رأس الرجاء الصالح والأفغان والهنود، كما نلاحظ اعتزازه بهويته العربية- الإسلامية، كما أن مطالبته بالاستقلال منذ سنة 1910م تُعتبر شيئاً مثيراً وهاماً جداً، وهو القائل «فلتتقظ يا أيها المسلم، ولتتبصر ولتجتمع في جنب الحق ولترفع جلابب الانخداع عن بصرك وتقاوم هؤلاء الأفاعي فوق مقاومتك للوباء ولتطهر بني البشر منهم ليهنأ عيشك، وتعيش حراً في سعادة..»¹.

ومن أشهر الجزائريين الذين التحقوا باستانبول وقدموا خدمات جليلة للقضية المغاربية الشيخ محمد مزيان التلمساني الذي يمت بصلة القرابة إلى عائلة المرحوم عبد المجيد مزيان رئيس المجلس الإسلامي الأعلى السابق²، وكذا الشيخ محمد الشبي التونسي الذي قال عنه المؤرخ الفرنسي (D- Goldstein) «أنه جزائري رغم اسمه»³، وحمدان بن علي الجزائري، ومحمد بيراز (بويراز) * - خال توفيق المدني⁴ - ، الذي كان ضمن القوات العثمانية، التي أتت لنجدة طرابلس.

وجميع هذه الأسماء التي ذكرناها عاشت في ديار الهجرة مع نهاية الحرب العالمية الأولى مُتعاونة فيما بينها، غير أن نشاطات هؤلاء وحياتهم تبدوا مغمورة، إذ لا نستطيع الوقوف عند كل أعمالهم، وإن كنا نجد أسماءهم مقرونة بنشاطات إخوانهم المغاربة، وخصوصاً منهم التونسيين.

الملاحظ أن لجنة استقلال الجزائر وتونس كانت في سنة 1916م معتدلة في مطالبها لكن مع سنة 1917م، اختلف الأمر مع نداء الرئيس الأمريكي ويلسن «السلام من دون انتصار»، ووصول كليمنصو إلى رئاسة الوزارة الفرنسية، حيث استعادت بعض الآمال وطالبت باسم الشعب - الجزائري التونسي - من خلال مجلة المغرب «بنظام ملائم لآماله»⁵.

وفي نفس الوقت طلب صالح الشريف من قيصر ألمانيا الحصول على الاستقلال لكلا القطرين حيث تلقت اللجنة من القوات المركزية الضمان للاستقلال المستقبلي، وتم تسجيل قضية «جمهورية شمال إفريقيا في لاهاي»⁶، ثم طالب اللجنة بالاستقلال في إطار الخلافة العثمانية، حيث أصدرت

1 - التميمي، "صالح الشريف التونسي"، م.ت.م، ع (23-24)، ص.347. ينظر:

- Dossier, Salah Chérif., B2.84. Doc. N:°1. S.D.N.T.(M.I)

2 - ذكر ذلك بلقاسم (محمد)، مرجع سابق، ص.41.

3 - Goldstein (Daniel), Libération ou annexion, aux chemins croisés de l'histoire Tunisienne (1914-1922), M.T.E , Tunis 1975, P.270.

4 - المدني، حياة كفاح. ، ج1، ص.73.

5 - Goldstein, OP.cit , P.269.

6 - Goldstein, OP.cit , P.P(266-267).

* محمد بويراز. يراجع ترجمته في الملحق ا، رقم.10.

الفصل الثاني ----- مساهمات جزائرية في الحياة السياسية

حينها نشرية بعنوان «شكاوى الشعوب المضطهدة تونس والجزائر»، وطالبت بالاستقلال الكامل¹. كما حضر وفد جزائري تونسي ضم صالح الشريف وإسماعيل الصفائحي لنفس الهدف إلى جانب ممثلي الدول الإسلامية الأخرى، أمام مؤتمر اللجنة الهولندية الاسكندنافية²، المنعقد في شهر نوفمبر 1917م بستكهولم³ وشاركها في هذه الدعاية الحاج عبد الله الجزائري (رايح بوكابوية) حيث كانت لهم مجلة أخرى تدعى (الجهاد)، ظهرت لأول مرة في شهر مارس 1915م.⁴ وكان عدد الأسرى التونسيين والجزائريين بمعسكر الهلال سنة 1919م حوالي 2500 جزائري و500 تونسي، أُدمج منهم حوالي 800 جندي ضمن القوات العثمانية المعروفة بهيئة التشكيلات⁵، وبهذه النسبة العددية نعرف مدى التأثير الذي مارسه هؤلاء الجزائريين.

وفي سنة 1918م تكوّنت اللجنة الجزائرية التونسية والمتألّفة من أعضاء أغلبيتهم جزائريين هم صالح الشريف، الخضر حسين، محمد مزيان التلمساني ومحمد الشبي ومحمد بيراز وحمدان بن علي إضافة إلى التونسي محمد باش حامية، حيث أرسلت برقية إلى الرئيس ويلسن في جانفي 1919م؛ ترجمت المشاعر الموحدة بين الجزائريين والتونسيين تجاه المبادئ الويلسونية، حيث طالبت بإرسال مفوضين إلى مؤتمر السلام ليُمثلوا الشعب الجزائري- التونسي، ويُطالبوا بحقه في تقرير مصيره بكل حرية⁶.

ومن أعمال الجزائريين والتونسيين أيضاً شن الحملات الصحفية والانتقادية ضد السياسة الاستعمارية في المغرب العربي، حيث أصدرت جريدة أسبوعية بدمشق ابتداءً من 11 جانفي 1912م سموها «المهاجر»، وقد تبنت في أهدافها الدفاع عن مصالح المسلمين المغاربة، وتشجيع حركة الهجرة والدعاية لها⁷، وترأسها محمد التهامي بن شطة الأغواطي*، هذا الأخير الذي أسّس أيضاً أثناء الحرب الإيطالية - الليبية جمعية كانت تجمع التبرعات من الجزائر وأنحاء العالم الإسلامي لصالح الليبيين.

¹ - Tlili, " OP.cit ", C.T, T₂₆, N :°(101-102), P.P(162-163).

² - الساحلي، "مرجع سابق"، م.ت.م، ع (33-34)، ص.186.

³ - مناصرة، الحزب الحر، ص.43.

⁴ - وارنير آنده، "مرجع سابق"، الأصالة، ع52، ص.ص(59-60).

⁵ - Goldstein, OP.cit , P.279.

⁶ - Tlili, "OP.cit" , C.T. T₂₆, N :°(101-102), P.P (97-101).

طالع نص الرسالة في الملحق II، رقم 06. ينظر :

-S.M.N, Dossier. Mohamed Bach-Hamba. B.1.28, Doc N:°56, C.D.N.T. (M.I), in la revue du Maghreb du 9 & 12 / 1918, in l'actions Tunisienne du 20/02/1968.

⁷ - Bardin, OP.cit , P.P (226 - 228).

* التهامي بن شطة (ت بعد 1915م)، يراجع ترجمته في الملحق 1. رقم 40.

ودامت جريدة المهاجر ثلاث سنوات، يُصدر بعدها التهامي شطة جريدة «الاتحاد الإسلامي» في جانفي 1915م¹، وكانت جريدة المهاجر ممولّة من طرف الأمير علي باشا، واتخذت من «نادي جمعية مهاجري إفريقيا الشمالية» مقراً لإدارتها، أمّا مرشد الجريدة فهو الأمير محمد سعيد بن الأمير علي الجزائري²، الذي قال عن هذه الجريدة أنّها: «آية من آيات البيان، ودرّة من قلائد العُقيان»³.

ويذهب باردان (Barden) إلى أن الأمير سعيد كان يُوقع المقالات المكتوبة له لضعف ثقافته ونحن نفهم أن السلطات الفرنسية قد منعت هذه الجريدة من التداول في الجزائر وتونس، مما يجعلنا نتوقع أن نشرها كان يتم مع الحجاج والزوار والبريد العام⁴، كما أصدر إبراهيم اطفيش لنفس الهدف مجلة المنهاج في مصر سنة 1924م، وقد ذكر الشيخ أبو يعلى الزواوي أيضاً أنه كان ينشر مقالاته في جريدة "البرهان" التي كان يصدرها عبد القادر المغربي، وربما استقطبت هي الأخرى كتاباً آخرين من المهاجرين الجزائريين مثل الشيخ طاهر الجزائري، إضافة إلى جريدة "المقتبس" وجريدة "المفيد"، وكلاهما اهتمت بشؤون الجزائر وتونس⁵.

كما أصدر الوطنيون التونسيون والجزائريون المهاجرون في المهجر خلال نفس الفترة عدة كتب ونشریات، تُرجمت إلى لغات عديدة وذلك للتعريف بقضايا الشعوب المغاربية وفضح السياسة الاستعمارية الفرنسية.

فقد ألف الشيخ الصالح الشريف: "حقيقة الجهاد" (بالألمانية سنة 1912م وبالفرنسية سنة 1916م) وكتاب «تونس و الجزائر» بالاشتراك مع إسماعيل الصفائح (النسخة الألمانية سنة 1916م والنسخة الفرنسية بلوزان سنة 1916م)، وعدة كتب أخرى منها: «حجج دامغة حول وجوب خروج الفرنسيين من تونس» والذي كان له وقع عميق على التونسيين، وكذا «دعوة البشرية إلى الحقيقة سنة 1918م» و«شرح دسائس الفرنسيين ضد الإسلام وخليفته سنة 1916م»⁶ و«نداء إلى الحق والعدالة سنة 1918»⁷.

1 - خرفي، الجزائر والأصالة. ، ص.164.

2 - Bardin, OP.cit , P.228.

3 - الأمير (محمد سعيد)، مذكراتي عن القضايا العربية والعالم الإسلامي، ج1، ط2. الجزائر: دار ومكتبة الشركة الجزائرية 1968م، ص.46.

4 - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي. ، ج5، ص.604.

5 - المرجع نفسه، ج5، ص.ص (605-606).

6 - الساحلي، "الوطنيون التونسيون. "، م.ت.م، ع(33-34). ص.ص(186-187).

7 - يراجع: الهادي الحسني، "صالح الشريف"، الشعب، ع.7023.

7 - Goldstein, OP.cit , P.P(266-267).

كما أصدر الشيخ محمد عبد السلام التيجاني الجزائري في سنة 1915م مؤلف «فرنسا في نظر المسلمين»، وفيه دافع عن الخلافة العثمانية وطلب من المغاربة تلبية نداء الجهاد، ويجب أن نذكر في هذا الباب مساهمة الملازم الأول الجزائري رابح بوكابوية، الذي أصدر عدة نشرات منها «الإسلام في الجيش الفرنسي» و«الجهاد ومسلمو إفريقيا الشمالية»¹ (1917).

والهدف الأخير من هذا السرد هو أن مطالب كل هذه الأنشطة والجمعيات والصحف والنشرية كانت من اجتهاد الجزائريين، رغبة منهم في تنوير إخوانهم المغاربة والدفاع عن مصالحهم وإن كانت جل المطالب مقتصرة على الجزائريين و التونسيين فقط لأسباب ذكرناها آنفاً.

2. العمل الجمعي والطلاي المهجري المشترك (1918 - 1937)م:

لقد ظهرت في الجزائر خصوصاً وفي المغرب العربي عموماً عدة منظمات شبانية وطلاوية وكشفية، وكانت تضم زعماء المنطقة في المستقبل، وكانت حركة الطلاب المغاربة المكونة في فرنسا من ممثلين من الأقطار الثلاثة من أنشط المنظمات خلال هذه الفترة، مما يبرز جلياً دورها الأساسي في ربط أواصر التعاون والنضال بين نخب المنطقة، والذي سيكون له حتماً أثره البارز في العمل السياسي الوطني لهذه الأقطار حيث كان للطلبة الجزائريين الريادة في هذا المجال.

ففي سنة 1918م² تأسست (الجمعية الودادية للتلاميذ (كذا) المسلمين في إفريقيا الشمالية في الجزائر³) ويذكر أجيرون أنها تأسست أولاً تحت اسم «رابطة الطلبة الأهالي، ليتغير اسمها فيما بعد إلى جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا سنة 1926م⁴.

وقد كانت تضم في البداية طلاباً من جامعة الجزائر، ويعود الفضل في تأسيسها إلى السيد بن حيلس، الذي تولى رئاستها منذ أن أنشأها، ثم خلفه في ذلك السيد فرحات عباس الذي استمر في رئاستها أكثر من أربع سنوات، ثم تولى على رئاستها عدد من جماعة النخبة، ومنهم السيد علي الزاوش الذي كان على رأسها سنة 1931م، بينما كان عباس فرحات رئيساً شرفياً لها⁵.

ومن بين ما قامت به هذه الجمعية إصدار نشرية سنة 1927م، أبرزت فيها معالم حياة المنظمة

¹ - المرجع نفسه، ص.266.

² - يحدها هلال عمار بسنة 1919م. ينظر كتابه: نشاط الطلبة الجزائريين إبان ثورة نوفمبر 1954، الجزائر: مطبعة لافوميك 1986م، ص.150.

³ - سعد الله، الحركة الوطنية، ج3، ص.105.

⁴ - Ageron, Histoire de l'Algérie, T_{II}, P..538.

- Ageron, Histoire de l'Algérie, T_{II}, P.539.

⁵ - سعد الله، الحركة الوطنية، ج3، ص.105. ينظر أيضاً:

الفصل الثاني ----- مساهمات جزائريته في الحياة السياسية

منذ تأسيسها إلى ذلك الحين¹، كما كان لها مجلة دورية تسمى (التلميذ)، نُجدها سنة 1933م (مارس - أبريل في العددين 05-06)، وتصدر باللغتين العربية والفرنسية، وتتم بقضايا طلاب شمال إفريقيا. وجاء في ديوانها أنها «لسان حال الجمعية الودادية للتلاميذ (كذا) المسلمين في إفريقيا الشمالية» وكان مقرها بنادي الترقى بالعاصمة²، وقد كانت هذه الجمعية الوحيدة تابعة للاتحاد الوطني للجمعيات الطلابية بفرنسا، وأول مجلس إداري لها - كما ذكرنا - ترأسه بلقاسم بن حيلس وساعده الهادي بن سماية³، وكان بإمكان الطلبة الجزائريين أن يجندوا لأنفسهم منظمة طلابية تقتصر على إيساء الجزائريين دون غيرهم من الطلاب الآخرين، لكنهم لم يفعلوا ذلك لسبب بسيط هو أن اتجاههم المغاربي الإسلامي كان أقوى عندهم من اتجاههم المحلي الضيق، وإذا علمنا أن تأسيس هذه المنظمة قد كان بمبادرة من الطلاب الجزائريين ولم يشارك فيه ولا طالب واحد من الأقطار المغاربية الأخرى، ندرك مدى ميلهم إلى فكرة «المغرب العربي الموحد»، حيث يذكر الشيخ السعيد الزاهري* أنه «اطلع على قانون هذه الجمعية فإذا هو يحتفظ بما في الجزائر من قومية ودين...»⁴.

أما في تونس فقد أسس الجزائري الشيخ الثعالبي لأول مرة جمعية الطلبة التونسيين الدارسين بباريس سنة 1920م، ولا ندري كيف نسق الطلبة فيما بينهم، وصهروا جمعياتهم في جمعية واحدة، غير أن المخابرات الفرنسية تقول أن نجم شمال إفريقيا هو الذي أنشأ الجمعية الطلابية المغاربية «A.E.M.N.A»، وحسب قانونها الأساسي فإنها ترمي إلى «تمتين روابط المودة والتضامن بين طلبة شمال إفريقيا، وتشجيع شبان البلاد المغاربية على استكمال معلوماهم بفرنسا، وتسهيل إقامتهم هناك (...). والجمعية لا تشتغل بالسياسة»⁵.

ولقد اتخذت هذه الجمعية منذ تأسيسها عدة مواقف من التجنيس واللغة والتعليم والمرأة وكانت تعقد مؤتمراتها سنوياً في إحدى مدن المغرب العربي، ويبدو أن جمعية العلماء قد رحبت

¹ - Merad, le Réformisme., p.407.

² - سعد الله، الحركة الوطنية. ، ج3، ص.ص (113-114).

³ - ملف خاص (ج.ط.م.ش.أ-1.A.E.M.N.A) بمديرية الأرشيف لولاية الجزائر نقلاً عن بلقاسم، الاتجاه الودودي.، ص.92.

- يراجع: هلال عمار، نشاط الطلبة. ، ص.ص (150-151).

⁴ - الزاهري (محمد السعيد)، الإسلام بحاجة إلى دعاية وتبشير، ط2. دمشق: مطبعة الاعتدال، 1352هـ/1934م، ص.29.

⁵ - ينظر: S.M.N, Dossier, A.E.M.N.A, A 4.44, Doc. N:°01, S.D.N.T, (M.I). «le statut (1928)

وهو باللغة العربية،

*الزاهري (محمد السعيد) (1900-1956)م. يراجع ترجمته في الملحق I. رقم.31.

الفصل الثاني ----- مساهمات جزائرية في الحياة السياسية

بهذه الجمعية واعتبرتها انتصاراً لمبادئها¹، فالجمعية ابتدأت قطرية وبفضل وعي مؤسسيها أصبحت مغاربية.

وأول مؤتمر لهذه الجمعية انعقد بتونس من 20 إلى 22 أبريل 1931م، وقد شارك فيه سبعة جزائريين برئاسة فرحات عباس²، وفيه ألقى الجزائري عبد الرشيد مصطفى قصيصة جاء في مطلعها:

ألا فاهدوا إلى الخضراء دوماً ❁ تحيات الجزائر والسلاما
ولالأخت الشقيقة شوق أخت ❁ يكاد فؤادها يفنى غراماً³

وكانت موضوعات المؤتمر تتناول حالة التعليم العربي بشمال إفريقيا والتعليم العالي والصناعي والمرأة، وما يهمنا من هذه المؤتمرات بالدرجة الأولى المؤتمر الثاني الذي انعقد بالجزائر من 25 إلى 29 سنة 1932م بنادي الترقى، وكان رئيس اللجنة التحضيرية هو السيد قدور ساطور، وترأس المؤتمر عباس فرحات وعموماً فإن المؤتمر احتضنه العلماء واعتبروه من أهدافهم، حيث كانت توصيات المؤتمر وقراراته تنسجم تماماً مع روح الجمعية ومع أهدافها⁴.

أما الاتجاه السياسي والفكري للمؤتمرين فقد عبّر عنه الشاعر مفدي زكريا من خلال قصيدته التي ألقاها في المؤتمر، وقد كان للمؤتمر صداه في الصحافة الجزائرية حيث هللت كلها بهذا الحدث فنشرت بلاغات المؤتمر في أواخر أوت 1932م، فوصفت جريدة "النجاح" بداية أعمال المؤتمر «بيوم خالد في تاريخ النهضة العربية»⁵، أما الشهاب فقد أكد على ضرورة الوحدة بين أقطار المغرب العربي مُبرزة وحدة الفكر واللغة والشعور القومي والديني⁶.

¹ - سعد الله، الحركة الوطنية. ، ج3، ص.107.

- يراجع: خيرية، مرجع سابق، ص.149. - إبراهيمي، في مفترق الطرق. ، ص.ص (69-70).

² - جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا، نشرة محاضر جلسات مؤتمر طلبة شمال إفريقيا المسلمين بتونس المنعقد تحت إشراف الجمعية الخلدونية، تونس: المطبعة الأهلية 1931م، ص.ص (7-8).

³ - المصدر نفسه، ص.12.

⁴ - S.M.N. Dossier. A.E.M.N.A, A4.44. Doc. N:°344.

- «نشرة أعمال المؤتمر الثاني لجمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بتلمسان 1932م» (وهو باللغة العربية).

- يراجع أيضا وهو مطبوع:

- محاضر جلسات (جمعية ط.ش.إ.م. بفرنسا)، أعمال المؤتمر الثاني المنعقد بالجزائر. تونس: مطبعة الاتحاد، 1932م.

- سعد الله، الحركة الوطنية. ، ج3، ص.108.

⁵ - المرجع نفسه.

⁶ - بوضرساية (بوعزة)، " بعض جوانب الحركة الوطنية في منظور دياومي "، الثقافة، عدد 104. الجزائر:

سبتمبر/أكتوبر 1994م. ص.116.

الفصل الثاني ----- مساهمات جزائرية في الحياة السياسية

فقد أُقيم للمؤتمرين التونسيين والمراكشيين بنادي الترقى حفلات أُلقيت فيها المحاضرات وجمعت التبرعات أثناءها، حيث خطب الشيخ الطيب العقبي في المؤتمرين أكثر من مرة ووجههم باعتبارهم يُمثلون جيل المستقبل في أوطانهم، ولعب الأستاذ توفيق المدني في المؤتمر دوراً بارزاً باقتراحاته المتميزة، كما خطب فيهم الشيخ ابن باديس في قسنطينة وودعهم حتى محطة القطار، وكان قبلها قد أقام لهم نادي الاتحاد الإسلامي حفلاً كبيراً خطب فيه ابن جلول ومامي اسماعيل، إضافة إلى الدور الكبير الذي لعبته شخصيات جزائرية أخرى أمثال عباس فرحات - محمد السعيد الزاهري، ونذكر أنه جاء من تونس كل من المنجي سليم و صالح المهيري الجزائري وعلي البلهوان والحبيب ثامر¹، والأکید أن توصيات و فعاليات هذا المؤتمر كان له الأثر البالغ في هذا الوفد، وهو ما نعتبره مساهمة أخرى للجزائريين في الحياة التونسية، وخلال سنة 1933م انعقد المؤتمر الثالث في باريس بقاعة الموتيلاتي بعد منعه في المغرب الأقصى، وعقد الرابع بتونس ومثل الجزائر فيه السعيد الزاهري ومفدي زكريا²، وانعقد المؤتمر الخامس في تلمسان من 6 إلى 15 سبتمبر سنة 1935م، وافتتح المؤتمر الشيخ البشير الإبراهيمي والمميز فيه أنه كان هناك شبه اتفاق بين المؤتمرين على مبدأ الاستقلال الكامل لبلادهم واعتبار المغرب العربي أمة واحدة³.

وفيما يتعلق بتونس فقد كان من توصياته «رفع الحضر على» جمعية المحافظة على القرآن الكريم» التي يُشرف عليها عبد العزيز الباوندي، والاعتراف بحرية إنشاء الجمعيات والنوادي والمجلات في تونس، مع توحيد الثقافة والتربية في شمال إفريقيا.

أما المؤتمر السادس فقد كان من المقرر أن يعقد في الرباط لكن اعتراضات سلطات الحماية جعلت المنظمين يعقدونه في تيطوان (بالمغرب الإسباني)، هذا القرار التعسفي من فرنسا أثار ضجة في الصحافة المعاصرة وقد اشتركت البصائر في هذا الاحتجاج⁴، وانقطعت المعلومات عن مصير هذه المنظمة بعد المؤتمر السابع الذي عُقد بتونس في 25 سبتمبر 1937⁵، والذي كان تُونسياً في أغلبه ويبدو أن أفرادها قد توزعتهم الحياة السياسية في بلادهم، بعدها قام الجزائري محمد العيد الجباري

1 - سعد الله، الحركة الوطنية. ، ج3، ص.ص(108-109).

2 - العياشي(مختار)، البيئة الزيتونية(1910-1645)م، تح حمادي الساحلي. تونس: دار التركي للنشر 1990م. ص. 140.

3 - S.M.N. Dossier. A.E.M.N.A. A4.44. Doc. N :°500.

ينظر:

«نشرة أعمال المؤتمر الخامس لجمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين المنعقد بالجزائر. 1935م»

- تراجع: سعد الله، الحركة الوطنية. ، ج3، ص.ص (111-112).

4 - سعد الله، الحركة الوطنية. ، ج3، ص. 112.

5 - العياشي، مرجع سابق، ص. 141.

* مامي اسماعيل (1889 - 1956)م، تراجع ترجمته في الملحق I. رقم 59.

الفصل الثاني ----- مساهمات جزائرية في الحياة السياسية،
بتأسيس منظمته الطلابية جمعية شبيبة شمال إفريقيا الموحدة سنة 1937م¹، والتي انتهت بنفي مؤسسها
إلى الجزائر، وحسب تقرير من الإقامة العامة بتونس مؤرخ في 12 فيفري 1938م
فإنه كان على اتصال خصوصاً بمصالي الحاج وذلك من أجل توسيع خلايا جمعياته عبر منطقة
المغرب العربي²، كما ترأس أحمد بومنجل الجزائري جمعية طلبة شمال إفريقيا سنة 1936م³.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

¹ - الجباري، النشاط العلمي، ص. 190. 3/هـ.

² - هلال عمار، نشاط الطلبة، ص. 238.

³ - Ageron, Histoire de l'Algérie, T_{II}, P.539.

الفصل الثالث

مساهمات جزائرية في الحياة الفكرية

التونسية

• المبحث الأول: العمل الصحفي الجزائري ودوره في التطور

الفكري التونسي

• المبحث الثاني: النضال الطلابي الجزائري ودوره في الحياة

الفكرية التونسية

• المبحث الثالث: الإسهام الجزائري في بعض القضايا

الفكرية بتونس

المبحث الأول: العمل الصحفي الجزائري ودوره في التطور الفكري التونسي:

1. مساهمة الجزائريين في العمل الصحفي التونسي:

إنّ رواج الصحف التونسية بالجزائر أخذ في التوسع والانتشار بداية من مطلع القرن العشرين وحتى سنة 1912م، حيث توقف النشاط الصحفي تماماً إلى غاية سنة 1920م، ففي هذه الفترة لاقت الصحافة التونسية اهتمام الكتاب الجزائريين سواء المهاجرين منهم أو المستقرين بالجزائر، وهذا لما توفر لها من الحرية، حيث شارك في تحريرها أو ترأسها كثير من الجزائريين، وفي طليعة هذه الصحف جريدتي الحاضرة والتونسي¹.

ولا ريب أنّ وفرة الصحف التونسية خلال هذه الفترة أتاح للجزائريين مواكبة حركة الإصلاح في العالم الإسلامي عامة، ومكّنهم من المساهمة في التعريف بالجزائر، وتقييم ونقد هذه الصحف، وكذلك المشاركة في الحياة السياسية والفكرية بتونس.

ومن أبرز الجزائريين المهاجرين في تونس من الرعيل الأول، وأقوامهم شخصية "علي بوشوشة"²، الذي استطاع أن يجمع من حول جريدة الحاضرة، كتلة قوية من أصدقائه، وغيرهم من مثقفي الزيتونة ومدرسيها، حيث قاموا بحركة قومية ودينية، ترمي من جهة إلى تقوية روابط القطر التونسي بحركة الجامعة الإسلامية، وتطالب من جهة أخرى بتنفيذ الدستور التونسي...³.

فالجزائري "علي بوشوشة" اشتهر في صفوف زملائه بالذكاء المفرط، والسلوك الحسن مع الحفاظ على المبادئ، وهو ما مكّنه من أن يحظى بمترلة من المحبة والإكبار والتقدير من طرف رفاقه وأساتذته، «إنّ أكثرية تلاميذ الصادقية تلهج ألسنتهم باسمه وتردد خصاله، كونه استطاع أن يسبق زملاءه... في الدراسة، وكذا إتقانه لأربع لغات إتقاناً تاماً...»⁴، ووجد فرصته المناسبة حينما تألفت كتلة رجال النهضة التونسية، التي ظهرت ببروز جريدة «الرائد الرسمي التونسي» للجزائري الشيخ محمد السنوسي (1849-1900م)، حيث أعانوه في إصدار جريدة الحاضرة، «والتي كانت أول جريدة عربية غير رسمية ظهرت بتونس...»⁵، وبرز أول عدد منها يوم 2 أوت 1888م، وقد صدرت أسبوعية ولاقت رواجاً منقطع النظير خاصة لدى المثقفين، ورغم كل المضايقات التي فرضت عليها فإن بوشوشة استمر في إدارة هذه الجريدة وتمكن من فرض وجوده، حيث انسلخ عن وظيفته

1 - الجابري، النشاط العلمي، ص. 80.

2 - أحمد خالد، مرجع سابق، ص. 13.

3 - الفاسي، الحركات الاستقلالية، ص. 48.

4 - الذوايدي (رشيد)، أعلام بنسرت، تونس: دار المغرب العربي 1971م، ص. 45.

5 - بن قفصية، مرجع سابق، ص. 56.

لينغمس كلية في الحياة الصحفية، من أجل إيقاظ شعبه وتنبهه إلى العلل التي نخرت جسده. ولم تتوقف جهود علي بوشوشة في خدمة وطنه عند هذا الحد فحسب؛ بل استمرت في ميادين أخرى، من ذلك أنه ساهم بفعالية في نشاط الخلدونية وكان من مؤسسيها عام 1896م، كما قام برحلتين دراسيتين إلى وطنه الجزائر، حيث جمع فيهما كثيراً من الوثائق الهامة التي تمهه «كما كان يتردد على نادي الأميرة نازلي»¹، وعلى الرغم من تهالك قواه وتدهور حالته الصحية، فإنه واصل جهوده في سبيل قضية الشعب التونسي فكريا وسياسيا، إلى أن أمهك المرض فتوفي يوم 18 أوت 1917م².

فجريدة الحاضرة كانت مع اتجاهها بداية حركة إيديولوجية، نتج عنها فيما بعد ظهور منظمات فكرية وثقافية تعتبر أول نتائج هذا الاتجاه الإيديولوجي، والذي لم يكن لديه بعد برنامج كفاح ضد دخول الرأسمال الفرنسي إلى تونس³.

وبالنظر إلى افتتاحيات بوشوشة في صحيفة الحاضرة أو في غيرها، فإننا نجد بصورة المصلح الذي يطمع في أخلاق الشعب التونسي سائر أعماله، و لم يدخر جهدا في دعوة كل التونسيين، إلى اللحاق بركب الأوربيين عن طريق الأخذ بناصية العلوم الحديثة، حيث يقول في إحدى افتتاحياته: «(من أهم فوائد إتباع الأساليب الحديثة في المناهج)، هو أن يحرز التلميذ درجة من الترقى في العلوم و المعارف اللازمة فيحصل في المدة الوجيزة ما لا يحصل عليه نظيره في المدة الطويلة بطريقة أخرى، و لذلك تُشير على من أسعفهم الحظ من أولياء التلامذة (كذا)، من التونسيين بإرسال أبنائهم في طريق التحصيل إلى تلك الدرجة أن يستكملوا نصابه حتى لا تنعدم الفائدة من المساعي والتكاليف المبذولة»⁴.

كما نجد في افتتاحيات أخرى له، دعوة للثورة وتشهير بسياسة الدخلاء، وقد عاشت الحاضرة أكثر من عشرين سنة (1888 - 1911)م، ومن أعمال بوشوشة ترجمة بعض الأعمال من الفرنسية إلى العربية مثل أطروحة الدكتوراه لمحمد بالعربي الجزائري عن الطب العربي في الجزائر⁵.

¹ - بن عاشور، أركان النهضة. ، ص.50 وما بعدها.

² - الذواوي، أعلام. ، ص.50.

³ - Sammut, " la jeunesse du Nationalisme Tunisien , le mouvement jeune tunisien (1881-1914)", R.H.M. N :°01, Tunis jan 1974, P. 65.

⁴ - يراجع: الحاضرة، عدد960، تونس: 01أفريل 1902م.

⁵ - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي. ، ج5، ص.607. ينظر: العريسي (علي)، "أصداء جزائرية في جريدة الحاضرة"، مجلة الحياة الثقافية، عدد32 (عدد خاص). تونس: 1984م. ص.ص (70-72).

* بوشوشة (علي) (1859-1917)م. يراجع ترجمته في الملحق 1، رقم 08.

ومن بين ما اشتملت عليه الحاضرة أخبار الأدباء والكتّاب الجزائريين الذين وجدوا فيها مجالاً لنشر أدبهم وشعرهم، ومن هؤلاء محمود كحول الذي نشر فيها بعض القطع الشعرية، كما نشر فيها عمر بن قدور قصيدة عنوانها «نفثات قلم جزائري»، وعلي فخّار الذي اعتبرته الحاضرة من أعيان الجزائر وعلمائها المتبصرين في المصالح العامة، واهتمت الحاضرة أيضاً بالمؤلفات العربية الصادرة عن التونسيين والجزائريين على السواء، فنشرت قصائدًا وقطعًا في المدح، والتقريض والرثاء، وغيرها لشعراء جزائريين آخرين منهم، أحمد المجاهد الغريسي الذي كان قاضيًا، ومحمد بن مصطفى خوجة، الذي كان صحفيًا بالمبشر¹، وفي سنة 1904م صدرت أول مجلة تونسية من تأسيس الجزائري الخضر الحسين وهي مجلة "السعادة العظمى"، وفي نفس الفترة برزت الصحافة الفكاهية بظهور جريدة "أبو قشة" للجزائري محمد بن الهاشمي بن المكي²، (1881-1942)م صاحب جريدة "الإسلام"² وهو ابن الشيخ عثمان بن المكي ووالد السيدين قصي وحاتم المكي، كما تلتها جرائد فكاهية أخرى للجزائريين بن عيسى بن الشيخ أحمد صاحب جريدة "الثريا" (22 نيسان 1909م) و"جحا" و"الضحك" (26 نوفمبر 1911)، و"جحجوح" فيما بعد وكذا عبد الله زروق صاحب جريدة "المضحك" (20 أوت 1920)³.

وفي مطلع 1911م برزت جريدة كـ"المشير" لصاحبها الجزائري الطيب بن عيسى صاحب الوزير فيما بعد، وكان قبلها قد أصدر أحمد القبائلي جريدة "إظهار الحق" في 10 ماي 1904م⁴. ومن جهة أخرى مارس الخضر حسين الصحافة كرسالة ومنير للتعبير عن مذهبه الإصلاحية وآرائه في الدين والحياة والفكر، ولطول ممارسته لها وتحمله أعباء مسؤوليات كثيرة فيها أوجب اعتباره صحفيًا مناضلاً ورائدًا من رواد الصحافة التونسية.

فبالإضافة إلى ما كتبه ونشره من مئات المقالات والفصول، في مختلف الجرائد والمجلات بتونس وغيرها، أسّس عددًا من المجلات وساهم في تحرير كثير منها، ومن أهم المجلات والجرائد التي عمل بها أو تولى التحرير فيها بتونس، وأثر وساهم بعد ذلك في الحياة الفكرية التونسية عن طريقها مجلة "السعادة العظمى" التي أصدر منها 21 عددًا، ومجموعتها تعتبر طليعة رائدة للإصلاح بتونس⁵، حيث كان لها دور فعال في الحركات الفكرية والدينية التونسية، وأهم ما دعت إليه تغيير مناهج التعليم

1 - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ص.196.

2 - دي طرازي (فيليب)، تاريخ الصحافة العربية، ج3، بيروت: المطبعة الأدبية، 1913م. ص.256.

3 - بن قفصية، مرجع سابق، ص.11.

4 - دي طرازي، المصدر السابق، ج3، ص.255.

5 - موعدة، مرجع سابق، ص.ص (53-54).

* الهاشمي بن المكي (1881-1942)م، يراجع ترجمته في الملحق 1. رقم.68.

الفصل الثالث ----- مساهمات جزائرية في الحياة الفكرية

الزيتوني، ودفاعها عن اللغة العربية «وحسب الشيخ الفاضل بن عاشور فإنها كانت لسان جماعة الشيوخ المعتدلين الداعين إلى تحقيق الإصلاح وبناء النهضة»¹.

كما ترأس الخضر مجلة "الهداية الإسلامية" التي أسسها في القاهرة سنة 1928م، وكانت لسان تونس والمغرب العربي في المشرق العربي²؛ قال عنها أنور الجندي: «أنها كانت مجلة مغربية واضحة الدلالة في كتاباتها وأبحاثها، ودفاعها عن مختلف المواقف الوطنية والإسلامية والعربية»³.

إلى جانب ذلك ساهم الشيخ في تحرير مجلة "الشبان المسلمين" سنة 1929م، وترأس تحرير مجلة "نور الإسلام" (1930-1934)⁴، ولا نستطيع أن نعرف بالتحديد جميع المجلات والجرائد الأخرى التي نشر فيها الخضر قصائده ومقالاته نظراً لكثرتها، لمساهماته الفكرية العديدة في مجلة "البدر الزيتونية" وجريدة "الزهرة" بدءاً من سنة 1889م.

ومن الجرائد التي نالت رواجاً في الميدان الثقافي والإصلاحي والأدبي بتونس "جريدة العدالة" التي مثلت نزعة الشباب التونسي لصاحبها الهادي بن أحمد عباس، يُشاركه في تحريرها الشيخ الثعالبي بمقالاته الشهيرة، وجريدة "الإسلام" الاجتماعية الإصلاحية لمديرها الجزائري محمد الهاشمي بن عثمان المكي، وإضافة لما سبق هناك جرائد ومجلات أخرى لرواد جزائريين أمثال: مجلة "تحقيق الأمل" (1905م) للبشير زروق، "القسطاس" (1907م) للبشير القروي، " المنبر العربي الفرنسي" (1907م) للعزوز بن عيسى مع بطراس لاموتيري، "التونسي" (1909م) للشيخ الثعالبي، "كاركوز" (1910م) للحاج الصادق بلخوجة، "صدى الساحل" لعبد السلام القلي (1920م)⁵.

وكانت أول جريدة تصدر بالفرنسية هي جريدة "بريد تونس" للثعالبي، التي تطور برنامجها مع الزمن وأصبح يُطالب بتمثيل التونسيين في المجلس الاستشاري، ودافعت بشدة عن مسألة تعليم التونسيين، كما كان الثعالبي يُحرر القسم العربي، بجريدة التونسي ابتداءً من شهر أكتوبر 1909م وسماه "الاتحاد الإسلامي"⁶.

وكان قبلها قد أصدر في الفترة (1895-1897)م أسبوعية بعنوان "سبيل الرشاد" لكنه سرعان ما تصادم مع عداء الإدارة وعنادها؛ لأنه كان يدعو الناس الذين لا يستطيع النظام الجديد

1 - كرو، الخضر حسين، ص.63.

2 - خرفي، الجزائر الأصالة، ص.84.

3 - الفكر والثقافة، ص.176.

4 - وزارة الشؤون الدينية، آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس، ط1. ج3. الجزائر: دار البعث، 1984م. ص.114.

5 - بن قفصية، مرجع سابق، ص.12.

6 - مناصرة، الحزب الحر، ص.ص (27-28).

وفي سنة 1903م زار الثعالبي موطنه الأصلي الجزائر، حيث وجّه خطاباً في 19 ديسمبر 1903م إلى الكاتب العام بالدولة التونسية، وممّا جاء فيه: «كنت سافرت إلى الجزائر، وهناك عزمت على إبداء مقاصدي بنشر جريدة عربية، فقبل الطلب وسمح بالجواب، ولم يُثن عزمي عن الإبرار بالعمل إلاّ التوقف عن الإسترشاد برأيكم في اختيار أحد القطرين، لأني لا أود الشروع في عمل لا تكون لك فيه الخيرة مادّمت أعد نفسي نشئاً تونسياً...»²، فهو من خلال هذا الخطاب يعتبر تونس وطنه الذي نشأ فيه، ويبدوا أنّ الجو الصحفي العام في الجزائر (القوانين الاستثنائية)، لا تساعده على إبداء رأيه بصراحة اتجاه الوضع القائم. يمثل الحرية النسبية التي يجدها في تونس.

أما عمر راسم (1884-1959م)، فقد بدأ الكتابة بالجرائد التونسية، مثل "الإقدام" و"مرشد الأمة" و"المرشد" واعتبره محمد صالح الجابري أول الكتّاب الجزائريين الذين شاركوا في تحرير الصحف التونسية في أوائل هذا القرن وترجع مقالته التي بعث بها إلى جريدة "التقدم" إلى سنة 1907م، وهي في الواقع كانت رسالة مفتوحة إلى رئيس الحكومة الفرنسية وإلى الحاكم العام بالجزائر³، وواصل راسم نشره في جريدة التقدم، حيث هاجم سنة 1908م منح النياشين إلى الجزائريين من يد السلطات الفرنسية مقابل الخدمات والولاء على حساب الشعب والمصلحة الوطنية، كما هاجم الحضارة الغربية وانتقد الفئة المندمجة، ولعل راسم قد نشر في (المرشد) وغيره بتونس قبل 1907م أيضاً⁴، كما لا ندري على وجه التحديد متى توجه إلى جامع الزيتونة للدراسة والمشاركة في صحافتها، غير أنّ ما نعلمه هو أنّه قد تعامل مع الصحافة وعمره حوالي عشرين سنة، كما تعامل مبكراً مع جريدة الحاضرة التونسية، ومن البداية كانت ميوله للقومية الإسلامية كما يدلّ موشحه الذي نشره في "الحاضرة" سنة 1909م، والذي عارض به "موشح بن سهل" وتساءل فيه (هل أباد اليأس جيش الأمل)⁵، وعموماً فإنه كان ينشر رسائله ومقالاته تبعاً في جريدة التقدم طوال سنتي (1907-1908)م، إلى حين إصدار جريدة (الجزائر) في سنة 1908م، وبعد أن تعطلت نخبه يتحوّل في سنة 1909م إلى جريدة (مرشد الأمة)، وفي سنة 1911م يكتب بعض المقالات الإخبارية القصيرة لجريدة "المشير" التي كان يرأس تحريرها الجزائري الطيب بن عيسى.

أما عمر بن قدور (1886-1932)م، فقد كان أكثر مثابرة على مراسلة جريدة التقدم طيلة

¹ - العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج3، ص.197.

² - خرفي، الشيخ الثعالبي، ص.62.

³ - "رأي حر"، التقدم، تونس: 26 ديسمبر 1907م.

⁴ - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص.285.

⁵ - المرجع نفسه، ج5، ص.278.

الفصل الثالث ----- مساهمات جزائرية في الحياة الفكرية

سني (1908 - 1909م)، وبعد أن تعطلت "التقدم" تحول إلى الكتابة في جريدة "الحضارة" بالأستانة وجريدة "المشير"، هذه الأخيرة التي نقلت معظم رسائله التي نشرت بجريدة الحضارة سعيًا منها إلى إفادة الرأي العام التونسي على حقيقة ما يجري في الجزائر¹.

ومساهمات بن قدور في الأحداث التونسية يُمكن أن نستشفها بقراءة بعض مقالاته المتناثرة في الصحف المغاربية والمشرقية، ففي مقال بجريدة الحضارة² بعنوان: "أمواج الاغتيال أو نكبة تونس في أركان هضمتها"، نجد بن قدور قد تفجر بهذه المقالة عندما بلغت الأحداث ذروتها بإلقاء القبض ليلة 14 مارس 1912م، على أركان الشبيبة التونسية (المختار كاهية، وعلي باش حامية والصادق الزمري والشاذلي درغوث، والجزائريان الثعالبي وقلاتي) قائلاً: «وقد لا تحتاج الرعشة التي حدثت في الرأي العام التونسي بسبب هذه النكبة إلى الشرح والبيان، ويكفي أن يُشار إلى هذه الحادثة بأنها أعظم ما حصل في عالم حوادث تونس منذ انتصاب الحماية الفرنسية على ذلك القطر، وبصورها السياسية الأدبية يليق لها أن تُلقب بنكبة تونس في أركان هضمتها».

ونظرًا لتأثير بن قدور الكبير، ورواج كتاباته في تونس فإن خبر نعيه قد تلقفته الصحافة التونسية بحزن غامر وهبت تُعزي فيه الوطن والأصدقاء وتعدد خصاله الحميدة فوصفته جريدة (الوزير)³ بأنه «جامعًا لأوصاف الرجال العظام بما قدمه من الخدمات لجامعة المسلمين بقلبه ولسانه...».

ونلمس ذلك من خلال مثيرته على الكتابة وإحاحه على الإهتمام بأخبار الجزائر، وكان كلما بدا تقصيرًا منه، عاد ليكتب من جديد مُعتذرًا لدى القراء التونسيين، ونلمس هذا الحرص من خلال بعض الرسائل اليومية التي كان ينشرها بتونس⁴، ولقد تجاوزت العلاقة بين الصحفيين التونسيين والجزائريين في هذه المرحلة حدود تبادل المقالات والأخبار والمعلومات إلى الاتصالات الشخصية وتبادل الزيارات، إذ كان الصحفيون الجزائريون يفدون على تونس من حين لآخر للاتصال بزملائهم والتعرف عليهم، وقد تعرّض الطيب بن عيسى عند نعيه لزميله بن قدور إلى مثل هذه الزيارات الشخصية قائلاً: «الفقيد قطب من أقطاب الشمال الإفريقي، عرفناه بالمكاتبه وقابلناه مرتين بتونس ومرة بالجزائر وموته خسارة لا تُعوّض»⁵.

وفي سنة 1914م، دعا بن قدور إلى تأسيس (جماعة التعارف الإسلامي) بين مفكري المسلمين

1 - الجابري، النشاط العلمي، ص. 158.

2 - العدد 105، 11 أفريل 1912م. نقلا عن: الجابري، النشاط العلمي، ص. 159.

3 - عدد 18 فيفري 1932م.

4 - كمثل على ذلك يراجع: التقدم التونسية في العديدين: 23 جويلية 1908 / 12 فيفري 1908م.

5 - الوزير، عدد 18 فيفري 1932م.

الفصل الثالث ----- مساهمات جزائرية في الحياة الفكرية

في الجزائر وتونس والمغرب الأقصى، ولعلّه كان أول المبادرين إلى هذه الدعوة بين الأقطار الثلاثة، حيث كان يُريد ربط هذه الجماعة بمثيلاً في المشرق العربي، وقد نشر هذه الدعوة في جريدته الفاروق¹.

وظل يكررها حتى توقفت جريدته نهائياً، كما دعا إلى تكوين (جامعة الصحافة الإسلامية) منذ 1911م²، وعلاقة عمر بن قدور مع الصحف التونسية تكون قد سبقت إنشاء الفاروق، كما تعاون معه الصحفيون والكتاب التونسيون بعد إنشائها نذكر منهم مثلاً: معتمده هناك الجزائري الطيب بن عيسى، توفيق المدني، حسين الجزائري، صالح السويبيسي، إبراهيم بن شعبان، صالح النجار.

وهكذا كانت مساهمات هذين الكاتبين تمهيداً مهماً لتبادل سيكون مستمراً للكتابات الفكرية والسياسية الجزائرية في الحياة التونسية، كما سنّا بذلك بادرة التواصل التي امتدت لأكثر من نصف قرن.

واشتهر في هذا الباب الأستاذ الجزائري الهاشمي المكي الذي ساهم في الحياة التونسية بفكره وقلمه، وكانت له مواقف مشهودة في تونس من أجل إنقاذ المهتم وترقية العزائم وخدمة الوطن وهما هو نداء وطني خالد لنصرة إخوانه الليبيين: «...أيها الناس (يقصد التونسيين) لست بآتيكم بشيء جديد تجهلون، ولا أمر خطير لا تعلمونه...يا قوم نمنا السنين الطوال حتى تخدّر جسمنا وأنهكت قوانا وبقينا ضئيلين نئن تحت وطأة القوى الضاغطة علينا، فهل من نهضة لمعالجة ضعفنا؟..هل من حمية هل من شهامة تدفع الناس لإعلاء كلمتهم وارتفاع صوتهم بين الأمم التي أصبحت تسوم الملايين من إخوانهم سوء العذاب؟»³.

كما أصدر محمد الشريف التيجاني الجزائري (1886-1942)م^{**}، ثلاث جرائد هي:

- جريدة المنصف وهي جريدة علمية سياسية أسبوعية، صدر عددها الأول في 20 أكتوبر 1907م، والمتأمل في المسائل التي وقع التطرق إليها في افتتاحياتها يلاحظ أنها قضايا حساسة تعيشها

1 - ينظر: عدد 68 (06 جويلية 1914م).

2 - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي. ، ج5، ص.279.

3 - أبو قشة، عدد04، السنة II، تونس: 7 محرم 1328هـ. نقلا عن: بن قفصية، مرجع سابق، ص.ص (98-99).

* إبراهيم فهمي بن شعبان: (1892-1930)م، أخذ علومه الأولى من الخلدونية والزيتونة..أصدر مجلة "التعليم العربي" سنة 1920م، وله أيضاً: مجموعات شعرية وقصصية. - ينظر: الجابري، النشاط العلمي. ، ص.160. ه/4.

** الشريف محمد التيجاني (1886-1942)م. ينظر ترجمته في الملحق I. رقم.69.

الفصل الثالث ----- مساهمات جزائرية في الحياة الفكرية

البلاد التونسية آنذاك كالمجلس الشوري، ففي مقال بهذا العنوان وبإمضاء "ش.م"¹، وقع التركيز على انعدام جدوى تلك المؤسسة الاستشارية، وقد تم إيقافها في 17 أبريل 1918م لأسباب مادية، وما يُمكن القول عن محتواها أنها تُوحى بأن مواقفها بالنسبة إلى تلك الفترة لا تخلو من أهمية، ليس فقط لانتقادها بعض نواقص السياسة الاستعمارية، بل كذلك لسعيها إلى إيقاظ الهمم والدعوة إلى اليقظة مما جعل البعض يُرجع سبب إيقافها إلى آرائها الطبيعية، وأن صاحبها قد يكون وقع جره من طرف بعض معاونيه إلى ما لم يكن يرغب فيه وما لا يتماشى وخط الجريدة، بل هناك من اعتبر محمد الشريف التيجاني آنذاك من ألد أعداء الإدارة الفرنسية².

- جريدة خطيب العالم وهي دورية أسبوعية سياسية أدبية إسلامية، صدر عددها الأول يوم 04 جوان 1908م.

- جريدة التسامح وفيها التزم بمواقف معتدلة، وكانت تسحب ما بين 800 و1000 نسخة، وتوقفت عن الصدور في بداية جويلية 1909م³.

وبعد الحرب العالمية الأولى برزت في تونس صحف عديدة مختلفة المشارب، وكانت الوطنية منها بحاجة لمقالات المدني المتهبة، ورغم سلسلة عمليات القمع التي طبقتها سلطات الحماية على الوطنيين التونسيين فإن المدني كتب في المشر مقالاً عنيفاً بعنوان " الحرية والعدالة والمساواة " وإلا السموت (كتاب مفتوح إلى كل مناهض للحرية ساع في خنقها)⁴، وحتى بعد نفيه إلى الجزائر سنة 1925م بقي المدني على اتصال وثيق بالصحافة التونسية، ويذكر في مذكراته أنه لم يكن بمنى عن أخبار تونس (فقد كنت متين الاتصال الوثيق بالأخوة من أعضاء اللجنة ومن رجال الشعب المختلفة وكنت أتصل بمعدل سبعمائة وخمسون (750) رسالة شهرياً، أما اللجنة التنفيذية فكنت معها على اتصال يكاد يكون يومياً بواسطة سيد الإخوان وواسطة عقد المناضلين محي الدين القليبي)⁵.

ومن المعروف أنه وبعد سعي الثعالبي بباريس، حيث كان مبعوث الأمة التونسية الأول في فك الصحافة من عقابها، وبفضل تلك المساعي، رفع المقيم العام الجديد(فلاندان) الحجر على الصحافة العربية التونسية فعادت الجرائد القديمة إلى الصدور كما ظهرت صحف جديدة منها السياسية

¹ - المنصف، عدد07، تونس: 1907/12/7م. وينظر أيضاً: المنصف، عدد04، تونس: 1907/11/18م،
- نقلاً عن: العجيلي (التليبي)، " أضواء على حياة محمد الشريف التيجاني في تونس خلال الثلث الأول من القرن العشرين"، م.ت.م، عدد (55-56). تونس: م.إ.ع.ش.ت، ديسمبر 1989م، ص.139.

² - المرجع نفسه، ص. 142.

³ - المرجع نفسه، ص.ص (143 - 144).

⁴ - عدد 21، 08 مارس 1924م، نقلاً عن: بن قفصية، مرجع سابق، ص. 133.

⁵ - حياة كفاح، ج4، ص.97.

والفكاهية و الأدبية، وانحازت كلها تقريباً إلى صف المعارضة المتمثل حينذاك في الأستاذ الثعالبي. وكانت أول الجرائد تعطى بعد الحرب هي جريدة "المشير" للجزائري الطيب بن عيسى بسبب موقفها المؤيد لما جاء في كتاب الثعالبي «تونس الشهيد»، لكن الطيب بن عيسى استأنف نشاطه الصحفي بعد أسبوع فقط حيث أصدر جريدة (الوزير)، التي تنبأت قبل غيرها بظهور «الحزب الدستوري»¹ كما مالت في بداية عهدها إلى الحزب المنشق عن الحزب الدستوري الحر «الحزب الدستوري المستقل» لصاحبه فرحات بن عياد، حيث دافع عنه الطيب بن عيسى وعن أفكاره غير أنه انصرف عنه بعد ذلك ما تقلد بن عياد وظيفة سامية في القصر الملكي²، كما كان المدني يُحرر القسمين الإسلامي والخارجي بجريدة "الأمة التونسية" لصاحبها الحاج علي بن مصطفى. وكتب الطيب بن عيسى مقالاً في "الوزير" يدعو فيه التونسيين إلى النهضة - والملاحظ أن كل مقالاته كانت على النسق - بعنوان العمل - العمل³، جاء في بعضه: «... لا حياة إلا بالسعي ولا سعي إلا بالعمل ولا عمل إلا بالاقتصاد، ولا... إياكم والخمول، إياكم والتبذير... إياكم والزهد في لذائذ الحياة...».

قال عنه ابن قفصية مشيداً بدوره: «.. استوزر في دولة صاحبه الجلالة (الصحافة) فكان مُشيرها ومستشارها في محلياته و خارجياته و مُتفرقاته، فهو وزير عاقل و مُشير لبيب في مقام طبيب ولقد جاهد كثيراً في حياته الصحفية و أمتحن، و لم يفز إلا برضى القراء الذين لم يهمهم غنى أو فقر الكاتب»⁴.

وبعد تأسيسه لحزبه الإصلاحية عام 1921م، أسس حسن قلائي جريدة أسبوعية هي "البرهان" تُعبر عن وجهة نظر المعتدلين الذين يريدون العمل بسياسة المراحل، ولم تُعمر طويلاً حيث توقفت من تلقاء نفسها في أواسط عام 1922م، ليؤسس بعدها جريدة " النهضة " اليومية عام 1923م، وإن لم يكتب على صدرها أنها لسانه وسخر لها المطبعة المسماة « مطبعة النهضة »، ودامت هذه الجريدة تُعبر عن وجهة نظر الحزب الإصلاحية إلى سنة 1926م، ثم استمرت حتى بعد أن حُلّ الحزب من تلقاء نفسه على إثر فشل زعيمه في انتخابات عضوية المجلس الكبير، إلى صائفة 1954م، كما كان لحسن قلائي مقالات كثيرة في الصحافة التي تُعبر عن وجهة النظر الشيوعية، حيث كان يدعو لفكرته من خلال هذه الصحف⁵.

1 - بن قفصية، مرجع سابق، ص.ص (17-18).

2 - المرجع نفسه، ص. 27.

3 - عدد 25، تونس: 11 أكتوبر 1920م.

4 - بن قفصية، مرجع سابق، ص. 91.

5 - بن قفصية، مرجع سابق، ص. 26.

وبرز في هذه الفترة أيضا الجزائري البشير الخنقي الذي كان شعاره طوال حياته الصحفية بتونس هو الدفاع عن مصالح البلاد ومؤازرة العاملين مع الحرص كل الحرص على عدم خدمة هيئة أو جمعية بذاتها، فقد أغرته حركة "النادي التونسي" بعشرة آلاف فرنك ليكون لسانها الناطق ويفسح مجال جريدته لأقلام مُعتنقها فأبى ذلك بكل شمم ولم يضعف رغم تعدد العرض وتنوع المساومات، إخلاصًا للعهد الذي قطعته في خدمة تونس، حيث ساهم بنصيب موفور في إيقاظ الشعور الوطني بقلمه وعلمه وعمله¹، فقال عنه بن قفيصة بأنه: «يُشرك بكل انتصار، وبكل هزيمة للخارجين، فترى لسانه لا يميل إلى الانزواء..»، له مكاتب للمحابر والدفاتر وللصحف والمجلات، وله مجلس في مفترق الطرقات، وهو ذو انتباه لما يهم بلاده [تونس] من كل المسالك، وذو اشتغال بالأخبار عما حاصل في مختلف الممالك..»².

وظهرت مع منتصف العشرينيات طلائع الجزائريين المُقيمين داخل تونس وساهمت بالكتابة في الصحافة التونسية جرّاء الانفراج السياسي والإصلاحي الذي كان يسود تونس خلال هذه الفترة، وأول ما تجدر الإشارة إليه بهذا الخصوص هو تعدد هذه المشاركات وتنوعها، وارتباط أصحابها بصحف معينة، إذ كثيراً ما لاحظنا اقتصار الكاتب الجزائري على التحرير في صحيفة واحدة دون غيرها نظراً لارتباط هذا الكاتب بأحد محرري هذه الجريدة، كعلاقة الصداقة التي كانت بين حمزة بوكوشة (1927-1979م)، ومحمود بورقيبة في جريدة "الوزير" (الركن الأدبي)، وكذلك حالة ع.زر كشي مع جريدة "الوزير"، والسعيد الزاهري (1900 - 1956م) مع جريدة "النهضة"، والطيب العقبي (1880-1960) ومحمد العيد (1904-1979م)، مع جريدة "العصر الجديد"، وفي بعض الأحيان كان الدافع الوطني هو السبب الأساسي في جعل بعض المهاجرين الجزائريين، يُساندون بعض الصحف ذات التزعة الوطنية أو الحزبية الدستورية إظهاراً للتضامن، وقد فعل هذا معظم الجزائريين دونما استثناء وعلى الخصوص أبو اليقظان الذي نشر معظم مقالاته وقصائده في جريدة "المنير" ذات الاتجاه الوطني، وعلى غرار نجاد محمد العيد الذي تبنت جل أفكاره جريدة "العمل" لسان حال الحزب الدستوري الجديد، وقد ترسّم هذا السبيل الشاعر محمد الأخضر السائحي، الذي نشر معظم إنتاجه في هذه المرحلة المبكرة في صحف معروفة بنضالها الوطني مثل "العمل"، و"الواجهة"، و"البوق"، و"الزمان"³، إلا أنّ هذه المساهمات الفكرية والسياسية تطوّرت باطراد بعد الحرب العالمية الثانية وبعد تضاعف البعثات العلمية الجزائرية إلى تونس.

¹ - المرجع نفسه، ص.156.

² - المرجع نفسه، ص.91.

³ - الجابري، النشاط العلمي، ص.191.

الفصل الثالث ----- مساهمات جزائرية في الحياة الفكرية

ومن مساهمات الشيخ السعيد الزاهري في عمليات النشر بالصحافة التونسية ما كان ينشره في جريدة "الوزير"، من مقالات استقطبت اهتمام قراء الجريدة بما فيها رئيس تحريرها الطيب ابن عيسى فقد نشر الزاهري سلسلة مقالات بما دعا فيها إلى إيجاد وحدة [مغربية]، ومما جاء في إحداها: «...فلنعمل على تقوية الرابطة الإسلامية وإحيائها بين أقطار المغرب الثلاثة، ولنسمي أنفسنا أبناء المغرب ولنسعى في أحياء مجد المغرب»¹.

ومن الجزائريين البارزين في الوسط الصحفي التونسي محمد العربي (1907-1946)م، أصيل مدينة تيار تيار الذي كان عضواً في منتدى جماعة مهدي (تحت السور)، حيث شارك في تحرير عدد من الصحف كصحيفة "الصبرة" التي أصدرها مع عمر العجوة، وبسببها زُجَّ به في السجن، وبعد خروجه منه ترأس تحرير الصفحة الأدبية لجريدة "الزمان" (1927-1937)م، ثم مع مجلة المباحث على إثر تأسيسها في سنة 1938م، وبعد استقراره الطويل في كونغو برازيفيل حيث كان يعمل في إذاعتها عاد إلى فرنسا، وانتهت حياته بموته مختنقاً في بيت الاستحمام سنة 1946م.² ومن أبرز الشعراء والكتاب الجزائريين الذين أسمعوا أصواتهم من خلال الصحافة التونسية وكان لهم دور مشرف في الحياة التونسية، ونالوا قسطهم من المحاكمات والتعسفات، محمد العيد آل خليفة، أبو اليقظان، مفدي زكريا (1908-1973)م، السعيد الزاهري، العيد الجباري (1911-1942)م، محمد خير الدين، أحمد سحنون، الأخضر السايحي، عمر برناوي، صالح خرفي، صالح خباشة، محمد الصالح باوية، عبد القادر السايحي، خليفة محمد، الهادي سنوسي، عبد الله شريط، واللقاني السايحي³، كما برزت مساهمات القصاصين في تطويعهم للقصة بهدف خدمة موضوعات ثورية رائدة، وهو ما نجده واضحاً في تلك المحاولات التي قدمها كل من عبد الحميد الشافعي وعبد الله ركيبي وأبو العيد دودو.

وتعززت هذه المحاولات الإبداعية بثلة من الباحثين والمفكرين الذين مهدوا بأعمالهم إلى خلق تيار فكري في تونس يُترجم المواقف السياسية المختلفة فكان منهم: مبارك الملي، حمزة بوكوشة، توفيق المدني، عبد الرحمان يعلاوي، أحمد حماني مولود قاسم، عبد الرحمان شيبان، محمد الصالح صديق، أبو القاسم سعد الله، ومحمد الملي.

وهكذا لم تكن العشرينات والثلاثينات، وحتى بعدها منطلقاً لعمل صحفي وطني جزائري تونسي فحسب؛ ولكنها كانت طوراً جديداً من أطوار الصحافة المناضلة التي تخلت عن اهتمامها

1 - خرفي (صالح)، الزاهري. ، ص.ص (162-165).

2 - الجابري، النشاط العلمي. ، ص.325.

3 - يراجع: خرفي (صالح)، الشعر الجزائري.

السابق التعلق بالأخبار الخارجية وأضحت تركز عنايتها على الأوضاع الداخلية.

وهناك جانب إيجابي شارك فيه الجزائريون في الحياة الفكرية التونسية، هو إقبالهم على شراء الصحف والجرائد التونسية لمطالعتها وتشجيعها مادياً على الدوام والمثابرة، فرفعوا بذلك من نسبة المقروئية مما كان رافداً هاماً دعم الحركة الفكرية التونسية، ويؤيد هذا الإقبال الشعبي على مطالعة الصحافة التونسية في هذه الفترة ما رواه مالك بن نبي¹، وكذلك ما رواه رحالة تونسي الذي زار الجزائر في سنة 1924م، وراعه تلهف الناس على اقتناء الصحف ومطالعتها بشكل مثير ومغري².

2. مساهمات الصحافة الجزائرية في القضايا التونسية:

وفي الفترة الممتدة من مطلع القرن العشرين إلى قيام الحرب العالمية الأولى ظهرت فيها عدة صحف جزائرية³.

وفي هذه المرحلة يُمكن أن نسجل مشاركة وحيدة للتونسي بالأصل عز الدين القلال في تعريب جريدة الإسلام (1912-1914) التي يرأس تحريرها الصادق دندان⁴، حيث كان يقوم بإصدار النسخة العربية، وتوقفت هذه النشرة العربية عن الصدور في نهاية سنة 1913م، بينما استمرت النشرة الفرنسية حتى نوفمبر 1914م، كما أصدر القلال في الجزائر جريدة البريد الجزائري في 18 أوت 1913م⁵.

أما الفترة الممتدة من سنة 1919م إلى سنة 1939م، فهي تعتبر مرحلة مزدهرة عرفت فيها الجزائر صحافة عربية راقية، كثيرة، متنوعة ومتطورة ويقترّب عدد الصحف العربية التي ظهرت خلال هذه المرحلة من ثلاثين صحيفة⁶.

إنّ الاهتمام البالغ الذي أولته الصحافة الوطنية في الجزائر لقضايا الوطن العربي الإسلامي تجلّى في تتبعها الدقيق لأحداثهما بصورة مستمرة⁷ رغم محاولات الاستعمار الفرنسي المتكرر لعزل الجزائريين عن إخوانهم مجرماهم من الإمدادات الثقافية والإعلامية⁸.

1 - بن نبي، مذكرات، ج1، ص.ص (140-337).

2 - الجابري، النشاط العلمي، ص.192.

3 - مرتاض(عبد المالك)، "نشأة الصحافة وتطورها بالجزائر"، الثقافة، عدد33. الجزائر: جوان/جويلية 1976م، ص.33.

4 - ناصر (محمد)، الصحف العربية الجزائرية (1847-1939)م. الجزائر: ش.و.ن.ت. 1980م، ص.36.

- ينظر أيضاً: سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص.249.

5 - ناصر (محمد)، الصحف العربية، ص.38.

6 - مرتاض، "نشأة الصحف"، الثقافة، ع(33)، ص.34.

7 - ناصر (محمد)، المقالة الصحفية، مج1، ص.ص (44-47). ينظر: خيرية، مرجع سابق، ص.10.

8 - ناصر (محمد)، المقالة الصحفية، مج2، ص.381.

فبعد مصادرة السلطات الفرنسية لجميع الصحف الوطنية التونسية منذ حوادث 1911م باستثناء جريدة "الزهرة اليومية"، ودام هذا التعطيل من (1911/11/8) إلى (1920/2/1)، سارع الصحفيون التونسيون إلى الكتابة في جريدتي "ذو الفقار" و"الفاروق" فكانت بمثابة المتنفس لغيظهم على تصرفات المستعمر، ومن أوائل من سارع بالكتابة في الفاروق « الطيب بن عيسى » الذي كان وكيلا لها بتونس¹، وعندما أعلن بن قدور "مشروعه العظيم" - راجع المبحث السابق- كان أول المستجيبين له حسين الجزيري²، وحالة تلهف التونسيين على جريدة الفاروق يصورها المدني قائلا: « كانت الصحف التونسية كلها معطلة وكانت الأفواه مكمومة وحالة الحصار مفروضة على العباد منذ سنة 1911م، وقليلاً ما كنا نتصل بصحف شرقية فكنا نترقب أسبوعاً بفارغ الصبر للحصول على جريدة (الفاروق)، التي كان يصدرها الخيّر الحر عمر بن قدور الجزائري، وكنا نطالع فوق صفحاتها مقالات ترد عليها من تونس بقلم كاتب يُدعى حسين الجزيري تتناول الموضوعات الأدبية والاجتماعية»³، ولكن هذا التبادل لم يلبث أن تطور حثيثاً خصوصاً بعد عودة الصحافة التونسية إلى الظهور بداية من فيفري 1920م، وهو الانفراج الذي كان في صالح التونسيين والجزائريين على السواء، حيث أصدر الإصلاحيون الجزائريون أكثر من صحيفة ومجلة قبل تأسيس الجمعية وبعدها والتي وجدت في تونس مجالها الإعلامي ورواجها، وتضامن الكتاب التونسيون معها، فصدرت خلال هذه الفترة "المنتقد" سنة 1925م ثم "الشهاب" (1925-1939)م، هذه الأخيرة التي كانت تضم في صفحاتها باباً يسمى نظرة عالمية وهو ركن سياسي محض يجعل قراءه على اطلاع بمجريات الأحداث العالمية خلال شهر، يُحررها توفيق المدني، وقد انقسم هذا الركن فيما بعد إلى عنوانين في الشمال الإفريقي والشهر السياسي، حيث ناقش هذا الركن قضايا تونسية كثيرة⁴، كما صدرت في 7 مارس 1927م، جريدة "البرق" لصاحبها السعيد الزاهري التي كانت تُطبع بتونس ابتداءً من العدد (17)، وكان لها ركن خاص عنوانه "قوارص" يهتم بتعقب سيرة الأفراد، ويذكر المدني تلك المعركة التي شنتها البرق ضد صاحب جريدة الندم التونسية وصاحبها حسين الجزيري، والتي كان لها آثار سيئة في الأوساط الإصلاحية⁵.

كما صدرت "الإصلاح" (1927-1948)، وترأسها الطيب العقبي، ونظراً لفقدان وسائل الطباعة العربية اضطر إلى طبعتها في تونس، لكن بعد عددها الأول منعته سلطات الحماية

¹ - حربي، في رحاب. ، ص.30.

² - بن شنب، " النهضة. " مجلة كلية الأدب، ع01، ص.140.

³ - حياة كفاح. ، ج1، ص.66.

⁴ - ناصر، الصحف العربي. ، ص.59. يراجع:

⁵ - حياة كفاح. ، ج2، ص.128.

من هذا الحق¹، وكذا جريدة ميزاب هي الأخرى كانت تُطبع في تونس منذ 25 جانفي 1930م ومن أهم الجرائد الإصلاحية التي صدرت خلال هذه الفترة جريدة "المغرب" (1930-1931م)، وهي أسبوعية كانت تنشر مقالات لكتاب تونسيين، نقلا عن جرائد ومجلات عربية منها " النهضة التونسية" اهتمت بمعالجة قضايا وطنية وعالمية، ونجد في أحد أعدادها انتقاداً شديداً للطاهر الحداد وكتابه "إمرأتنا في الشريعة والمجتمع"²، كما هاجمه حمزة بوكوشة في عدد آخر لأنه «حاول إبطال الحجاب وتعدد الزوجات والتسوية بين الذكر والأنثى»³، ومن ثم نلاحظ أن الجريدة كانت لها عين يقظة تتحرك في الحياة الفكرية التونسية منتقدة انحراف المنحرفين ومدافعة عن المصلحين والوطنيين ويجب أن نذكر في هذا الباب الدور الكبير الذي قام به أبو اليقظان في الحياة الفكرية التونسية الذي تجاوزه إلى مساندة الرأي بالتنفيذ، حين جعل من صحفه ميدانا واسعا لأقلام الكتاب التونسيين فكان من بين هؤلاء من أصبح علما في ميدان الفكر والثقافة، من أمثال: عثمان الكعاك والحبيب الخلصي ومحمود بورقيبة⁴.

ومن إصدارات أبي اليقظان جريدة "وادي ميزاب" (1926-1929م)، التي عاشت 119 عدد وميزة هذه الجريدة أنها كانت تُطبع في تونس في حين جمهورها ومحرروها بالجزائر، وهذا بمساعدة الشيخين محمد الثميني وقاسم بن عيسى الموجودان بتونس، اللذين كانا يشتركان مع أبي اليقظان في شركة تجارية لبيع الكتب في مكتبة الاستقامة، التي كان لها الفضل الكبير لتزويد المثقفين في تونس بما يجد في عالم المطبوعات والإصدارات⁵.

كما أنشأ أبو اليقظان جريدة "النور" (1931-1933م)، ذات التوجه الإصلاحي والتي اهتمت اهتماما بالغا بقضايا المغرب العربي «فقد كان رواجها بالمغرب وتونس أكثر من رواجها بالجزائر نفسها»⁶ ف"النور" كان لها في تونس كتابها وقراءؤها، وآية ذلك هذا المقال الذي نشره أحد التونسيين يبين فيه مكانة أبي اليقظان من الصحافة التونسية، «...وقد خصصنا جريدتكم السراقية نظراً للمكانة التي تحتلها في نفوسنا نحن معشر التونسيين، ولنا في أصالة رأيكم وقلمكم السيال واحتفاظكم بالمودة نحن إخوانكم صحفي تونس، وسعيكم لتحقيق غاية التألف

¹ - ناصر، الصحف العربية، ص.86.

² - عدد 25، الجزائر: 1930/11/18م.

³ - عدد 27، الجزائر: 1930/12/2. يراجع أيضا العدد 33، الجزائر: 1931/02/12م.

⁴ - ناصر، "أبو اليقظان"، الثقافة، عدد 22، ص.63.

⁵ - ناصر، الصحف، ص.ص (70-74). ينظر: الزبير (سيف الإسلام)، "التاريخ النضالي للصحافة الوطنية"،

الأصالة، عدد (14-15)، الجزائر: 1973م، ص.284.

⁶ - ناصر، الصحف العربية، ص.110.

وتوثيق رابطة الأخوة بين القطرين الشقيقين، أعظم كفيل لتحقيق الأماني¹».

وتتحلى أكثر المساهمة الصحفية لأبي اليقظان من خلال جريدة الأمة (1933-1938)م، التي حافظ فيها على التوجه الإصلاحية في معالجة القضايا التونسية، ويبدو أنه كان من أكبر اهتماماتها في تلك الفترة القضية التونسية، فقد كان لها ركن خاص في الصفحة الثانية من هذه الجريدة وكان لهذه الأخيرة مراسل خاص يمضي مقالاته بـ(الهادي)، دائم الاتصال بها. على أن الأمة كانت كثيرة النقل عن جريدة "الزهرة" التونسية ناهيك على أن أبا اليقظان كانت له مكانة مرموقة في نفوس الصحفيين التونسيين، وقد زار تونس عدة مرات ومن بين المقالات التي شارك بها في الحياة التونسية مقال في عددها الثامن²، الذي يصف فيه الحوادث الدامية التي أسفرت عن تعطيل الصحف الوطنية وإغلاق نوادي الحزب الدستوري، كما نلاحظ المساهمة من خلال مقال «تونس تعانق شقيقتها الجزائر»³ و«تكريم الأستاذ أبا اليقظان بتونس»⁴ و«السياسة الرشيدة تحل محل العسف والإرهاب بتونس»⁵ و«فضلاء الزيتونيين يخطون خطوة موفقة بتأسيس جمعية الرابطة الزيتونية»⁶ و«فضائع وحشية بالجنوب التونسي»⁷ و«زعيم شمال إفريقيا المنتظر الثعالبي يصل إلى تونس»⁸ و«تونس في أسبوع الأستاذ الثعالبي»⁹، و«بارقة أمل في الحركة الوطنية»¹⁰.

وفي نفس هذا التوجه وعند «عودة الشيخ الثعالبي» كتبت جريدة "الشعب" لسان حال حزب الشعب الجزائري في عددها الأول¹¹ مقالاً بعنوان «زعيم الأمة يُوحّد صفوفها»؛ حيث تمت له التوفيق «نرجوا أن يكون موفقاً في دائرة عادلة لتوحيد الواجهة الوطنية بشقيقتنا تونس المقداة». ولقد كانت جريدة "النجاح" تكفي عادة بنشر أخبار تونس والوطن العربي في الركن المخصص للأخبار الخارجية، وتعرضها عرضاً إخبارياً، يعتمد على أسلوب السرد الصحفي كما نقلته

1 - جريدة النور، عدد 73، 21 مارس 1933م، نقلًا عن: محمد ناصر، الصحف العربية، ص. 112.

2 - عدد (16-11-1934)م

3 - الأمة، عدد (14)، (ديسمبر 1934)م.

4 - الأمة، عدد (14-15)، (ديسمبر 1934)م.

5 - الأمة، عدد (76)، (26 ماي 1936)م.

6 - الأمة، عدد 111، (أفريل 1937)م.

7 - الأمة، عدد 113، (ماي 1937)م.

8 - الأمة، عدد 130، (20-07-1937)م.

9 - الأمة، عدد 134، (أوت 1937)م.

10 - نفسه.

11 - ع 1، 27 أوت 1937م. يراجع أيضا: ع 2/ 15 أكتوبر 1937م.

الصحف التونسية أو وكالات الأنباء من دون تعليق من هيئة التحرير إلا في حالات نادرة. بينما نجد مجلة "الشهاب" تُولي هذا الجانب اهتمامًا بالغًا، وتركز على الكتابة حول هذه القضايا تركيزًا شديدًا، وتمنحه من المجلة صفحات عديدة قد تجاوز عشر صفحات في أغلب الأحيان¹، فقد كانت بمثابة منتدى أدبي يلتقي فيه الشباب الإصلاحية ويتطلعون على آخر تطورات القضية التونسية بالخصوص.

كل هذه المظاهر تدلنا على الترابط الوثيق الذي كان بين أصحاب الجرائد في تونس، واهتمام صحف الجزائريين بأخبارهم وأخبار الأقطار الأخرى.

وحسبنا أن نُقر هنا بأنه حتى المتمزتين والجامدين من الكتاب التونسيين كانوا ينشرون بالصحف الجزائرية المحافظة "كالبلاغ" و"الإخلاص" و"الرشاد" و"صوت المسجد"، وقد استطاعوا على الرغم من فساد مذهبهم وجمود في فكرهم أن يساهموا في إخصاب حركة الثقافة العربية في الجزائر على ذلك العهد، ذلك أن مقالاتهم كانت تُنشر فُتقرأ وكان الكتاب الجزائريون التّقدميون يقفون لها بالمرصاد فيناقشونها في صحفهم ويُدحضون ما فيها من خطأ القول وفساد الرأي².

بيد أن كتابات التونسيين في الصحف الجزائرية لم يقف أمرها لدى بعض من هذه المواضيع الضعيفة بل المشهود لهم بالتفوق، أنهم كانوا أيضًا ينشرون بالصحف الجزائرية، التي كان المصلحون يُشرفون عليها، فنجد "البصائر" لا تكاد تخلو من مقالات لكتاب تونسيين كبار أمثال علي النيفر ومحمد الشاذلي النيفر³.

هذا إضافة إلى تقریضات الكتب التي كانت تُنشر في ذلك العهد، كتقریض التونسيين لرسالة الشيخ ابن باديس «جواب سؤال عن سوء مقال» فقد قرصها محمد النخلي، ومحمد الطاهر ابن عاشور، ومحمد الصادق النيفر، ومعاوية التميمي⁴.

1 - ناصر، المقالة الصحفية. ، مج2. ص.384.

- ابن باديس، قعيدا (الصحافيان الكرمان) الأستاذين الجعائبي وبن شعبان، ج2، مج14، ربيع الأول 1357هـ / ماي 1938م.

- المدني: المصاب التونسي الجلل، ج6، مج11، سبتمبر 1935م.

2 - مرتاض (عبد المالك)، " نضال الصحافة العربية في الجزائر قبل الثورة "، الثقافة، عدد39. الجزائر: ماي/جويلية 1977م، ص.39.

3 - المرجع نفسه،

4 - وزارة الشؤون الدينية، آثار. ، ج3، ص.ص (164 - 174).

الفصل الثالث - مساهمات جزائرية في الحياة الفكرية،

ونستخلص من كل هذا أن تأثير الكتاب الجزائريين في تونس أمر من المكابرة إنكاره، إذ تُثبت كل القرائن أن الجزائريين كانوا يتفاعلون مع الأحداث الفكرية والسياسية التي كانت تجري بتونس فيضطربون لها، ويُعايشونها بأنفسهم وعقولهم معًا.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: النضال الطلابي الجزائري ودوره في الحياة الفكرية التونسية

1. تمهيد: «الحالة العلمية ومراكز التعليم بتونس»

إنّ جامع الزيتونة بتونس، الذي هو أحد أهم وأقدم المعاهد التعليمية العربية، حمل لواء الثقافة القومية مالا يقل عن اثني عشر قرناً وحافظ على المقومات الحضارية لمنطقة المغرب العربي، وقد استطاع أن ينشئ جسراً دائماً يربط التونسيين والجزائريين، هؤلاء الأخيرين كانوا ينظرون إليه على أنّه الحارس الأمين للتراث القومي ويشعرون بعمق الصلة التي تربطهم به.

فجامع الزيتونة أسهم مساهمة فعالة في الحركتين الوطنيتين التونسية والجزائرية بأبنائه وقيمه وروحه فكانت كلا الحركتين زيتونيتين¹، ورغم ذلك فقد شعر طلبته في مستهل هذا القرن بعدم مسايرة نظامه التدريسي للمناهج الحديثة وعاذتهم الصحف التونسية كـ"التونسي" و"الصواب" في هذا الاهتمام ودافعت عن مطالبهم².

ومن المعروف أنّ التعليم بالجامع الأعظم كان يتم في ثلاث درجات: ابتدائية، وسطى، وعالية فالابتدائية تُمكن مزاؤها من الحصول على شهادة الأهلية، والوسطى تمكنه من الحصول على شهادة التحصيل، أما العالية فتُمكن مزاؤها من الحصول على الشهادة العالمية، وهم الذين لهم الحق في طرق أبواب الوظائف العامة³.

وكان نظر التعليم بالجامع الأعظم منوطاً بعهدة النظارة العلمية، وهي هيئة تتركب من شيخي الإسلام الحنفي والمالكي والشيخين القاضيين بالمذهبين، وذلك منذ ترتيب التدريس له على عهد أحمد باشا باي الأول في عام 1258هـ، ثم وقعت تنقيحات على هذا النظام في عهد وزارة خير الدين باشا (1873-1877) الذي أدخل عدة إصلاحات في جلّ المؤسسات التونسية، ثم تطور نظامه التعليمي والإداري في عهد أحمد باشا باي الثاني في 30 مارس 1933م، كإناطة نظر الجامع الأعظم لشيخ الجامع الأعظم عوض مجلس النظار وإحداث مجلس الإصلاح وظيفته تحسين التعليم⁴.

أمّا المدرسة الخلدونية فقد كانت مُكملة للعلوم التي تُدرس بجامع الزيتونة حيث صارت هذه العلوم لوزمية في برنامج الامتحان به، وقد برز كثير من تلامذة الجامع في العلوم الرياضية

¹ - الطاهر عبد الله، مرجع سابق، ص. 227.

² - عثمان الشريف، المصدر السابق، ص. 139. وللإطلاع على أحوال جامع الزيتونة في هذه الفترة يراجع: بن الخوجة (محمد)، صفحات من تاريخ تونس، تق، تح، حمادى الساحلي والجيلاني بن الحاج يحيى. بيروت: دار الغرب الإسلامي 1986م، ص. ص (317-319).

³ - المصدر نفسه، ص. 292.

⁴ - التميمي (عبد الجليل)، "محاضر جلسات إصلاح التعليم الزيتوني (1924 - 1925)م"، م.ت.م، عدد (21-22). تونس: م.إ.ع.ش.ت، 1981م، ص. ص (93-132).

الفصل الثالث ----- مساهمات جزائريته في الحياة الفكرية
وبالجمله فقد أنجبت المدرسة الخلدونية جيلاً جديداً وتلميذاً موفقاً، انتفعت به الأمة، واستكفت
به الإدارة في الأعمال المهمة حيث ضموا لما عندهم من علوم اللغة والدين المستفادة من الجامع
الأعظم»¹.

«وصفوة القول أن تلامذة (كذا) الخلدونية وبالأخص قدمائهم كانت لهم مقدرتهم في الأعمال
واعتماد الفكر الذي عاد بالنفع في عالم الاجتماع وتلك مزايا التعليم الصحيح الذي نشره بها السيد
البشير صفر في السنوات الأولى منها ونفخ فيها من روحه وأخذ يطبع تلامذتها..»²، أما مدرسة
الصادقية، فقد كانت هي الأخرى «أهله بطالب العلم من الجزائريين، أهله ناشئة طيبة حتى جاءها
الندير فتشتتوا ولم تبق إلا أسماءهم منطوية تحت الظلم والاستبداد والقهر..»³.

2. البعثات والرحلات التعليمية من الجزائر إلى تونس:

شهدت الجزائر منذ مطلع القرن العشرين هجرات طلابية محدودة، توجهت بصورة رئيسية
نحو جامع الزيتونة، وكان يحدوا هؤلاء الطلبة المهاجرين رغبة في استكمال دراستهم العالية،
بعد أن أتموا تعليمهم الثانوي في الزوايا التعليمية، ويكفي أن أغلب علماء الجمعية
كانوا من بين خريجي الجامع الأعظم.

وتميزت هجرات الطلاب الجزائريين المبكرة بأنها كانت نتيجة رغبة شخصية أو مبادرات
فردية، ولم تشهد البلاد قبل الخمسينيات بعثات طلابية منظمة سوى بعثات الطلاب الميزابيين
الإباضيين التي أخذت تتوافد إلى تونس بصورة منتظمة منذ عام 1914م، ولم تحاول جمعية العلماء
إنفاذ بعثات تعليمية منظمة إلى خارج البلاد وعلى الأخص إلى المشرق العربي إلا في عام 1951م⁴.

ففي العقد الأول من القرن العشرين هاجر إليها الشيخ عبد الحميد ابن باديس (1889-
1940م) سنة 1908م والشيخ الحاج الناصر كروش وابنه الشيخ حمو، لتتدفق الهجرات والبعثات
بعد الحرب العالمية الأولى، حيث صارت تونس هي مقصد كل من يريد الثقافة العربية الواسعة⁵.

ويُعتبر الشيخ ابن باديس أحد واضعي أسس التواصل الثقافي والعلمي بين تونس والجزائر⁶
بحيث كانت رحلته إليها فاتحة عهد جديد بين القطرين، حتى بعد عودته إلى قسنطينة لم يقطع صلته

¹ - التعبوري وآخرون، المصدر السابق، ص. 136.

² - المصدر نفسه، ص. 372.

³ - السنوسي (زين العابدين)، الأدب التونسي في القرن 14هـ، ج 1، تونس: د.ت. ن. 1971م، ص. 112.

⁴ - الخطيب، جمعية العلماء، ص. 217.

⁵ - دبور، نهضة الجزائر، ج 2، ص. 20.

⁶ - هلال عمار، العلماء الجزائريون، ص. 87.

بشيوخه فيها وبرعاية منه وصلت إلى تونس أول دفعة من هذه البعثات التعليمية في سنة 1913م، إلا أن ظروف الحرب العالمية الأولى، لم تُمكن الطلبة من البقاء في تونس فاضطروا للعودة إلى بلادهم إلى أن وضعت الحرب أوزارها؛ حيث استأنفت هذه البعثات طريقها إلى تونس¹، وكانت منتقاة من أفاضل الدارسين أمثال مبارك المليي والعربي التبسي والسعيد الزاهري وعبد السلام القسنطيني ومحمد العيد، وهم الذين تخرجوا بين سنتي (1924-1925)م فهؤلاء مثلوا طليعة المتخرجين وساهموا أدبيًا، وفكريًا في مجال الكتابات الصحفية والتجمعات العلمية².

كما برزت مسارات أخرى اتجهت انطلاقًا من الجزائر نحو الزيتونة كمسار الجنوب الصحراوي، أي منطقة وادي ميزاب (التي سنتحدث عنها لاحقًا)، وأيضًا مسار آخر اقتصر على ارتياد الزوايا والكتاتيب والمدارس الواقعة على مقربة من الحدود الجزائرية التونسية، وهو مسار الوسط الذي تمثله مدينتي تبسة ووادي سوف، ويصف مالك بن نبي طبيعة هذا المسار الوسطي ونوع البعثات التي ترحل من مدينة تبسة في اتجاه مراكز التعليم بنقطة، فيقول: «كان في تبسة ثوران من الأفكار حقًا يحفظه ويرعاه، ويصونه العلماء الذين أخذوا يعودون من الشرق»³.

إن ابن باديس بعمله الرائد هذا استطاع أن يُساعد على تنمية هذا الإقبال التلقائي، ويجعله إحدى الخصائص المميزة لهذه المناطق، ويُحوّله من طابع الهجرة الفردية العشوائية إلى البعثة المنظمة الواعية كهجرته إلى قمار؛ التي كانت لها أثر كبير في شبابها، وكما يذكر سعد الله: «فقد كان هؤلاء الشبان الذين سافروا للدراسة في جامع الزيتونة، يعودون بعد عام فيتصلون بشبان جدد ينشرون بينهم أفكارًا جديدة فكان عدد الداهيين يزداد في خريف كل سنة»⁴.

وهكذا لم تكد الحرب العالمية الثانية تضطرم، ويتوقف بسببها كل نشاط للهجرة العلمية حتى كانت الجزائر تزخر بعشرات الخريجين الذين تركزوا للدراسة بالمعاهد، وتعززت هذه الحركة العلمية بتأسيس المعاهد والنوادي والمدارس والجمعيات والصحف، وبالتالي فقد قدمت الزيتونة أفواجًا من العلماء والمفكرين لم يقتصر دورهم على تعبئة المشاعر الوطنية والعمل من أجل بعث الجزائر وإنما كانت لهم مساهمات نشيطة في مجالات الفكر والصحافة بتونس⁵.

لكن الشيء المميز بالنسبة للميزابيين هو أن رحلاتهم التعليمية لم تقتصر على تونس العاصمة

1 - الجابري، التواصل الثقافي، ص 48

2 - الجابري، النشاط العلمي، ص 37.

3 - مذكرات، ج 1، ص 81.

4 - منطلقات فكرية، بيروت: الدار العربية للكتاب 1979م، ص 44.

5 - مرحوم (علي)، "لحات من حياة الشيخ ابن باديس"، الثقافة، عدد 24، الجزائر: مارس / أبريل 1975م.

فقط بل حتى مدينة جربة التي كانت تزخر بالعلماء، فيقصدونها للتعلم والتزود من الصلاح الذي تتسم به.

ولضمان أكبر قدر من النجاح انتدبوا للإشراف على أول بعثة اجتازت تبسة إلى تونس في ماي 1914م، الشيخ إبراهيم بن الحاج عيسى أبو اليقظان والحاج عمر عنق، حيث أجروا بمساعدة التجار الميزابيين في تونس داراً للإقامة وسميت (دار البعثة)، وأثناء الحرب تعززت بفوج آخر من الطلبة سنة 1917م ضم يحيى بن باحمد والحاج عمر بوحمام والناصر ملالي وأبو اليقظان وإبراهيم بن بكير¹، فدخلوا جامع الزيتونة.

وهذه البعثات الميزابية لم تنقطع حتى أوائل الستينات، وكان لرؤسائها والقائمين عليها إسهامات في الحياة الفكرية التي عاشتها تونس وتميزوا بصدارتهم في صفوف الحركة الوطنية التونسية.

ولما كثر عددهم فتحت لهم مقار جديدة في بئر الحجار (المدرسة السليمانية) أو (ابن خلدون) أو (العبري)، وكانت هذه المدارس مزاراً للشخصيات العلمية و السياسية مثل ابن باديس والثعالبي وحسني عبد الوهاب ومحمد الزغواني والمختار بن محمود والفاضل بن عاشور².

وقد كثرت البعثات العلمية من الجنوب والشمال في العقد الثالث والرابع من القرن العشرين إلى تونس حتى بلغت المئات، وأغلبها التحق بجامع الزيتونة، بعد أن كان الذهاب إلى تونس ولو بصفة فردية من المحضورات التي سنّها الاستعمار الفرنسي.

3. وضعية الطلبة الجزائريين:

وينبغي أن نوضح بادئ ذي بدء أن الإحصائيات الرسمية لم تُخصص في تقاويمها - حسب علمي - أي مكان للطلبة الجزائريين باعتبارهم ضمن الطلبة المتدربين، أما الدفاتر المحفوظة في خزانة الوثائق التونسية والمحتوية على قائمة الطلبة المذكورين فهي تكاد تكون منعدمة والمقصود هنا التي تهم فترة الدراسة ولها علاقة بالموضوع المدروس وعلى ذلك فقد اضطررنا لتقدير عدد الطلبة الجزائريين إلى الإطلاع على عدة مراجع والقيام ببعض المقارنات بل حتى تقديم بعض المعطيات المعدلة، أو عن طريق المذكرات والمقالات الشخصية والمراسلات المتبادلة بين الطلبة وذويهم.

¹ - وضمت القائمة طلبة آخرين، يراجع أسمائهم في: دبوبز، نهضة الجزائر، ج2، ص.178.

- ينظر أيضاً: الكاملي (أبي راس عبد الله محمد)، أبي اسحاق اطفيش، قسنطينة: مطبعة الشهاب 1965م. ص.35.

² - دبوبز (محمد علي)، نهضة الجزائر، ج2، ص.180.

وتجدر الإشارة أيضاً أنّ عدد الطلبة كان يتغير باستمرار بحسب الظروف السياسية السائدة في القطرين، والملاحظ أنه تضاعف بعد الثلاثينات ليصل إلى الأوج بعد الحرب العالمية الثانية، ولسوء الحظ فإننا لم نعرف حالياً أعدادهم بالضبط في كل سنة، نظراً لافتقادنا الوثائق المتعلقة بهذا الموضوع على الأقل خلال الفترة التي حاولنا فيها.

تفيد بعض الوثائق أنه كان يُوجد بالجامع الأعظم في أوائل الثلاثينات عدد كبير من الجزائريين، وقد كان هذا الارتفاع عندئذ محل تعاليق في مختلف المراسلات المتبادلة بين الإقامة العامة بتونس والسلطة الفرنسية بالجزائر، والتي تشير إلى بعض «الأفراد الغير مرغوب فيهم» والواجب ترحيلهم إلى الجزائر وذلك بمناسبة حصول أي اضطراب بجامع الزيتونة أو في مستوى الساحة السياسية بتونس ففي أوائل الثلاثينات بلغ عدد الطلبة الجزائريين حسب الإحصاءات الرسمية 200 طالباً وفي سنة 1938م ارتفع العدد إلى 250 طالباً، ولكن أكبر عدد من الطلبة الجزائريين كان في فرع الكاف وتوزر، حيث كانت توجد الجالية الجزائرية بكثافة، وارتفع العدد سنة 1952م إلى 1500 طالباً ولم تتوفر لدي حالياً أي معلومات حول الطلبة ذوي الأصول الجزائرية المستقرين بتونس، والذين يبدو أنهم كانوا مسجلين آنذاك بجامع الزيتونة، ومن ناحية أخرى لم تتوفر لدينا من سوء الحظ معلومات دقيقة وكاملة حول عدد خريجي الجامع الأعظم وفروعه من الجزائريين خلال الفترة المعنية إلا أنّ المعلومات القليلة التي تحصلنا عليها قد تفيد بتحقيق الأهم من هذا العمل.

لكن نلاحظ أنه ابتداءً من مطلع الثلاثينات سيصبح أغلبية الطلبة المنخرطين في الجامع الأعظم من الشمال والوسط والجنوب، بعكس ما كانوا عليه حتى قبل مطلع العشرينات وهذا ربما قد يجد تفسيره في النزوح الكبير للجاليات الجزائرية إلى هذه المناطق بحسب ما توصلنا إليه في موضوع الهجرة الجزائرية، ومناطق استقرار هؤلاء الجزائريين المهاجرين.

فحسب إحدى الوثائق بلغ مجموع طلبة جامع الزيتونة بفروعه في منتصف الثلاثينات 683 طالب جديد، لا يُمثل منهم سكان الحاضرة إلا عدد 136 طالب بنسبة 19% بـ 98 طالب من قفصة وتوزر، و68 طالب من سوسة، و46 طالب من القيروان والباقي ينتمون إلى الوسط والجنوب.

وقد أشار (هنري دي مونتي) إلى «أن الطلبة الزيتونيين من أصلي العاصمة قد أصبحوا يُمثلون خمس (1/5) مجموع الطلبة في آخر الثلاثينات»¹.

وفي آخر الحرب العالمية الثانية، كان عدد الطلبة القادمين من الجزائر (123) طالباً و 3/4 منهم

¹ - Série D35, Dossier 3.28, p.17, A.P.M.T. «العائلات التقليدية والنخب الجديدة بالبلاد

من قسنطينة مقابل طالب واحد من المغرب و 7 طلبة من ليبيا¹.

أما التوزيع الجغرافي للطلبة الجزائريين المرفوتين من جامع الزيتونة والمتعرضين للمتابعات العدلية من أجل نشاطهم السياسي، فقد كان يتمثل فيما بين سنتي (1910-1945)م في 94 جزائريًا مقابل سبعة مغاربة².

ونلاحظ من خلال إحدى الإحصائيات أن أكبر عدد من المرفوتين عرفته منطقة الشمال الغربي والوسط والجنوب بـ 169 طالب مقابل 75 طالبًا في خلال المناطق المتبقية من القطر التونسي، وبعملية مقارنة بسيطة، نجد أن الجزائريين كانوا يُشكلون 40% من كل الطلبة المرفوتين خلال هذه الفترة وهذا لا يفسر ازدياد عددهم ابتداءً من الثلاثينات فحسب بل أيضًا على وجه الخصوص أهمية الدور الذي كانوا يقومون به ضمن الحركة النقابية والسياسية بجامع الزيتونة تؤكدنا أيضًا رواية الشيخ الخضر حسين بقوله «ويبلغ عددهم في هذا المعهد (مطلع الثلاثينات) زهاء ألفين... من بينهم كثير من القطر الجزائري من دون احتساب ذوي الأصول الجزائرية المستقرين بتونس...»³.

والجدير بالملاحظة أن مدارس سكنى الطلبة في المدن الداخلية لتونس لم أعثر على تفاصيل مهمة تتعلق بحالة الجزائريين فيها خصوصًا؛ وذلك نظرًا لانعدام أو قللة المعلومات المتعلقة بها على الأقل في الوثائق التي أمكننا الإطلاع عليها.

وقد استقر أغلب الطلبة الجزائريين بالعاصمة في مدرسة سكنية تابعة للجامع الأعظم تسمى زاوية سيدي العجمي⁴، والواقع أن عدد المقيمين الجزائريين في مدارس سكنى الطلبة يفوق بكثير تلك التقديرات الرسمية إذ كانت كل غرفة تأوي بالفعل أكثر من أربعة طلبة، وحسب شهادة أحد قدماء الجزائريين الزيتونيين فإنه شاهد 20 شخصًا يُقيمون في نفس الغرفة⁵.

وهناك من الجزائريين من استأجروا بيوتًا تابعة للخواص على نفقاتهم الشخصية ويصور علي كافي في مذكراته حالة الطلبة الجزائريين في تونس: «كنا نختار شخصًا من بيننا نكلفه بالمصاريف التي تُودعها لديه.. وكنا نطبخ وحدنا وننقسم العمل فيما بيننا بحيث يتسوق كل واحد

1 - المصدر نفسه.

2 - المصدر نفسه.

3 - الخضر حسين، المصدر السابق، ص. 29.

4 - «مذكرة حول مدارس سكنى الطلبة مؤرخة في 1937م» - S. D35, Dossier .08, A.P.M.T

5 - مقابلة مع الأستاذ طاهر بن عيشة (كان طالبًا في الزيتونة في الأربعينات)، فندق باب البحر، طرابلس الجماهيرية الليبية، الجمعة 27 جويلية 2001م. (20,30 - 21,10).

منا بينما آخر يقوم بالطبخ...»¹.

وتلك هي الظروف المعيشية التي كانت سائدة في مدارس سكنى الجزائريين في الثلاثينات ولربما قبلها وهذا لتعرف مدى التحدي الذي رفعه هؤلاء خدمة لوطنهم ولتونس أيضاً، غير أن الشيء الإيجابي في هذه السكنات أنها كانت مدعاة لتلاقي الجزائريين وتكاثر نشاطهم السياسي (الاجتماعات والمناشير).

وقد أخذ الوضع يتفاقم سنة بعد سنة بسبب ازدياد عدد الطلبة إلى أن أفضى الأمر إلى الاكتظاظ الذي انعكس على ظروف حفظ الصحة حتى أصبحت لا تطاق.

أما مدارس سكنى الطلبة فقد كانت بمثابة «الجحور» المفتقرة في أغلب الأحيان إلى أبسط وسائل حفظ الصحة (الماء الصالح للشرب، الكهرباء، قنوات تصريف المياه..)، كما ذكرنا سلفاً، هذا إضافة إلى مشاكل الرطوبة والتهوية وهو ما أدى إلى كثرة المصابين بأمراض كانت سبباً في هلاك كثير منهم أو ذهاب عافيتهم وكثيراً ما يكون لهم سقوط مستمر من ذلك².

على أن مثلاً: حمود رمضان، ومحمد العيد الجباري، ويحي بوعزيز وحمو بن الحاج ناصر بن كروش³ على وجه الخصوص، قد كانوا ضحية تلك الظروف الصحية القاسية السائدة في تلك «الجحور»، وعرضة لأمراض السل والحنّاق والحمى التيفية.

ومن الجدير بالملاحظة أن الطلبة الجزائريين المرفوتين، وقتياً من الجامع الأعظم لأسباب سياسية، كانوا يرفتون أيضاً من مدارس سكنى الطلبة، فيكونون مضطرين إلى الإقامة بالوكالات (فنادق) والإقامة مع الباعة المتجولين وسائقي العجلات وعمّلة الرصيف، ولا شك أن ذلك سيُفقد حتماً نكهة الدراسة⁴.

ورغم وضعيتهم الصعبة والمتردة للغاية، لم يتوان الطلبة الجزائريون من مشاركة إخوانهم التونسيين الذين كانوا يُقاسمهم تقريباً نفس الظروف، في التعبير علانية عن استنكارهم وغضبهم، وقد كانت مسألة المدارس تمثل دوماً مطلباً أساسياً ما فتئوا يكررونه بمناسبة كل حركة احتجاجية أو إضراب عن الدروس، وما انفكوا ينشرون عرائض الاحتجاج على صفحات الجرائد التونسية⁵.

ومن الملاحظ أن تلامذة المعاهد الرسمية (كالمدرسة الصادقية) والتي كان بها عدد قليل

1 - مذكرات الرئيس علي كافي، (من المناضل السياسي إلى القائد العسكري «1946-1962»). الجزائر: دار القصة للنشر. 1999م. ص. 24.

2 - مقابلة مع الأستاذ بن عيشة.

3 - دبور، نهضة الجزائر. ، ج2، ص. 153.

4 - مقابلة مع الأستاذ بن عيشة.

5 - العياشي مختار، مرجع سابق، ص. 115.

من الجزائريين كانوا يتمتعون بظروف عيش أفضل تسمح لهم بالتفرغ لدراساتهم¹.

وبالنظر إلى حالة الطلبة الجزائريين في الفروع الزيتونية الموجودة في داخل البلاد فهي مماثلة للحالة السائدة في العاصمة، من ظروف التعليم، أو مدارس سكنى الطلبة التي يرجع بعضها بالنظر إلى جمعية الأوقاف أو بعض الزوايا، فقد كان وضعها أحسن بكثير من وضع المدارس الموجودة بالعاصمة².

وتضاف إلى ظروف الدراسة والتغذية والسكن، ظروف الإكساء فقد أصبح الطلبة الجزائريون يجوبون الشوارع بأسمالهم البالية طالبين الإحسان، و« إنه لمشهد محزن للغاية، ومثير للرتاء في هذا العصر الذي نعيش فيه، ولكنه مشهد مُتكرر للأسف...»³، من شأنه أن يدفع تلك الطبقة المثقفة الكادحة إلى الثورة، حيث يذكر الشيخ محمد صالح بن عتيق في مذكراته عن سنوات دراسته قائلاً: « وقد كانت تلك السنوات التي قضيتها، رغم ما كنت أقاسيه من العناء والاحتياج من ألد أيام حياتي... ذلك أن التلميذ غالباً ما يعيش في الأحلام أكثر مما يعيش في الحقائق، وإذا تحدثت عن نفسي ووصفت ما كنت ألقاه أيام الطلب، فإنما أصف الأكثرية الساحقة من التلاميذ المهاجرين الجزائريين فلم يكونوا أحسن حالاً مني...»⁴.

وفيما يتعلق بالسيرة العامة للطلبة الجزائريين فقد نشرت جريدة (المشير)⁵ التونسية اسم الطالب عبد الحميد بن مصطفى ابن باديس ضمن أسماء الطلبة الزيتونيين الذين نالوا شهادة التطويع من الجامع الأعظم في نهاية السنة الدراسية (1910-1911)م، وكان ترتيبه الأول بين جميع الطلبة الناجحين، كما كان الطالب الجزائري الوحيد الذي تخرج من الزيتونة في تلك الدورة، وذلك على خلاف ما ذهب إليه معظم الذين أرخوا لدراسة الشيخ ابن باديس في تونس، وهكذا كانت سيرة الجزائريين التعليمية، في الدراسة والمواظبة عليها.. فنالوا أولى الدرجات وكانوا قدوة لغيرهم في هذا الباب.

ومن جانب معاملة بعض التونسيين للجزائريين يذكر الشيخ الزاهري ذلك قائلاً: « قضيتُ هناك أعواماً، في منادمة أولئك الظرفاء - من خلال نادي الأدب الذي أسسه - فما كنت أحسب العام يمضي منها إلا يوماً أو بعض يوم، ولا اليوم إلا لَمحة بصر، فلا أنسى تلك الطرائف التي كانت يطاف بها علينا كما يُطاف بكؤوس الصهباء على الشارين، وقد كنت أضيق ذرعاً

¹ - المرجع نفسه.

² - المرجع نفسه، ص.ص (116 - 117).

³ - العمل التونسي، عدد 10 جوان 1937م.

⁴ - المصدر السابق، ص.70.

⁵ - المشير، تونس: 06 أوت 1911م.

الفصل الثالث ----- مساهمات جزائرية في الحياة الفكرية

بالشتم التي يهجم بها بعض الأحداث التونسيين على أمة الجزائر بغير حق فكنتُ أحامي على أمي، بما كانت تنشره لي جريدة النهضة هناك..¹، أما علي كافي وإن كانت دراسته في تونس جاءت متأخرة عن فترة الموضوع إلا أنها على الأقل تفيد في إضاءة زاوية معينة من ظروف معيشة الطلبة الجزائريين بتونس، فإنه يذكر إعجاب التونسيين وخصوصاً النخبة منهم «حينما أردنا الالتحاق بالدرسة، وجدنا أن المسؤول عليها يُحب الجزائريين لذكائهم واجتهادهم وإتقانهم لعملهم، ولم يكن ذلك المسؤول سوى الشيخ محمد الشاذلي النيفر..»².

ويوم كان السعيد الزاهري طالباً في تونس، كانت له صلوات أدبية وثيقة بالصحافة هناك، وكانت جريدة النهضة التونسية، تعتر بإنتاجه وتنشره بعناوين بارزة مطبوعة، وفيها نشر كثير من قصائده.³

وقد التحق الزاهري بجامع الزيتونة، وتخرج منه بشهادة التطويع (العالمية)، وكان حاملوا هذه الشهادة في ذلك الوقت المبكر آحاداً، يستقبلون في أوتبتهم إلى الجزائر استقبال الفاتحين وفي مقال له بالشهاب⁴، اعترف بفضل الزيتونة عليه حيث قال: «أنا مدين لكلية جامع الزيتونة بتونس فقد تخرّجت فيها، وأحرزت على شهادتها، وما تراه في الجزائر من حركة العلم والأدب والإصلاح الديني... هذه أيضاً مدينة لجامع الزيتونة»، وفي نفس المستوى من الجِد والعمل والأخلاق والمثابرة نجد العديد من الطلبة الجزائريين، أمثال الشيخ محمد خير الدين الذي نال المرتبة الثانية (شهادة التطويع) في جوان 1925م، مُتقدماً على 50 طالباً زيتونياً⁵.

ويذكر خير الدين أنه كان يُشارك رفقة الطلاب الجزائريين بتونس في الحركات السياسية والفكرية التي عمت أرجاء البلاد، وكمثال على ذلك: المظاهرات السلمية التي قادها الشيخين (الصادق النيفر وعثمان بن الخوجة)، احتجاجاً على احتلال جيوش الحلفاء لعاصمة الخلافة الإسلامية استنبول ومضيق الدردنيل، أما المظاهرة الثانية كان سببها التدخل الساخر من الاستعمار في شؤون الباي (محمد ناصر)، وتحدث الخطباء من الشعب أمام قصر الباي بالمرسى وأكدوا ولاءهم للعرش،

1 - الزاهري (محمد الهادي السنوسي)، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ط1. تونس: المطبعة التونسية، 1926م، ص.67.

- ينظر أيضاً: جريدة النجاح، عدد44. تونس: 1921/12/19م.

2 - المصدر السابق، ص.01.

3 - خرفي، الشيخ العالي. ، ص.22.

4 - داء دفين في جامع الزيتونة، ج2، مج13. الجزائر: ديسمبر 1833م.

5 - خير الدين، مذكرات. ، ص.ص (77-78).

الفصل الثالث ----- مساهمات جزائرية في الحياة الفكرية
وكان من جملة الخطباء في ذلك اليوم الشيخ عبد الرحمان اليعلاوي الجزائري.¹

3. الدور الطلابي الجزائري وتعدد مساهماته:

إن القرن التاسع عشر الميلادي، إذا نظرنا إلى أخصرياته باعتبارها رابطة وهمزة وصل بين عصور الانحطاط الثقافي والفكري في الجزائر وعصر النهضة، فقد كانت فترة طيبة لظهور ثلاثة هامة من الصفوة الجزائرية التي أخذت على عاتقها مهمة النهوض الثقافي والعلمي والتي وجدت في جامع الزيتونة وسيلتها المثلى، قد كانت تنهل من مناهل العلم ما تيسر لها، ثم تعود إلى وطنها دون أن تقطع الصلة بينها وبين تونس، وبهذا شكّلت جسراً فكرياً وسياسياً وبشرياً بين القطرين توج بتشييد معهد ابن باديس في قسنطينة الذي كان ملحقة رسمية لجامع الزيتونة وفرع متمم له.

إن الشيخ الخضر حسين يُعتبر واحداً من تلك الصفوة الجزائرية لذا نراه يُمارس دوره الفكري كطالب بتونس، حيث تقدم بأول محاضرة علنية قامت في تونس في نادي قدماء الصادقية عام 1906م بعنوان « الحرية في الإسلام » والتي طُبعت بعدها في كتاب² مستقل، ثم نجده يُقدم استقالته فيما بعد ويُصرُّ على قبولها حتى يتحرر من أعباء الوظائف التي للاستعمار يد وسلطان عليها.. ومن ثم عاد للعاصمة ليلقي دروسه العلمية تطوعاً في جامع الزيتونة، مساهمة منه في بذر البذور الأولى للنهضة الفكرية التونسية الناشئة، كما تطوع في وضع فهارس لمكتبات جامع الزيتونة وطبع منها أربع مجلدات، ثم عُيِّن أستاذاً في عام 1908م بالمدرسة الصادقية، ونجده مرة أخرى يرفض أن يكون قاضياً أو مستشاراً في محاكم تعيش في ظل الاستعمار، وهو موقف مشرف آخر تعتر به النخبة الجزائرية، وإلى جانب مهامه التدريسية في مدارس الزيتونة، والصادقية، والخلدونية كان يُواصل إلقاء المحاضرات و نظم القصائد وكتابة المقالات في مختلف الشؤون التونسية.

وخلال هذه الفترة، كان يحث الطلبة على المطالبة بإصلاح التعليم الزيتوني وعلى تنظيم صفوفهم في جمعية طالبية في تونس عام 1907م وشرع الطلبة يُطالبون بالإصلاح بإيعازه وتوجيهه الخفي لهم حتى تطوّر الأمر إلى إعلان إضراب 16 أفريل 1910م، حيث كان عددهم حينها زهاء السبعمئة (700) طالب³، وقد كانت زيارته إلى بلده الجزائر بداية جديدة لحياته، حيث شرع بعدها تحضير نفسه لتحقيق أفكاره وميوله الإصلاحية⁴.

¹ - المرجع نفسه، ص.55.

² - كرو، الخضر، ص.15.

³ - بن عاشور، المصدر السابق، ص.ص (96-99).

⁴ - المصدر نفسه، ص.42.

وزاده تغانيا في العمل الفكري الإصلاحي، تعاونه مع خاله العلامة الجزائري المكي بن عزوز وصديقه الجزائري الآخر الشيخ الهاشمي بن المكي صاحب جريدة "أبو قشة"، وكذلك أخوه المكي بن الحسين الذي كانت له مساهمات أدبية ولغوية كبيرة حيث اشتهر بشعره القوي وتنقياته وأبحاثه اللغوية¹.

كما أن التكوين التقليدي الذي خضعوا له في دروسهم و مناهجهم بتونس قد خلق منهم طبقة ثقافية كادحة ثائرة ليس فقط ضد ذلك التكوين الذي أكل عليه الدهر وشرب، بل أيضاً ضد كامل النظام الاستعماري الذي كان يسعى إلى تهميشهم، وعلى هذا الأساس فإن الأفكار العلمانية التي عبر عنها مثلاً الطالب الجزائري عبد العزيز الثعالبي في مطلع القرن العشرين من خلال كتابه «روح التحرر في القرآن»، قد تسببت في محاكمته الشهيرة سنة 1904م، ذلك أنها لم تحض برضى الحركة الزيتونية واعتبرت أفكاره سابقة لأوانها، حيث احتفظت هذه الأخيرة بصبغتها الدينية إلى أبعد حد.

ومن القضايا أيضاً التي كانت محل نقاش في الأوساط الطلابية منذ مطلع القرن العشرين الأفكار القومية، والحركة النقابية، وموضوع تحرير المرأة والنهضة الثقافية والدينية بوجه عام. ولم يتمكن لا الجامع الأعظم ولا القانون الأساسي لرجال التعليم الزيتونيين الصادر سنة 1912م، من تسييط عزيمة الطلبة المناصرين للنزعة التجديدية.

وكثيراً ما أشارت التقارير الصادرة عن الإدارة الفرنسية إلى التحول الكبير والملاحظ في عقليات الطلبة خصوصاً بعد فترة الحرب العالمية الأولى، مُعتبرة أن الأمر يتعلق بظهور تيار فكري مطليبي جديد متعارض مع نزعة الاستسلام التي كانت تُميز في سالف الزمان الوسط التونسي التقليدي.

وقد يعود ذلك بالإضافة إلى تنامي النشاط السياسي والصحفي خلال هذه الفترة إلى الوجود المكثف للطلبة الجزائريين، والذي أعطى دعماً معنوياً ومادياً قوياً ساهم في تنامي - بصورة تنقص أو تزيد - النشاط الفكري التونسي.

4. العمل الجمعي الطلابي:

سنحاول في إطار هذا المطلب التحدث عن الحركة الجمعوية الطلابية من خلال مساهمات الطلبة الجزائريين بتونس من داخل مختلف التنظيمات والهياكل الثقافية والعلمية التي شهدتها تونس، والتي أسسوها بشكل منفرد أو التي كانوا موجودين بها جنباً إلى جنب الطلبة التونسيين، وكذلك

¹ - كرو، الخضري، ص.ص (20-22).

الفصل الثالث ----- مساهمات جزائرية في الحياة الفكرية

حول مساهماتهم في تأسيس وتنشيط الأحزاب والنقابات والجمعيات الأخرى، وإن كنا قد تطرقنا إلى نشاط البعض منهم في هذا الجانب في مباحث سابقة، كما أعلم أن كل ذلك قد يتجاوز الإطار المحدد لهذه الدراسة، والتي لا تحتل الإطناب في الحديث عن هذا النشاط، مع الإشارة المسبقة إلى قلة الوثائق الرسمية التي تتحدث عن الوجود الجزائري - بالخصوص - في هذا النضال، لأن هذه التقارير - كما أبرزنا سابقاً - تتحدث على صفة العموم والشمول على أساس وحدة الهدف، وقلما تُلمح إلى أصول هؤلاء المناضلين الناشطين.

إن جامع الزيتونة ومدارس سكنى الطلبة وعددها حوالي 20 مدرسة¹، والتي كان يقبع في بعضها الطلبة الجزائريون والمنحدرون في أغلبهم من الأوساط الشعبية لم تكن تُمثل سوى أحد جيوب الفقر التابعة لذلك المجتمع التقليدي والمولدة لحركات المعارضة والانتفاضات الشعبية، كما أن دورهم في تنشيط الحركة الفكرية (الاحتجاجية) التونسية قد بدأ في فترة مُبكرة مع ظهور حركة «الشباب التونسي».

ولا أدلّ على ذلك من أنهم شاركوا - رغم قلتهم - في أول إضراب عرفته تونس في سنة 1912م وكان إضراب الطلبة التونسيين، وإن لم تكن ظاهرة جزائرية صرفة فإنها مدينة إلى حد كبير إلى الوجود الجزائري وللأفواج المتعاقبة على تونس من الطلبة الجزائريين بعد ذلك. وقد تميزت أوائل الثلاثينات - خصوصاً بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين - بسرعة سير الأحداث، وهو أمر يُمثل منعرجاً في تاريخ العمل الوطني التونسي على الخصوص، ذلك أن الطلبة الجزائريين النشيطين في الحركات التنظيمية التونسية الصرف أو المختلطة، قد أظهروا ابتداءً من الثلاثينات بأعمالهم الواسعة النطاق والمُثيرة للانتباه أحياناً أخرى.

فبمبادرة من جريدة "الصواب" تمّ بعث جمعية أُطلق عليها اسم (جمعية تلاميذ جامع الزيتونة) وتولى الجزائري الطيب بن عيسى مع عبد الرحمان الكعّاك إعداد قانونها الأساسي، وكان من أهم مقاصدها هو تأسيس نادي يجمع شمل تلاميذ الجامع الأعظم وأستاذته².

وفي أوائل شهر مارس 1910م، وجه الطلبة المتأثرين بالأفكار الإصلاحية للثعالبي، وقبله الشيخ الخضر حسين عريضة إلى حكومة الحماية يُطالبون فيها بتحسين ظروفهم العامة، ومع تماطل الإدارة، شنوا إضرابهم الأوّل يوم 16 أبريل 1910م، ثم أتبعوه بمظاهرات في شوارع المدينة بعد ذلك بيومين زار ثلاثة ممثلين عن حركة الشباب التونسي بما فيهم حسن قلاّتي جامع الزيتونة حيث ألقوا

¹ - التعبير وآخرون، المصدر السابق، ص.ص (134-136).

² - عثمان الشريف، المصدر السابق، ص. 143.

الفصل الثالث ----- مساهمات جزائرية في الحياة الفكرية
خُطبًا حماسية دامت ساعتين¹.

ورغم الإجراءات القمعية التي مورست على الطلبة المحتجين، إلا أنّ ذلك لم يردعهم في المساهمة بأعداد وافرة في حوادث الجلاز (1911م) ومقاطعة الترمواي (1912م)، غير أنّ الأنشطة النضالية الفردية للجزائريين لم تتوقف ففي أوائل سنة 1915م والحرب على أشدها كان الطالب أحمد توفيق المدني ينشط في تعليق منشور تهجم على فرنسا مرات عديدة على أبواب الجامع الأعظم².

والملاحظ أنّ الوثائق التي حُجزت لدى المدني، كقيلة بأن تُعطينا فكرة عن مشاغل الطلبة أثناء تلك الفترة..، وبالنسبة للأحداث السابقة لم أجد اسم الثعالبي ضمن المهديين، ولو أنه كان يُدبج المقالات الطويلة دفاعًا عن قضية الطلاب خصوصًا والتونسيين عمومًا، حتى أنهم اعتبروا القسم العربي بجريدة "التونسي" أي "الاتحاد الإسلامي" الذي تولى الثعالبي تحريره قسمهم³.

كما برز خلال هذا الفترة ما بعد الحرب اسم الطالب مفدي زكريا الذي دعا إلى الوحدة والوفاق، حيث أسس مع زملائه بالبعثة مجلة حائطية أسماها "الوفاق" لتصبح في الثلاثينات جمعية لها جريدة أسماها "الحياة"⁴.

ودور الطلبة الجزائريين لم يقتصر على مجرد تلقي الدروس والحصول على الشهادات ثم العودة إلى بلادهم، بل كان لهم دور بارز في مجال الأنشطة الطلابية وتأسيس الجمعيات، والانخراط في الأندية الأدبية التونسية والاندفاع للعمل ضمنها.

وكانت أكثر الجمعيات التونسية تأثيرًا في الوسط الطلابي جمعية "الشبيبة التونسية" التي تأسست في شهر جانفي 1937م، برئاسة الجزائري حسن بن عيسى، وبإشراف هيئة تتركب من 13 عضوًا يوجد ضمنها عدد معتبر من الجزائريين وقد تبنت هذه الجمعية كل المطالب المتعلقة بتحسين ظروف دراسة الطلبة وإقامتهم.

وفي فيفري 1938م أسس الجزائري محمد العيد الجباري جمعية "شبيبة شمال إفريقيا الموحدة"، بهدف توحيد الشباب الوطني في الأقطار المغربية الثلاثة حيث يتمثل نص القسم المطبوع على بطاقات الانخراط فيما يلي: «أقسم بشرف الشمال الإفريقي، أن أعمل طوال حياتي على رفع لوائه عاليًا وتوحيد ربوعه وتعزيز مجده»⁵، كما تجدر الإشارة إلى أنّ العيد الجباري كان يتقلد في سنة 1936م خطة رئيس مساعد للشبيبة الدستورية، وهي منظمة ناضلت من أجل خدمة الشباب التونسي

¹ - Khairallah, le mouvement., P.232.

² - تراجع: المدني، حياة كفاح.، ج1، ص.106.

³ - تراجع: الثعالبي، تونس الشهيدة (المقدمة)، ص.12.

⁴ - ناصر محمد، مفدي زكريا، ص.24.

⁵ - هلال عمار، نشاط الطلبة.، ص.ص (156-158).

الفصل الثالث ----- مساهمات جزائريّة في الحياة الفكرية

ومستقبله، وقد أشارت التقارير إلى وجوده بالجزائر في أوائل سنة 1937م، صحبة رفيقه أحمد بن سليمان للقيام بجولة دعائية لفائدة جمعيته بالاتصال مع حزب الشعب الجزائري.¹

ولم يمض شهر على تأسيس جمعية الجباري السابقة، حتى وصل عدد منخرطيها إلى أزيد من 100 عضو من تونس، منهم 40 عضو من جامع الزيتونة، كانوا يعقدون اجتماعات دورية في مقر الجمعية² ولكن السلطات الفرنسية تنهت لنشاطه فاعتقلته مع نهاية 1937م.

ومن جهة أخرى ومن جانب التأهيل العلمي للطالب قام توفيق المدني في 15 ماي 1924م بتأسيس "المجمع العلمي التونسي" الذي كان يهدف إلى «إعادة الأبحاث العلمية لتونس»، حيث كان المدني هو واضع قانونه الأساسي، بعد تنقيح الجماعة المؤسسة والذي أراد من خلاله:

- إيجاد الألفاظ العلمية والتعليمية التي تحتاجها اللغة العربية.

- البحث عن آثار التونسيين العلمية والتقنية.

- تعميم العلم وتنشيط عليه.

كما كان له الدور البارز مع عصابة المفكرين والكتاب الجزائريين والتونسيين في تأسيس الرابطة العلمية سنة 1924م، وهذا سعيًا منهم إلى إيجاد وسيلة فعالة للتضامن الفكري والقلمي بينهم، وخدمة الحركة العملية ببلادهم، ونفع شعبهم، والسعي في رفع مستواه العلمي، والسياسي، والاجتماعي...³.

وحوالي سنة 1933م تأسست في تونس «جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين»⁴، والتي يوجد مقرها في نادي الشبيبة المدرسية التابع لجمعية قداماء المدرسة الصادقية، وكانت هذه الجمعية تابعة لجمعية العلماء ومُتعاطفة مع الحزب الحر الدستوري بشقيه (القديم - والجديد)⁵.

ولقد استغرق العمل على إخراجها من طور التمهد والتفكير إلى الطور العلني، بضع سنوات لاعتبارات تتعلق بالأوضاع الخاصة بالطلبة الجزائريين، كما أن بروزها ظل مرهقًا، بإدارة تصدر عن شخصية قيادية لها تأثيرها الخاصة بين الطلبة، حتى إذا زار الشيخ البشير الإبراهيمي تونس في بداية الثلاثينات واجتمع بالطلبة حيث دعاهم إلى تكتيل الصفوف والتلاحم، والخروج بقضية شعبهم إلى العمل المجدي والنافع حينها تبلورت في أذهان هؤلاء الطلبة (كانوا 200 مع مطلع الثلاثينات)، فكرة إبراز الجمعية، وبعد سنتين من المشاورات أمكن للجمعية أن تعلن عن نفسها،

1 - المرجع نفسه.

2 - المرجع نفسه.

3 - المدني، حياة كفاف. ، ج1، ص.ص (329-331).

4 - سعد الله، الحركة الوطنية. ، ج3، ص.106.

رسالة مؤرخة في 1933/09/23م

5 - S.D36, Dossier 01, p.1, A.P.M.T.

الفصل الثالث ----- مساهمات جزائريته في الحياة الفكرية

حيث أولوا رئاستها إلى الشيخ المهدي البجائي، كما أسندوا رئاستها الشرفية إلى الشيخ المختار بن محمود (1909-1976م)، أحد مشايخ الزيتونة.

غير أن رئاسة البجائي للجمعية لم تدم سوى بضعة شهور، ثم آل أمر رئاستها إلى الشيخ عبد الحميد حيرش، الذي استمر على رأس الجمعية حتى نهاية سنة 1934م¹.

وفي سنة 1935م، انعقد مؤتمرها الأول الذي توج الشيخ الشاذلي المكي (1912-1988م)، رئيساً للجمعية، وهي الرئاسة التي امتدت إلى أربع سنوات، وتميزت فترة رئاسته بدعم مكانة الجمعية في الأوساط الطلابية والعلمية، وجعلها محور عدد من اللقاءات والمناقشات العلمية، فيذكر عمار النجار « أن الشيخ الشاذلي المكي كان يعقد الاجتماعات الأسبوعية، بهدف تمرين الطلبة على الخطابة والارتجال»².

وعلى عهد الشاذلي المكي استقبلت جمعية الطلبة الشيخ عبد الحميد ابن باديس، ثلاث مرات فيما بين سنتي (1936-1937م)، ولعل أهم ما قامت به أيضاً في هذه الفترة هو إصدارها لنشر الثمرة الأولى سنة 1937م عن مطبعة الشباب-شارع باب المنار- رقم 21- تونس.

واشتملت الثمرة الأولى على ملف حافل بالدراسات الدينية، التي أقيمت على منابر الجمعية عند الاحتفال بذكرى الهجرة النبوية الموافقة لسنة 1356هـ، وقد تضمن الملف مشاركة ثلة من رجال الإصلاح والوطنية تونسيين وجزائريين، كما كانت الجمعية تقيم احتفالات عديدة في نطاقها الخاص خصوصاً بمناسبة استقبال الطلبة الجدد أو توديع الطلبة المتخرجين³.

وقد ضمت الهيئة الإدارية التي ترئسها الشيخ الشاذلي المكي، أربعة عشرة عضواً هم السادة :
السعيد بن مخلوف الحجازي (نائب الرئيس)، أحمد أبي زيد قصيبة الأغواطي (كاتب عام)، محمد العربي بن اسماعيل الصايغي (نائب الكاتب العام)، محمد بن المبروك السناني (أمين مال)، مصطفى ابن سعيد الجيجلي (نائب أمين عام)، الهادي بن أبي القاسم السطايفي (مراقب عام)، أما المستشارون فهم: أحمد بن محمد حماني الملي، أحمد البشير اليحيوي، أحمد بن صالح بن دياب القنطري، علي بن محمد الشرقي، محمد الأخضر السائحي، عثمان عثمان الصايغي، وعبد الحميد التيجاني⁴.

ويدوا أن نشاط الجمعية اتخذ في بعض الأحيان أبعاداً سياسية جديدة، كتبنيها لنشيد خاص

1 - الجابري، النشاط العلمي. ، ص.134.

2 - الثمرة الأولى، إصدار جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين بتونس (1936-1937م). تونس: مطبعة الشباب، ب.ت.

3 - الجابري، النشاط العلمي. ، ص.108.

4 - جريدة الأسبوع، ص.4، شيبان (عبد الرحمان)، عدد53، 30 مارس 1947م.

الفصل الثالث ----- مساهمات جزائريّة في الحياة الفكرية
بها يحفظه الطلبة ليؤدي في المناسبات الوطنية والاجتماعية التي تضم الجزائريين، أعده محمد
الأخضر السائحي مطلعته:

سندراً بالسيف عنك العذاب ❁ ونرفع بالعلم فيك العلم
فمن للجزائر غير شباب ❁ يُجاهدُ بالسيف أو بالقلم

ومن المظاهر السياسية أيضاً، محاولتها ربط الصلة بصفة مباشرة وفعالة بحركة العمال
الجزائريين، ودعوها للتحالف مع الجمعية الودادية الجزائرية الإسلامية، التي كان يرأسها آنذاك "قلش
الزين"، وتضم في عضويتها الجزائريين العاملين بتونس إظهاراً للتضامن من بين أعضاء الجالية الجزائرية
المستقرة في تونس.

وفي شهر أفريل 1946م أنتخبت هيئتها الإدارية الثانية برئاسة أحمد بوروح، وقد أسندت
رئاستها الشرفية في هذه المرة إلى الطاهر بن عاشور، ليرأسها بعد ستة أشهر الشيخ عبد الرحمان
شيبان، وفي سنة 1947م ترأسها "محمد مرازقة" وعُين عمار النجار كاتبها العام، وبين سنوات
(1948- 1953) تردى النضال الطالبى في حالة من الارتخاء والانكماش، واستمرت كذلك
حتى سنة 1957م، عندما جمدت جبهة التحرير الوطنى نشاط جميع الجمعيات والفروع الطلابية
وأعدت بعثها من جديد في شكل تنظيم مُوحد يسمى "الاتحاد العام للطلبة الجزائريين"¹.

ويصف علي كافي وضعية التنظيمات الطلابية في تونس بقوله: «كان الطلبة في تونس منقسمين
ما بين حزب الشعب وجمعية العلماء المسلمين، وعندما وصلنا تونس، أعيد انتخاب جمعية الطلبة
الجزائريين...»².

إنّ هذا النشاط الفياض الذي كان يقوم به الطلبة الجزائريون داخل الجمعيات المختلفة، يعكس
من جهة الحالة الواقعية لنضجهم السياسي، ومن جهة أخرى نوعية وحقيقة التحولات الفكرية
والسياسية التي بدأت تحدث في المجتمع التونسي.

¹ - الجابري، النشاط العلمي، ص.ص (124-149).

² - مذكرات، ص.25.

المبحث الثالث: الإسهام الجزائري في بعض القضايا الفكرية بتونس

1. الإسهام الفكري في القضايا ذات البعد الديني والإيديولوجي:

لقد لعب المشرق العربي دوراً مهماً في وضوح الفكر القومي وتطوره لدى النخبة العربية في القطرين التونسي والجزائري خصوصاً بعد سنة 1881م؛ حيث بدأت هذه النخبة تتجه بتفكيرها صوب المشرق لما كان يقوم هناك من حركة عربية إسلامية ونهوض فكري وقومي. وكان أول اتصال لتونس مع النخبة المثقفة المشرقية، أمثال: جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده والكواكبي عليّ يد الجزائري محمد السنوسي (راجع المبحث الرابع في الفصل الأول)، الذي كان يتزعم نخبة مثقفة تونسية، هذا الأخير كان قد بعث برسالة إلى الأفغاني وعبده، عبّر فيها عن مواقف الشعب التونسي من أفكارهما في مجلة العروة الوثقى جاء فيها: «...ماذا يقول لسان أمة فؤادها عليل، مُد هبت أطوارها بالتبديل، وتلاشت منها القوى، وعظم به الوجل، فأصبحت وهينة آلام، أوهنت منها قوة الاعتصام...»¹.

إلا أن حركة محمد السنوسي هذه لم تتمكن من تحقيق أهدافها، نتيجة للسياسة التي اتبعتها فرنسا حيث أبعدت محمد السنوسي من البلاد وقضت على أصحابه، وشتتت تجمعهم.² كما كان - فيما بعد - لإقامة الثعالي في المشرق العربي أعمق الأثر في تطور الحركة الوطنية في الشرق وتبلور فكرة الوحدة العربية، فكان الثعالي أول من نادى بتوحيد الأمة العربية، وربط حركة التحرر الوطني في أقطار المغرب العربي بحركة التحرر العربي³، وكان أول من دعا لإقامة جامعة عربية في القدس وقد رفض علماء الأزهر هذا الاقتراح⁴.

ومن جهة أخرى يُعدّ ابن قدور الجزائري من بين الرواد الأوائل في التطلع إلى هذه الوحدة يوم نادى سنة 1914م بتأسيس (جمعية التعارف الإسلامي لأهالي شمال إفريقيا)، وكتب يقول في الفاروق⁵: «إنّ مأمورية "الفاروق" في إيجاد هذا المشروع فإنها عامة، لأن له من القراء في تونس ومراكش ما يعادل قراءه في الجزائر... وهذه خدمة لأمة شمال إفريقيا الإسلامية».

1 - الشابي (علي)، "صلة النخبة التونسية بجمال الدين الأفغاني ودورهم في العروة الوثقى"، م.ت.م، عدد (10-11).

تونس: م.إ.ع.ش.ت، ص.5.

2 - خيرية، مرجع سابق، ص.61- الشابي، "صلة النخبة التونسية"، م.ت.م، عدد (10-11).

3 - عبد الغفار محمد، مرجع سابق، ص.ص (146-147).

4 - الطاهر عبد الله، مرجع سابق، ص.60.

5 - عدد 50، أبريل 1914م.

- يراجع أيضاً: ع01، الجمعة 22 ربيع الأول 1331هـ / 28 فيفري 1913م، ع51. 03 أبريل 1914م.

الفصل الثالث ----- مساهمات جزائرية في الحياة الفكرية

فعمر قدور الجزائري (1932-1986)م نادى هو أيضاً بمجموعة أفكار وحدوية لكل الأمة العربية وقد نادى أيضاً سنة 1911م بتأسيس جامعة الصحافة الإسلامية، وأسس سنة 1923م مدرسة الشبيبة الإسلامية، كما بذل جهده المستميت في استنهاض الشرق وبعث نخوته يهيب له أن يُلقى جانباً حزازاته ومُنازعاته، وله قصيدة (يا شرق) أبدى فيها عاطفة جياشة، ومناداة صارخة، وتحفز مارد تجاه قضايا العروبة والإسلام.

يا شرق هل هذى المصائب تتجلى ❁ أو ينتهي الغليان من ذا المرجل
يا شرق ما العقول قومك لا تعي ❁ نصحاً من الماضي إلى المستقبل
صالت عليك مطامع الغرب الذي ❁ أروضته لبن الترقى الأكمل
فانفض فديتك واتخذ لك قوة ❁ مقرونة بالسعي، دون تمهل¹

ومن أبرز الأعلام نصرةً لقضايا الإسلام والمسلمين، قلم سعد الدين الخمار (1885-1852)م، الذي كان من أول الملمين لفكرة عمر بن قدور يوم دعا لعقد جماعته للتعارف الإسلامي ومن أشد الكتاب تحمساً لها ودفاعاً عن أهدافها، بل ومن أجرئهم مهاجمة لخصومها²، وقد نشر له "الفاروق" سلسلة مقالات في هذا الموضوع تحت عنوان «المفاوضات الإستنهاضية»³، جاء في بعضها: «..فيا بلاد شمال إفريقيا عقلي حبال آمالك بهذه الجماعة فلسوف تبرز شمس الحقائق، وتبدوا للجداد الطرائق، وتسطع الأنوار، وتظهر الأسرار، وتنكشف ترهات الباطل فيمسي نجمها محوقاً..»، وقد كان أول المستحيين له الأديب التونسي حسين الجزائري.

وتؤكد مختلف الوثائق أن الفكر الوحدوي كان مُتبادلاً بين الجزائريين ونظرائهم التونسيين. فلقد نبّهت الشرطة الاستعمارية قيادتها بتاريخ 21 أكتوبر 1943م، بأن مدرسة الشيخ العربي التبسي بمدينة تبسة، قد تحولت إلى ما يشبه قيادة عامة لجميع الرواد الوطنيين الجزائريين والدستوريين التونسيين حتى أصبحت ملجأً للدعاية المضادة للوجود الفرنسي⁴.

إن الصراع الذي دار بين الشعب الجزائري وبين المستعمر طوال قرن وثلث قرن، كان محوره قضيتي «الهوية» و«الإنتماء»، فالمقاومة الجزائرية ركزت اهتمامها على إبراز الشخصية الوطنية وتحقيق الاستقلال ونبذ الإدماج وهذا هو مفهوم الهوية، ثم الارتباط بالوطن العربي وهذا هو الانتماء.

¹ - خرفي، عمر قدور، ص.52. ينظر: الفاروق، ع15. الجزائر: 18 مارس 1913م.

² - ينظر له: الفاروق، عدد66 (1914/06/22) وكذلك العدد 72 (1914/08/03).

³ - خرفي، عمر بن قدور، ص.52.

⁴ - مناصرة(يوسف)، "النشاط الوطني الوحدوي العربي الإسلامي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين (1940-1953)م"

. مجلة الموافقات، عدد06. الجزائر: دار عياش للطباعة والنشر 1997م. ص.656.

* سعد الدين الخمار (1885-1952)م، ينظر ترجمته في الملحق 1. رقم.25.

والواقع أنّ ما تردد في مقالات الكتاب والخطباء، وفي دعوات الرواد والمفكرين، وفي قصائد الشعراء حول اللغة العربية والقومية هو التزام بالخط الذي رسمته النخبة الإصلاحية والوطنية الجزائرية. ولعل الشيخ ابن باديس من أكثر المفكرين اهتماماً بالعرب، ودفاعاً عنهم بل لعله الوحيد الذي أنصف العرب في الجاهلية منذ الثلاثينات من القرن العشرين، مذكراً الذين وصفوا عرب الجاهلية بالتخلف والهمجية بأن: «الرسالة العظيمة لا تأتي لغير أمة عظيمة، إذ لا ينهض بالجليل من الأعمال إلاّ الجليل من الأمم»¹، ففي هذا النص يعترف ابن باديس بالعروبة وبعراقة العرب وشرفهم.

كما أنّ ابن باديس لا يرى تمايزاً بين العرب والعروبة، وبين الدين، والقومية على أنّه كان له رأي صريح في فكرة القومية العربية، ففي إحدى المقالات يُصرح بأنه: «من حقنا أيضاً أن نرتبط بأبناء العربية ارتباط القلب واللسان، ارتباط العقل والتفكير، ارتباط الشعور والتقدير...»².

فإنّ ابن باديس في كل نضالاته الفكرية ومقالاته الأدبية والصحفية لم يتصور مستقبلاً آخر للجزائر إلاّ في ظل عروبتها وإسلامها وهما رُكنان أساسيان من أركان الشخصية الجزائرية حسب تصوره بعد الركن الثالث الذي في الأخير هو الجزائر، ففي مقالاته نلمس نوعاً من الازدواجية الواحدة كازدواجية موقفه من فرنسا (بين الشهاب والبصائر)، فقد قال في الشهاب³: «إنّ لنا وراء هذا الوطن الخاص أوطان أخرى عزيزة علينا هي دائماً منّا على بال، ونحن فيما نعمل لوطننا الخاص نعتقد أنه لا بد أن يكون قد خدمناها وأوصلنا إليها النفع والخير عن طريق خدمتنا لوطننا الخاص، وأقرب هذه الأوطان إلينا هو المغرب الأدنى "تونس" تجمعنا معها وطن واحد، لغة وعقيدة، وأدباً، وأخلاقاً، وتاريخاً، ومصالحة، ثم الوطن العربي الإسلامي، ثم وطن الإنسانية العام»، إنّ حبّ ابن باديس لوطنه يُعادل حبه للعرب والمسلمين ثم هو في الأخير يُعادل حبه للإنسانية؛ فهو جزء منها ملتصق بها، «إننا نحب الإنسانية ونعترها كلاً ونُحبُ وطننا ونعتره جزءاً، ونحبُ من يُحب الإنسانية ويخدمها، ونبغض من يبغضها ويظلمها وبالآخرى نحبُ من يحبُ وطننا ويخدمه، ونبغض من يبغضه ويظلمه...»⁴.

كما تحدّث البشير الإبراهيمي عن العوامل والمؤثرات في عروبة الشمال الإفريقي ثم أضاف قائلاً ما نصه: «كل هذه العوامل صيرت الشمال الإفريقي عربياً قار العروبة، على الأسس الثابتة من دين ولغة عربية ومنازع وآداب وكتابة عربية... وجاء التاريخ وهو الحكم في مثل هذا، فشهد

¹ - نقلًا عن الركبي (عبد الله)، الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1982م. ص. 51.

² - المرجع نفسه، ص. 52.

³ - ج 111، مع 12، عدد جانفي 1937م، الجزائر: ص.ص (424-428).

⁴ - جريدة المنتقد، عدد 01. الجزائر: 02 جويلية 1925م، نقلا عن: الخطيب، جمعية العلماء. ، ص. 135.

الفصل الثالث ----- مساهمات جزائرية في الحياة الفكرية

وأدى وجاءت الجغرافية الطبيعية فوصلت هذا الشمال بمنابت العروبة من جزيرة العرب، وجاء الزمان بثلاثة عشرة قرناً تشهد بسنوها وأيامها بأنها فرغت من عملها وتمّ التمام ووقع السختم، وإنما هي الروح عرفت الروح، والفترة التي سايرت الفترة والعقل أعدى العقل، وكأن الأمم التي كانت تُغطي هذه الأرض قبل الاتصال بالعرب كانت مُهيأة للاتصال بالعرب...»¹.

فالإبراهيمي هنا يرد على أعداء فكرة المغرب العربي، من أي صنف كانوا ويُثبت عروبة هذه المنطقة وانتمائها إلى الأمة العربية، ويقول في مناسبة أخرى «...وشمال إفريقيا وطن واحد لم تُفرقه إلا السياسة، سياسة الخلاف في عصوره الوسطى، وسياسة الإستعمار في عهده الأخير...»².

وفي هذا النطاق نجد أيضاً حمزة بوكوشة (1907-1979)م يصدر جريدة المغرب العربي سنة 1937م، وبهذا يُعتبر بوكوشة من الرواد الذين ابتدعوا هذا التعبير بحيث كانت جريدته صورة لفكرة.

ومن هنا نفهم كيف كان أبو اليقظان بعد انقطاع الصحافة الأدبية المشرقية عن الجزائر يعتبر ذلك من الأزمات التي منيت بها الصحافة العربية بالجزائر، ونفهم أيضاً لماذا كان يأسى كل الأسي من بعض دور النشر المشرقية حين تتجاهل الصحافة الوطنية الجزائرية وتأنف عن مبادلتها صحفها استنكافاً واستكباراً وذلك ما يقوله منتقداً على لسان جريدته " الأمة " سنة 1935م «ليس القصد من مبادلة الصحف هو المقاضاة ولكن المقصد الأسمى منها هو تنمية وسائل الألفة والوئام ربطاً للعلائق الودية بين أسرة واحدة...»³، ومن هذا النص نلمس تلك العاطفة الإسلامية القوية التي تُميز شخصية أبو اليقظان وأن المنطلق الذي يتخذه كقاعدة صلبة لكل معالجاته هو هذا الترابط والتواصل باسم العروبة والإسلام.

وكان الأستاذ ابن نبي من أبرز الأعضاء الذين شاركوا في اجتماعات تقرير مصير نجم شمال إفريقيا المُزمع بعثه من طرف مصالي الحاج، وتحديّ الجزائريين المتمسكين بالبربرية الجوفاء، والذين كانوا سبباً في تفكك نجم شمال إفريقيا، حيث رفع هؤلاء الانفصاليين لواء إقليمية الجزائر، فجاهبهم ابن نبي بمعارك كلامية مُنتهزاً الفرصة في الدعوة إلى الإصلاح والوهابية والوحدة العربية.

وعندما أطلعت جريدة "لاتانت" بتاريخ 23 فيفري 1936م قراءها بمقال لفرحات عباس تحت عنوان (فرنسا هي أنا)، فرد مالك بن نبي عليه بمقال «مثقفون أو مثقفون» في جريدة "الدفاع"

1 - نقلاً عن: ركيبي، الأوراس، ص.52.

2 - نقلاً عن: بوصفصاف، جمعية العلماء وعلاقتها، ص.71.

3 - عند51، الجزائر: (1935/11/19)م.

للأمين العمودي لكن المقالة لم تُنشر بجملة "المحافظة على مستقبل فرحات عباس في الحلبة السياسية"¹.

وعلى جبهة التبشير المسيحي في تونس نجد كثير من المصلحين الجزائريين من تصدى لها دفاعاً عن الإسلام والمسلمين سواء في تونس أو الجزائر، ذلك أن رجال الكنيسة المسيحية لم يُخفوا حقدهم على الإسلام والمسلمين، ولم يستطيعوا التستر طويلاً وراء الأعمال الإنسانية، فطالما صرّحوا منذ أيام لافيحيري (مؤسس التبشير في الجزائر وتونس) بأن هدفهم هو إرجاع مجد المسيحية على أرض إفريقيا الشمالية كما كان قبل مجيء الإسلام، غير أن هذه الجهود العظيمة والنفقات الباهظة التي صرفها القسيسون في تنصير مسلمي شمال إفريقيا باءت كلّها بالفشل الذريع، بسبب جهود المصلحين ويقظة الأهالي وحذرهم، حتى أن رجال الكنيسة أنفسهم اعترفوا بهذه المقاومة الشديدة فالكاردينال لافيحيري عبّر عن خيبته المؤلمة هذه بقوله "«حتى أولئك الأطفال الذين نصرّتهم تحت ويلات الجماعة والموت لم يصطبغوا بالصبغة المسيحية...»"².

وعندما نحاول تلمس بداية الطريق الذي سلكه الجزائريون (علماء - كتاب - مصلحين..) في معالجة هذه القضية فإننا نجدهم متأخرين عن معالجتها مقارنة بالتونسيين على اعتبار أن ظهور التبشير في المنطقة كان على يد لافيحيري سنة 1867م، وأن انتقاد الجزائريين العلني والصريح له كان بالضبط مع ظهور الصحافة الجزائرية أي حوالي سنة 1912م مع جرائد "الحق الوهراني"، "الفاروق"، و"ذو الفقار".

ويبدو أن هذا العامل كان كفيلاً يجعل النخبة الجزائرية تتلصق في خوض المعركة ضد المبشرين، هذا إذا صرفنا النظر عن موقف الطرق الصوفية الأخرى كالرحمانية التي كان لها دوراً مشرفاً خلال القرن 19م في مواجهة عمليات التبشير.

غير أن ظهور الصحافة المشرقية كالمنار والفتح وعودة النخبة الجزائرية من المشرق، قد فتحت ولا شك أعين الجزائريين والتونسيين أكثر.. ومنحتهم جرأة صريحة في تناول هذا الموضوع. وعلى كلٍّ فإن الموضوع مع ارتباطه بالحالة الفكرية التونسية، لم يُعالجه سوى بعض الكتاب والصحفيون القلائل حيث نجد أن الموضوع ينحصر بين عدد قليل من الكتاب، ومنهم من لم يتجاوز ما كتبه المقال الواحد، لكنّه مع ظهور جمعية العلماء توسعت طريقة معالجته مع توسع قاعدة النخبة العربية الإسلامية الجزائرية³، حيث أضحي فيما بعد أحد أهم مطالب التيارات الفكرية والسياسية

1 - معريش، "بن نبي"، الثقافة، ع85، ص.212.

2 - الخالدي (مصطفى)، وفروخ (عمر)، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ط1. بيروت: 1957، ص.126.

3 - ناصر، المقالة، مج1، ص.143.

خلال هذه الفترة المدروسة.

ولقد كان الفرقد* - (ولد سنة 1905م) - هو أول الكتاب الجزائريين عناية بالموضوع وأجرؤهم على تحمل تبعات الهجوم على المبشرين، وكانت هذه الجرأة وراء رسوبه في امتحان البكالوريا حيث كان يُركّز في حديثه على الوسائل التي يتواصلون بها لتنصير المسلمين والنتائج الخطيرة التي تتمخض عنها أعمال المبشرين.

ومن حيلهم التي كشفها للرأي العام في شمال إفريقيا أنهم: «يبدعون بجلب الفقراء والمساكين... فيأخذونهم ويظهرون لهم عطف الوالد لولده، ثم يعلمونهم مبادئ العلوم ثم يمزجون لهم تلك المبادئ بتعاليمهم الدينية فيسقونهم بذلك عسلاً مسموماً...»¹.

أما الشيخ أبو اليقظان فقد كان قريب يشبه الفرقد في أفكاره وإن اختلف عنه في طريقة المعالجة، فقد نشر في جريدته "وادي ميزاب" فصولاً حث فيها الجزائريين وكل مسلمي شمال إفريقيا على العمل، ونعى فيها الكسلاء الذين يعتذرون عن العمل بقرب نزول «عيسى»، وكان هذا تعريض غير مباشر لنشاط عمليات التنصير في منطقة شمال إفريقيا، كما دعا في كتابات أخرى إلى تحريض المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها على التضامن؛ ليقفوا صفاً متراصاً أمام عمليات التنصير وينتقد عليهم في كل مرة «..النوم العميق والتخاذل المشين على الخرافات، وبينما جامعتهم مشتتة وإسلامهم تهدده الأخطار من كل جانب، وتلك الطوائف تعمل عملها.. فيألي متى هذا النوم»².

أما مقالات البلاغ الإسلامي والتي يجررها (الأخضر عمروش)، فإن أغلب مقالاتها كان يحوي دعوة للمسلمين من أجل النهوض واليقظة لمحاربة التبشير والمبشرين لسد الطريق أمامهم «فتكاسلهم هو سبب تحويل أعمال المبشرين من الخفاء إلى الظهور فتجرواً على جرح عواطف المسلمين باستعراض فلذات أكبادهم الذين نصرؤهم في شوارع الجزائر دون رادع يردعهم»³.

1 - "دسائس المبشرين في بلاد الإسلام"، وادي ميزاب، عدد 57. الجزائر: 1927/11/17م.

- يراجع أيضاً: "مسألة التبشير والمبشرين" وادي ميزاب، عدد 83. الجزائر: 1928/05/06م.

2 - "حركة التبشير في العالم الإسلامي"، وادي ميزاب، عدد 80. الجزائر: 1928/04/27م.

للتوسع يراجع: - "الإسلام بين شقي المقراض"، وادي ميزاب، عدد 88. الجزائر: 1928/06/22م.

- "يتقمصون في تبشيرهم"، وادي ميزاب، عدد 76. الجزائر: 1928/03/30م.

- "افتحوا أعينكم أيها الغافلون"، وادي ميزاب، عدد 111. الجزائر: 1928/12/07م.

3 - "هل يصير المسلمون على هذا؟"، البلاغ، ع 177. الجزائر: 1930/08/22م. نقلا عن: ناصر، المقالة، مج 1،

الفصل الثالث ----- مساهمات جزائرية في الحياة الفكرية

وفي عنوان جريء كشف الطرابلسي محمد بن الحاج إبراهيم (1887-1948) م عن موقفه من عمليات التنصير، فتحت عنوان: "سخافات المبشرين"¹ حاول أن يكشف عن زيف هؤلاء الأخيرين مستشهداً بآيات قرآنية حيث يعتقد أن التصوف البدائي هو الذي فتح هذا الباب على مصرعيه للمبشرين فوَلجوا منه إلى حظيرة الدين تضليلاً وتلييساً.

إذا عرفنا أن جريدتي وادي ميزاب والبلاغ تلقياً رواجاً كبيراً في تونس عرفنا مقدار التأثير الذي مارسه هؤلاء الكتاب في الوسط الفكري التونسي، ميدانياً ومشاركة منهم في تأييد التونسيين في موقفهم من عمليات التنصير التي يمارسها القساوسة الفرنسيون في تونس، قام مجموعة من طلبة جامع الزيتونة من ضمنهم طلبة جزائريون يتقدمهم عبد الرحمان اليعلاوي في 28 نوفمبر 1925م بمظاهرات في الطريق العام على إثر إقدام السلطات الاستعمارية على نصب تمثال الكاردينال لافيحري في ساحة باب البحر متحدين بذلك شعور السكان المسلمين وكانت هذه المشاركة لليعلاوي سبباً في نفيه إلى الجزائر².

ويبدو أن سنوات (1927-1932)م هي السنوات التي تُعد نقطة تحول خطيرة بالنسبة لقضية التجنيس والإدماج وذلك بسبب ظهور صحافة وطنية باللغة الفرنسية، كما أن السلطات الاستعمارية كانت تستعد في هذه الفترة للاحتفال بتموية احتلال الجزائر، وخمسينية دخول تونس، والتحضير للمؤتمر الأفخارستي مُتخذة منها منطلقاً لغزو فكري خطير ضد المسلمين الجزائريين والتونسيين، لتضع بذلك شخصيتهم الإسلامية العربية في مفترق الطرق، إما طريق المحافظة على الذاتية، وإما طريق التجنيس والتنازل عن القومية واللغة³.

ويعتبر عمر بن قدور الجزائري أول الذين قاوموا كل حركات الفرنسة والمسوخ، فإننا نجد في آرائه التي كان يبثها في الصحف التونسية قبل سنة 1911م رفضاً صريحاً لكل محاولات الدمج والامتزاج بالعنصر الغالب، وتشبهاً قوياً بالمقومات الأصيلة للشعب الجزائري المسلم.

حيث يُجدد دائماً في كل مقالاته أن «اندماج المسلمين بالعائلة الفرنسية خطر محض وبوار لقومية عنصر شريف ينتمي إلى أمة عظيمة، ويتمسك بأهداب ملّة تأتي عليه المروق منها»⁴.

كما نجد في الصحف التونسية مقالات عديدة للشيخ محمد السعيد الزاهري، الذي اهتم بالبحث عن خطر التجنيس من الوجهة الدينية أو الاجتماعية والسياسية، لأنه يؤمن إيماناً عميقاً

¹ - وادي ميزاب، عدد 116. الجزائر: 1929/01/11م.

² - العياشي، مرجع سابق، ص. 148.

³ - يراجع أكثر: ناصر، المقالة، ص. 305.

⁴ - " سياسة فرنسا في شمال إفريقيا "، الفاروق، عدد 43. الجزائر: (10/01/1914م).

* الطرابلسي (محمد)، (1887-1948)م. يراجع ترجمته في الملحق I. رقم. 41.

الفصل الثالث ----- مساهمات جزائرية في الحياة الفكرية

بأن الأمة الإسلامية لن تُؤثر فيها الأفكار، وهاهو ينشر رأيه في التحنيس في جريدة "واد ميزاب" الجريدة التي تلقى رواجها في تونس قائلا: «إن ما يطلب من أمتنا المسلمة أن تخرج من إسلامها وجنسها، كمن يطلب منها أن تخرج من لحومها ودماها لن تكون ذلك أبد الدهر وأخرى الليالي»¹ ونجد أبا اليقظان هو الآخر يخوض في هذه القضية بسبب التطور الخطير الذي آلت إليه كونها مست مقومات الشعبين التونسي والجزائري، فحاول كشف قصدهم من دعوى التحنيس، إذ أنها جاءت لفتنة الضعفاء من المسلمين عن دينهم، وحتى يبقى الجميع تحت أسر استعبادهم إلى الأبد إن تم لهم الأمر.

والحق أن جريدة "الإصلاح" للطيب العقبي هي التي تعمقت أكثر في هذا الموضوع، حيث كانت دوماً تحت المفكرين المسلمين لمناقشة هذه المشكلة الخطيرة، وكان من أبرز من المشاركين في هذه الدعوى "الأمين العمودي"، فتمكنه من اللغة الفرنسية جعله يكون على إطلاع بما ينشره المتحنسون كما تركت لنا جريدة "الإصلاح" مقالات لأحمد توفيق المدني، والذي يُعتبر من الكتاب الذين حاربوا فكرة التحنيس، فقد كتب ضدها في الصحف العربية منذ أن كان بتونس حوالي سنة 1920م، وندد بهذا المشروع الذي قُدِّر بأنه «سيقضي على التوازن الاجتماعي بالهيئة التونسية»².

ولعل "عمر راسم" هو أيضاً كانت له في مطلع القرن العشرين مواقف مشهودة حيث يقول عنه "العابد الجلالي" في تقويمه: «لقد كان عمر راسم يُعارض ويتحدى المتفرنسين الذين كانوا يسمّون "النخبة" حيث دعا إلى نبذ فكرة التحنيس، ودعا أيضاً إلى ربط الجزائر بالعالم العربي الإسلامي لأنه لا مناص لهم من ذلك»³.

وقد بلغت حملة جمعية العلماء ضد سياسة التحنيس والإدماج ذروتها في الفتوى التي أصدرها الشيخ ابن باديس باسم جمعية العلماء و اعتبر فيها المتحنسين بالجنسية الفرنسية بأنهم «أناس مُرتدّون عن الدين الإسلامي ولا تجوز الصلاة عليهم ولا دفنهم في مقابر المسلمين بعد موته»⁴ وقد كان للفتوى الجريئة أثر في الحياة التونسية وزادت في تدعيم التيار الوطني القومي العربي بها⁵.

1 - " رأينا في التحنيس "، عدد70. الجزائر: 17/02/1928م.

2 - الجندي، الفكر والثقافة. ، ص.79.

3 - تقويم الأخلاق، قسنطينة: المطبعة الإسلامية، جانفي 1927م، ص.48.

- Merad, le réformisme. , P.48.

- يراجع:

4 - اطلع على نص الفتوى في البصائر، عدد95. الجزائر: 14 جانفي 1938م. يرجع إلى الملحق. II، رقم16.

5 - تركي(رابح)، " الصراع بين جمعية العلماء وإدارة الاحتلال الفرنسي للجزائر (1933 - 1939)م "، الثقافة،

عدد85. الجزائر: جانفي/فيفري 1985م. ص.190.

الفصل الثالث ----- مساهمات جزائرية في الحياة الفكرية

كما نشرت جريدة البصائر عام 1935م، مقالة للشيخ العقبي حول سياسة التجنيس جاء فيها: «التجنيس بمعناه المعروف في شمال إفريقيا - حرام والإقدام عليه غير جائز بأي وجه من الوجوه»¹.

وقد استطاعت هذه الفتاوى أن تُفزع المتجنسين التونسيين و الاستعمار، ترغمهم على الرجوع إلى الدين الإسلامي والتمسك بالشخصية الإسلامية².

واشترك حسن النوري الجزائري في إحباط المناورات الاستعمارية، قصد إحلال الجنسية الفرنسية بين التونسيين بمقتضى قانون التجنيس (1932) حيث وقف إلى جانب الشيخ إدريس بن محفوظ الشريف الجزائري* (1866-1936)م مفتي بترت حيث أفتى بأن توبة المتجنس لا تقبل بالمرة، ولا يُمكن أن يُدفن في مقبرة إسلامية³، فربط النوري في المقابر الإسلامية ليلاً، وحث التونسيين على الوقوف إلى جانب مفتي بترت حتى يسترجعوا حقهم المغصوب⁴ وبسبب ذلك تم إبعاده إلى الجزائر عام 1934م، وبقي هناك منتقلاً بين عنابة وقسنطينة، وفي كامل تلك المدة كان يبعث برسائله إلى اخوته (أحمد وعلي وحسن) لكي يُحافظوا على المبدأ، ويستمروا في وقوفهم مع الشيخ إدريس الشريف، وزيادة في تنكيل بحسن النوري وأسرته، اغتصبت السلطة الفرنسية قطعة من أملاك عائلته، ودفنت فيها المتجنسين، والملاحظ أنّ عائلة حسن النوري، صمدت أيام الاستعمار خاصة أخويه علي (الذي أُعتقل مرتين)، وأحمد (الذي وقع إيقافه في الثورة التونسية)⁵.

تلك هي قضية التجنيس كما عالجها الجزائريون، وتلك هي أفكارهم ومواقفهم منها وهو الرفض المطلق فأفكار عمر بن قنور وعمر راسم قبل الحرب وهما يُحاربان (الاندماج الجنسي) هي أفكار المدني، وأبو اليقظان وابن باديس والعقبي وأبو يعلى الزواوي والزاهري بعدهما، وهم وإن اتفقوا في الحكم والنتيجة فإنهم اختلفوا بعد ذلك في طريقة العرض.

2. الإسهام الفكري في القضايا ذات البعد الثقافي والاجتماعي:

لقد عمل الثعالبي خلال رئاسته للحزب الدستوري على نشر التعليم العربي والثقافة العربية في تونس، فقام بفتح المدارس والكتاتيب التي تُدرس الناشئة اللغة العربية، وتأكيد إصلاح المدرسة

1 - عدد 22، 05 جوان 1936م. طالع أيضاً العدد 101، 26 فيفري 1938م / 05 ذي الحجة 1356هـ.

- ينظر الملحق II. رقم 17.

2 - حول هذا الموضوع يراجع: جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، ص.ص (134-136).

3 - طالع نص الفتوى أيضاً في المجلة الزيتونية، عدد نوفمبر 1936م.

4 - مقابلة مع الأستاذ النوادي رشيد.

5 - النوادي، النوري. ، ص.12.

* إدريس الشريف (1866-1936)م، يراجع ترجمته في الملحق I. رقم 39.

الصادقية، وإصلاح التعليم بجامع الزيتونة¹.

وكان من أبرز خريجي المدرسة الخلدونية الجزائري محمد الملي الذي نال منها شهادة البكالوريا، ليساهم فيما بعد بتونس في إحياء التراث القومي وبعث نواة تعليم تونس المستقل العصري المغرب، فمحمد الملي كان إطاراً بالبريد وأنتدب للزيتونة لتدريس الرياضيات بها، فكان بذلك من الرواد الذين قامت على كواهلهم الشعبة العصرية الزيتونية، وتجربة تعريب العلوم الصحيحة الأولى من نوعها في البلاد التونسية²، كما استعانت الزيتونة وإن كان هذا أيضاً يخرج عن فترة الدراسة - بالجزائريين محمد العود وحسن الزغندي منذ سنة 1952م اللذين توليا تدريس الرياضيات بفرع صفاقس الزيتوني.

ومن مدرسي الخلدونية الممتازين أيضا الأستاذ الطاهر بن الصالح الزواوي في اللغة الفرنسية والذي تتلمذ على يديه أبو اليقظان³.

ويكفي أن الطاهر الحداد - رائد التجديد في تونس - كان تلميذاً لدى العديد من الشيوخ الجزائريين الذين كان لهم حظ التدريس في الجامع الأعظم، وبهم تأثر تأثراً كبيراً حتى اصطبغ تفكيره في كتاباته بروح إسلامية لكنها خالصة من أواصر التقليد وترهات العقائد.

وقد ضبط الجيلاني بن الحاج ومحمد المرزوقي، من دون تعليق قائمة بأسماء الشيوخ الذين تتلمذ لهم الطاهر الحداد وأغلبهم من الجزائريين، وهم: المختار المؤدب عبد الحميد ابن باديس، وحمادي الفيلاي، ومحمد العنابي، ومصطفى العنابي، وسعيد بن محمد السطيفي، وعثمان بن مكي⁴، إن هذه القائمة وإن كان القصد هو سرد تأثير الأساتذة الجزائريين في بناء شخصية الطاهر الحداد، لكننا نؤحي بمدى الوجود العلمي الجزائري الكبير وتغلغله في المراكز التعليمية التونسية، مما سيكون له التأثير الطيب على الناشئة التونسية وهو إسهام فكري جزائري آخر في بعده التعليمي، في الحياة الفكرية التونسية.

أما الشيخ الإبراهيمي وإن كان لم يدرس في الزيتونة فإن صلته بهذه الأخيرة كانت قوية ووثيقة وذلك عن طريق مشايخها كونه المشرف على توجيه الطلبة الزيتونيين المهاجرين إلى تونس، إضافة إلى أن الإبراهيمي كان يعتبر نفسه ككل الجزائريين معنياً بجميع ما يجري في تونس من أحداث فكرية وسياسية. معالجاً لأهمها في مقالاته التي كان ينشرها بجريدة البصائر.

1 - خيرية، مرجع سابق، ص. 166.

2 - الزيدي (علي)، "بين الصادقية والزيتونة"، م.ت.م، عدد 01. تونس: م.إ.ع.ش.ت، 1974م. ص.ص (121-124).

3 - الزبير سيف الإسلام، "التاريخ النضالي"، الأصالة، عدد 15/14، ص. 182.

4 - أحمد خالد، مرجع سابق، ص. 40.

الفصل الثالث ----- مساهمات جزائريته في الحياة الفكرية

ويكفي أن الشيخ محمد العزيز الوزير التونسي قد رعى نشأته العلمية بالمدينة المنورة وبه عرف مكانة تونس وجامع الزيتونة¹، لتتطور العلاقة بينهما بإنشاء معهد ابن باديس سنة 1947م، وجعله فرعاً من فروع الزيتونية، كما أن الإبراهيمي أبدى آراءً جريئة ومواقفاً حاسمة من الإدارة الزيتونية، ومن وضعية التعليم الزيتوني، وعلاقة الإبراهيمي بتونس تمتد حتى تصل إلى حياته الشخصية، فهو متزوج من فتاة تونسية يرجع نسبها إلى الأتراك، كانت أسرتها قد نزحت من تونس إلى المدينة المنورة سنة 1881م وهناك بالمدينة تم التعارف بين الأُسرتين، وانعقدت بينهما صداقة ومودة وفي دمشق تم الزواج، حيث أنجبت له ولده الأول الذي توفي سنة 1919م، ثم أنجبت له بعد أن رجع إلى الجزائر محمد وأحمد وابنتين².

غير أن علاقة المصاهرة هذه لم تمنع الإبراهيمي من إبداء مواقفه الصريحة من قضايا التعليم واللغة والمجتمع في الحياة التونسية، فالجهاز التعليمي بجامع الزيتونة كان في نظر الشيخ الإبراهيمي «يعاني حلاًلاً يحتاج إلى الإصلاح، وعللاً يجب أن تُزاح، ونقائص يجب أن تُعالج»³، ولا يكتفي الإبراهيمي بالتنبيه إلى الأوضاع المتردية بالزيتونة، ولكنه يُسهم بتقديم الحلول العملية الواجب توفرها لتحقيق هذا الإصلاح كقوله «الاستقلال عن المؤثرات السياسية والتيارات الحزبية والتسلط الحكومي، وإيجاد المواد المالية الكفيلة بحماية الإدارة الزيتونية من تدخلات الحكومة...»⁴، وعدا الخصومة التي دفعت الإبراهيمي لمساندة الشيخ ابن باديس ضد أستاذه الطاهر بن عاشور فأئنه ما صدر عن الإبراهيمي اتجاه تونس وقضاياها كان صورة صادقة للتلاحم وعمق الروابط بينه وبين تونس «فهي قبة الجزائر العلمية ومئزرها الذي تآزر إليه في النوائب، ومنارتها التي تشرف منها على أنوار الشرق...»⁵.

كما أن الشيخ إدريس الشريف كان مدرساً بالجامع الكبير بينزرت والمفتي الأول بها فقد دعا بإلحاح إلى الحفاظ على اللغة العربية، بفتح مدارس قرآنية يُعهد إليها بهذه المهمة، كما ناصر كلاً من "النديم"، و"لسان الشعب" و"الزهرة"، حينما اشتركت في حملة قومية هدفها محاربة التفسخ والانحلال⁶.

1 - ينظر: البصائر، عدد 20 (1936/05/22م).

2 - مهداوي(محمد)، البشير الإبراهيمي (نضاله وأدبه)، سوريا: دار الفكر. 1986م. ص.ص (42-43).

3 - الإبراهيمي، عيون البصائر، ج2، ص.630.

4 - المصدر نفسه، ج1، ص.631.

5 - المصدر نفسه، ج3، ص.148.

6 - الذواودي، أعلام بنزرت. ، ص.550.

الفصل الثالث ----- مساهمات جزائرية في الحياة الفكرية

وللتذكير فإن إدريس الشريف، درّس بجامع الزيتونة لمدة سبع سنوات، وتخرّج على يديه خيرة التونسيين، كما شغل مصححاً بالمطبعة الرسمية بتونس، ولما عاد إلى بئررت سنة 1920م، واصل رسالته التعليمية مع أبنائها في مسجدها الكبير، وبدروسه التي يستقيها من مجلة "الفتح المصرية" استفاد خيرة شباب بئررت، وقد كان الإقبال عليه يتضاعف ويزداد، وذلك بتوصية من الزعيم «محمد الحبيب بوقطفة» (1906-1943م)، ونظراً للثقة التي يتمتع بها من طرف جميع مواطني بئررت، أسندت إليه إمامتي «الخميس والجمعة» عام 1921م، وقد ظل في جميع هذه الخطط إلى أن توفي في نوفمبر عام 1936م¹، وقد كان يوم وفاته يوماً مشهوداً من أيام بنزرت الخالدات بكى فيه كل من عرف الشيخ إدريس أو تتلمذ عليه².

وفي رحاب جامع الزيتونة أقام ابن باديس أربع سنوات دراسية متواصلة (1908-1912م)، حيث قضى السنة الرابعة بعد تخرجه مدرساً بالزيتونة للصفوف الدنيا، وفي هذه الفترة تعمقت صلته بالشيخين التونسيين: محمد النخلي القيرواني، ومحمد الطاهر بن عاشور، غير أن هذه الصلات لم تحجبه عن رؤية مناقشة مشايخه والتصدي لآرائهم، قائلاً عن نفسه: «إني امرؤ جُبلت على حب شيوخي... وعلى احترامهم... ولكن ماذا أصنع إذا ابتليت بهم في ميدان الدفاع عن الحق ونصرته»³، ومن أهم القضايا التي اصطدم فيها مع شيخه الطاهر بن عاشور:

- قاومه حينما آيد البدعة وترك السنة.

- خاصمه في مسألة تعلقت بقراءة القرآن على الأموات، وكذلك في قضية التجنيس⁴.

وكان ابن باديس يُعزي تحولات شيخه إلى طابع الوظيفة الذي طغى عليه عندما دخل سلك القضاء «فحبت تلك الشعلة، وتبدلت تلك الروح...»⁵، ذلك أنه في سلسلة من المقالات طفق يرد على شيخه ابن عاشور ويُناقش أفكاره بشيء من الحدة والجرأة، والحقيقة أن قضية الخلاف بين الشيخين، مردها في الأساس طبيعة التفكير في شخصية كل منهما، واختلاف الأوضاع السياسية والاجتماعية بين الجزائر وتونس.

¹ - المرجع نفسه، ص. 56.

² - مقابلة مع الأستاذ الذواودي رشيد.

³ - البصائر، عدد 01، الجزائر: الجمعة 26 ذي الحجة 1354هـ / 20 مارس 1936م.

⁴ - ينظر الأعداد: البصائر، ع (16، 17، 18، 19) الجزائر: من 24 أبريل 1936م إلى 15 ماي 1936م. وحول فتوى القراءة على الأموات ينظر الأعداد من نفس المرحلة (24-25-27-28-29)، السنة 01، (جوان/جويلية)، 1936م.

⁵ - البصائر، ع 16، 24 أبريل 1936م، "شيخ الإسلام بتونس يقاوم السنة ويؤيد البدعة ويُغري السلطة بالمسلمين!!".

وفي نفس الاتجاه كتب الإبراهيمي مقالات عدّة تعرض فيها إلى عيوب الجهاز التعليمي القائم، ودعا إلى إصلاحه من منظور المساهمة في التغيير والانتقاد الإيجابي¹.

وفي مقال للشريف التيجاني الجزائري في جريدته "المنصف" (1907-1908)م مقال بعنوان «كلمة في التعليم» «وقع التأكيد على أهمية التعليم في رقي الأمم وتقدمها، إلا أن كاتبه حمل الأهالي مسؤولية النهوض به بإنشائهم للمدارس على حسابهم الخاص بدعوى أن الأمة المصرية نشرت المدارس بنفسها لا بحكومتها»².

ومن جانب الحركة الأدبية التونسية، ومدى مساهمة الجزائريين، فإننا نجد خلال هذه الفترة إسهامات ثرية من كل نواحيها النثرية والشعرية والفنية، فالشيخ المكي بن عزوز كان له ديوان قيل أنه بلغ ثلاثة آلاف بيت³، وله إسهامات شعرية أخرى أثرت الساحة الأدبية التونسية فابن عزوز من الشخصيات الكبيرة التي تركت بصماتها الواضحة في تونس، أديباً وفكرياً وحتى سياسياً.

كما أن إدريس بن محفوظ الدلسي (مفتي بئر) له شعر ديني في مقاصد مختلفة⁴، فهو رحمان متحمس للطريقة، وكان قد أخذ العهد على شيخها في الكاف علي بن عيسى. ولقد أحب الشيخ إدريس تونس وهام بها، وكما كان يؤله القهر المسلط على شعبها، وله قصيدة تغني فيها بجمال تونس، وحكى عن المظالم المسلطة على أهلها، كما قصد من خلالها دعوة كل التونسيين للعمل على اجتناب عوامل الانحلال والضعف، والسعي لاسترداد وطنهم يقول في مطلعها:

خطب دهاها تونس الخضراء ❁ حلت الديار فما لها إرجاء

أسفاً عليها حين أظلم أفقها ❁ من بعد ما سعدت بما سعداء

إلى أن يقول: يا ربنا يا ربنا يا ربنا ❁ جد بالزعيم الحر ذلك رجاء⁵

كما انتعش النشر بظهور المجلات والصحف والتأليف، فكان تأثير الظروف السياسية والاقتصادية والثقافية واضحاً في إنتاج الكتاب فقامت النوادي الأدبية، والجمعيات الخيرية سواء في تونس أو الجزائر بعقد الندوات ودعوة الكتاب ورجال الأدب لإلقاء المحاضرات والندوات⁶،

1 - ينظر البصائر، عدد 20. الجزائر: 22 ماي 1936م. للتوسع طالع الأعداد: 11.12.15.16.17.18.19.21.

2 - التليلي، "التيجاني"، م.ت.م، ع(55-56) ص.139.

3 - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، ص.221.

4 - الذوايدي (رشيد)، هذه بنزرت، تونس: منشورات جمعية صيانة مدينة بئر، 1980م. ص.59.

5 - الذوايدي، أعلام، ص.57.

6 - خيرية، مرجع سابق، ص.100.

الفصل الثالث ----- مساهمات جزائرية في الحياة الفكرية، وقد كان أدباء الجزائر يلتقون في نوادي خاصة كنادي الترقى، أما التونسيين فكانت لقاءهم تتم في المدرسة الصادقية أو جامع الزيتونة.

أديباً ظهرت رواية إدريس لعلي الحمامي الجزائري¹، والتي كانت رواية بروز الوطنية المغاربية الحديثة قبل كل شيء، حيث انتقلت الحركة الوطنية من مرحلة إلى أخرى، فإدريس ليس فقط رمزاً إلى الحركة الوطنية المغربية، بل هو أيضاً انعكاس على نظيرتها في تونس والجزائر، وإدريس ليس فقط رمز لفترة تاريخية جديدة، بل هو رمز تاريخ المنطقة المغاربية المعاد كشفها أيضاً، أخيراً إن رواية الوطنية والقومية الحديثة في شمال إفريقيا تجد إرساءً في الملحمة البطولية لإدريس.

شعرياً برزت قصائد الشاعر الجزائري مفدي زكريا الذي تعلق بوحدة المغرب العربي ومصيره كما تعلق بتونس ذاتها وعلميا، لقد كان لأشعاره التي كانت بذرتها الأولى في تونس حين كان عمره لا يتجاوز الإثني عشرة سنة التأثير البالغ في الحياة الشعرية التونسية، فشعره يُعتبر سجلاً حافلاً بتطورات الأحداث السياسية والثقافية والاجتماعية في تونس وصورة صادقة من تاريخها.

فرسم في "ظلال الزيتون" الطلعة المشرقة لتونس عبر مراحل كفاحها... فقد لقي من الصحافة التونسية مجالاً مُشجعاً لنشر قصائده، ووجد في بيئة تونس الثقافية المُفتحة طريقاً إلى الشهرة ومساعداً قوياً على الإبداع، وظل ينشد قصائده بنفسه على منبر الحزب الحر الدستوري المرات العديدة²، وعلى نفس الدعوة جاءت قصائد شعراء جزائريين آخرين أمثال: محمد العيد، أبو اليقظان، الزاهري، السايحي.

ولعل أبرز مثال على المساهمة الجزائرية في الحركة الأدبية الشعرية التونسي هي مساهمات الهادي المدني الذي ولع بالشعر و الأدب، قال عنه زين العابدين السنوسي بأن: « قصائده كانت بالنسبة للحركة السياسية والدستورية في البلاد معاول رهيبة هدامة على المستعمر وأذنابه»³، فالهادي المدني هو شقيق توفيق المدني كان من شعراء الانقلاب حيث عمل على الدعوة إلى النهضة التونسية والتنبيه لمخاطر التقاعس والاتكال.

وعرفت البلاد التونسية والعمال على وجه الخصوص الحركة النقابية بشكل أو بآخر منذ بداية

¹ - El hamami, (aly), Idris, Ed₂, E.N.L, Alger 1988.

- ينظر: بوعمران الشيخ، "علي الحمامي وقصة إدريس"، الثقافة، ع42، ديسمبر/جانفي 1978. ص.ص (75-79).

² - ناصر، مفدي زكريا. ، ص.43.

³ - السنوسي (زين العابدين)، المصدر السابق، ص.196.

الفصل الثالث ----- مساهمات جزائرية في الحياة الفكرية
العقد الثاني من القرن العشرين، وتأسست أول نقابة قومية تونسية في بداية 1924م مع محمد علي الحامي¹.

حيث انخرط توفيق المدني في جامعة عموم العملة التونسيين، وكان يُمثل الدستورين مع الطاهر صفر والطاهر الحداد وأحمد الدرعي في هذه النقابة، وكان عضواً نشيطاً في رئاسة الجلسة التي اجتمعت في 1 نوفمبر 1924م، قصد تأسيس هذه النقابة وبسبب عراقيل إدارية تأجل اجتماعهم إلى غاية ديسمبر 1924م وكان بذلك عضواً في اللجنة التنفيذية المؤقتة².

وذكر البجاوي أن مناضلاً نقابياً جزائرياً كان عضواً نشيطاً في النشاط النقابي التونسي، وذكر أنه كان ضمن الوفد التونسي إلى مؤتمر الجامعة العالمية للنقابات الحرة الذي تقرر خلاله عضوية الاتحاد العام للعمال الجزائريين وهو الجزائري أحمد طالب³.

وفي نفس الإطار تبرز شخصية حسن النوري الجزائري الذي أسس سنة 1936م اتحاداً جهويًا بينزرت يضم مجموعة النقابات الموجودة في بتزرت، كما قام بجولات عديدة في الشمال التونسي، وتدخل مرارًا للدفاع عن حقوق العمال، ونظير ذلك قامت السلطات الفرنسية بسجنه عدة مرات.

¹ - عن تطور الحركة النقابية في تونس.

ينظر: - عثمان الشريف، المصدر السابق، ص.ص (233-264).

- الطاهر عبد الله، مرجع سابق، ص.ص (185 - 195).

- العبوري، المصدر السابق، ص.366، أكاديمية العلوم، مرجع سابق، ص.ص (266-274)،

- بن حميدة عبد السلام، "النقابات والوعي القومي، مثال تونس"، المستقبل العربي، ع83، بيروت، جانفي

1986، ص.ص (43-59).

² - لتفاصيل أكثر طالع: المدني، حياة كفاح، ج1، ص.283.

³ - Op. cit, P.P(36-37).

الفصل الرابع

تقييم المساهمة الجزائرية

• المبحث الأول: خصوصية العلاقة وطبيعة المساهمة

الجزائرية

• المبحث الثاني: أثر المساهمة الجزائرية ومردود الفعل

التونسية

• المبحث الثالث: موقف الاستعمار الفرنسي ومحاولة تقزيم

الدور الجزائري

• المبحث الرابع: المساهمة الجزائرية وأثرها في تفعيل الوعي

المغربي

المبحث الأول: خصوصية العلاقة وطبيعة المساهمة الجزائرية

إن قيمة التواصل التاريخي بين القطرين تجدُ مبرراتها في عدة عوامل طبيعية واجتماعية ودينية ثم سياسية، كما بينّا في المبحث الثاني من الفصل الأول، فهذا جوليان أفرد المغرب الأقصى في كتابه - تاريخ إفريقيا الشمالية- لوحده، وجمع تونس مع الجزائر معللاً ذلك بقوله: « إذا أمكن أن نكتب تاريخاً للمغرب الأقصى مُستقلاً بذاته فقد لا يمكن فصل الجزائر وتونس بعضهما عن بعض، هما قطران لا يُوجد بينهما حواجز طبيعية وهذا لنفس الضرورات...»¹.

إن هذه المنطقة من شمال إفريقيا لم يُتَح لها البتة أن تُحقق وحدتها حول عاصمة قارة نهائية لنفس السبب الذي زعمه قوته: «سرعة الغزوات، وقلة ثباتها في نفس الوقت، والصراع الدائم بين البدو والحضر»²، فهذه الثنائية هي التي تُعَلل في الظاهر كيف أن هذه المنطقة كان لها دائماً أسياد أجانِب، نقيض ما زعمه دعاة الاستعمار الذين استعملوا تاريخ المغاربة القريب والبعيد كسلاح للقضاء على معنوياتهم كما لو كان لسان حالهم يقول: «إذا جئنا هنا لنعمر البلاد فلأنكم أنتم الدليل طيلة قرون على تصوركم وعجزكم..» حيث وصفوا أهل المنطقة بالعدو والتبعية والتملق للأقوى، وهذه أوصاف طبيعية ذاتية لا تتغير أبداً في الذات البشرية.

الوصف في حد ذاته محاولة لطرد المغربي من مجال التاريخ إلى مجال الإثنوغرافية أو الطبيعة الإنسانية³.

غير أن دارس التاريخ المغربي يستنتج بأنه لا المدينة، ولا التراب بالمقومين للوحدة الأساسية للمنطقة لأن المقوم هو القبيلة منفردة كانت أو متحدة مع جاراتها، فالعلاقات السياسية (القبيلة) والعلاقات الدينية (الطريقة) هي المقوم الأساسي لهذا التواصل، لينضاف إليها عوامل أخرى أكثر أهمية لعل أبلغها هي وحدة العدو الأجنبي عن المنطقة، وبذلك كما يقول الحصري: «أن إرادة القوم في الحياة المعشرية ورغبتهم في الاتحاد، ومشيتهم، في تكوين أمة واحدة ودولة واحدة هي التي تكوّن روح القومية و محورها الأساسي»⁴، أو ليست الأمة في الأخير هي مجموع الأفراد الذين يريدون

¹ - جوليان (شارل أندري)، تاريخ إفريقيا الشمالية، مترجم محمد المزالي، البشير بوسلامة، تونس: د.ت.ن، 1969م، ص.31.

² - Julien (Andrie. ch), *L'Afrique du Nord en Marche*, juilii ard, Paris 1952. p.48.

³ - العروي، *مجمّل تاريخ*، ج3، ص.162.

⁴ - (أبو خلدون ساطع)، آراء وأحاديث في الوطنية والقومية، بيروت: م.د.ر.ع، 1985م، ص.29. وللتوسع

يراجع:- حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (المرابطين و الموحدين)، ط1، القاهرة: مكتبة

الخانجي، 1980م.- الهرماسي (محمد عبد الباقي)، *المجتمع والدولة في المغرب العربي*، ط1، بيروت: م.د.و.ع، 1989م.

- الهرماسي (عز الدين أحمد)، *النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي في القرنين 05 و06 الهجريين*. بيروت: دار الغرب

الإسلامي، 1985م.

أن يعيشوا عيشة معشرية متحدين متضامين».

فالرواد الأوائل لهذا التواصل السياسي والفكري بين التونسيين والجزائريين؛ يحزمون بأن جميع أفراد القطرين بمثابة الأشقاء المنحدرين من صلب أب واحد، ولذلك نجدهم يُكررون في مراسلاتهم وصحفهم وفي كل المناسبات كثيراً من التعبيرات الدالة على هذا الزعم كقولهم: «أجدادنا، آباؤنا، إخواننا، أشقائنا..» رغم أن هذا الظن لا يستند إلى أساس صحيح، لكن يرجع جزمهم إلى أن إمعانهم في الترابط والتواصل ارتقى بهم إلى درجة الأخوة، وكأنهم عائلة واحدة، فالقربة أو الشعور بالقربة بينهم كانت قرابة نفسية معنوية، أكثر منها جسمانية ومادية¹.

هذا إضافة إلى المرجعية الثقافية المتمثلة في اللغة والدين باعتبارهما من المقومات الأساسية في تواصل سكان المنطقة، حيث يتجلى الترابط بين العربية والإسلامية، وقد انبعثت الثقافة في شرائط محددة تمثلت بها خصوصية الفعل الثقافي في المغرب العربي، وغدتها تواردات ذات أسبقية كالسياسة والمجتمع والاقتصاد والتاريخ والكفاح والمصير المشترك²، حيث يسلم "محمد بنيس" بأن «العلاقة بينهم معروفة تُوثقها اللغة والقضايا، والمساجلات، والمراسلات، واللقاءات، والمصاهرات... ماضياً وحاضراً»³.

إن المقصد الأساسي من هذا الطرح الموسع هو التأكيد على أن الوعي الجزائري بضرورة المساهمة والتضامن نشأ عن خلفية ثقافية مُضمرة في الشخصية الجزائرية، وبما أنها ثقافية، فهي بالتالي لا تدفع به بالضرورة إلى أن تكون وعياً سياسياً، والذي هو في الأخير وعي بقضية الوحدة والتوحد، فإنه لا ينصرف كلية عن التفكير في هذه القضية، فهو «وعي يُؤسسه شعور وإيمان بقيام نوع من الوحدة هي أساساً وحدة الحقل الثقافي والإطار الحضاري»⁴

وهي وحدة ليست غير ذات قيمة، بل لقد شكلت رهان الوحدة السياسية وخلفيتها العميقة المؤسسة⁵.

حقيقة لقد كانت لفرنسا علاقات بشمال إفريقيا، وخاصة تونس والجزائر منذ القرن السابع عشر، ولكنها كانت علاقات ذات صبغة تجارية واقتصادية في الغالب، وفي الجزائر قامت بأكبر تجربة استعمارية في تاريخها الحديث، واعتبرت الجزائر امتداداً لأراضي فرنسا وجزء لا يتجزأ منها، بل لقد اعتبرت بعض الحكومات الفرنسية ملجأً أخيراً تلجأ إليه إذا أصابت فرنسا - في القارة

1 - للاطلاع يراجع: الحصري، مرجع سابق، ص.ص (18-31).

2 - الكنتري، مرجع سابق، ص.07.

3 - مداخلة في ندوة إشكالية بناء المغرب العربي، المغرب: جوان 1985م.

4 - الجابري عابد، مرجع سابق، ص.ص (33-34).

5 - بلقريز، مرجع سابق، ص.17.

الأوربية- كارثة أودت بقوتها البرية¹.

والوجود الفرنسي في المنطقة بهذه الصورة أحدث دويًا هائلًا في شمال إفريقيا، فلقد تزلزلت كل النظم الموجودة هناك وتضعفت، ولم تعد تونس المجاورة للجزائر في مأمن من الخطر الفرنسي، الذي كان يزداد نموًا وعنفاً كل يوم، وانتهى عهد الأمان بالنسبة لتونس التي كانت آخذة في طريق الضعف العام²، ولو ترك الأمر للسلطات الحربية الفرنسية في الجزائر تفعل ما تُريد لاستولت بقوة السلاح على تونس بالذات لولا معارضة حكومة لوي فيليب، ونايليون الثالث³، ولكن كل الآراء كانت مجمعة على مد حدود الجزائر إلى نهر مجردة، وذلك إذا أرغمت الظروف فرنسا على اتخاذ موقف حاسم.

و الواقع أن الجزائر مُستعمرة من نوع خاص ومُتميزة ولاشك، وذلك بقدم الواقع الاستعماري فيها وكثافة الوجود الاستيطاني بها، وعلى الرغم من هذا كله تظل الجزائر مُستعمرة، وهناك استيطان أوروبي وسياسة سُميت «سياسة تمثّل وإهتضام»⁴، حيث كان أنصار الإلحاق للأرض الجزائرية يُعارضون غالبًا في اعتبار الأهالي مواطنين فرنسيين وإنما كان قصدهم هو إلحاق الأرض والسكان الفرنسيين المُقيمين فيها، أما الجزائريون أنفسهم فقد اعتبروا دائماً رعايا من الدرجة الثانية ويُحكمون بمقتضى القوانين الاستثنائية والسياسية التي يضعها خبراء الأمور الأهلية.

وفي سنة 1919م أُعترف للجزائريين الذين تتوفر فيهم جملة من الشروط بحق التجنيس بالجنسية الفرنسية وأما كان الاعتبار الذي أُعطي للأهالي في هذا الوقت أو بعده، فإن الإرادة الفرنسية بقيت تُسيطر بالقوانين الاستثنائية كما ظل الحاكم العام هو المُسيطر على جميع تصرفات الإدارة وأعمالها، أما في تونس فقد اتخذت العلاقة بين الإدارة الفرنسية وبين بعض الذين أبقت عليهم الحماية من موظفين تونسيين شكلاً سماه الفرنسيون بـ "التعاون المباشر"⁵.

فالإدماج المُمتزج أو اللامركزي، والتعاون المباشر أو غير المباشر، وتخليط السلطة أو تمييزها تلك هي المبادئ التي تكونت من تعاقبها، ومن إلهاماتها السياسة الاستعمارية لفرنسا في الجزائر وتونس.

ولعل الظروف التاريخية التي مر بها كل قطر من حيث تاريخ استعمارها وطبيعة علاقاته

¹ - صفوت (محمد مصطفى)، "علاقات فرنسا بشمال إفريقيا في النصف II من القرن التاسع عشر"، مجلة كلية الآداب، معج-6. الإسكندرية: جامعة الإسكندرية، مطابع رمسيس، (1952-1953)م، ص.ص (36-37).

² - سعد الله، "مدارس الثقافة"، الثقافة، ع79، ص.56.

³ - صفوت (محمد مصطفى)، "مرجع سابق"، مجلة كلية الآداب، معج-6، ص.ص (38-42).

⁴ - هنري كلود، مرجع سابق، ص.66.

⁵ - الفاسي، المغرب العربي، ص.37.

مع فرنسا هي التي أدت إلى تلك الأوضاع المتضاربة، فقد شهدت تونس مثلاً نهضة ثقافية قبيل سقوطها في برائن الحماية الفرنسية، ولم تعتمد سلطات الحماية - نقيض ما حدث في الجزائر - إلى نحو شخصية البلاد العربية، وإنما شجعت غالباً ازدواج اللغة في بعض مراحل التعليم¹.

ففي رسالة من فرحات عباس إلى المدني بعد نفي هذا الأخير يُذكره في بعضها بامتياز الوضع في تونس عنه في الجزائر قائلاً: «أما أنتم بتونس فلکم الحق في تكوين الحركة الملية في محاولة إقامة الدولة المستقلة على أنقاض نظام الحماية، الذي أضحي نظاماً استعمارياً كاملاً، أما نحن في الأرض الجزائرية فوضعيتنا تختلف، إن فرنسا ملكت البلاد بقوة السلاح [فقتلت وشردت]...، وتفكير الطبقة المنتورة بالجزائر هو غير تفكير الطبقة المنتورة بتونس...»².

انقد طُبق في تونس نظام الحماية، وحافظ بالتالي على المؤسسات التقليدية للدولة المحلية إلى جانب بنائها بعض مؤسسات الدولة الحديثة والتابعة لها³، وبالعكس طُبق في الجزائر نظاماً استعمارياً فكّك جل المؤسسات التقليدية والمحلية وميّع بعضها، وصاحب هذا التفكيك تحطيم النسيج الاجتماعي الداخلي نتيجة عمليات ما يُسمى بإخماد الفتنة العسكرية، وإعادة التقسيم الإداري للبلاد، وتفسر حدة الهجمة الاستعمارية في الجزائر نمو الموروث الديني والتفاف الشعب حول النخب التقليدية ورفضه لكل ما هو تحديتي لارتباطه بصورة أويرمز آخر بالمستعمر⁴.

إن التعاطي المختلف للاستعمار مع أقطار المنطقة سيكون له انعكاسات سلبية على مستقبلها، سواء في نطاق حركتها الوطنية، ونضالها التحرري أو بعد الاستقلال وتحقيق السيادة القطرية، وهو أيضاً ما يفسر الوجود الجزائري القوي في تونس مما جعل مساهماتهم ذات تأثير بارز في الحياة التونسية، بدعوى التضامن من جهة وبدعوى التكوين السياسي والفكري لإطارهما من جهة أخرى، نظراً للوضع المتميز الذي تميزت به تونس عن الجزائر.

كما أن التأثير الفرنسي على الثقافة الجزائرية كان قوياً أيضاً بخلاف تونس ويعود ذلك لعدة أسباب، لعل أبلغها الدور الكبير الذي لعبه جامع الزيتونة في تحصين تونس ضد فعالية الاستعمار الفرنسي بخلاف الجزائر التي لم تكن تتمتع بمؤسسة تعليمية دينية عريقة، وهو ما ساعد على تعريض الثقافة العربية فيها إلى خطر التشويه والحرمان فالثقافة العربية أساساً مُعترف بها في تونس، بينما

¹ - صلاح العقاد، "الصراع الثقافي في المغرب العربي"، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية، عدد 02. مصر: 1871م، ص. 196.

² - المدني، حياة كفاف. ، ج2، ص. 58.

³ - الفاسي، المغرب العربي. ، ص. ص (39-40).

- للترسع أكثر ينظر: محمد (عوض محمد)، الاستعمار والمذاهب الاستعمارية، ط3. مصر: دار المعارف، 1957م.

⁴ - سمير أمين، مرجع سابق، ص. 78.

اعتبرت أجنبية في الجزائر¹.

ويعود ذلك إلى أن الاستعمار الفرنسي قد حل بالجزائر في ظل ظروف دولية سانحة، وفي موازين قوى تخدم مصالح الفرنسيين، كما أنه جاء وفرنسا في أزهى قوتها²، أمّا في تونس فقد حل فيها في ظروف عالمية ورهانات دولية لم تكن دائماً في صالح الميزان الفرنسي، وهو ما أعجزه عن التغيير العميق في تونس إضافة إلى أن الاستعمار الفرنسي لتونس كانت قد سبقته إصلاحات عامة من طرف السلطات الحاكمة كان من أهم نتائجها الإيجابية بروز نخبة وطنية واعية قريبة من طموحات شعبها، جعلت الاستعمار نفسه في موقع الدفاع لا الهجوم.

وفرنسا حيال هذا الوضع في تونس قامت بالحفاظ على الطبقة البرجوازية الحية وعلى الإدارة القديمة حتى تستعملها لخدمة مصالحها، وكانت بذلك هذه العائلات الكبيرة، التي فككت أو تميّعت بتونس «واسطة بين الأهالي في تونس والإدارة الفرنسية، كما أن فرنسا لم تقم بتحطيم الجانب الثقافي المتمثل في المدارس والزوايا الدينية...»³، أما في الجزائر فالوضع يختلف: «فقد قامت الإدارة الفرنسية باستبدالها ببرجوازية حديثة ليس لها أسس ثقافية أو تكوين سياسي...»⁴.

ومن هذه المقارنة تتوضح لنا خصوصية أخرى بين القطرين، فتونس عرفت أولاً حركة إصلاحية تنويرية أعقبتها حركة إصلاحية سياسية فحركة سياسية ثورية، فيما توالى في الجزائر حركة تدعو إلى إدماج فردي تدريجي، تلتها دعوة إلى إدماج فوري جاءت بعدها دعوة إصلاحية سلفية مواكبة لنشاط حربي ثوري، يتطلع إلى الانفصال عن الفرنسيين، ويبدوا من هذا أن أطوار الوعي الوطني مختلف من قطر إلى آخر وتخضع دائماً لنسق متميز وبالعكس من هذا المنظور، إذا أخذنا المنطقة ككل اتضح في ذهننا نسق آخر نستخلصه من الدراسات القطرية ذاتها وهو كالاتي: ظهور دعوة إلى إصلاح الجهاز الإداري في إطار سياسي صرف يتجاهل الخصوصيات الحضارية، وهي معتدلة الأهداف سلمية الاتجاه، تتبعها دعوة إصلاحية سلفية تُخاطب الأمة أكثر مما تتجه إلى الدولة مؤكدة المميزات الحضارية الأصلية، ثم تلتوها حركة سياسية حزبية تُركز من جديد على المسائل الدنيوية تاركة مشكلة الهوية الثقافية إلى مرحلة لاحقة، دُعواتها

1 - سعد الله، "مدارس الثقافة"، الثقافة، عدد 79، ص. 56.

2 - حمدي (حافظ)، الشرقاوي (محمد)، الجزائر كفاح شعب ومستقبل أمة، مصر: الدار القومية للطباعة والنشر، ب.ت، ص.ص (35-39).

3 - Servier (Andrée), le Péril de l'avenir. Le nationalisme musulman (en Egypte - en Tunisie - en Algérie), 2Ed, Constantine :1913, p.112.

4 - Nouchi (André), (la naissance du Nationalisme Algérien), (1914 - 1954). les éditions de Minuit, Paris 1962. p.22.

مُعتدلون في مطالبهم لكنهم مستعدون لاستعمال وسائل العنف لتحقيق أغراضهم، فربما خصوصية التوافق النضالي والتاريخي هذه، بين القطرين كانت مدعاة للتواصل والتضامن بينهما.

جاء في خطاب "لموريس ثوريز" قبيل منتصف القرن العشرين: «أن ثمة أمة جزائرية آخذة في التكوين، هي أيضاً في انصهار مُستمر لأجناس مختلفة»، وبهذه العبارة يكون قد نفى أي وجود للأمة الجزائرية حيث يذكر ليون فيكس - بعد أن يستند إلى تعريف ستالين للأمة - : «وهكذا يتضح بأن الجزائر كانت عام 1830م بعيدة عن أن تملك صفة الأمة»¹.

حقيقة لقد كانت مقاومة الغزو الفرنسي أول عنصر حاسم من عناصر الوعي الوطني الجزائري، والنضال الذي خاضه رجال المقاومة السياسية والعسكرية، كان دليلاً على وجود الخلفية الوطنية، لجماعة إنسانية ثابتة تكوّنت تاريخياً، ونشأت على أساس وحدة اللغة والأرض والحياة الاقتصادية والتكوين النفسي الذي يُعبّر عن ذاته في وحدة الثقافة، هذا النضال ولاشك كان عاملاً مهماً جداً في إيقاظ الوعي بوجود الأمة وليس عاملاً في نشأتها كما زعم ليون فيكس.

فتاريخياً ليس هناك شك في أن الدولة الجزائرية قد وجدت، فأغلب مؤرخي الدولة الوطنية في الجزائر، يُجهدون أنفسهم وتحليلاتهم، ولو في نزعة إيديولوجية مناهضة، ومضادة للمدرسة التاريخية الاستعمارية في إظهار مؤسسة سياسية ما قبل كولونيالية، كانت تملك مشروعيتها الدينية ضمن الإمبراطورية والخلافة الإسلامية العثمانية، ويحاولون بمقاربات جدالية عرض الشخصية الدولية لجزائر ما قبل عام 1830م، والعمق المجتمعي لها، اقتصاداً زراعياً مزدهراً، وتنظيمات قبلية تابعة أو مُستقلة عن المركز السياسي، وعلاقات دبلوماسية، واعتراف دولي وقوة بحرية في حوض المتوسط، إن كثيراً من هذه الخطابات التاريخية هي مُحقة في ذلك، غير أن تكرار الحديث عنها هل كانت دولة بحدود أم بتخوم؟ هل كانت دولة بسلطة أم بسلط؟ إلى غير ذلك من الأسئلة هو في حد ذاته تشكيك في وجود الدولة الجزائرية قبل عام 1830م، إن طرح مسائل الهوية والقضايا الجوهرية لصلب الأمة على طاولة الأخذ والرد، هو بطريقة عكسية طرح قد يقضي بانتفائها والتشكيك فيها.

الأکید أنه كان هناك تخلف ما قبل كولونيالي، وتأخر تاريخي في البنى الاجتماعية القديمة، وعتاقة في العلاقات الإنتاجية والاقتصادية، وتجمد في مسيرة الإنسان الجزائري، وثقافته التي توقفت في بنى ذهنية عتيقة ستعمق وتضخم انعزالها وانقطاعها في التجربة الاستعمارية الفرنسية، ويجب التأكيد هنا من باب تبرير ما ذهب إليه ليون فيكس أن الإنفراس العنيف للمؤسسة والنظام

¹ الجزائر حتف الاستعمار، تر محمد عيتاني. بيروت: مكتبة المعارف، ب.ت، ص. 28.

الاستعماري الفرنسي¹، وشراسة التهديم المُنسق الذي مارسه على الهياكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية من بداية الاحتلال حتى الحرب العالمية الثانية، أدت إلى ظهور بنية مجتمعية واقتصادية جديدة قد تناقض في مجملها مجتمع الجزائر ما قبل عام 1830م.

فالإنسيّة الجزائرية هي في تكوينها منفتحة على عناصر جديدة (الإسلام - العروبة ..) مُغتنية ومُتجددة بهما من جديد، «غير أن الجزائري لم يكن ليرضى بأن يكون في مؤخرة القافلة العربية أو بعيداً عن مركز القيادة منها..»².

إن التجربة التاريخية الوطنية في الجزائر إذن تُشير إلى نجاح المشروع الوطني وثبات مسار تكوين الدولة وتوافر إجماع شعبي على مشروعيتها التاريخية والآنية، فكل النخب الوطنية تبني الدولة، وتعتبرها رمزاً إيديولوجياً للهوية التاريخية والثقافية، فاستغلت هذه النخب السياسية والوطنية كل الأبعاد والرموز الثقافية واستعملتها في توظيف وحدانية المذهب العقائدي والديني والتضامن العربي، وظهرت الدولة الوطنية في الجزائر كمحرك مركزي لعمليات الإدماج الوطني، واكتسبت بذلك مشروعية تاريخية وبنوية³.

إن الرابطة الكولونيالية - كما سبق الحديث - أقصت كل ما هو جزائري إلى خارج اللعبة، وأنكرت هويته أو حاولت تأسيس معارضة من العناصر المكونة للهوية، وسحبت من ممثلي الاستمرارية التاريخية الجزائرية - نتاج المساجد والزوايا والجامعات الإسلامية - كل إمكانية للتعبير المُستقل الخارج عن أوهام الإيديولوجيا الكولونيالية الإنتصارية، وكان من نتائج التثقيف الاستعماري أن أنتج محوّاً ثقافياً.

هذه الممارسة المدمرة للهوية الوطنية كانت سبباً في بروز نخبة عملت على نفي كلي للثقافة الكولونيالية ولم ترض بالحل الوسط، أمام هذا الإصرار على التشبث بأهداب الوطنية والهوية الذاتية من طرف الجزائريين كان فيه إصرار - في نفس الوقت - على التشبث بالانتماء نحو الأمة، واعتبارها مقوم أساسي، وهدف مهم يلي تحقيق الوطنية والقطرية، فالسؤال المطروح هو: كيف يفهم الجزائري القطرية الوطنية التي عمل كل ما في وسعه على تأكيدها والدفاع عنها، وبالمقابل يتشبث بالأمة والمغربية؟.

إن النظرية السائدة لدى معظم الباحثين هي أن اليقظة الإسلامية العربية قد بدأت في غير الجزائر غير أن مناقشتنا السابقة لمساهمات الجزائريين في الحياة التونسية والمغربية قد تنتهي بنا

¹ - عن هذا الانغراس الفرنسي، يراجع: حمدي والشرقاوي، مرجع سابق، ص.ص (35-40).

² - بلقريز، مرجع سابق، ص.47.

³ - بلحسن (عمار)، المشروعية والتوترات الثقافية، بيروت: م.د.و.ع، 1982م، ص.320.

بما لا يدع مجالاً للشك إلى الاستنتاج أن المفكرين الجزائريين كانوا فعلاً رواداً لحركة بعث إسلامي قوية، شاعت الظروف التاريخية أن لا تأخذ مجراها النهائي، وأن يحيط الغموض والنسيان كل أعمال الجزائريين خلال القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.

إن الوعي الوطني في الجزائر نشأ دون صدام مع الوعي القومي، وهذا خلافاً للوعي القومي الذي تأسس في المشرق ضد الوعي الوطني (القطري)، هذا الذي نُظر إليه دومًا بصفته النقيض الموضوعي لذلك، إن هذا التعايش بين الوعي القومي وبين الوعي الوطني في الجزائر يُضفي سمات خاصة على قومية الجزائريين.

إذن كيف يميل الجزائري ولنقل - الشيخ ابن باديس مثلاً - إلى الإعلان عن الانتماء للبلاد العربية الإسلامية في الوقت نفسه الذي يعمل فيه على تعزيز الشعور الوطني الجزائري؟ وكيف تختار الوطنية الجزائرية أن تكون عربية دون أن تفقد نفسها (أي قطريتها)؟

لا شك أن الخطاب القومي التقليدي لن يستسيغ هذه المعادلة لأنها تقوم على حدين مُتنافرين قطري/قومي، لا يمكن للواحدة منها إلا أن تُلغي الأخرى لكنها - في حالة الجزائر - معادلة طبيعية توافقية ومردّد ذلك إلى ظروف التطور التاريخي والسياسي الحديث.

فالانتماء القومي في الجزائر لا يُلغي الرابطة الوطنية القطرية بل تُعززها عكس نظرة المشاركة لهذه الجدلية، ذلك أن السبب يرجع إلى جذور تكوّن فكرة القومية العربية في كل منهما، فبينما تأسست فكرة القومية في بلاد الشام على رفض الدولة القطرية المُستحدثة في مجال طبيعي تاريخي واقتصادي واحد كان يطمع أهله إلى انشاء دولة «عربية واحدة»، قامت فكرة الوطنية في الجزائر على المطالبة باسترجاع سيادة الدولة الوطنية القائمة ضمن حدودها السابقة على الحدود التي فرضها الاستعمار الفرنسي¹.

فالوطنية القومية من أهم النزعات الاجتماعية التي تربط الفرد البشري بالجماعات ولعله يُحبها ويفخر بها ويعمل من أجلها ويُضحى في سبيلها، ومن المعلوم أن الوطنية هي حب الوطن والشعور بارتباط باطني نحوه والقومية هي حب الأمة، والشعور بارتباط باطني نحوها².

وانطلاقاً من ذلك فإن القومية والوطنية - عند الجزائريين، ثم المغاربة ككل - من أهم العواطف الاجتماعية وأسمى المشاعر الإنسانية التي تربطهم بأبناء الأمة أو الوطن بعضهم ببعض وتدفعهم للعمل والتضامن من أجل التضحية في سبيلها.

فالجزائريون لا يرون فرقاً بين الوطنية والقومية حيث ذهبوا إلى اعتبار الوطنية شكلاً

¹ - يراجع بلقرين، مرجع سابق، ص. 55.

² - المحصري، مرجع سابق، ص. 09.

من أشكال القومية؛ فالوطنية هي في الحقيقة عندهم قوة دافعة لتحقيق الأمة القومية، وإذا أخذنا القومية الجزائرية من هذا المنظور نجد أنها تأخذ السبق والريادة في الوطن العربي، وأن المفكرين الجزائريين كانوا فعلاً رواد الحركة القومية والإسلامية العربية.

فمساهمات الجزائريين السياسية والفكرية في تونس تُحيلنا وتنتهي بنا إلى بعض النتائج البارزة والمهمة:

1. لقد لاحظنا حيوية الفكر الجزائري، فرغم الركود الذي كان يُصيب العالم الإسلامي والعربي بسبب الهجمة الاستعمارية الأوروبية عليه، إلا أن بعض الجزائريين كانوا يتفاعلون مع أحوال عصرهم، ويهتمون بأحوال إخوانهم المسلمين في الأقطار الأخرى، أحياناً كثيرة كانوا يسبقون ذلك العصر ببعض الأفكار المتقدمة في ميدان الفكر والسياسة خصوصاً.
 2. نلاحظ أن منطلقات الجزائرية كانت ثقافية مضمرة في شخصيتهم من غير تكلف ولا مواربة، والتي هي في الأخير وعي مُدرك بقضية الوحدة وإيمان يقيني بضرورة التوحيد، بل أن المنطلقات نفسها شكلت في فترة زمنية سابقة رهاناً حقيقياً في مصير الجزائر، ذلك أن تصفحنا لبرامج وأهداف، ومطالب التيارات الوطنية والجزائرية يحيلنا إلى خلاصة واحدة هي اقتران المطلب الوطني القطري بالمطلب القومي المِلّي من غير تناقض بينهما.
 3. نلاحظ أن التجربة الجزائرية هذه، رائدة من حيث منطلقاتها، في العالم العربي والإسلامي، وهي تجربة لم يتح أن تُعطى حقها من العناية والدرس، ووضعها في مكانها من نضال العرب والمسلمين السياسي والفكري من أجل التحرر والنهوض.
 4. رغم التميز الاستعماري في الجزائر، وطبيعته الإضطهادية وسياسته الرهيبة التي دمرت أو بالكاد جلتْ مقومات الشخصية الجزائرية، إلا أننا نلاحظ كيف أن الجزائريين، سواء المستقرين منهم أو المهاجرين قد قبلوا التحدي ولعبوا دورهم المطلوب وزيادة.
- لقد حاولنا من خلال هذا البحث - بالقدر نفسه - التفكير في منطلقات المساهمة الجزائرية في العالم العربي الإسلامي وخصوصيتها بالنسبة لتونس، فوجدنا أن ثقافية المنطلقات كانت الدافع الكبير لهذه الخصوصية كما أن تميز الوجود الاستعماري والتنوع الثقافي في الجزائر قد ساهم إيجابياً في هذه الخصوصية.

كما حاولنا فهم العلاقة بين القطري والقومي أي العلاقة بين الإنسانية الجزائرية والشخصية الجزائرية، وبين الانتماء القومي العربي، مُتخذين في ذلك مدخلاً تساؤلياً هو: هل هناك دولة أو أمة جزائرية؟ مُنصرفين إلى تحديد معنى تلك «الإنسية» الجزائرية.

وأخيراً فقد حاولنا أن نحدد ما هو المدلول الذي يُعطيه الجزائريون لعروبتهم، أي كيف يفهمونها هل تتعارض مع هويتهم الوطنية؟ هل تتكامل معها؟ هل تتجاوزها؟.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: أثر المساهمة الجزائرية و ردود الفعل التونسية:

لقد كان في تونس خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين، جو علمي وسياسي وأدبي حيّ لا يوجد مثله في الجزائر، سياسياً كان نشاط عبد العزيز الثعالبي من خلال الحزب الحر الدستوري، الذي طالب بالحرية والحياة الدستورية ونشاط الصحافة الوطنية كما أن تونس كانت مفتوحة الأبواب على المشرق العربي، وعلى صحافته، وكتبه، وتياراته.

وأديباً كانت بتونس عدة نوادي وجمعيات كانت مجتمعا للعلماء والمفكرين، وعامرة بالمحاضرات والخطب.¹

«..فقد كانت جريئة على الاستعمار الفرنسي، لأنها محمية لا مُستعمرة كالجزائر، وكانت العربية فيها لغة رسمية.. حيث كان فيها من الصحافة العربية ما لا يُمكن وجوده في الجزائر في تلك الفترة...»².

لهذه المزايا الاجتماعية آثرها الجزائريون لأبنائهم وهذه هي تونس التي شبت فيها نهضة الجزائر، وأن الجزائريون لا يعتبرون المهاجر إلى تونس مهاجراً: فابن باديس يرى في هذا الخصوص أن الهجرة الجزائرية تندرج في سياق المهاجر من وطنه إلى وطنه، غير أن هذا النوع من الهجرة يُبرره عاملان:

- الحنين إلى الوطن الأول، وهو أمر عاطفي مشروع.
- الواجب الخاص الذي يُحتم على المرء القيام بمهامه في المحيط الاجتماعي الذاتي الضيق، حيث لا يجوز لغيره النيابة عنه، فهو الحق الخاص للوطن الأول على المهاجر مهما تضاءت الأوطان، إضافة إلى الجو السياسي والفكري المتوفر بتونس، والذي كان وراءه الروح القومية والإسلامية للتونسيين أنفسهم أمام إخوانهم الجزائريين
- إن الإلحاح على هذه الخصوصية، والتأكيد على الواجب الذاتي للمهاجر لا يتنافيان، ووحدة الشمال الإفريقي الطبيعية، وكمثال على قيام هذه الوحدة في صورتها الطبيعية، يشير ابن باديس إلى حوادث المتلوي (التي قُتل فيها تونسيون وجزائريون)، حيث كانت دلالة أخرى لروح التضامن والوحدة.

وفي معرض رده على ذلك السائح العراقي (يونس بحري)، الذي نشر مقالاً في العدد (210)، من جريدة الشورى جاء في بعضه: «... فقيضت العناية الإلهية إلى الجزائر نخبة من الشبيبة التونسية، وعلى رأسهم الأستاذ أحمد توفيق المدني»!! تصدى له الإمام ابن باديس ميرزا زيف هذا القول،

¹ - دبور، نهضة الجزائر، ج2، ص.ص (16-17).

² - المصدر نفسه.

ومؤكدًا الدور الكبير الذي قام به الجزائريون في نهضة تونس والتونسيين - وهو دور لا يُمكن إنكاره - «... فأما السيد أحمد توفيق المدني، فهو في أقواله وأعماله كما قال...، وأما في نسبته فهو من أبوين جزائريين، ونفته السلطات إلى وطنه الجزائر، فألقى بها أقارب وأصحابًا، فهو جزائري حقيقةً وحكمًا و أصلًا وفصلًا... وأما ما عدا هذا الأخ، فلا أحد من الشبيبة التي قال السائح، أنها (قيّضت الجزائر) أو (أيقظت الجزائر) (!!)، وبعد هذا فإننا لا نعرف في تاريخنا تونسيًا رأس حركة جزائرية..، وإخواننا التونسيون في حركتهم الدستورية المشهورة، رأسهم الأستاذ الثعالبي وهو من أبوين جزائريين، انتقلا إلى تونس، وانشق من الدستوريين، جماعة أسموا أنفسهم بالحزب الإصلاحى رأسهم الأستاذ (فلاقي) وهو أيضا جزائري...»¹.

ونلمس ردود فعل التونسيين الجلية تجاه المساهمة الجزائرية في حياتهم الفكرية والسياسية من خلال صحافتهم، والمقالات والمنشورات التي تؤكد على مدى تجاوبهم وتفاهمهم مع الجزائريين وقضيتهم الوطنية، بل في كل مرة وطوال المرحلة التاريخية المدروسة نجد مساهمات تضامنية من طرف التونسيين في قضايا شتى من الحياة الجزائرية لعلها تأتي - من باب حسن الظن - ردًا للجميل الذي قدمته ثلة متنورة من الجزائريين لقضيتهم.

ففي تونس كانت جريدة "الزهرة" (التي لم يشملها الحضر لسنة 1911م)، ثم "المشير" لصاحبها الطيب بن عيسى الجزائري تنقل إلى قرائها ما يحدث في الجزائر، وتبين للعالم الحالة التي وصل إليها الشعب الجزائري من جراء السيطرة الاستعمارية ففي إحدى مقالاتها وهي كثيرة نشرت حديثًا مؤثرًا سنة 1891م حول الجزائر والمعاملة التي يلقاها أهلها «...على أننا لسنا بأعداء للعلوم ولا عاجزين عن فهمها لكن من الصعب على الأورباويون أن يعترفوا بأننا سلالة أمة عربية يدينون لها بالفضل والإسهام الحضاري...»، (ثم تقول) «ويا أسفاه لم تكن هذه حالة الجزائري التالف الذي لا ظهير ولا نصير له إلا التسليم للقضاء والقدر...»²

كما نشرت "التونسي" مقالا في نفس السياق قائلة: «إن الفرنسيين المسلمين في الجزائر يتألمون من نظام تعسفي جدير بعصر غير عصرنا، إن فرنسا إذا أرادت أن تنجح يجب عليها أن تُغير سياستها الإسلامية في الجزائر...»³.

كما تجلّى موقف التونسيين أيضًا من مساهمات الجزائريين في تضامنتهم المطلق مع أي فكرة أو أي دعوة تنادي بلم الشمل وضم الصفوف، فما إن أعلن عمر بن قذور الجزائري عن مشروع

1 - فضلاء محمد الطاهر، التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاف، ط1. قسنطينة: دار البعث، 1982م، ص.151.

2 - الزهرة، عدد 114. تونس: 1891.

3 - الزبير (سيف الإسلام)، مرجع سابق، ج4، ص.19.

جماعة التعارف الإسلامي، حتى لبي نداءه الأديب التونسي حسين الجزيري، فنشرت " الفاروق " مقالاً له بعنوان «التفرق داء والالتئام دواء»¹ جاء في بعضه: «قام اليوم غيور الإسلام، صاحب الفاروق، يدعوا إلى تكوين جماعة التعارف الإسلامي، فهل ترى لدعوته من تأثير على الأفكار وتحريك للعقول؟، وهو مشروع لو يبرز من القول إلى الفعل، لكنتُ أنا الضمين بسعي السعادة لمسلمي شمال إفريقيا والتحاقهم بمن أدركوا كيف يكون تركيب الدواء...».

وبعد صدور قانون فيفري 1920م، الذي أعطى للصحافة حرية الطباعة والرواج، قام التونسيون بمساندة الصحفيين الجزائريين بطباعة بعض الصحف بتونس، حيث استفادت من هذه الحيلة جريدة "ميزاب" لكن الإدارة الفرنسية بعد أن أيقنت خطورة هذا التواصل على توحد الآراء وتسرب الأفكار السياسية والإصلاحية عمدت إلى صد هذا الباب في وجه الجزائريين، ورفض ثاني طلب لهم بطبع جريدة الإصلاح (صاحب امتيازها التونسي مصطفى بن شعبان)؛ هذا التعطيل المتعمد، والتماطل المقصود أثار حفيظة جريدة الوزير التونسية، وجعلها تندد بأسلوب التسويق والتبرير الذي اتبعته السلطة الاستعمارية²، حيث قالت في عدد آخر، مُتفاعلة للمساهمة الجزائرية، ومُحللة للموقف الفرنسي، الذي قالت عنه: «...إنه الخوف من كثرة الصحف الجزائرية، التي ربما تقوم يوماً آخر مقام الصحف التونسية المعطلة، وتحل محلها فتنهض بالأمتين معاً...»³.

ولم تتوان الصحافة التونسية عن التنويه بالدور الفكري والسياسي البارز الذي لعبه الجزائري في الكفاح التونسي بوسائلهم المحدودة، وعبر صحفهم المتواضعة، التي يُنفقون عليها من حر ملهم من أجل إسماع صوت الجزائر وتونس معاً إلى العالم.

فلقد علّقت جريدة النهضة على صدور العدد الأول من جريدة وادي ميزاب، قائلة في ابتهاج وثناء: «إذا ما تصفحناها ألفتناها مؤسسة لغايات نبيلة جداً، ومُحررة بأقلام عربية عالية وجامعة لِمَا يهم الصالح الإسلامي للإطلاع عليه».

كما أن التونسيين كانوا شديدي الحرص على دعم هذه الصحف في جانب دفاعهم عن حرية هذه الصحف، نبذهم يُكرسون أقلامهم لإمدادها بالمقالات السياسية والدراسات الأدبية؛ كالمشاركة الأدبية والشعرية التي ساهم بها كل من صالح السويسي القيرواني، ومحمد الفائز القيرواني، وجلال الدين النقاش، وغيرهم في جريدة "صدى الصحراء" خلال سنتي (1925-1926)م،

¹ - الفاروق، عدد69. الجزائر: 13 جويلية 1914م.

² - جريدة الوزير، عدد 1 نوفمبر 1927م.

³ - جريدة الوزير، عدد 22 سبتمبر 1927م.

وكذلك مساهمات عثمان الكعك ومحمود بورقيبة ومحمد المهدي، ولا ننسى مساهمات التونسي عز الدين القلال في الصحافة الجزائرية قبيل الحرب.

ولم يكتف التونسيون بالمشاركة والدعم بل راحوا يُقدمون النصائح ويُزودون القائمين على هذه الصحف بثمرات الخبرة وتجربة النضال، زيادة في تجاربهم مع هذه الصحف التي ساهم بها الجزائريون في وطنهم كتنصائح محي الدين القليبي لأبي اليقظان التي نشرها في جريدته وادي ميزاب¹. كما كان التونسيون كلما تناهى إليهم نبأ مصادرة جريدة جزائرية أو اضطهاد مناضل جزائري إلا وانبروا مُنذرين بهذا العمل الاستعماري، مُولين له ما يستحق من الاهتمام والاعتبار مُظهرين في ذلك كل التضامن والمساندة ويتجلى ذلك خصوصاً من خلال الرسائل التي كانت ترد من القراء في تونس على كل صحيفة شملها التعطيل، أو يُتخذ بشأن أصحابها إجراءات التعسف والتضييق.

ويُمكن القول أخيراً بأن التونسيين اهتموا اهتماماً واسعاً بالمشاركة الصحفية الجزائرية ببلادهم كما عملوا على استقطاب الصحف والصحفيين الجزائريين منذ مطلع القرن العشرين، فاستكتبوهم، وساندوا آراءهم المناهضة وتجاوبوا مع دعواتهم.

وفي مرحلة التصعيد النضالي الوطني ضد الوجود الفرنسي في الجزائر وتونس، وفي فترة المواجهة العلنية، وتعرض الوطنيين الجزائريين للاضطهاد الفرنسي، وقفت الجماهير التونسية صحافةً وشعباً إلى جانب هؤلاء الوطنيين تتابع تطورات نضالهم وكفاحهم عن كثب²، واستقبلتهم وآوهم يوم أن كانوا يتخذون من تونس قاعدة لبث آراءهم الثورية، حيث يجدون في نواديها وصحافتها منيراً حراً للتصريح بآلامهم وآمالهم الوطنية.

وبالنسبة للمشاركة الصحفية الجزائرية في تونس نجد عناوين الدعم والسند قوية من طرف التونسيين، فجريدة "الحاضرة" لصاحبها علي بوشوشة الجزائري، استقبلها التونسيون بنفوس مُتعطشة للعلم والمعرفة خاصة وأما أول جريدة عربية حرّة تصدر بالقطر التونسي، ونفس الموقف كان مع جريدة "سبيل الرشاد" للثعالبي³.

كما نجد الشيخ طاهر بن عاشور يُثني الثناء الكبير على دور الشيخ الخضر حسين في الحياة

¹ - عدد 03 ديسمبر 1936م.

² - "ضحايا الأحكام الزجرية"، جريدة النهضة، عدد (4340). تونس: 1937/05/21م، رئيس تحريرها الجزائري حسن قلاقي.

- الزهرة، عدد 9234، تونس: 1937/06/21م، مقال لمفدي زكريا: "أطوار الحياة في الجزائر"، وعن اعتقال مفدي ومصالي كتبت عنهم مستنكرة هذا العمل جريدة النهضة، عدد 4412. تونس: 1937/08/21م.

³ - بن قفصية، مرجع سابق، ص. 09.

الفكرية التونسية فبعد أن تحدث عن الحالة السيئة لتونس قبل مجيئه يذكر «.. كانت الحالة من الاضطراب والحيرة مُقتضية ظهور شهاب ثاقب من شهب العلم والأدب يهدي الجائرين ويُؤمن المضطربين، إذ يتناول قضية الإصلاح فيعرضها على معيار البحث العلمي الرصين والنقد المنطقي التريه اللذان يسموان بها عن معركة التبارزين من المُفْرطين والمُفْرطين، فكان ذلك الشهاب الثاقب الذي مَنَّ أركان النهضة الإصلاحية هو رجل الهداية وصاحب السعادة الشيخ الخضر حسين، الذي لو كان للنهضة العلمية والأدبية بتونس في القرن الرابع عشر أن تتمثل إنساناً ناطقاً لما كانت إلا إياه...»¹.

وعن موقف التونسيين من الشيخ الثعالبي لاحظت هيئة الأركان الحربية الفرنسية أن خروج الشيخ الثعالبي من السجن في شهر ماي 1921م، قد أحدث فرحة مُنقطعة النظير في تونس، فاجتمعت من حوله وفود عمال (عربات الترام)، وعمال السكك الحديدية، وتلاميذ المدرسة الصادقية والموظفون التونسيون، وأعضاء الشعب الدستورية بالمدن والمراكز الداخلية، وهذا فضلا عن شيوخ جامع الزيتونة وطلبته.²

وفي حفل أقامه النادي الدستوري على شرف الشيخ الثعالبي بمناسبة رجوعه إلى تونس سنة 1937م، استهل الأستاذ الطاهر صفر (1903-1942)م، الحفل مُعبراً فيه عن مدى تأثير الثعالبي في الحركة الوطنية التونسية وعن موقف التونسيين منه: «...ربما كان وجودي أمامكم اليوم خطيباً يرجع الفضل فيه إلى الأستاذ (الشيخ الثعالبي)، فلقد أودع فينا ما لا ننساه أبداً، وأوصانا بالتضحية وحب البلاد والإخلاص ولذلك فكل شيء في الحقيقة يرجع الفضل فيه إلى الشيخ الثعالبي...»³.

كما نوه الأستاذ عمر بن قفصية بالدور الصحفي للطيب بن عيسى الذي قال عنه بأنه كان: «مسلماً صحيح العقيدة، طيب الخلاق، وطنياً صادقاً، وكانت تغلب عليه الجدية، فهو وطني أكثر منه سياسي.. خدم القضية التونسية بإيمان، كما كان حَسَنَ المعاشرة، لطيفاً مُعتدلاً، وديعاً، محافظاً...»⁴.

ونفس الموقف أرادهُ التونسيون للطلبة الجزائريين المُتدرسين بتونس، فيذكر الشيخ بن عتيق في مذكراته أن: «...الطلبة الجزائريون يومئذ كانوا يتمتعون في جميع الأوساط التونسية بسمعة راقية، وكانوا مضرب الأمثال عندهم في الاستقامة، وحسن السلوك، وكثرة التحصيل...»⁵.

¹ - بن عاشور، أركان النهضة. ، ص.ص (31-40).

² - مناصرية، الحزب الحر الدستوري. ، ص.72.

³ - خرفي، الشيخ الثعالبي. ، ص.290.

⁴ - مرجع سابق، ص.104.

⁵ - المصدر السابق، ص.11.

كما نلمس ردود فعل التونسيين من المساهمة الجزائرية، في موقف الشعب التونسي بعد نفي المدني من تونس كما نلمسه أيضاً في مجلة "العرب" التي احتجت بشدة على احتجاز مديرها الذي ذهب إلى المحافظة ليتساءل عن سبب اعتقال صديقه توفيق المدني، وتساءلت من جدوى نفي المدني من وطنه تونس «إن الذي لم نألفه هو التجاء الحكومة لتبرير إخراج الرجل من وطنه، ومسقط رأسه، بإدعاء أنه جزائري، فهل هذا نوع من أنواع التحنيس، أم نوع من أنواع سياسة الوفاق والاندماج وتبادل الثقة؟..»¹.

فقد وصفت الجريدة الهيجان الذي أصاب الشعب التونسي، إثر سريان خير هذا الحادث، إذ أصبحت العاصمة يوم الاثنين 08 جوان 1925م، مقلقة احتجاجاً على هذا الاستبداد، ولهذا القرار ثارت نائرة جريدة "الوزير" «لقد أساءت الإدارة إلى الأمة أكبر إساءة بمصادرتها في أعز عزيز لديها، وأكرم رجل من أبنائها مصادرة هي الإبعاد من جهة، وإنكار الجنسية من جهة أخرى..»².

و حين زيارة الشاعر التونسي خزندار الجزائر في سبتمبر 1928م، أنشد في حفل تكريم أقيم خصيصاً له قصيدة ذكر فيها المساهمة الجزائرية ممثلة في شخص المدني، وأقرانه، جاء في بعضها:

قل ليس بالسهل تقديري مكانة من	✽	عنوان حبه تكريم إلى وطني
بهيامه الجم بالخضرا وهضتها	✽	في السر أعظم هيام وفي العلن
لاقيته فلقيت التونسي به رغم	✽	الحنين لها لم يشك من وهن ³

كما اعترف له في قصيدة أخرى بفضل الكبير في القضية التونسية:

هذا الأبسي التونسي	✽	هذا هو الوطني المجد
هذا هو المنصور بل	✽	هذا هو المدني أحمد
هذي مواقفه وما	✽	زالت هنا وهناك توجد
فالله ينصر حربه	✽	فبمثله الإسلام يسعد
ويُبريه في الخضرا ما	✽	يرجى لها منه ويسعد ⁴

وفي زيارة قام بها عبد الرحمان اليعلاوي إلى تونس، كتبت جريدة الإرادة التونسية قائلة: «حل بين ظهرانينا قبيل العيد، حضرة المواطن المفضل، المقدم، الغيور، مثال التضحية والإخلاص، والإيمان والصلب والثبات على المبدأ، الأستاذ (عبد الرحمان اليعلاوي)، أحد البارزين القدماء من العاملين

¹ - عدد جوان 1925م.

² - عدد 30 جوان 1925م.

³ - طالع نص القصيدة في المدني، حياة كفاح، ج1، ص.ص (154-156).

⁴ - طالع نص القصيدة في المدني، حياة كفاح، ج1، ص.ص (159-160).

في حقل الوطنية التونسية والكفاح القومي...»¹.

وعندما شن الحبيب بورقيبة، حملة على خصومه بعد انتخابه رئيساً للجمهورية التونسية أمر أعوانه بتتبع خصومه أينما كانوا وحيثما حلّوا، إلا مكتبة الاستقامة، التي كان يملكها الشيخ محمد الشميني «فلا أسمح لأحد منكم بدخولها مهما كان الشخص، الذي هو فيها، لأن هذه المكتبة كانت في عهد الحماية مأوى لكل الأحرار...»²، كما يعترف بدور الميزابيين في تونس قائلاً: «...إنهم كانوا مُخلصين في صفوف الحزب يعملون للوطن، ولا يطمعون لنيل المناصب أو المنفعة الذاتية...»³.

وحيثما زيارته الشيخ ابن باديس لتونس في 11 شوال 1355هـ، حُصِّ باستقبال كبير من طرف الصحافة التونسية والجماهير الشعبية، حيث نوّهت بشخصيته العلميّة، وقدمته "مجلة الأفكار" بقولها: «إن الكلام عن الشيخ ابن باديس لا تسعه صفحات هذه المجلة ولا سفر كبير...»⁴، كما نوّهت جريدة "العمل الشعبي"، بشخصيته وقالت عنه بأنه: (العالم السلفي المصلح الجليل الجهد...)⁵. وفي نفس المناسبة استقبل ابن باديس من طرف أعضاء المجلة الزيتونة الذين أقاموا له حفلا حضره جمع من العلماء والتلاميذ.⁶

فلقد احتفظت لنا الصحافة التونسية بصورة باهرة من مظاهر العرفان بالفضل والوفاء، والتي ظلت عالقة بالذاكرة الجماعية للشعب التونسي، وتجسد هذا الوفاء في مداومة هذه الأجيال على إحياء ذكرى وفاة ابن باديس من حين إلى آخر واعتبارها مناسبة وطنية ومغارية، فخلال خمسة عشر سنة (15) من بعد وفاة ابن باديس أحيوا التونسيون تارة بمفردهم، وطورا بمشاركة المهاجرين الجزائريين في تونس سبع مناسبات لتكريمه بداية من سنة 1941م، وحتى سنة 1955م⁷، وكانت مدار هذه المناسبات تذكير وتنويه بشخصية الراحل العلمية والإصلاحية، وكذا الإشادة بدوره ومن خلاله بدور الجزائريين ونضالهم وتضحياتهم في سبيل القضية التونسية، وهذا ما نلاحظه بجلاء في قصيدة (قلب المغرب) للشاعر مصطفى خريف التي كتبها في الذكرى السادسة لوفاة ابن باديس

1 - عدد 880، تونس: سبتمبر 1951م.

2 - ناصر (محمد)، الشيخ القراري حياته وآثاره، الجزائر: المطبعة العربية، 1990م، ص.190.

3 - الجابري، النشاط العلمي، ص.ص (275-276).

4 - محمد صالح المهدي، "العلامة ابن باديس يزور العاصمة التونسية"، مجلة الأفكار، عدد 03. تونس: جانفي 1937م.

5 - يراجع أيضا: جريدة الزهرة، عدد 21، تونس: 22 ربيع الأول 1330هـ/ أكتوبر 1937م.

6 - عدد 11 جانفي 1937م.

7 - الجابري، النشاط العلمي، ص.81.

8 - الجابري، التواصل الثقافي، ص.08.

(سنة 1946م) حيث يستهل المناسبة بتحية الجزائر أولاً ثم الترحيب بفتيتها من الطلبة الزيتونيين المهاجرين قائلاً:

واهتمف لفتيتها الكرام ورحب	❁	حيّ الجزائر فهي قلب المغرب
الأقرب الأدنى لها فالأقرب	❁	واحمل من الخضرا نفحة ودّها
لا يُستجدّ العُرب غيرك من أب	❁	عبد الحميد أبا البلاد وشيخها
فمنحت علتنا دواء مُجرب	❁	ذكراك تبعث في النفوس عزائمنا
بشهاب مُقتبس وأمل نكتب ¹	❁	أشرق بروحك فوقنا وأمدنا

فالتونسيون كانوا يعتبرون ابن باديس رمزاً لوحدة المغرب العرب، وأستاذاً للأجيال، ورائداً للحركة الإصلاحية ومحركاً للحياة الفكرية والسياسية للمنطقة، وهو ما رددته جلال الدين النقاش في إحدى المناسبات:

وذكراه رمز العلاء والفخر	❁	حياة ابن باديس كتر اعتبار
على ضوءه ياله من منار	❁	منار تألق هذا الشمال
وفخر الأباة حماة الديار ²	❁	إمام الهداة وخير الثقاة

ومما لا شك فيه أن ما قيل، وما أنشد خلال هذه الاحتفالات كان له أثره في نفوس من حضروا هذه المواكب والتي تدلّ على تضامن التونسيين ووفائهم لدور الجزائريين النضالي بينهم، وتجسّد هذا الوفاء في عدة مناسبات أخرى، كهذه القصيدة التي حيا فيها الشيخ النيفر ابن باديس ومن خلاله كل الجزائريين:

وهذه الشقيقة قد أبدت عواطفها	❁	وعبرت لكم عن لطف وتأنيس
يا نخبة من بني الخضراء إنكم	❁	مع الجزائر في ضعن وتعريس ³

ونفس الوفاء كنه التونسيون للشيخ مبارك الملي، حيث يتجلى بصورة أوضح عندما بلغ خير نعيه الأوساط التونسية التي باغتها النبأ المريع، واعتبرت فقدته خسارة للحركة الإصلاحية في الشمال الإفريقي، حيث أقيم حفل تأبيني مشهود بمناسبة أربعينيته بمقر الجمعية بنهج الباشا بتونس، وأفردت له المجلة التونسية ملفاً خاصاً تضمن حياته وخصاله، وكل ما قيل فيه في هذا الحفل من دراسات

¹ - خريف (مصطفى)، شوق وذوق، تونس: الشركة التونسية لفنون الرسم، 1965م، ص.ص (42 - 45).

- يراجع أيضاً: قصيدة (أرى فجراً يسري نحونا)، ص.90.

² - الجابري، التواصل الثقافي، ص.25.

³ - النيفر (محمد الشاذلي)، "في ذكرى عبد الحميد ابن باديس"، الثقافة، عدد 80. الجزائر: مارس/أفريل 1984م، ص.ص (195-197). ويراجع له قصيدة أخرى عن ابن باديس في: زين العابدين السنوسي، المصدر السابق، ص.185.

وقصائد، حيث وصفته المجلة الزيتونية¹ «بالعلم والرمز العظيم للإصلاح والتجديد والنهوض والعمل الصالح..» وأما عن دور بعض الوطنيين الجزائريين، كتب أحد الباحثين التونسيين: «ومن لا يتذكر مواقف أبطال بترت أمثال الشيخ المصلح إدريس الشريف (1866-1936) م وصلاح الدين بوشوشة (1912-1946) م، وحسن النوري (1905-1939) م... لقد بذل هؤلاء وغيرهم حياتهم لتحميا تونس... ويسعد أبناءها ويتحقق في البلاد مآثر وآثار لا تنمحي مدى الدهر...»²، وكتب الحبيب بوقطفة عن حادثة الماتلين التي سُجن فيها حسن النوري حيث صورّ فيها صلابته وإيمانه بحق العمال التونسيين في صحيفة " العمل " ³ تحت عنوان « عناصر الحكومة تتدلل على حسابنا » ماييلي: « ويُسجن حسن النوري، لأن نشاطه النقابي لا يروق لتشكيلة من التشكيلات التي تناصر الحكومة وتؤيدها... لقد اتصل بعلمنا ما استندت إليه السلطة في معاملة الرجل العظيم حسن النوري، حتى جعلت هدفها، لزوم أن تقتل في شخصه النقابات التونسية بينزرت لكن هيهات...».

وفي مقال آخر بنفس الجريدة تحت عنوان «البطل حسن النوري تحت الأقفال»⁴ كتب يقول: «... وألقي بحسن النوري في غياهب السجن.. ووصل الخير إلى العمال وهَيَّأت بترت لكل الطوارئ، فرأيت نفسي مضطراً أن أعقد اجتماعاً لأطلع العمال على الحادثة وأهدئ من روعهم، ولكن صراخ العمال، كان مؤثراً حين ينادون: «حسن النوري وإلا الإضراب العام...، دماؤنا فداء النوري... نموت وبجيا النوري...».

وبعد نفيه إلى الجزائر في جانفي 1938 م قام العمال التونسيون بمظاهرات احتجاجية حاشدة في بترت، وكرد فعل ورداً للجميل الذي أسداه الجزائريون نصحاً ومشورة في قضية تصدع الحزب الدستوري سنة 1934 م، كتبت مجلة "الإرادة التونسية" مقالاً بعنوان «كلمة إلى إخواننا الجزائريين»⁵، «... نودُّ من صميم أفئدتنا أن نفتح صدر جريدتنا لأقلام جميع الكاتبيين من إخواننا أبناء القطر الشقيق، وأن تكون "الإرادة" ميداناً للدفاع عن ذلك القطر فإننا نعتبر المغرب العربي قطراً واحداً، يسكنه شعب واحد، وإن فرقت بين أجزائه السياسة.

وأخيراً فمن المؤسف حقاً أن هذه الصفحات المشرقة من وحدة النضال بين القطرين، أن يطالها التجاهل، ويقع عليها التعتيم وتسقط في متاهة المسكوت عنه في منعرج تاريخي مُعَيَّن يصيغه الساسة والسياسيون رغم أننا أحوج ما نكون لهذه العبر التاريخية.

1 - جنان عبد الحفيظ، "كلمة تأيينية على ابن باديس"، ج10، مج5. تونس: مارس 1945 م.

2 - النوادي، النوري. ، ص.05.

3 - عدد 33. تونس: 22 أوت 1937 م.

4 - عدد 34. تونس: 12 أوت 1937 م.

5 - نقلاً عن: خرفي، الشيخ التعالبي. ، ص.56. ه/42.

المبحث الثالث: موقف الاستعمار الفرنسي ومحاولة تقزيم الدور الجزائري

إن النظام الاستعماري الذي يعمل جاهداً على خلق العراقيل والعقبات في وجه نمو الجمعيات والصحف وغيرها، لا يُمكن أن يتأخر في قتل فكرة الأمة ونموها، فقد عمل المستعمر بأقصى جهده، على تحطيم كل ما من شأنه أن يخدم كرابطة بين الجزائريين مع بعضهم أو مع غيرهم من جيرانهم، فحاول بوجه خاص أن يخنق الإسلام واللغة العربية بجميع الوسائل بصفتها عامل يؤكد الروابط ويتممها.

- إن التغيرات الأساسية المساهمة في زيارة التضامن والتواصل بين القطرين جعلت المستعمر يقوم:
- بالعمل على إذابة الشخصية الوطنية فضلاً عن التحدي الديني، والمذهبي حيث قضى مرسوم 1881م بإلحاق الجزائر بإدارة فرنسا¹.
- بالعمل على محو اللغة العربية وتهجيرها ونشر اللغة الفرنسية تدريجياً لتأخذ مكانها، كما لم ينجح الدين الإسلامي بدوره من محاولات الإبادة والتصفية²
- بالعمل على تفكيك الوحدة بين العرب البربر، وإثارة الحزازات والصراعات بين الجماعتين، حيث أعلنت أنها تسعى إلى تحرير البربر من هيمنة العرب الدينية واللغوية والعقدية³، فألغت العمل باللغة العربية في المحاكم، وأحيت الكتابة البربرية باستخدام الحروف اللاتينية، وإحداث مدارس ومؤسسات تعليمية للبربر، والفصل بين المناطق البربرية والعربية، فإن كانوا قد أخفقوا في قتل التواصل فقد نجحوا في بعض مناورات إيجاد الشقاق، وخلق أسبابه وعقله.
- ولكن لا الاستيطان الأوروبي، ولا الاستعمار، استطاعا أن يحولا بين الجزائريين وبين إسهاماتهم في تونس وغيرها من الأقطار المجاورة⁴.

فعلى المستوى الشعبي طالب الفرنسيون، بوجود وضع حد لنشاطات الدعاية الإسلامية بتناقضات كافية، وقد لام بعض الفرنسيين بلادهم على السماح للصحافة العربية بالتسرب إلى الجزائر⁵، حيث يرى معظمهم أن أغلب الثورات الجزائرية كانت بعزاء من دعاية الجامعة الإسلامية وإلى التعصب، وقاموا بالرد على هذه الدعاية بإصدار عدة صحف لهذا الغرض كالأخبار-المبشر- فرنسا الإسلامية، ووصفوا فرنسا بأنها أمة إسلامية كما بذلوا جهوداً كبيرة لجذب المهاجرين

¹ - الكنتري، مرجع سابق، ص. 18.

² - عمارة (محمد)، العروبة في العصر الحديث. القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر 1967م. ص. 239.

³ - الكنتري، مرجع سابق، ص. 19.

⁴ - ليون فيكس، مرجع سابق، ص. 29.

⁵ - سعد الله، الحركة الوطنية. ج2، ص. 123.

الجزائريين نحو جانب فرنسا، ولذلك وعدوهم بالمعونات والأوسمة، والمعاملة الحسنة.

ويذهب جل الفرنسيين إلى أن الجزائر كانت شرقية، فحاولت فرنسا فصلها عن الشرق وإحاقها بالغرب، وأن كل تاريخ الجزائر خلال العهد الاستعماري، هو صراع بين جاذبية الشرق الأصيلة، وجاذبية الغرب الدخيلة، وكانت وسيلة تغريب الجزائر هي الاندماج بكل نواحيه (ثقافية، إدارية، اجتماعية، لغوية...).

لهذا قام الفرنسيون - من باب تقزيم المساهمات الجزائرية- بإغلاق حدود الجزائر نحو الشرق منذ الاحتلال فحوّلوا التجارة إلى فرنسا ومنعوا الحج، إلا بصفة استثنائية وانتقائية¹، ومنعوا الزوار من المشرق وتبادل العلماء والكتب والدراسة، وراقبوا الطرق الصوفية، التي لها مراسلات وعلاقات مع الطرق الصوفية الموجودة في المشرق والمغرب كالفقارية والسنوسية والطيبية، وحاربوا دعاية الجامعة الإسلامية، ووقفوا في وجه المهاجرين إلى المشرق، بفرض نظام الرخصة، وبنوا المدارس الإسلامية على طريقتهم لتخريج قضاة و معلمين على حسب مبتغاهم، وحتى لا يضطر الجزائريون إلى الخروج إلى الأزهر أو الزيتونة، أو يضطر الفرنسيون إلى توظيف مسلمين أجنب عن مدرستهم². ولكن الحدود التي أقاموها أو أغلقوها لم تمنع مع ذلك هجرة الجزائريين، ولا من تعلمهم في بعض الجامعات الإسلامية والعربية، ولا من تأثرهم بالأفكار التي كانت تروج دعاية المسلمين عامة للنهضة والتضامن والتواصل.

ومن القيود الفرنسية لمنع هجرة الجزائريين إلى تونس، عدم منح الجواز، وهو ما يحتم على الجزائريين أخذ طرق أخرى للهجرة، كتدخل الحاكم العام "شانزي" سنة 1875م بمنع الهجرة، لأنه وبحسب تقارير المقيم الفرنسي بتونس، هذه الهجرة تضر بسمعة فرنسا، ليس في تونس فقط بل في المشرق برمته، كما منعها أيضا "جول كامبون" سنة 1895م، وهو نفسه الذي استصدر فتوى من علماء المشرق، تُحرّم الهجرة الجماعية سنّي (1910-1911)م، بل أنه أغلق الحدود الجزائرية مع تونس³.

ويروي الشيخ محمد علي دبوز⁴ كيف أن فرنسا كانت تُشدد في إعطاء الرخصة للجزائريين عموما وللطلبة خصوصا قائلاً: «وكان السفر إلى تونس والخروج من الجزائر إلى كل مكان برخصة يُشدد في منحها الفرنسيون للمسلمين، وكان التداوي هو العلة التي يستند إليها من يطلب السفر

1 - حجاج، مرجع سابق، ص.70.

2 - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص.ص (471 - 472).

3 - المرجع نفسه، ج5، ص.476.

4 - أعلام الإصلاح في الجزائر (1921 - 1975)م، ج2، الجزائر: مطبعة دار البعث 1976م، ص.177.

إلى تونس من الطلبة، وكانت تطلب من قسنطينة وهذا بالنسبة لإقليم الشرق».

وفي مارس 1938م، عاودت الحكومة الفرنسية هذه الأسباب الإضطهادية ضد الجزائريين المهاجرين. بإصدار "شوتان" لقرارين يُضَيِّقان الخناق بصفة شديدة على المسلمين الجزائريين حسب رأي الشهاب¹ وهما:

- فرض عقوبات إضافية ضد كل من يُباشِر التعليم العربي والديني من دون رخصة.
- تضييق حرية السفر إلى خارج الجزائر².

ولم تكف الحرب العالمية الثانية تبدأ حتى صدر قانون 28 أوت 1939م، والذي يعطي للإدارة الفرنسية بالجزائر الحق في مراقبة جميع المطبوعات، كما يمنحها حق وقف أو منع جميع الصحف والمطبوعات، وأصبح كل من يعزم على إصدار جريدة أو نحوها وجب عليه الرخصة بذلك. ولما أغلق الاستعمار الفرنسي باب الهجرة إلى تونس على التلاميذ وجعل السفر إليها برخصة خاصة «كان هؤلاء التلاميذ يقطعون الحدود سيراً على الأقدام من جهة الجبال الصعبة التي لا يجرسها الفرنسيون، وكنتُ ممن أيس سنة 1942م من الحصول على رخصة الذهاب إلى تونس...»³.

وإننا لا نعرف عدد الطلاب الجزائريين بالضبط في جامع الزيتونة- كما ذكرنا سالفاً في المبحث الثاني في الفصل الثالث- ومهما يكن من أمر فالمؤكد من أن عدد الطلبة الجزائريين المعربون والعائدون من جامع الزيتونة كانت السلطات الفرنسية تعتبرهم بمثابة «بركان هادئ» قد ينفجر فجأة ليلحق أضراراً هامة بمصالحها في تونس والجزائر، حيث أجمع الساسة الفرنسيون، على أن الجامعة الزيتونية تشكل خطورة سياسية كبيرة بالنسبة للاستعمار الفرنسي.

وتحسباً للتهديد الذي كانت تتوقعه السلطات الاستعمارية من عودة هؤلاء الطلبة، طلب الحاكم العام بالجزائر سنة 1927م، عندما تكاثرت توافد الطلبة الجزائريين، ورجوعهم إلى وطنهم من كل المسؤولين الإداريين والعسكريين بالجزائر، أن يفرضوا رقابة دقيقة عليهم، وأن يتبعوا بدقة كل نشاطاتهم⁴.

ومن يتتبع المراسلات الفرنسية المتعلقة بهذا الموضوع، وما استهلك من حبر من أجله يُدرك الأهمية الكبيرة التي أولتها الإدارة الفرنسية للطلبة الجزائريين، ذلك لأنهم لا يحملون معهم أفكار

¹ - عدد ماي 1938م.

² - سعد الله، الحركة الوطنية. ، ج2، ص.34.

³ - دبور، فمضة الجزائر. ، ج2، ص.20.

⁴ - هلال، "الطلبة الجزائريون." ، الثقافة، عدد 79، ص.136.

النهضة السياسية والجامعة الإسلامية فحسب، ولكن أيضاً يطمحون إلى نهضة سياسة عربية. أما في تونس، فقد كان عدد ضحايا القمع من الطلبة الجزائريين، خلال تلك الحقبة التي دامت خمس سنوات¹، مرتفعاً للغاية، لا سيما خلال السنوات 1928 و 1929 و 1930م¹. ولم تمض أكثر من خمسة أشهر على تعيين الشيخ الطاهر بن عاشور على رأس مشيخة الجامع الأعظم في آخر سبتمبر 1932م، حتى بدأ عهد جديد مليء بالإجراءات القمعية التي لا مبرر لها، فقد أنشأ «مصلحة للمراقبة» مكلفة بتتبع حركات المدرسين، والطلبة سواء في الجامع أو في مقر سكانهم، فتعرض الطلبة بسبب ذلك لأقصى العقوبات المسلطة، وذلك لأتفه الأسباب². كما نظر الفرنسيون إلى جمعية الطلبة لشمال إفريقيا، على أنها جمعية "سياسية" تريد تجسيد المطامح الوطنية في وحدة مغاربية، حيث منعت السلطات الفرنسية انعقاد مؤتمرهم الثالث سنة 1933م ومؤتمرهم السادس سنة 1936م.

ويبدو أن المحاولات الفرنسية للحد من المساهمات الجزائرية ذات البعد المغاربي قد امتدت إلى جمعية شبيبة شمال إفريقيا الموحدة التي أسسها الجباري في ديسمبر 1936م بتشريد هذا الأخير وإبعاده إلى وطنه الجزائر وحل جمعيته المغاربية واعتقال كل معاونيه من الجزائريين والتونسيين والمغاربة³.

وتجاه النضال الطلابي المتصاعد - من طرف الجزائريين والتونسيين - حاولت السلطة الفرنسية بث بذور الشقاق في صفوف هذه الحركة الطلابية، بإثارة النزاع بين «الأفريقيين»، و«أبناء الحضارة»، ولهذا الغرض تأسست منذ شهر سبتمبر 1934م وبدعم من السلطة الفرنسية، جمعية سرية لمقاومة الطلبة الأفريقيين وفي الحال تكونت «لجنة الدفاع عن الطلبة الأفريقيين» لمقاومة الجمعية المذكورة⁴، ليحتدم الطلبة في نزعات لا جدوى منها بعيداً عن أهدافهم الحقيقية وهو ما يبحث عنه الفرنسيون.

ولضرب الاتجاه العروبي - القومي قامت فرنسا باحتضان الاتجاه اليميني المتطرف في كلا الحركتين الوطنيتين، ففي الجزائر استغلت الفرقة القائمة بين النجم، وباقي التيارات الوطنية الأخرى، وبين اتحادية النواب والشيوخيين مع جمعية العلماء تلك الفرقة القائمة على أساس المطالب المقترحة من طرفهم⁵، فقد قام هذا الاتجاه اليميني بإنكار صلته بالحضارة الإسلامية العربية، وأعلن أصحابه

¹ - يراجع الملحق. II. رقم 02.

² - العياشي مختار، مرجع سابق، ص. 157.

³ - هلال عمار، نشاط الطلبة، ص. 156.

⁴ - للإطلاع على الجمعية ينظر: تقرير للشرطة بتاريخ 1934/04/21 م S.D36, Dossier 01, P.04, A.P.M.T.

⁵ - جلال يحيى، المغرب الكبير، ج4، ص. 227.

ارتباطهم بفرنسا وبالحضارة الغربية¹، فتمزقت صفوف الجزائريين بنعرات الفرقة، وضرب الاتجاه العروبي في الجزائر في الصميم عندما تُشوّهت الرؤية القومية الصحيحة لدى كثير من الجزائريين، مما أثار بشكل أو بآخر في قضية تشجيع التواصل المغاربي.

وبالنسبة لنضال الجزائريين في المهجر خاصة في قضايا الاستقلال والحرية في كامل الشمال الإفريقي فالمعروف أن نضالهم قد واجه عراقيل إدارية، ومصاعب قضائية، ولعل أكبر عرقلة واجهتهم، خصوصاً للمهاجرين في فرنسا هو ما كان يُسمى "بمصلحة الشؤون الأهلية" التي تأسست في مارس 1925م، حيث انحصرت مهمتها في البحث عن المتهمين من إفريقيا الشمالية، والتحقيق في هوية الفارين منهم، إضافة إلى مهمة أخرى استخدمتها لاستقطاب شباب شمال إفريقيا، ومنافسة المنظمات والجمعيات الوطنية المغاربية، وهي البحث عن العمل للعاطلين، والإشراف على المستوصفات ومراكز الإقامة الخاصة بالأفارقة الشماليين²، حيث هدفت هذه المصلحة إلى تطويقهم وحصر نشاطهم في نطاق معين وإطار مُغلق، كإجراء وقائي يُدافع عن مصالح الاستعمار الفرنسي.

كما لم تبق السلطة الفرنسية مكتوفة الأيدي، أمام النشاط المكثف الذي قام به الوطنيون المهاجرون في أوروبا والمشرق العربي، فقد جندت أعوانها وعملائها من الفرنسيين وحتى من التونسيين للتجسس عليهم وإحباط مساعيهم بجميع الوسائل، ومن ذلك أن الحكومة الفرنسية قد كلفت "الظاهر خير الدين" (ابن الوزير خير الدين باشا)، بمقابلة "محمد باش حامبة" بجنيف وتوجيه تقرير حول نشاطه بالخارج إلى الكاتب العام الفرنسي للحكومة التونسية، وقد جازته الحكومة الفرنسية على هذا العمل التجسسي، حيث عينته وزيراً للعدل بتونس سنة 1921م³.

كما طلبت السلطة الفرنسية بتونس الجنرال محمد بن خوجة (مدير التشريفات)، تأليف نشرة للرد على الدعاية التي يقوم بها الشيخ صالح الشريف بالخارج ضد فرنسا، فاستجاب بن الخوجة وأصدر نشرة دعائية أشاد فيها بمحاسن الحماية الفرنسية بتونس، وأتهم الشيخ صالح الشريف بالشذوذ الجنسي والجنون واختلاس أموال الصليب الأحمر بالاشتراك مع علي باش حامبة⁴.

وبالإطلاع على إحدى الوثائق الأرشيفية الموجودة بمركز الأرشيف التونسي، نجد أن نشاط الجزائريين في المهجر أقلق الحكومة الفرنسية، حيث كانت تتابع ذلك باهتمام دقيق عن طريق ممثليها

¹ - سعد الله، "الاتجاه العربي"، الثقافة، عدد 31، ص. 30.

² - ينظر أيضاً: جلال يحيى، العالم العربي، ص. (685-687)

³ - ينظر: زوزو، مرجع سابق، ص. (163-164).

⁴ - الساحلي، "نشاط الوطنيين"، م.ت.م، عدد (33-34)، ص. 190.

⁵ - المرجع نفسه، ص. 190.

الدبلوماسية وقنواتها السياسية، فقد كانت مجلة المغرب محرمة في كامل شمال إفريقيا، حيث كان يبعث بها المغاربة من المهجر إلى كثير من الشخصيات الفرنسية والمغربية.¹ كمننا قامت فرنسا بمحاكمة غيابية لجماعة «لجنة استقلال الجزائر وتونس»، ومجلة "المغرب"، ومصادرة أملاكهم وأرزاقهم حيث أصدرت أمر بتاريخ 12 جويلية 1917م، يقضي بحجز أملاك الطبيب جميل، محمد باش حامة وإسماعيل الصفايحي وصالح الشريف والخضر حسين.² وفي نفس الوقت وعلى مستوى تونس قام الاستعمار وبقسوة باضطهاد العناصر الجزائرية، التي تسربت إلى إدارات تحرير الصحف، وخلايا الأحزاب ومكاتب اللجان والجمعيات، حيث طوح بمعظمهم نفيًا بدعوى إعادتهم إلى وطنهم الجزائر، وأفرغ هذه الصحف والجمعيات والأحزاب من محتواها المغربي، حيث أفقدها عناصر متحمسة متفرغة كانت الوسيلة الأولى التي تتجأت السلطات إليها، هي مصادرة الصحافة وتعطيلها والاستحواذ على إدارتها وجعلها صحافة إخبارية لا تنشر إلا ما يرضى الاستعمار.

ورغم ما بذلته الجمعيات الجزائرية المنتمية للحزب الدستوري من جهود لتمويه هذا الانتماء، فإن الاستعمار الذي كان يتابع هذه التحركات لم تنطل عليه كل مظاهر التمويه هذه، إلى أن عثر على الحجج الملائمة لإبعاد العناصر الجزائرية ونفيها بشكل لا يثير حساسيات خاصة. فبدأ بضرب رؤوس الحركة الميزابية، وكانت البداية مع الشيخ إبراهيم اطفيش الذي أبعدته في فيفري 1923 م، بتهمة التواطؤ مع الحزب الدستوري التونسي، وتم نفيه إلى الجزائر ولم تمض مدة طويلة حتى تمكن الاستعمار من تجميد نشاط الشيخ صالح بن يحيى.³

وتوالت بعدئذ قرارات الإبعاد الصادرة بحق الجزائريين، ممن كان لهم نشاط بارز في الحزب حيث شملت في سنة 1925م، كل من توفيق المدني وعبد الرحمان اليعلاوي بتهمة المشاركة في أعمال الشغب والمناهضة للسلطة والانخراط مع التونسيين في أعمال السياسة، ولقد جاء في كلمة المدني، في جريدة النجاح عقب نفيه من تونس مؤثرة جدًا، أثبتت مدى تعلق الجزائريين بمبادئ التضامن والوحدة النضالية جاء في مطلعها: «رمت بي حكومة الاحتلال خارج حدود الوطن، رائمة بذلك إبعادي عن أمة كرسْتُ حياتي لخدمتها، وفكرة سامية بذلت النفس والنفيس في سبيل تحقيقها...»⁴.

¹ - S.M.N, Dossier, Mohamed Bach-Hamba, B1.28, Doc. N:°15, C.D.N.T.(M.I), correspondance du Générale Alix Commandant de la D.O.T. à M^r le R.G de la R.F à Tunis (Paris le 20/08/1936).

² - مواعدة، مرجع سابق، ص.82.

³ - الجابري، النشاط العلمي، ص.274.

⁴ - يراجع: المدني، حياة كفاح، ج1، ص.ص (337-339).

كما قام الاستعمار الفرنسي بسجن محمد العيد الجباري الجزائري سبع مرات متتالية، ورغم علته إلا أنها نفته مع الزعماء التونسيين إلى أقصى الجنوب التونسي، وإمعاناً في تعذيبه ورغم تهالك صحته، نفته لوحده إلى سجن حربي ببرج البوف¹.

ويظهر أن سياسة الإبعاد عن البلاد التي كانت تستعملها فرنسا، تشابهت في طرائقها وأساليبها، فكما ادعى الأمير خالد تفاقم مرضه القديم، واشتداد علته كحجة للتوقف عن النضال السياسي ادعى أيضاً في نفس الفترة تقريباً الشيخ الثعالبي أن سبب مغادرته البلاد إنما يعود إلى أسباب صحية لكن الثابت أن كليهما قد تعرض إلى ضغوط وظروف مشابهة، ومنها نجاح السلطات الفرنسية في تفتيت جهودهم، وتزوير حقائق مطالبهم، وإثارة الخلافات مع أقرب أنصارهما، وإلا كيف نفسر عودتهما إلى النشاط السياسي، والفكري بشكل مكثف عقب خروجهما مباشرة إلى خارج بلديهما؟ ولماذا دعوى المرض الذي تعلل به للتوقف لم يفت من عضدهما في المنفى؟ وعلى كل فقد تكشف كل هذه الأساليب بعد عودتهما إلى النضال السياسي والوطني، حيث استقبل الثعالبي في تونس سنة 1937م، وعاد إلى نشاطه كسالف زمانه، كما صرح الأمير خالد « بأنه أبعد عن وطنه لأنه دافع عن المصالح الحيوية لمواطنيه، بمعنى أن دعوى علته لم تكن سوى حجة للإفلات من ضغوطات المستعمر».

كما كان طبيعياً في منطلق الاستعمار وأمام تلك البعثات العلمية إلى تونس ألا يغض الطرف على هذا العمل الضخم الذي كان يقوم به الشيخ ابن باديس، بمعاونة إخوانه، ولذلك فإنه ما انفك يُدبر المكائد ويُحيك المؤامرات للقضاء على الشيخ ابن باديس وأعضاءه، فمرة عن طريق والده، ومرة عن طريق أقرب المقربين له كالعقبي مثلاً «وكانت أخطر هذه المؤامرات، هي المحاولة الدنيئة التي سخر لها أحد أتباع الطريقة العليوية اغتيال الشيخ سنة 1926م بقسنطينة»².

وبات واضحاً منذ البداية أمام ظهور الصحافة العربية أن السلطة الاستعمارية ستقف منها موقفاً لا يستند إلى قانون، حيث بادرت كم من مرة إلى مصادرة تلك الصحف، وفي المقابل كانت تبسط رعايتها على الصحف المأجورة التي تُسبَّحُ بمجدها، وتمدها بالوسائل المادية والمعنوية.

وحرصاً منها في التضييق والمراقبة، حرمت دخول الجرائد العربية المشرقية وغيرها، ولم تكن لتسمح بالحرية للصحافة الوطنية إلا بالمقدار الذي يُخفف الضغط، وتعد مأساة جرائد أبا اليقظان الثماني التي تساقطت مستشهدة الواحدة تلو الأخرى، في مدة لا تزيد عن ثلاثة عشرة سنة

¹ - الجباري، النشاط العلمي، ص. 319.

² - مرحوم علي، "لمحات من حياة"، الأصالة، عدد 24، ص. 102.

من أروع أمثلة الجهاد الصحفي في الجزائر، وآية من آيات المقاومة والتحدي¹.

ومما يوضح لنا هذه الروح الصامدة عند الجزائريين إلحاحهم المستمر في كل المناسبات على المطالبة بحرية الصحافة²، فقانون 29 جويلية 1881م الذي تنص مادته الرابعة عشر على أنه بإمكان مجلس الوزراء في جلسة خاصة، أن يُصادر أو يمنع أية صحيفة من الظهور أو الدخول إلى المستعمرات الفرنسية فيما وراء البحار إذا ثبت له ضرورة وجدوى اتخاذ هذا القرار³.

فلولا رقابة المُستعمر و ملاحقته اللاهثة، لما كان عمر بن قنور مرة (أبا حفص) وأخرى (الأصلح)، ولما كان الأمير خالد مرة (منذر القوم)، ومرة (خادم القوم)، ولما كان عمر راسم في جريدته (ذو القفار) أبو منصور الصنهاجي، ولما كان ابن باديس كذلك (القسنطيني والعبيسي)، ومحمد السعيد الزاهري (تأبط شراً، والرقيب الصادر)، ولما كان الأمين العمودي يُلقب نفسه (سمهري) ومبارك الملي (البيضاوي والفرقد)⁴.

فالرواد الأوائل للنشاط الصحفي الجزائري والذين أثبتوا فاعلية وجدوى النضال الفكري والأدبي قد نالتهم مضايقات استعمارية عديدة وتعرضوا لألوان من الهوان النفسي والتعذيب الجسدي.

فُعُوقب عمر بن قنور العقاب الشهير، إذ سيقَ إلى منفاه في صحراء الجنوب الجزائري، وأمعن في تعذيبه وإهانته، كما حوكم عمر راسم بالأشغال الشاقة، ونفس المصير لقيه بعدهما محمد العيد آل خليفة، والطيب العقبي وهؤلاء الأربعة كان لهم نفس التصرف عقب التسريح والإطلاق مع تفاوت طفيف بينهم ويبدو أن تعرضهم لعذاب نفسي عميق في المنفى، جعلهم بعد خروجهم مما كانوا فيه يكفرون بالحياة والناس، ويميلون إلى الدعة والمهانة والانكماش بدل ما كانوا عليه من تحدي ونضال مستميت، ويبدو أن مصير عبد الحليم بن سماية لم يكن بعيداً عن ذلك، وقد يكون هذا وسيلة نفسية أخرى من وسائل المُستعمر في اضطهاد الوطنيين.

ولم يكتفِ المستعمر بهذا الضغط على حرية الرأي العربي بل أنه ذهب إلى أبعد من هذا الحد ومنعت دخول الصحف والنشريات والمطبوعات العربية إلى الجزائر⁵.

¹ - ناصر، الصحف العربية، ص.16.

² - Collot (Claude), dans Revue Algérienne juridique Economiques et politique, N :°02, Juin 1969, p.352.

³ - هلال، "أصداء الهجرة"، الثقافة، عدد88، ص.167.

⁴ - Merad, le réformisme., p.389.

يراجع عن ذلك:

- ناصر محمد، المقالة، مج1، ص.49- تحري، شعراء من الجزائر، ص.60.

⁵ - حقي (إحسان)، الجزائر الثائرة (أرض الكفاح المجيد)، ط1. بيروت: منشورات المكتب التجاري، 1961م، ص.144.

المبحث الرابع: المساهمة الجزائرية وأثرها في تفعيل الوعي المغاربي:

لماذا الكتابة عن خصوصية وأبعاد هذه المساهمة؟ ولماذا نركز على البعد المغاربي الوحدوي في طبيعة هذه المساهمة؟ لماذا نتكلم عن الوحدة المغاربية من وراء هذه المساهمة؟ ولا نُعممها فتتحدث عن الوحدة العربية بدلها؟ وهل هناك فصل بين هذين النوعين من الوحدتين من خلال أدبيات المساهمة الجزائرية؟ أم أهما معاً يُشكلان بعداً واحداً مع اختلاف في المدى؟ على أساس أن الوحدة العربية الشاملة هي وحدة للذات، وبالتالي فالحديث عن الوحدة المغاربية لا يعدوا أن يكون إجراءً منهجياً ليس إلا.

نُقرُّ مبدئياً أن الحديث في هذا المنحى يُعتبر حديثاً ساقطاً وحشواً للموضوع من دون طائل ولا يتوخى منه سوى الفصل بين الوحدتين، أي إبراز وجود خصوصية في درجة القطيعة، رغم أننا في كل الفصول السابقة كنا نعتبر الوحدة المغاربية والعربية معاً، رؤية علمية متماسكة حين تستعاطى مع الوحدة الجهوية باعتبارها خطوة نحو الوحدة الشاملة¹، قد نشعر بنفس القلق الفكري أيضاً حين نريد مساءلة الوعي القومي لدى الجزائريين خلال هذه الفترة التاريخية.

إن الحدث القومي بالجزائر خلال هذه الفترة²، قد أثار جملة من التساؤلات، مقارنة مع نظيره بالشرق تعلقت أساساً بتاريخ تكوينه وبموضوعاته أيضاً، وبدرجة تقدمه ومحدوديته وفعله، ومن أهم الموضوعات ظاهرة المزج بين العربية الإسلامية، وأيضاً تداخل الوعي بالانتماء إلى الأمة العربية بالوعي الوطني أي الانتماء القطري³.

إني أدرك تماماً رغم صلاحية هذه التساؤلات من حيث الطرح المنهجي بصعوبة التعاطي معها في هذه الدراسة لأن الموضوع ذاته متشعب وما زال بكرّاً، قياساً لما كُتب حوله وأنجز، فمحاولتنا مجدداً استقراء مضمون المساهمة الجزائرية وخلفياتها، وأبعادها ومن ثم أهدافها وطموحاتها، ليس بلغة الوصف، ولا بعقدة التنظير ولكن بينهما معاً، نبحث عن أحداث ذكرناها سالفاً لنفككها ونسائلها أيضاً، ولكن بمنطق منفتح، مُجرد من نزعة الجزم والثوقية واليقين.

يذكر مصطفى الأشرف: «أن نشوء الشعور الثوري لدى الجماهير الجزائرية، كان بدعوى العاطفة وحب الخير لا الوعي السياسي الخلاق - بعبارة أخرى - فإن الفكر القومي التقليدي الذي كان يُوجه المواطن الجزائري - من حيث لا يشعر - هذا الفكر لا يجد ما يُغذي به الشعور

¹ - يراجع في هذا الباب: منير (شفيق)، في الوحدة والتجزئة. بيروت: دار الطليعة، ص.ص (20 - 40).

² - يراجع: المبحث الأول من الفصل الرابع.

³ - للاطلاع على هذا النقاش يراجع: "ندوة المستقبل العربي، الوعي القومي في المغرب العربي"، مجلة المستقبل العربي، عدد 76. بيروت: جوان 1985، ص.ص (126 - 144).

الثوري القومي، سوى بالمواقف المفتعلة والشعارات الغامضة والحلول المرتجلة والألفاظ الجوفاء، والعلاقات الأخوية العقيمة، ذلك أنها تصدر عن وعي ضعيف وخوف من المسؤولية¹.
 بصرف النظر عن صحة هذا القول من عدمه، فإن النظرة التاريخية الإسلامية هي الغالبة في ضبط محتوى القومية على التحليل الاجتماعي لدى النخبة الجزائرية، وليس ذلك من باب الصدفة، فلقد وردت الجنسية العربية على أرض المغرب الكبير في جحافل الفاتحين من دعاة الإسلام، ولقد توطدت اللغة العربية في هذه الديار، وغلبت اللغات الأهلية لأنها لغة القرآن، وتركز مذهب الإمام مالك وعم الشمال الإفريقي، لأنه أقرب المذاهب تمسكاً بالكتاب والسنة.

ولما تكونت الحركة الوطنية في مطلع القرن العشرين، فإنما كانت تتمسك بالقيم الدينية الإسلامية سواء عن وعي أو عن تقليد، لا بمبادئ القومية العربية، وهي لم تتوضح معالمها في ذلك العهد، فلقد كانت أغلب الشخصيات والجمعيات الجزائرية تعمل بروح الإسلام، وتنادي بالتعلق بالدين، وترى فيه حصناً منيعاً ضد الاستعمار وردعاً حافظاً من حملات التبشير في بلاد القبائل، وتؤكد المواثيق الوطنية للنجم وحزب الشعب على الطابع الإسلامي العربي للأمة الجزائرية².

وفي داخل تونس كان الزعماء الجزائريين الأولين للحركات الوطنية التونسية يُنادون بالتمسك بالدين، وبالولاء للخلافة الإسلامية في إستانبول، وقد فعل ذلك الخضر حسين ومحمد السنوسي، وصالح الشريف والثعالبي، وكان التصدي لعملية التحنيس والتبشير من أبرز ملامح الكفاح التحريري على أيدي الحزب الدستوري وما انفك التمسك بالدين والدفاع عن حرمة شعاراً للكفاح الوطني داخل الجمعيات الطلابية، والهيئات الصحفية والفكرية الأخرى.

وأود أن أرفع التباساً قد ينجم بسبب عدم التمييز بين التضامن القومي المرتبط بظرف سياسي معين والوعي القومي في مجتمع عربي معين كتجربة اجتماعية سياسية تاريخية، وكفكر إنغرس في صلب الفئات الاجتماعية المتصارعة داخل المجتمع بدرجات متفاوتة، ولكن الانتماء للعروبة حاصل، وبين هذه الفترات المعينة التي ينحصر فيها المد القومي العربي نتيجة لبعض الظروف السياسية القائمة، والتي تُشكل سبباً مباشراً لدفع هذا القطر أو ذاك للتضامن مع القضايا القومية³.

وهو الطرح نفسه الذي ذهب إليه الأستاذ مصطفى الأشرف حول مقولات الآخرين القائلة أن الذين اعتبروا أن الحركة القومية فكرة دخيلة على المنطقة، والفضل كل الفضل في دعاة القومية

¹ - المصدر السابق، ص.ص (34-36).

² - يراجع: الفيلاي (مصطفى)، المغرب العربي الكبير (نداء المستقبل)، ط2. بيروت: م.د.و.ع، 1989م.
 - ينظر له أيضاً: "مفهوم المغرب العربي (تطوره تصور وممارسة، وعلاقته بالوعي القومي)"، المستقبل العربي، عدد 77.

بيروت: جويلية 1985، ص. 93.

³ - الأزهر علال، مرجع سابق، ص. 31.

المشرقين الذين عملوا بوسائل شتى على تصديرها إلى المنطقة، فأغلب هؤلاء يُحمّلون العوامل الخارجية مسؤولية نشوء الحركات القومية المغاربية، «الحقيقة أن هذه الأخيرة مختلفة في طبيعتها عن حركات الشرق نظراً لاختلاف أسباب نشوؤها»¹، فالحركة القومية في شمال إفريقيا حركة أهلية محلية نبعت من صميم واقع البلاد ونجمت عن تطور تاريخي وطني أصيل - سبق وأن ذكرناه - كما أنها برزت وأخذت في عنفوانها في فترة انحسر فيها المد القومي العربي مؤقتاً نتيجة لبعض الظروف، إن طرحاً مثل هذا يجعلنا نستنتج أسباب أخرى ومحددات أخرى ضببت الطبيعة النهائية (خصائص) للقومية المغاربية.

وقد تصعب الكتابة حين نريد قراءة البعد المغاربي في المساهمة الجزائرية... وقد تتعدّد أكثر عندما نستهدف التفصيل والتدقيق في استجلاء أثر الفعل الجزائري الرائد في تحريك الوعي المغاربي! ولكن الثابت في كل هذا، وعلى الرغم من حداثة التجربة وغموض المضمون، فإنه بإمكاننا أن نستنتج ما يلي:

• أن الوحدة المغاربية لدى الجزائريين وانطلاقاً من عقيدة صحيحة لا يشوبها شك كانت ممكنة بسبب توفر المنطقة على تاريخ، ودين، ولغة، ومصير مشترك، فهذه المقومات تتضمن من عناصر القوة ما يجعل منطق الوحدة لدى الجزائريين يتغلب على منطق الانفصال، فالمميز خلال هذه المرحلة هو المساهمة، والمساندة والتضامن والتنسيق، والتفاعل والعمل المشترك، فهذه كلها تعبيرات عن الوحدة وليست مجرد أشكال أقل قيمة من التوحيد.

• أن الوحدة المغاربية لدى الجزائريين كانت ضرورة، لأن في المنطقة من الموارد والثروات ما يغنيها عن غيرها، ويجعلها تتصدر مكانة خاصة ضمن موقعها التاريخي والجغرافي، حيث نقف في أكثر من مناسبة عند مبدأ واحد هو اقتناعهم بصلاحيّة هذا المدخل لتوحيد وإنجاز مشروع المغرب العربي الموحد.

• أن الوحدة المغاربية لدى الجزائريين كانت حتمية، لأنها من صلب وعيهم القومي، ومكوناته ولأنه أيضاً مشترك لدى مختلف النخب التي تصدرت الواجهة السياسية والفكرية.

وكما يقول العروي: «أن الوحدة صيرورة تاريخية طويلة، وهي كظاهرة اجتماعية، بمعنى الانتقال من وضعية التفكك/التجزئة إلى مستوى الانصهار/الاتحاد، أي أنها في طبيعتها أرقى من التعاون والتكامل»²، فالوحدة التي كان يصبوا إليها الجزائريون هي وحدة الكفاح ثم وحدة

¹ - المصدر السابق، ص. 75.

² - العروي (عبد الله) وآخرون، في النهضة والتراكم. المغرب: دار تو يقال، 1986م، ص. 10.
- يراجع أيضاً: - مالكي، "إشكالية وحدة المغرب العربي"، م.ت.م، عدد (45 - 46)، ص. 65.

التنمية، ذات الوجهين لمعادلة واحدة، أي الخروج من التأخر التاريخي - التخلف - ، بأفق التطور واستيعاب شروط تقدم العصر.

ويذكر عابد الجابري، ثلاثة عناصر رئيسية أسست، وتؤسس فكرة المغرب العربي في وعي أبناء شمال إفريقيا: منذ أن ظهرت هذه الفكرة مع أوائل القرن العشرين.

- فكرة الأمة والتي تُشكل الجانب الاجتماعي والسياسي لعقيدة التوحيد التي جاء بها الإسلام.
- رد الفعل الوطني ضد الاستعمار حيث يتخذونه إطاراً مرجعياً لمطامحهم التحررية.
- هذه المطامح نفسها أعني تطلعهم إلى إنجاز نهضة عصرية متقدمة¹.

فهذه العناصر تحدد كل منها لحظة من لحظات تطور الوعي بالوحدة لدى أبناء شمال إفريقيا، إن هذا يعني أن الأمر يتعلق بمراحل تاريخية مُتداخلة من الوعي بالوحدة، هذه المراحل تتعايش أحياناً وتتنافس أحياناً أخرى، ليس داخل الوعي الجماعي فقط، بل حتى داخل الوعي الفردي.

ولما كان اهتمامنا الأساسي في هذا البحث مُركزاً على وعي النخبة الجزائرية، والنخبة السياسية والفكرية على وجه الخصوص، وهذا خلال فترة الكفاح الوطني من أجل الاستقلال فإننا سننظر إلى فكرة المغرب العربي بوصفها إحدى إفرزات التاريخ السياسي والفكري الحديث لتلك النخبة.

إن الانقسام الحادث في المغرب العربي يرجع جذوره إلى القرن الثالث عشر ميلادي، منذ أن تحطمت دولة الموحدين، وقامت على أنقاضها ثلاث أسر حاكمة، فوضعت نواة التقسيم الحالي، واستمر هذا التفكك في العصر العثماني، فتميز المغرب الأقصى بتعاقب أسرتين حاكمتين، بينما نشأت ثلاث ولايات عثمانية تتمتع بالاستقلال الداخلي.

وفي القرن التاسع عشر استردّ العثمانيون سلطتهم في طرابلس بينما شرع الاستعمار الفرنسي في بسط نفوذه على الجزائر وتونس والمغرب الأقصى، وبهذا انفصلت طرابلس فترة من الوقت عن بقية المغرب العربي، كان من الممكن أن يُحدث الاستعمار الواحد نوعاً من الترابط بين الأقطار الثلاثة الأخرى لولا أنه مميّز من حيث الوضع القانوني بين الجزائر التي أُعتبرت جزءاً من الأرض الفرنسية، وبين كل من تونس والمغرب اللتين أُخضعتا لنظام الحماية²، ولهذا السبب رسم الفرنسيون حدوداً دقيقة تفصل بين هذه الأقطار بالرغم من أن تلك الحدود لا تُساير أية عوامل طبيعية.

وقد لاحت فرص عديدة لازدهار فكرة المغرب الكبير فالخضوع لاستعمار واحد هياً الظروف

¹ - مجموعة من المؤلفين، وحدة المغرب العربي، بيروت: م.د.و.ع، 1987م، ص. 17 وما بعدها.
- ينظر أيضاً: محمد عابد الجابري، "يقظة الوعي العروبي في المغرب"، مجلة المستقبل العربي، عدد 87. بيروت: م.د.و.ع،

ماي 1986م، ص.ص (19-20).

² - العقاد، السياسة والمجتمع. ، ص. 195.

الظروف الملائمة لالتقاء الوطنيين من شتى أنحاء المغرب الذين شرعوا في المطالبة بالاستقلال في العشرينات من القرن الفارط، وقد تأسست بالفعل حركات نضالية باسم الأقطار الثلاث.

كجما أن طبيعة الكفاح ضد الاحتلال لمختلف التيارات السياسية والفكرية لدى القطرين، وكذلك التشابه في برامج عمل هذه التيارات، وأهدافها الناتجة من آثار العدوان المتعدد الأوجه والسيطرة المتعددة الأبعاد للقوة الاستعمارية نفسها، قد قارب موضوعيًا بين الحركات الوطنية في أفق مغاربي وحدوي¹، إضافة إلى ذلك فإن مختلف تظاهرات التضامن الملاحظة في هذه الفترة تمثل ثمرة الجهود التنسيقية بين الأحزاب السياسية والجمعيات الثقافية في المجالات الأخرى أيضًا.

إن أول تنظيم على طريق التعريف الجماعي بالقضية المغربية هو نجمة شمال إفريقيا التي اغتنتمت بتجربتها النضالية إطارات جزائرية، ستختلف مع هذه الحركة حول برنامج المقاومة وقضية المسألة الوطنية وأسس حلها².

لقد بقي الإيمان بخصوصية الشخصية المغربية، وبضرورة النظر إلى أساليب حل مشكلة أقطارها على قاعدة هذه الخصوصية، هو الطابع الغالب على نضالية هذا التنظيم، حتى تاريخ تحول النجمة إلى حزب الشعب³، حيث يذكر محمد حربي أنه لغاية عام 1936م، كانت فكرة نجمة شمال إفريقيا الوجدوية تؤكد نفسها دون تردد ولم تكن الوحدة في النضال وحسب، بل أيضًا خلق هوية مغربية عربية، وهامو سي الجليلاني مدير جريدة الأمة يدعو في يوم 3 سبتمبر 1934م، المغاربة إلى النضال من أجل «ولايات شمال إفريقيا المتحدة» لكن منذ شهر جويلية 1935م، أكد البعد الوطني نفسه بوضوح، فقد صرح مصالي الحاج حينها: «يجب أن تكون الجزائر للجزائريين، وبعد ذلك سنساعد تونس والمغرب، إذا لم يحدث العكس».

وهكذا فإن الهدف الأول للنجمة هو تشكيل «إرادة سياسية واحدة» ثم انتقلت إلى الدرجة الثانية وهو ما يؤكد قول مصالي: «غالبًا ما قدمت نجمة شمال إفريقيا مطالب عامة لكل إفريقيا الشمالية لكن لأول مرة يوجد تأكيد صريح على الطابع الانعزالي لنضال كل شعب من شعوب إفريقيا الشمالية من أجل استقلاله والبداية كانت من مناضلي تونس والمغرب»⁴.

وكان عيماش عمار وحده ضمن قيادة النجمة الذي واصل المطالبة بالنضال من أجل استقلال

¹ - إبراهيم عبد الحميد، مرجع سابق، ص.67.

² - يراجع البحث الثاني في الفصل الثاني.

³ - Adéron (V), " L'Étoile Nord Africaine et le modèle communiste élément d'un onquité comparative ", C.T. Txxix, N :°(117- 118). P.P(199 - 235).

⁴ - مجموعة من المؤلفين، وحدة المغرب العربي. ، ص.74.

الشمال الإفريقي كبديل عن التحالف مع أحزاب الجبهة الشعبية¹.

وفي عام 1937م عندما أعلن الدستور الجديد الإضراب العام احتجاجاً على توقيف القادة الجزائريين والمغاربة، كان واضحاً أن البعد المغربي للأحزاب الوطنية لم يكن إلا ورقة رابحة لتعبئة الجماهير في إطار الحدود الوطنية (القطرية)².

وبعد سنتين من تأسيس النجمة، تكوّن تنظيم ثاني سُميَّ (جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين)، إن القراءة المتمعنة لمحاضر أشغال مؤتمراتها لتؤكد أهمية الموضوع المركزي الموّحد لفصائل هذا التنظيم، وهو الحفاظ على الهوية المغربية ديناً ولغة، وثقافة، وتربية وتعليم وأخلاق³.

وفي هذه الجمعية كانت مشاركة الطلبة الجزائريين قوية ومؤثرة؛ حيث لعبوا دوراً بالغ الأهمية في إقامة علاقات شخصية بين طلاب المغرب العربي، وترسيخ فكرة المغاربية في أنشطتهم ومشاريعهم. حيث سيظل هؤلاء الطلبة يحملون فكرة "المغرب العربي" التي سرعان ما سيرتفعون بها من مجرد التنسيق في دائرة العمل السياسي الظرفي، إلى مستوى التنظير والتأسيس الواعي، وهكذا سيطالب مؤتمرهم الخامس الذي انعقد بتلمسان في شهر نوفمبر 1935م، بتوحيد التعليم، ومناهجه في بلدان المنطقة وتوجيهه الوجهة التي ستمكنه من: «إيقاظ الوعي بوحدتنا الوطنية في شمال إفريقيا، التي تؤسسها ذهنية موحدة، ودين واحد وعواطف مشتركة»، كما نص بيان نفس المؤتمر على أنه: «يجب أن لا يُقال أننا نعمل على إنشاء وحدة مفتعلة، كلا وألف كلا، إننا لا نعمل إلا لبعث وحدة عتيده سجلها التاريخ هو ضامننا»⁴.

وبعد الضغط الذي مارسه سلطات الاستعمار، قصد إفشال أنشطة هذه الجمعية في سنة 1936م، بادر الجزائري عبد الرحمان اليعلوي إلى تأسيس جمعية شباب الشمال الإفريقي، والتي تشترط في عضويتها: «الاعتراف بأن شمال إفريقيا وحدة لا تقبل التجزئة [وأنه]...، وطن يجب على أبنائه تكوين جبهة واحدة للدفاع عنه»⁵.

وبالرغم من الاختلافات النظرية حول مسألة التعقيب السياسي لمسيرة الحركة الوطنية الجزائرية في بعدها المغربي، نلاحظ أن تدعيمها المادي والمعنوي لهذه التنظيمات، هو في حد ذاته تفعيل مباشر لفكرة المغاربية، بصرف النظر عن الأنشطة الفردية لإطاراتها الفاعلة في هياكل هذه المنظمات.

¹ - مالكي، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، ط2، بيروت: م.د.و.ع، 1994م، ص.ص(297 - 319).

² - مجموعة من المؤلفين، وحدة المغرب العربي.، ص.75.

³ - المرجع نفسه.

⁴ - Julien, L'Afrique du Nord., P.23.

⁵ - المرجع نفسه، ص.24.

ويكفي أن العمل المغربي المشترك المحسد في هذه التنظيمات، كان يُقصد به النضال من أجل صيانة الذات الثقافية والفكرية والروحية، أي الدعوة لمقاومة الآخر بحجة الدفاع عن الهوية العربية الإسلامية¹.

كما يجب أن ننظر إلى ثورة الأمير عبد المالك الجزائري من هذا المنطلق، وعلى أساس ثلاث زوايا: جزائرية مغربية وعربية، فمن الزاوية الجزائرية، كانت ثورة وطنية، على أساس أنه قام بها تخليداً لذكرى والده الأمير عبد القادر ومن خلال مناداته بتحرير إفريقيا الشمالية، وهي الفكرة التي حارب من أجلها أجداده، يُعتبر كزعيم لإفريقيا الشمالية، بما أنه أيد المقاومة المغربية، وضاعف منها وأعطاهها محتوى جديداً، وقوله: « أن كل العرب سيثورون ضد الأتراك » يجعله أحد أبطال القومية العربية في تلك الفترة الحاسمة².

وعندما نأخذ في الاعتبار هذه الزوايا الثلاث، فإن الأمير عبد المالك، قد يقف بطلا مغارياً فاعلاً وليس مغامراً، كما كان الفرنسيون يصفونه.

ولم يعان الجزائريون في وطنهم فقط بسبب تأييدهم لنضال التونسيين والمغربيين، بل عانوا أيضاً من أجل ذلك في الخارج، ففي صيف 1925م، طردت فرنسا أحمد توفيق المدني من تونس إلى الجزائر، وقد كان المدني في وقت إبعاده، كاتباً عاماً لحزب الدستور التونسي، ومحرراً لجريدة إفريقيا، وعارض الفرنسيون تأييده للثورة المغربية، وإثارة الأهالي بكتاباته³.

وخلال سنة 1924م نظّم الجزائريون في باريس حملة دعائية واسعة لصالح الثورة المغربية والقضية المغاربية ككل، وفي نفس الوقت بعث الأمير خالد تهمانيه إلى الأمير عبد الكريم الخطابي لنجاحه في حربه ضد إسبانيا، وفي سنة 27 سبتمبر 1924، دعا الجزائريان حاج علي عبد القادر ومحمد بن الأَكحل، إلى اجتماع أهالي المغرب العربي في باريس للمطالبة « بجلاء قتلة إخوانهم عن المغرب »⁴.

إن الشخصيات الجزائرية التي مرت بنا خلال هذه الدراسة أمثال عمر بن قنور، عمر الراسم، صالح الشريف محمد السنوسي، المكّي بن عزوز، الخضر حسين، عبد العزيز الثعالبي، علي بوشوشة، وأضرابهم من واجب كل الجزائريين والمغاربة والتونسيين أن يحتفوا بهم، لأنهم لم يكونوا ينظرون إلى قضية المغرب العربي بنظرة القطرية الضيقة، بل كانت في نظرهم قضية واحدة.

¹ - عن هذه النقطة ينظر: محمد زبير، "مرجع سابق"، مجلة المستقبل العربي، عدد 79، ص. 55.

² - سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، ص.ص (248 - 249).

³ - سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، ص. 331.

⁴ - المرجع نفسه، ص. 372.

فابن باديس كان يؤمن بأن المغرب العربي هو وحدة قائمة بذاتها وأنها جزء لا يتجزأ من الأمة العربية¹، فهو يقول في إحدى مقالاته: «إن الاتحاد الإسلامي والوحدة العربية بالمعنى الروحي، والمعنى الديني والمعنى الأخوي، هما موجودان، تزول الجبال ولا يزولان، بل هما في ازدياد دائم، بقدر ما يُشاهد الناس من عمل في الغرب ضد العروبة والإسلام»²

هذه الصرخة القومية تصعدت في ذروة الكيد الاستعماري لعروبة الشمال الإفريقي، وبطشه بالإسلام يوم تصور المستعمر أن البربرية يمكن أن تكون حربة في ظهر الإسلام والعروبة، وأن الصليبية يمكن أن تكون البديل في ظل سطوة عسكرية، فجاء التحدي باسم (العروبة والإسلام) شعاراً لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

فهذه الجمعية ظلت تبث الوعي القومي العربي الإسلامي ليس في الجزائر وحدها، بل حتى في فروعها وممثليها في كل من تونس والمغرب، وذلك من خلال صحفها ومجلاتها، ونشراتها³.

ويلتقي زعماء الجزائر والحركة الوطنية بالنسبة لهذه القضية التاريخية، والمواجهة المشهودة على فكرة واحدة، ومنطلقات مُتحدة، من دون سابق تنسيق أو تخطيط، إنما هي الرسالة الجامعة والعدو المشترك، يقول الشيخ الإبراهيمي: «عروبة الشمال الإفريقي بجميع أجزائه الطبيعية، كيفما كانت الأصول التي انحدرت منها الدماء والينابيع، التي انفجرت منها الأخلاق والخصائص، والسواحي التي جاءت منها العادات والتقاليد...، وهي أثبتت أساساً، وأقدم عهداً، من إنجليزية الإنجليز، وألمانية الألمان...»⁴.

فهذا الفتى الزواوي "با عزيز بن عمر"، يقول من بلاد القبائل: «وإننا نشعر من قبل ومن بعد بدم العروبة يجري في عروقنا، وهو صاف لم يُمازجه كدر، وإن اختلف المظهر، ونسمع صوتها الحنين يرن في آذاننا فتفتح له الطريق إلى قلوبنا و أعماقنا، فالعروبة حية فينا ونحن أحياء فيها مادامت السماوات والأرض»⁵.

ويقتضي الوفاء لهذه الأصالة، الذي هو في الوقت نفسه، وفاء للذات وأن تكون المواقف الوطنية

¹ - يراجع: خيرية، مرجع سابق، ص.160.

- ينظر: الملي (محمد)، ابن باديس وعروبة الجزائر، بيروت: دار الثقافة، 1973م، ص.56.

² - حربي، في رحاب. ، ص.12.

³ - Julien, L'Afrique du Nord., P.24.

⁴ - حربي، في رحاب. ، ص.14.

⁵ - المرجع نفسه، ص.15.

صامدة لأهدافها في فترة التحدي، حيث كتب الشيخ ابن باديس: ¹ «حيثما توجهنا إلى ناحية من نواحي التاريخ، وجدنا هذا المغرب العربي، يرتبط بروابط متينة، روحية ومادية، تتجلى بها وحدته لـلعيان...، ولسنا نريد هنا أن نتحدث عن التاريخ القديم، وإنما نريد أن نعرض صفحة من التاريخ الحديث الجاري».

وإيمان عبد الحميد ابن باديس بوحدة المغرب العربي، امتداد أصيل لهذا الشعور الوحدوي، فالوحدة عنده لا تتجزأ والكل عنده مُقدس، قال في افتتاح محاضرة له عن الجزائر في قصر الجمعيات سنة 1937م بدعوة من الطلبة الجزائريين بتونس: «إن الجمعيتين اختارتا أن يكون الكلام عن الجزائر وأنا أحب أن يكون الحديث عن عموم المغرب العربي، لأني أؤمن بأن هذا الشمال الإفريقي، لا ينهض إلا بتضامنه مع بعضه بعضاً، لكن إذا تحدثت عن الجزائر، فإنما أتحدث عن جزء من كل، وأذكر عن الأخ ما يسرُّ إخوانه» ².

كما أن حزب الشعب الجزائري دعا في برنامجه إلى «تكوين جبهة واحدة من التونسيين والجزائريين و المغاربيين» للنضال ضد الجبهة الإمبريالية، هذا بينما بقيت فكرة المغرب العربي حية في باريس بين صفوف الطلاب، والعمال واللاجئين السياسيين من أبناء الجزائر، فقد أكد الشيخ الهادي السنوسي في 4 فيفري 1939م، في مؤتمر جمعيته - جمعية الثقافة الإسلامية - : «أن شعب شمال إفريقيا، شعب واحد، وأن الحدود التي تفصل بعضه عن بعض ليست سوى حدود مفتعلة...» ³.

فالشاعر الجزائري صور إحساسه بقضايا المغرب العربي، وكان صادقاً في إحساسه لأن شعوره كعربي مسلم، جعله يحس بوقوع الأحداث وكأنها وقعت له، ولم ينس المناسبات السياسية والثقافية والاجتماعية، التي لها صلة بقضايا أقطار المغرب العربي. وبرز في هذا المضمار الشاعر الفذ مفدي زكريا صاحب قصيدة (عقيدة التوحيد)، والزاهري، وأبو اليقظان والخمار ومحمد العيد آل خليفة وغيرهم كثير. فهاهو الشيخ محمد العيد يتعرض لتقسيم شمال إفريقيا إلى ثلاث أقطار، ويُقر بأنها حدود وهمية وضعها الاستعمار بقصد التفرقة قائلاً:

كفى الآلى قالوا (الشمال ثلاثة) وادعوا إلى إذلاله بالنار
نصبوا العصي على الحدود سفاهة وسعوا إلى توزيعه لفرار

¹ - ابن باديس، "وحدة الشمال الإفريقي"، الشهاب، ج5، ص5، مج13. الجزائر: 1937م.

² - الملي، ابن باديس، ص.56.

³ - Julien, L'Afrique du Nord., P.24.

والمغرب العربي شعب واحد ❁ ملء العروق دم العروبة جاري

ثم يرسم صورة للمغرب العربي، وكأنه طائر قلبه الجزائر وجناحه المغرب وتونس، وهذه الصورة ترددت في أشعار كثير من الجزائريين وغيرهم حيث يلح الشاعر هذا على وحدة المغرب العربي:

المغرب العربي أنت جناحه ❁ حرك جناحك يصعد المنطاد
ولتشهد الدنيا هنالك وحدة ❁ جبارة تفتح لها الآباد¹

وهذا نستنتج أن النخبة الجزائرية التي قادت مسيرة الحركة الوطنية طيلة المرحلة الاستعمارية، قد نجحت في أن تُثري رصيد قضية الوحدة المغاربية بأدبيات سياسية وفكرية متنوعة، كما أنها تمكنت من توظيف هياكل التنسيق والنضال المشترك لخدمة المسألة المغاربية.

لكن الذي تعثرت في إنجازها، هو إسهامها في خلق وعي قومي وحدوي حقيقي قوامه الوحدة السياسية بعد الاستقلال، وإلا كيف تُفسر نزوع تونس نحو التفاوض القطري منذ 1949م، وحتى لحظة التوقيع على اتفاقيات الحكم الذاتي يوم 31 جويلية 1954م؟ وفور الأجهزة الداعية للوحدة (التنظيمات السياسية والطلابية المغاربية) وكذلك استقلال منفرد من المغرب (2 مارس 1955م) وتونس (20 مارس 1955م)، وبقاء الجزائر حتى 1962م؟.

قد تصعب المقارنة حيث تريد البحث في محددات تعثر بروز وعي قومي وحدوي حقيقي، لمقتضيات منهجية، لعل أهمها أن مفهوم الوعي القومي ذاته مازال تساؤلا وإشكالية لم تستنفذ بعد².

لكن الغالب ودون أن نجزم في ذلك أن العامل الإيديولوجي كان مُقررًا لحصول مثل هذا التعثر حتى بشهادة أحد مؤسسي العمل المشترك في المغرب الأستاذ (علال الفاسي): «...و عمل هذه الحركات في ميدان المقاومة وخططها التي تسير عليها، إلا مثالا للحكمة الناشئة، لكن هذا كله لا يعني أنها قد وصلت الكمال في تكوينها وتنظيمها... فأول مواطن النقص فيها هو ما يرجع إلى تكوين النظرية، وأعني به ما يتعلق بخلق برنامج مفضل للنظام الاقتصادي والسياسي الذي يجب أن يكون عليه المغرب في وقت استقلاله...»³.

إن وحدة المغرب العربي، وكما يقول عابد الجابري: « كانت تعني في أذهان النخبة السياسية والفكرية أثناء فترة الاستعمار وحدة العمل، وليس وحدة الهوية، ولا يجوز أن نستثني من هذا قرار توحيد المغرب العربي الصادر عن مؤتمر طنجة، فهذا القرار حتى وإن لم يكن مُوجهًا بكيفية صريحة

¹ - ركيبي، القضايا العربية. ، ص.ص (111 - 112).

² - مالكي، الحركات الوطنية. ، ص. 320.

³ - الحركات الاستقلالية. ، ص.ص (440 - 441).

ضد "الآخر" الجديد الذي ظهر في المشرق (وحدة مصر وسوريا)، فهو بكل تأكيد موجه ضد الآخر «التقليدي» الذي هو الاستعمار الفرنسي، فبعد الحميد مهري حينما سُئل عن المؤسسات التي أقرها المؤتمر المذكور كالمجلس الاستشاري للمغرب العربي قال: «إنه لم يتحقق شيء من هذا، لأن هذه القضية الهامة لم يُولها المؤتمر عناية كفيلة عند بحثها»¹، وبهذا نستطيع أن نقول أن وحدة المغرب العربي لدى نخبة الحركة المغاربية، كانت مجرد شعار تُضرب به مواعيد معلومة، وأهم هذه المواعيد، كانت مؤتمرات جمعية طلبة شمال إفريقيا.

ويذكر علي أومليل: «أن الماضي كان يُمثل المرر الأساسي لإثبات حقيقة هذه الوحدة، وهو الذي كون لدى بلدان المغرب العربي، أسس التوحيد هذه، وحدة (اللغة، الدين، المذهب...)، إضافة إلى تشابهات أخرى يبحث عنها، أما المستقبل لم يُطرح بجدية»²، ليس لأن الحركات الوطنية اعتبرت أفق الاستقلال أفقاً كافيًا في حد ذاته فقط، بل ولأنه حصلت قناعة لدى هؤلاء، تتمثل في الوجود الاستعماري الذي كان سببًا في هذه التجزئة، وأنه أي الاستعمار سيُحقق وحدة المغرب العربي، لكنه ومع تحقيق الاستقلال وتكوين هذه الدول، انشغل الكل ببناء دولته! ولكن مع ذلك ظلت وحدة المغرب العربي تُطرح تمامًا كما كانت تُطرح في السابق، لكن كشعار اختزالي دون طرح المشاكل المتعددة.

من هنا نستطيع أن نقول بأن الجزائريين قد نجحوا في تفعيل البعد المغاربي عن طريق مطالبهم وتياراتهم ومنظماتهم ونضالاتهم، وطرحه كبديل قوي في مواجهة الاستعمار، لكن رغم ذلك فشلوا بالرغم من أنهم غير مطالبين بتحقيق النتائج ما داموا قد حققوا الأسباب في إتمام مشروع الوحدة المغاربية، وربما يعود ذلك زيادة على ما أوردناه سابقًا أن النخب الفكرية والسياسية في المغرب، لم تكن تمتلك قناعات مبدئية جدية بقضية الوحدة، وأن دعوتها لها لا تعدوا أن تكون شكلاً من أشكال الخطاب السياسي.

وأخيراً يمكن أن نقول بأن النخب المغاربية في مرحلة الكفاح الوطني الاستقلالي كانت عاملاً أساسياً لتفسير واقع التفكك الحادث الآن على اعتبار أن النخب الحاكمة حالياً هي نخب الحركات الوطنية سابقاً.

¹ - م.د.و.ع، وحدة المغرب العربي، ص.23.

² - المرجع نفسه، ص.50.

مخاض

جمعية الأمل
عبد
للعلوم الإسلامية

لقد حاولت في هذه الدراسة دون أن أدعي بأنها قامت بالتأسيس لنظرة جديدة تجاه مفهوم الوحدة المغاربية أن أحضّر لجملة من المعطيات حول موضوع استهلكت جوانبه العامة بحثاً، وأيضاً قمتُ بمجهود تركيب هذه المعطيات عسى أن أقف عند بعض التساؤلات التي قد تبدوا مركزية وسهلة أحياناً أخرى وهي في كلتا الحالتين عناصر للتفكير ليس إلاً.

وعموماً فإن الوحدة لدى ساكني هذه المنطقة قد شكلت مطمحاً تاريخياً قديماً ضمن المسار العام للتطور السياسي والفكري بالمغرب العربي كما أن فكرة الدعوة إليها اقترنت أصلاً بظاهرة التجزئة التي شهدتها منذ بداية التكوين المنفصل للإمارات المستقلة وظهور الحدود في مفهومها السياسي، فحدث كما أسماه ابن خلدون «انفصام السلطة السياسية عن المجتمع المدني»، وفي مرحلة الاستعمار والمقاومة لم ترتق عمليات التنسيق بين الحركات الوطنية إلى مستوى خلق وتعميق وعي وحدوي كفيّل بمواجهة التواجد الفرنسي المشترك أولاً؛ وقادر على تأسيس المقومات المستقبلية للمغرب العربي الكبير ثانياً، وذلك بفعل استراتيجية التقسيم المنتهجة من لدن الاستعمار الفرنسي وبسبب الطبيعة الاجتماعية للقوى السياسية التي قادت الحركات الوطنية لفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية.

أو كما عبّر عن منطوقه محمد عابد الجابري بقوله: «إن وحدة المغرب العربي كانت تعني في أذهان النخبة المغربية أثناء فترة الاستعمار وحدة العمل وليس وحدة الهوية».

إن الأحداث الوطنية التي شهدتها الجزائر وتونس على السواء خلال النصف الأول من القرن الفارط والتي طرحت قضية الحرية بمفهومها السياسي هي ذاتها التي ألهمت الحرية بمفهوم الإبداع، إن هذا الموقف المتمرد غذته وفجّرت سلسلة من الأحداث الوطنية بلغت ذروتها خلال هذه الفترة، فالعبقرية هنا ليست فردية بقدر ما هي عبقرية مجتمعة هيأ الأسباب لكهربية الإحساس المرهف في السياسي والمصلح والأديب والشاعر.

كما أنها فترة اليقظة المتلمسة للشعوب المغاربية حيث لعبت الدوافع السياسية والحضارية والجغرافية دور الحافز، فظهرت تعدد للنضالات الشعبية التي ستحاول تجديد مشروع اجتماعي وثقافي وسياسي على أساسها وفي حقبة نعيش أزمة ثقافية وإعادة إتمام كما يقول الأستاذ عبد القادر جغلول.

إن المعطيات الجغرافية والثقافية والاجتماعية المشتركة، إضافة إلى الوعي القومي الذاتي للجزائريين، وكذا القوى الخارجية التي كانت لها فرصة العمل في نطاق الجزائر وتونس والتي تشمل الجامعة الإسلامية والدعابة المشرقية والأوربية والإمدادات المتواصلة من الشرق والغرب والطبيعة

الاستعمارية للمنطقة قد فتحت آفاقاً جديدة أمام الحركتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية، والقوى نفسها أيضاً ساهمت بطرق شتى في إنضاج التفاعل بين القطرين وفي تحديد اتجاه هذين الحركتين.

وباختصار فإنها ساعدت من خلال توحيد المواقف والرؤى والأهداف والتكتيك السياسي تجاه كل القضايا بالنسبة للقطرين على توجيه فكرة المغرب العربي الموحد وعلى خلق الأرضية السياسية والفكرية لذلك ولو بالقدر الضئيل، وينبغي أن نوضح أن عملية الاستعمار الشامل للمنطقة قد أنتجت وعياً بضرورة المواجهة المنسقة والجماعية معاً صيانة للذات وحفاظاً على أصالة الهوية فكان التفكير بضرورة خلق إطارات كفيلة بتوحيد أساليب المقاومة لدى الحركات الوطنية.

فالجزائريون كما يقول فرحات عباس «كانوا دائماً واعين لعلاقتهم بالعالمين العربي والإسلامي، وكانوا دائماً غيورين على انتمائهم الإسلامي، وجزائر تلك الفترة، كانت لا تُفكر في حدودها الطبيعية ولكن في الحدود التي تفصل الإسلام عن المسيحية فهي ككل كانت جزءاً من كل...» فنجد أن الجزائر قد بادرت إلى ريادة الجامعة الإسلامية بزعامة حمدان خوجة والأمير عبد القادر وبن اسماعيل، وعندما وصلت النسخة الشرقية من الجامعة الإسلامية إلى الجزائر في أوائل القرن العشرين زادت من عمق الوعي الإسلامي الجزائري، وبالتالي فالفكرة العربية الإسلامية ليست بالجديدة على الجزائريين؛ فقد تحسّدت خصوصاً في محافظتهم على شخصيتهم رغم المسخ الاستعماري للتاريخ واللغة والثقافة والدين، وتأكد أخيراً هذا التجسيد بعد جهود العلماء في منتصف القرن العشرين، الذين أحيوا الثقافة العربية الإسلامية من جديد.

لقد حاولنا من خلال هذه الدراسة التفكير فيما عسى أن تكون عليه العلاقة بين القطري والقومي أي العلاقة بين الإنسانية الجزائرية والشخصية الجزائرية وبين الانتماء القومي العربي مُتخذين من ذلك مدخلاً تساؤلياً هو: هل هناك أمة جزائرية؟ ومنصرفين إلى تحديد معنى تلك الإنسانية الجزائرية، وأخيراً فقد حاولنا أن نُحدد ما هو المدلول الذي يعطيه الجزائريون لعروبتهم، أي كيف يفهمونها؟ هل تتعارض مع هويتهم الوطنية؟ هل تتكامل معها؟ هل تتجاوزها؟.

فاستنتجنا بعد الاستشهاد والتحليل من أنه ليس من السهل تصور فرد جزائري ينمو ويتطور من محيط ثقافي غير محيطه الأصلي، إذ كان واعياً تمام الوعي بأصالته وبجذوره العميقة الضاربة أطنابها في تاريخه العميق فقد كان يشعر دوماً بأن له كيان مستقل خاص به بإيجابياته وسلبياته ففي هذا الإطار نما وتطور الجزائري إلى درجة الاعتزاز بأصوله حيث كان يروق للكثير منهم الذين تنقلوا غرباً وشرقاً أن يُميّزوا أنفسهم في سكان البلد المضيف بتصدير أسمائهم الحقيقية بعبارة (جزائري)، زيادة في التأكيد على الانتماء والتحذر وهي صفة قد ينفرد بها الجزائري بالنسبة لغيره

من سكان المغرب العربي في العصر الحالي فكان يُؤكد أصله من خلال اسمه قبل أن يؤكد كفاءته ومقدرته الفكرية والسياسية.

وأثناء دراستنا للوضع السياسي للقطين لفت انتباهنا أن فترة بروز حركة الشبان الجزائريين قد تزامنت مع فترة وجود حركة الشبان التونسيين، وأن الفارق بينهما يكمن في أن الأولى كانت على اتصال بالنخبة الفرنسية بحكم ثقافة روادها مما عمق الهوية بينهم وبين الأهالي نقيض الحركة الثانية التي كانت على اتصال وثيق بكل الشرائح الاجتماعية وكذلك بقيادات النهضة الإسلامية في المشرق العربي مما جعل منها قوة سياسية شعبية، كما أن النخبة الجزائرية كانت عبارة عن حركة تقوم بحملة سياسية تستهدف فقط الضغط على الإدارة الفرنسية، وفي نفس الوقت كانت تميل إلى فرنسا وتحاول التوفيق بين مصالحها ومصالح فرنسا بالدرجة الأولى، وبينما طوّرت تونس الوطنية السياسية طوّرت الجزائر الوطنية الاجتماعية والدينية، كما استطعنا تسجيل عملية الانصهار القوي بين التيارين المحافظ والنخبوي ضمن الحركة الوطنية التونسية ممثلة في شخصيتي الثعالبي وباش حامبة، مقابل تنافر هذين التيارين في الحركة الوطنية الجزائرية وتأجيل اتحادهما الظرفي إلى المؤتمر الإسلامي.

وعموماً فقد تميز النشاط الذي قام به الجزائريون منذ مطلع القرن العشرين حتى سنة 1939م في جُلِّ مراحلهِ بالحيوية والاندفاع والعمل الدائب، كما كان هذا النشاط متلاحقاً توارثته الأقسام كما الأجيال وتفرّد فيه كل جيل بخصوصية المرحلة التي عاشها ومثلما ساهم في توسيع دائرة هذا النشاط نخبة من المهاجرين بأفكارهم وآرائهم، فقد ساهم في تزيكته ومُتابعتة بحرص فلول من المهاجرين التونسيين بأنفسهم وأموالهم وأقلامهم، وإجمالاً فإن النشاط الوطني الذي بذله الجزائريون في تونس كان أوضح مواجهة وأشد على الاستعمار من ذلك النشاط الذي بذله الأسلاف في المرحلة السابقة.

وإذا كانت الجماعة الجزائرية بالمهجر أيضاً ممثلة في قياداتها قد قامت في الواقع بنضال مغاري من أجل استقلال كل شعوب المنطقة، هذا النضال المشترك وإن تجسد في مواقع مختلفة إلا أنه بقي محصوراً في النخبة الوطنية المتشعبة بثقافة قومية إسلامية، ولم يتعد تأثيره إلا إلى النزر القليل من الطبقات الشعبية الدنيا، لكنه دورٌ كئُ مجبرين رغم قلة تأثيره على طرفة؛ وتعود أسباب ضآلة تأثير هذا النضال المشترك في الواقع خصوصاً التونسي - وهو المقصود - إلى أنه كان يدخل في إطار الدعاية الخارجية للدول المتصارعة، التي لم تكن تطمح إلى إقامة ثورات حقيقية في المنطقة بقدر

ما كانت تطمح في أكثر من التشويش على الحلفاء وشغل جزء من جيوشهم في جبهات مُتسعة يفتحونها لمناوشة أعدائهم.

كما لاحظنا أن المشاركة الجزائرية في الأجهزة العليا للهيئات والجمعيات التونسية قد انعدمت نوعاً ما بعد الحرب العالمية الثانية بسبب :

- اشتغال الجزائريين بأحزابهم الوطنية مع ظهور نوع من الحرية النسبية والممارسة الشرعية في الجزائر خصوصاً بعد صدور دستور 1947م.
- نشاط السلطات الفرنسية في التفريق بين تيارات المنطقة ورجالها، وفي تأكيد الهوية الجهوية والقطرية من أجل تشتيت القوى الموحدة.

لكننا حاولنا تأكيد الاحتمال الثالث المتمثل في أن الانسحاب التدريجي للجزائريين من هذه المنظمات يعود بسبب اختلاف الإيديولوجية والتوجه العلماني اللائكي للدستوري الجديد تحت الزعامة البورقيبية، ذلك أنه وبعد اشتداد عود الحركة الوطنية التونسية بدأت الدعوة إلى تجذير القطرية، فأصبحت تشدد في اختيار انتماء، وأصول إطاراتها وهي العملية التي اصطلاحنا على تسميتها بعملية تونسة الإطارات.

وهي العملية التي انتهت بتصفية الوجود الجزائري من مراكز القرار في هياكلهم وشُعَبهم وإلا فكيف نجد مثلا المدني والطيب بن عيسى في قائمة المؤسسين للحزب في مؤتمر قصر هلال ويُعيّنان عضوين في اللجنة التنفيذية ثم بعدها لا نعثر لهما على أثر مع جماعة الديوان؟ زيادة على ذلك نجد أنه لما عزم الثعالبي بعد عودته إلى تونس سنة 1937م على الاتصال بالشُعَب تحركت جماعة الديوان لمنع الثعالبي من ذلك.. فتعرض لعدة اعتداءات ومنها حادثة الاغتيال في مدينة ماطر المقي راح ضحيتها نفر من معاونيه.

ومن الحقائق التي استخلصها الشيخ الثعالبي - وهو الجزائري - حينها هو الإصرار المستميت لبورقيبة وجماعته على الانشقاق وتصفية كل العناصر الغير موالية ولو أدى ذلك إلى نكبة الأمة وتهديد وحدتها.. كما تأكد الشيخ من الحقيقة المذهلة هي أنه لم يجد نفسه في أمان بل أن شخصه أصبح هدفاً للاغتيال، حينها فهم الرسالة التي فحواها أن القضية التونسية لا يشتغل بها إلا التونسيون، فانزوى في بيته (مخبأه) إلى أن تُوفي.

ولهذا علينا أن نفهم ما جاء في كلمة الثعالبي الحاسمة وأن نقرأ بين السطور، لكي نتضح لنا هذه الحقيقة.. ولو لم يكن مضمون الكلمة خطير لما أقدمت جماعة الديوان على حرق مطبعة الإرادة التي طبعت الكتاب، حتى لا يطلع الرأي العام على محتواها، لأنه وباختصار في إنارة الحقيقة

فضحاً للخيانة المستترة، ففي تونس وفي فترة سابقة لا تكاد تسمع باسم الثعالبي لأنه خسر الحرب التي بشرته بها أمه حينما أجابته عن سبب بكائها قائلة «أما رأيت الفرنج مروا من هنا، إن هؤلاء لا يخرجون إلا بالحرب».

لقد تعرض تاريخ الحركة الوطنية التونسية إلى تشويه وتزوير على أيدي أصحاب المنفعة من ذوي النفوس الصغيرة وغيرهم من جاهلي الحقيقة، لقد نسى العالم أو كاد ينسى هؤلاء الثوار الذين ظلت أسماؤهم مدة من الزمن ملء الأسماع والأفواه، وانقلبت الأحوال حتى أصبح من النادر أن يعرف شباب هذا الجيل من التونسيين شيئاً عن الخضر أو أبو شوشة والثعالبي وصالح بن يحيى وقلاطي واطفيش.. وغيرهم كثير وحتى من قرأ عنهم سطوراً في كتب مدرسية، كانت تلك السطور من أجل قلب الحقائق التاريخية!!.

وفيما يتعلق بالنشاط الطلابي الجزائري بتونس فقد تجاوز في أغلب الأحيان واقعه الطلابي ليكتسح الساحة السياسية العامة، ذلك أن تعرضهم لضغوط نظام الحماية ومضايقاته كانت تدفعهم إلى توخي الطرق النقابية واتباع أساليب الأحزاب السياسية، فكانت طرق عملهم تكسي في الغالب صبغة شبه سرية، وهذا عن طريق المنشور والمعلقات والمقالات والاجتماعات والمظاهرات.

إن هذا النشاط الفياض كان يعكس من جهة الحالة الواقعية لنضجهم السياسي، ومن جهة أخرى نوعية وحقيقة التحولات الفكرية والسياسية التي سيشهدها المجتمع التونسي.. فالمكانة التي كان يحتلها العنصر الجزائري ضمن تلك الحركية الجماعية هي التي كانت من أهم أسباب انبعاث النهضة في تونس.

إن مساهمات الجزائريين السياسية والفكرية في تونس تُحيلنا إلى تبني بعض النتائج المهمة:

- لقد لاحظنا حيوية الفكر الجزائري، فرغم الركود الذي كان يُصيب العالم الإسلامي والعربي حينها بسبب المهجمة الاستعمارية الأوروبية عليه؛ إلا أن بعض الجزائريين كانوا يتفاعلون مع أحوال عصرهم، ويهتمون بأحوال إخوانهم المسلمين في الأقطار الأخرى وأحياناً كثيرة كانوا يسبقون ذلك العصر ببعض الأفكار المتقدمة في ميدان الفكر والسياسة خصوصاً.
- نلاحظ أن منطلقات الجزائريين كانت منطلقات ثقافية مُضمرة في شخصيتهم من غير تكلف ولا موارد والتي هي في الأخير وعي مُدرك بقضية الوحدة، وإيمان يقيني بضرورة التوحيد، بل أن المنطلقات نفسها شكلت في فترة زمنية سابقة رهاناً حقيقياً في مصير الجزائر، ذلك أن تصفحنا لبرامج وأهداف ومطالب التيارات الوطنية الجزائرية ينتهي بنا إلى خلاصة واحدة وهي اقتران المطلب الوطني القطري بالمطلب القومي المُلّي من غير تناقض بينهما.

- نلاحظ أن التجربة الجزائرية هذه رائدة من حيث منطلقاتها في العالمين العربي والإسلامي، وهي تجربة لم يُتَحَ أن تُعطى حقها من العناية والدرس، ووضعها في مكانها من نضال كل العرب والمسلمين السياسي والفكري من أجل النهوض والتحرر.
 - رغم الوجود الاستعماري المتميز في الجزائر وطبيعته الإضطهادية وسياسته الرهيبة التي دمرت أو بالكاد جَلَّ مقومات الشخصية الجزائرية، إلا أننا نلاحظ كيف أن الجزائريين قد قبلوا التحدي ولعبوا دورهم وزيادة.
 - لقد برهنت الحركة الوطنية الجزائرية في جميع الظروف على أنها تعضد جميع المغلوبين في مطالبتهم بحقوقهم المهضومة، وأنها تريد أن يقوم السلام الحقيقي أو الحرية والمساواة في جميع أمم الأرض.
- إن هذه التجربة حديرة بأن تكون مثلاً يُحتذى به في بناء المغرب العربي الكبير وفي توحيد القوى الشعبية، لأنها هي الأساس، ولأن تكتل الحكومات لا يكفي، بل يجب أن تتكامل الهيئات الشعبية لتواجه هي الواقع وتحمل حكوماتها على السير قُدماً وبخطى حثيثة للغاية المطلوبة للجميع وبهذا نعرف كيف نستفيد من التاريخ وأحداثه.
- وفي الأخير نستطيع أن نقول بأن الجزائريين رغم قلة الحيلة قد نجحوا في تفعيل البعد المغاربي عن طريق مطالبهم وتياراتهم ومُنظماتهم ونضالاتهم، وطرحه كبديل قوي في مواجهة الاستعمار، لكن رغم ذلك فشلوا بالرغم من أنهم غير مطالبين بتحقيق النتائج ماداموا قد حققوا الأسباب في إتمام مشروع الوحدة المغاربية؛ وربما قد يعود ذلك زيادة على ما أوردنا سالفاً أن النخب الفكرية والسياسية في المغرب لم تكن تمتلك قناعات مبدئية جدية بقضية الوحدة وأن دعوتها لها لا تعدوا أن تكون شكلاً من أشكال الخطاب السياسي ليس إلا.
- كما يمكن القول أن النخب المغاربية في مرحلة الكفاح الاستقلالي كانت عاملاً أساسياً لتفسير واقع التفكك الحادث الآن على اعتبار أن النخب الحاكمة حالياً هي نفسها نخب الحركات الوطنية سابقاً، فبالرغم من حضور إمكانيات موضوعية للتقارب إلا أن الوحدة لم تحدث بسبب مُعيقات ذات طبيعة ذاتية، كالتشبث المُستमित بالقطرية والحدود، والتعامل مع التاريخ ليس بأفق ما هو مشترك، وكذا بسبب تعطيل القدرات البشرية وشّلّها في اتجاه لا يُخدم مطمح الوحدة والتكامل.

الملاحم

- الملحق الأول: تراجم الأعلام الجزائريين
- الملحق الثاني: وثائق ومقالات
- الملحق الثالث: صور الشخصيات الوطنية

2. أبو اليقظان (بن عيسى بن يحيى) (1888-)

(1973م - (1306-1393)هـ

توفي والده وهو في طفولته - ولم يبلغ من العمر ستة عشرة سنة حتى حفظ القرآن وأخذ علوم الفقه والعبادات والتفسير على يد الحاج عمر بن يحيى.. ثم تتلمذ على يد الشيخ اظفيش في سنة 1910م ارتحل إلى البقاع المقدسة، وفي طريق عودته عرج على دمشق وبيروت فأزمير ثم تونس وفي سنة 1912م قاد أول بعثة ميزابية إلى تونس ولكنه عاد إلى الجزائر قبيل الحرب العالمية الأولى وفي سنة 1917م نقل مع بعثة أخرى راجعا إلى تونس التي مكث بها إلى غاية سنة 1925م، وحين عودته إلى الجزائر ساهم في الحركة الصحفية بإصداره ثلثي جرائد متوالية، كما نشط في جمعية العلماء المسلمين وله آثار نظرية وشعرية عديدة.

للإطلاع أكثر راجع،

- الهادي السنوسي، شعراء الجزائر... ج1، ص.ص (109-114).

- الشهاب، ج1، مج5، أكتوبر 1931.

- دبور، أعلام الإصلاح، ج1، ص(213)، ج2، ص227.

- الحزقي، "أبو اليقظان في الخالدين"، الثقافة، عدد 14، ص (8-20).

- جمعية التراث، أعلام الإباضية، ج2، ص(53).

- الجندي، الفكر والثقافة المعاصرة، ص.ص (212-216).

- الخطيب، جمعية المسلمين، ص.ص (167-165).

- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج5، ص.ص (290-294).

- سيف الإسلام، "التاريخ النضالي"، الثقافة، ع(14-95)، ص.ص (277-286).

- بوجليدة أحمد، "أبو اليقظان"، الجيش عدد405، ص.ص (39-41).

1. الإبراهيمي (محمد البشير) (1889 - 1966)

وُلد براس الواد (قرب سطيف) بها تعلم القرآن وفيها أخذ المبادئ العلمية من دين واللغة عن عمه... هاجر إلى الحجاز مع أهله قبيل الحرب العالمية الأولى... وفي المدينة درس العلوم وفنونها وتفوق في جميعها... وفي سنة 1913م اجتمع بالشيخ عبد الحميد بن باديس واستعرضا حال الجزائر وفي عام 1918م سافر إلى الشام ومكث في دمشق مدة، وفي أوائل عام 1920م رجع إلى الجزائر ولم يظهر له أثر في الفترة ما بين (1920 - 1929)م في الكتابة في الجرائد والصحف... ساهم في تأسيس جمعية العلماء عام 1931م، حيث دُعي إلى العمل بمدينة تلمسان سنة 1932م فاستطاع أن ينشئ فيها مؤسسة دار الحديث عام 1937م، كما كانت له مساهمات في جرائد الجمعية، ويقوم بمهامه ككاتب لرئيس الجمعية... واستمر كذلك إلى أن نُفي إلى أفلوا بسبب عدم تأييد لفرنسا ضد ألمانيا، وأطلق سراحه سنة 1943م حيث تقلد رئاسة الجمعية وقام بأعبائها خير مقام وفي عهده فتحت عشرات المدارس الحرة كما كانت له مشاركته السياسية من خلال مساهماته في العمل النضالي مع جبهة التحرير الوطني في المنفى وشهد استقلال الجزائر، ووافته المنية في شهر ماي 1966م.

للإطلاع أكثر راجع:

- ابن عتيق، أحداث و مواقف، ص.ص (185-194).

- أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين، ص. ص (148-157).

- أحمد بن ذياب، "الإبراهيمي ونضال الكلمة" الثقافة، عدد 33، ص.ص (61-71).

- أبو خنيس شوقي، الإسلام و حركات التحرر، ص.ص (106-109).

- أنور الجندي، الفكر والثقافة المعاصرة، ص.ص (179-181).

- بو صفصاف، جمعية العلماء ص.ص (66-71).

مدة طفولته بعبادية..، وختم القرآن واستظهره وهو ابن ثماني سنين كما تردد على مجالس مشايخ المنطقة. قام باحتجاج ضد فرار صدر في شهر فيفري 1882م.. كما كان له دور بارز في دعوة المزابيين لإعانة الليبيين في حربهم ضد الإيطاليين ومن أثاره، تأسس معهد علمي عال يدرس فيه طلبة قدموا من عدة مناطق في العالم الإسلامي حتى من جربة التونسية. ولقد حج مرتين، وفي حجته الثانية سنة 1886م توقف في تونس ومكث بها مدة... حيث ترك دويًا كبيراً بين أهل العلم في تونس وفي نفوس من اجتمع بهم. ولقد بلغ إنتاجه الفكري نحو ثلاثمائة مؤلف في مواضيع شتى.. مات مسموماً في شهر مارس 1914م بحسب رواية ابنه أبو إسحاق إبراهيم.

للتوسع راجع:

- النوري، بذرة من حياة المزابيين. ص.ص (319-326).
- دبو، فضة الجزائر، ج1، ص.ص (290-351).
- سعد الله، تاريخ الجزائر الشثافي، ج3، ص. ص (265-273).

5. الأمير خالد الهاشمي: (1875-1936)م

ولد بدمشق... ليرحل مع والده إلى الجزائر في عام 1892م، حيث انخرط في ثانوية لويس لوغران بباريس ثم بكلية سان سير الحربية في عام 1893م، ليعود إلى الجزائر في عام 1895م، وبعد فرض الإقامة الجبرية عليه بمدينة بوسعادة، عاد ليؤدي واجباته العسكرية في المغرب عام 1907م

وبين سنتي (1913-1919)م برز كأعظم شخصية في الحركة الوطنية، شارك في الحرب العالمية الأولى... وبسبب إصابته بمرض السل الرئوي أغفى من كل خدمة عسكرية ونال التقاعد عام 1919م ليبدأ حياة سياسية ثانية، حيث شارك في الانتخابات البلدية بالعاصمة في نوفمبر 1919م وبعد رفض ترشيحه رغم انتصاره فيها، تقدم في انتخابات 09 جانفي 1921م بقائمة جديدة وفازت هي الأخرى... لكن الإدارة

3. إطفيش أبو إسحاق إبراهيم (1886-1965)م (1305-1385)هـ

ولد بيلدة بني يسجن حفظ القرآن وهو ابن الخادي عشر ثم اشتغل بدرس العلوم في الفنون المختلفة، وتلمذ في الجزائر العاصمة على يد عبد القادر الخاوي ثم سافر إلى تونس وأخذ عن الشيخ الطاهر بن عاشور وأشرف على البعثات الميزابية، كما افتتح ميدان السياسة في تونس وكان سنداً للشيخ النعالي طيلة الفترة (1919-1920)م وأصدرت فرنسا ضده حكم الإبعاد من تونس فاختار القاهرة مستقراً له ومن منجزاته ما:

- إصدار مجلة المنهاج بين سنوات (1925-1930)
- تحقيق عدة كتب منها نخبة الأعيان في سيرة أهل عمان في جزأين.
- وفي سنة 1940م أشرف على قسم التصحيح بدار الكتب المصرية، وله تجميعات وردود على بعض مقالات المستشرقين في دائرة المعارف الإسلامية، قال عنها أبو اليقظان «لو جمعت لكوّنت مجلدات ضخمة».
- شارك في تأسيس جمعية الهداية الإسلامية.
- كما كان عضواً فاعلاً بجمعية تعاون جاليات شمال إفريقيا.. وكان ممثلاً لدولة عمان في جامعة الدول العربية ورئيس وفدتها الرسمي إلى هيئة الأمم المتحدة - توفي بالقاهرة -

للتوسع طالع:

- نويهض، معجم إعلام الجزائر، ص19.
- الكاملي، إبراهيم إطفيش، ص.ص (28-41).
- جمعية التراث، إعلام الإباضية، ج2، ص.ص (44-46).
- عمار الخلال، العلماء، ص.ص (92-93).

4. إطفيش محمد يوسف: (1818-1914)م

بن عيسى بن صالح بن اسماعيل وينتهي نسبه إلى الشيخ عبد العزيز الشيبني إلى عمر بن حفص الشثافي... فضى

7. با عامر يحيى بن قاسم بن عيسى: حوالي (1850

– 1930 م)

من آل أخفيان ملكية، وكان قوي الشخصية في عزة النفس تاجر في الجزائر العاصمة، قام بأعمال موفقة في الميدانين السياسي والاجتماعي، كموقفه من التجنيد الإخباري بوادي ميزاب سنة 1919م، حينما منع فرقة السينغاليين من دخولها بأمر من الوالي العام " آين "، وهو الذي قاد حركة تمويل الجيش العثماني بنونس بالدخائر والمعدات في حرب طرابلس في الفترة (1911 – 1913)م، وكذا إرساله لأول النحيل لأمريكا من وادي ميزاب.

للاطلاع راجع:

- النوري، نبذة من حياة الميزابيين، ص 368.

- جمعية التراث، أعلام الأياضية، ج4، ص972.

8. بوشوشة علي (1859 – 1917 م)

وهو ينحدر من عائلة جزائرية هاجرت إلى بتورت وبصاهرت مع عائلة بن الشيخ.. وكلاهما هاجرتا من جيجل الجزائرية، أدخله أبوه إلى الكتاب ثم إلى الجامع وأخيراً إلى المعهد الصادقي عند افتتاحه، ثم أكمل دراسته بإنجلترا أين قضى ثلاث سنوات بها، وفي سنة 1881م، عاد إلى تونس حيث أسس سنة 1888م جريدة الحاضرة التي خاضت في جميع ما يتعلق بالحياة العامة التونسية، كما ساهم في تأسيس الجمعية الخلدونية سنة 1896م، وكان من أهم من نشط صالون الأميرة نازلي.

للاطلاع راجع:

- الرملي، أعلام التونسيين، ص.ص (134 – 140).

9. بوكوشة حمزة (شوف) (1907 – 1979 م)

من مواليد وادي سوف، درس بالزيتونة وتخرج منها سنة 1930م، نشر قصائد عديدة في جريدة التوزيع، ساهم في الحركة الإصلاحية بمقالاته التي نشرت بجريدتي الشهاب والبصائر، كما عمل بسلك القضاء ثم عمل بمدارس الجمعية في دلس وقسنطينة والجزائر، وأعتقل سنة 1957م، وبعد الاستقلال استأنف عمله في التعليم

الاستعمارية قامت بنفيه إلى فرنسا ثم مصر وبعد فوز اليسار وتولي م.هزيبو الرئاسة أبدى الأمير نشاطاً كبيراً.. وتوفي شرقياً نجم شمال إفريقيا وفي سنة 1936م قضى نفيه في دمشق.

للتوسع طالع:

- الشهاب، ج2، مج10 (جوان 1934 م).

- قداش، الأمير خالد وثائق، ص.ص (27 – 49).

- قداش، "الأمير خالد في شبابه"، مجلة الجيش، عدد 3، جوان 1973، ص.ص (4 – 6).

- قداش، "الأمير خالد ونشاطه السياسي"، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، جانفي 1986م، عدد4.

- سعد الله، "حركة الأمير خالد"، مجلة الجيش، عدد3، جوان 1973، ص.ص (17 – 30).

- بسام العسلي، الأمير خالد الخاشمي، ص 323.

6. بن باديس عبد الحميد : (1889 – 1940 م)

– (1308 – 1359 هـ)

هو عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكّي بن باديس. ولد بقسنطينة في أسرة مشهورة بالعلم، وفي الثالثة عشرة من عمره أمّم حفظ القرآن الكريم، سافر إلى تونس سنة 1908م وتخرج من جامع الزيتونة بشهادة التطويغ بداية من سنة 1913م، بدأ حياته الإصلاحية كراعظ بقسنطينة، ليؤسس بدءاً من سنة 1925م عدة جرائد كالمتقدم والشهاب؛ ثم ساهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ ماي 1931م، وترأسها إلى وفاته في 16 أفريل 1940م.

للاطلاع أكثر طالع:

- البشير الإبراهيمي، عيون الثقات، ص695.

- عبد المالك مرتاض، نعضة الأدب، ص.ص (61 – 93).

- بوصفصاف، جمعية العلماء..، متحف المجاهد 1999، ص.ص (58 – 65).

- الجندي أنور، الفكر والثقافة، ص54.

عامًا لها، وفي سنة 1940م عُيِّن نائبًا لرئيس الجمعية، دخل السجن عدة مرات وتحمل مسؤولية الجمعية بعد غياب إبراهيم في المشرق، اغتالته السلطات الاستعمارية.

للاطلاع راجع:

- بن عتيق، أحداث ومواقف، ص.ص (199 - 202).

- الشهاب، ج 10، مج 05، نوفمبر 1929.

- Ali Merad, Le réformisme musulman, P.113.

- نويهيض، معجم أعلام، ص. 61.

- الخطيب، جمعية العلماء، ص.ص (167 - 171).

- محمد ناصر، المقالة الصحفية، ج 2، ص 221.

- بوصفصاف، جمعية العلماء، متحف اتحاد.

1983م، ص.ص (86 - 88).

- دبور، أعلام الإصلاح، ج 1، ص 1943.

- حفاوي زاغر، "الإمام الشيخ"، الثقافة، عدد 94، أوت 1986.

13. تيرسين إبراهيم بن عبد الله (1926-1961) م

من بني يسجن تلقى تعليمه الأول في مدرسة الاستقامة بقالة و المدرسة النظامية ثم التحق بتونس سنة 1942م، وانظم إلى المدرسة الصادقية وتخرج فيها سنة (1946م)

ثم درس الطب في جامعة الجزائر وتخرج منها طبيباً سنة

1953م، ليتحق بصقوف جبهة التحرير سنة 1955م

وكان عضواً فيها مؤسساً للاتحاد العام للطلبة المسلمين

الجزائريين سنة 1949م، استشهد في معركة مرزابية.

للاطلاع راجع: - جمعية التراث، أعلام الأباضية، ج 2،

ص.ص (33-34).

14. التعالبي عبد العزيز (1874-1946) م

من أصل جزائري ولد بتونس العاصمة سنة 1874م،

زيتوني الثقافة شارك في تأسيس وتحرير العديد

من الصحف ذات الاتحاد الديني والسياسي منها

سبل الرشاد (1895م)، الاتحاد الإسلامي

الثانوي وحصل سنة 1971م على شهادة الليسانس في الحقوق فُعِن مستشاراً في مجلس القضاء الأعلى كما فتح مكتباً للمحاماة بعد تقاعده.

للاطلاع راجع:

- الجابري، النشاط العلمي، ص 188. 1.

- بن قينة، صوت الجزائر، ص.ص (375-385).

10. بويراز محمد:

جزائري هاجر أبوه عمر بويراز من الجزائر إلى تونس.

وكان من رجال الثورة الوطنية بتونس أثناء الاحتلال

الفرنسي لها، وقد هاجر مع عائلته إلى استانبول بعد سنة

1908م ومن اخوته الحبيب الذي فرّ قبله إلى استانبول

ونشط داخل الاتحاد والترقي، وهو حال توفيق المدني.

للاطلاع راجع: - أحسن أوغلي، "صفحات مجهولة"،

مجلة التاريخ، عدد (18)، 1985م، ص.ص

(36 - 37).

11. بيوض إبراهيم بن عمر (1920 - 1981) م

ولد بالقرارة ، تزعم الحركة الإصلاحية

بالجنوب وهو ابن العشرين سنة، شارك في تأسيس

جمعية العلماء كما ساهم في تأسيس معهد الحياة التاريخي

بالقرارة سنة 1925م، من أهم آثاره: "تفسير القرآن

الكريم" وهو عمل أعضاء كل جهده فريادة خمسين

سنة.

للاطلاع راجع:

- دبور، مُختصة الجزائر، ج 3، ص 27.

- ناصر، المقالة الصحفية، ج 2، ص 220.

12. التبسي العربي بن بلقاسم (1896 - 1957) م

- (1312 - 1376) هـ

ولد في تبسة وبها تعلم القرآن ثم انتقل إلى نفطة بالجزيرة

لحفظ القرآن وتعلّمه، ثم رحل إلى تونس للدراسة بجامع

الزيتونة فدرس فيها إلى السنة النهائية، ولكنه لم يُشارك

في الإمتحان، بس قصد مصر للدراسة بالجامع الأزهر

وبقي فيها ما يقرب من الأربع سنوات، ثم عاد إلى وطنه

ليستقر في تبسة حيث أسس بها مسجداً ومدرسة سنة

1934م؛ ساهم في تأسيس جمعية العلماء وعيّن كاتباً

16. الجلالى محمد العابد (1890-1967م)

ولد بقرية أولاد جلال (بسكرة) ودرس على يد والده ثم على يد الشيخ عبد الحميد ابن باديس، اشتغل بالتدريس أكثر من ثلث قرن، اشترك في مختلف الحركات الأدبية والاجتماعية، له جريدة «أبو العجائب» (1937)، وبعد الحرب الكبرى الثانية انضم إلى حركة انتصار الحريات، وانظم إلى الثورة الجزائرية التي عليه القبض وحُكم عليه بعشر سنوات سجن وبعد الاستقلال عاد إلى التدريس، من آثاره تقيم الأخلاق (1927)، الأناشيد المدرسية (1939)، وله عدة تقارير وبحوث علمية.

للإطلاع راجع:

- الشهاب ج 4، مج 14، (حوان/حويلية 1938).
- نويهنس، معجم أعلام، ص 115.
- عمر بن قينة، صوت الجزائر، ص.ص (243-255).
- محمد الصالح رمضان، "ابن العابد"، الثقافة عدد 82، ص.ص (196-190).
- علي مرحوم، "الأديب الناظر محمد بن العابد الجلالى"، الثقافة عدد 29، ص.ص (71-88).

17. الحافظى المولود (1895-1948م)

من مواليد قرية بوقاعة (ضواحي سطيف)، بدأ التعلّم في الكتّاب ثم سافر إلى مصر حيث أتم دراسته بالأزهر، بدأ نشاطه الصحفي مند سنة 1925م، وكان من انتصار جمعية علماء السنة سنة 1932م، وكان رئيس جريدة (الإخلاص) تقلد عدة وظائف إدارية...

للإطلاع راجع:

- محمد باصر، المقالة الصحفية، ج 2، ص 222
- عمار هلال، "الطلبة الجزائريين"، مجلة الثقافة، ع 19، ص 134.

(1909م) بعد حبس صحفه، غادر تونس وزار بعض الدول المشرقية والمغربية ليعود سنة 1904م، حيث أخذ يُجهز بأرائه الوطنية والتحريرية وكانت له مشاركة في الحركة الطلابية سنة 1910م وبعد جولة في تركيا ومصر والحجاز والهند انتهى به المطاف إلى فرنسا سنة 1919م حيث مثل تونس في مؤتمر الصلح، بعدها ترأس الحزب الحر الدستوري ليتم نفيه إلى المشرق العربي سنة 1923، ولا يعود إلى تونس إلا سنة 1937م... وكانت له آثار عديدة في شتى النواحي الفكرية والأدبية.

للإطلاع راجع:

- بن عاشور، أركان النهضة، ص 46.
- الشهاب، ج 7، مج 13، سبتمبر 1937م.
- أحمد خالد، أضواء، ص.ص (50-53).
- شوقي أبو الخليل، الإسلام وحركات التحرر، ص.ص (119-121).
- الجندي، الفكر والثقافة، ص.ص (123-126).
- الخرفي، الشيخ النعالي، ص 533.

15. الجبارى محمد العيد (1911-1942م)

من أصل جزائري، فهو محمد العيد بن خليفة بن محمد لحساسنة وُلد بعين عبيد بعد أن تعلم العربية وحفظ القرآن الكريم... التحق إلى تونس والتحق بجامع الزيتونة وتحصل على شهادة التطويبع سنة 1929، ناضل في الحزب الحر... حيث تعرض للسجن والنفي بسبب مواقفه الثمالية، عُين في جوان 1936م ككاتب لرئيس جمعية الشبيبة الحرة للدستور الجديد وكانت له تأثرات في ارساط الطلبة الزيتونيين حيث قاد إضرابات الطلبة (1936-1937)م، أسس سنة 1937م جمعية شبيبة شمال إفريقيا الموحدة، وله عدة أعمال علمية وثقافة وأدبية، كالفرائد في العلم والأدب (1936م) وديوان الملهيب.

للإطلاع راجع

- الجبارى، النشاط العلمي، ص 190/3.
- هلال، نشاط الطلبة، ص.ص (158-161).

بكون رئيس دولة عظمى.....!! وكان صديق عبد العزيز النعالي، وهو من أسباب خضعة تبسة، حيث أنشأ في سنة 1913م جمعية التصديقة الخيرية للتربية الإسلامية كما أنشأ مدرسة قرآنية... اغتالته السلطات الاستعمارية بضمية فأس.

للإطلاع راجع:

- دبور، خضعة الجزائر، ج2، ص.ص (263-264).
- عادل نوهيضي، أعلام، ص 123.
- مالك بن نبي، مذكرات الطفل، ص 52
- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص.ص 420.

21. حوجو رضا (1912-1956م)

ولد في قرية سيدي عقبة (سكرة)، اشتغل مدرساً بسكيكدة (1927 - 1931) ثم موظفاً للبريد في بلنذته (1931 - 1934)م، وفي سنة 1934م انتقل إلى الخجاز واشتغل مدرساً بمدرسة العلوم الشرعية ثم سكرتيراً لمخلة "المهل" ثم مُرَجِّحاً لتدريسية برق سنة 1941م ليعود إلى الجزائر سنة 1946م فشارك في الحركة الإصلاحية وأصدر جريدة "التسعة"، وقام بعدة رحلات إلى روسيا وفرنسا وإيطاليا وتشيكوسلوفاكيا. كما أسس جمعية نوهيضي، اعتانته المنظمة السرية "اليد الحمراء". من آثاره: "غادة أم القرى"، "صاحبة الوحي"، مع "هارم الحكيم".

للإطلاع راجع:

- جعلون، الاستعمار والصراعات، ص.ص (226-231).
- نوهيضي، معجم الأعلام، ص 249.
- علي الحمامي، إدريس، أنثاقسة، عدد 42، ص: 76.
- 20. بين هجانة عباس (ت 1914م)
- منين أرجحيا الجزائر قبل الحرب الكبرى الأولى مع محمد العربي ومحمد بن رحال وغيرهم... هو قد سافر مع الوفد الجزائري إلى باريس سنة 1912م، قال عنه مؤسسه الأيمن الحاج الكبير الحق: «... إنه لدينه وإصلاحه ودهائه وحكمته السياسية وشجاعته الخارقة يلبق أن

18. الحفاوي محمد بن أبي القاسم الديسي (1852م-1941م)

كانت له اشتغال بالتاريخ، تعلم بزاوية طولقة ثم في المسجد الحمامي (بوسعادة) شارك في تحرير جريدة المشعل (1884-1926)م ودرس بالجامع الكبير بالعاصمة ابتداء من 1897م، وتولى الإفتاء المالكي سنة 1936م ومن آثاره تعريف الخلف برجال السلف، ودفع الخلل في تربية الفحل.

للإطلاع راجع: عادل نوهيضي، معجم أعلام، ص 121.

19. الحمامي علي (ت 1902-1949م)

ولد بمدينة تيارت لها وشأ وتعلم، رحل مع عائلته إلى الخجاز سنة 1922م، بقصد الحج، وعمل على ظهر باخرة تجوب خاز العالم وفي المغرب شارك في ثورة الأمير عبد المالك وعند الكبريم الخطابي ومنهما استمد فيما بعد قصته إدريس، كما انضم إلى جماعة الأمير عائد، وشارك ضمن وفد الشبان الجزائريين في مؤتمر موسكو كما زار بعض العواصم الأوروبية، وفراراً من الملاحقة الفرنسية له خأ إلى العراق واشتغل مدرساً، وفي سنة 1946م، تحول إلى القاهرة وانضم إلى مكتب المغرب العربي، وتوفي إثر تحطم طائرة كانت متوجهة إلى باكستان رفقة بعض الرعماء المغاربة.

للإطلاع راجع:

- جعلون، الاستعمار والصراعات، ص.ص (226-231).
- نوهيضي، معجم الأعلام، ص 249.
- علي الحمامي، إدريس، أنثاقسة، عدد 42، ص: 76.
- 20. بين هجانة عباس (ت 1914م)

منين أرجحيا الجزائر قبل الحرب الكبرى الأولى مع محمد العربي ومحمد بن رحال وغيرهم... هو قد سافر مع الوفد الجزائري إلى باريس سنة 1912م، قال عنه مؤسسه الأيمن الحاج الكبير الحق: «... إنه لدينه وإصلاحه ودهائه وحكمته السياسية وشجاعته الخارقة يلبق أن

22. خيشاش محمد الصالح (1904 - 1941م)

ولد بقرية وادي يعقوب (قرب قسنطينة)، تعلم بالكتاب، ثم انتقل إلى قسنطينة وتأسد على يد الشيخ بن باديس، له شعر قليل، برأس جريدة "الحق" عام

الاحتداد أيام ثورة 1871م، وهو الذي حثه على السفر إلى زاوية الشامل التي سمى لها التدريس وتوفي بفسطاطة.

للإطلاع راجع:

- نويحضر، معجم أعلام، ص.ص (136 - 137).
- عمار هلال، العلماء الجزائريون، ص.85.
- بن قينة، صوت الجزائر، ص.ص (109 - 120).
- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج.8، ص.ص (75 - 76).

25. الحمار سعد الدين بن بلقاسم (1885 -

1952)م

ولد بمدينة "ليانة" قرب بسكرة، تعلم براوية طولقة، نشر أكثر مقالاته في الفاروق والإقدام، له محاولات في تجديد مضامين الشعر الجزائري، ومع اندلاع الحرب الكبري الأولى، التحق باخيش الفرنسي وارتقى إلى درجة عقيد، توفي بباريس.

للإطلاع راجع: - محمد ناصر، المقالة الصحفية، ج.2، ص.226.

26. خوجة حمدان بن عثمان (1773 - 1840)م

ولد بالجزائر من أسرة ذات أدراك في منطقة مبيجة تلقى تعليمه الأول على أبيه، سحب عنه إلى اسطنبول سنة 1784م وغيرها من بعض مدن الشرق الأدنى، كما مكث في أوروبا نحو سبعة عشرة سنة قضى بعضها في فرنسا، وبعد احتلال الجزائر 1830م برعه الحركة الوطنية، نفي إلى باريس سنة 1833م، وهناك تابع خطابه السياسي حيث حذر لها كتابه المرأة، ولما فنست كل محاولاته سافر إلى الأستانة وتوفي بها.

للإطلاع راجع:

- بن قينة، صوت الجزائر، ص.ص (7 - 11).
- عمراوي، حمدان خوجة ودوره في الحركة الوطنية، ص.ص (59 - 214).

27. غير الدين محمد (1902 - 1994)م

ولد ببسطة هرفار (الجزائر) وتدرس بها، وفي سنة 1916م انتقل إلى قسطنطينة، وبعد سنتين انتقل إلى

1926م، له مقالات، كما نشر في جرائد، النجاح والشهاب.

للإطلاع راجع: - محمد ناصر، المقالة الصحفية، ج.2، ص.226.

23. الحضر بن حسين (1874 - 1958)م

من أصل جزائري، من الحسين بن علي بن عمر الشريف، وأسرته ترجع إلى الأيرت العمري بطولقة، كان قد رحل والده منذ قرن إلى نطقة صحبة صهيرة مصطفى بن عزوز إذ كان متزوجا بابنته، ويتصل نسب أسرته بالرسول ﷺ، ولد محمد الحضر بفسطة ثم انتقل مع والده إلى تونس العاصمة ودخل الزيتونة حيث حصل على شهادة التطويج، وفي سنة 1904م أصدر مجلة "السعادة العظمى"، تولى القضاء في نسرت حتى عام 1904م ثم درس بالجامع الزيتوني والصادقية، هاجر إلى دمشق ثم مصر عام 1922م أين ترأس مجلة "نور الإسلام" الأزهرية كما درس الفقه في جامع الأزهر، أنشأ جمعية الهداية الإسلامية، عين عضوا في الجمع العلمي انعري بدمشق ونال عضوية هيئة كبار العلماء الأزهريين، أصدر جريدة "نور الإسلام" وترأس هيئة الدفاع عن إفريقيا الشمالية، كما اختير عام 1953م إماما لشيخة الأزهر، له آثار عديدة.

للإطلاع راجع:

- الحضر حسين، تونس وجامع الزيتونة، ص.6.
- بن عاشور، أركان التمسك، ص.ص (40 - 42).
- كرو، الحضر حسين، ص.ص (11 - 14).
- الجندي، الفكر والثقافة، ص.ص (166 - 172).
- شوقي أبو حليل، الإسلام وحركات، ص.ص (117 - 119).

24. الحنفي عاشور بن محمد (1848 - 1929)م

(1264 - 1347)هـ

ولد في فسطة سيدي يحيى (قرب الزاب)، نشأ بفسطاطة، درس في زاوية فسطة، وقد جمعت بينه بينها والطريقة الرحايد الخلويد، ولد بالرسول إلى الأعراف إلى أكسة من 15 سنة، في فسطاطة التقى مع الشيخ

- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، ص.ص (282 - 289) .
- محمد ناصر، المقالة الصحفية، ج 2، ص 227.
30. رأس محمد
وهو أخ عمر السابق الذكر كان هو أيضًا رسامًا ونقاشًا ونحاتًا مرًا بمدرسة الفنون الجميلة الفرنسية، ثم انخرط في مكتب الرسم بأكاديمية الجزائر، لينتقل بعدها إلى باريس وعُيّن في قسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية بباريس، ثم انتقل إلى لندن واستقبله السير دنيسون روس المختص في الدراسات الإيرانية كما شارك في معارض دولية بالقاهرة وروما وبوخارست وباريس وفيينا واستكهولم، ونال عدة جوائز كميديالية المستشرقين سنة 1924م، سماه أوغسطين بريك بأمر فن المنمنمات وفي السبعينات أُغتيل في ظروف لا تزال غامضة.
- للإطلاع راجع: - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 8، ص.ص (429 - 433) .
31. الزاهري محمد السعيد (1900 - 1956 م)
(1318 - 1376 هـ)
ولد بقرية ليانة " قرب بسكرة " تتلمذ على يد الشيخ بن باديس في قسنطينة ثم درس بالزيتونة وحصل على شهادة التطويع سنة 1924م، شارك في الحركة الإصلاحية وكان عضوًا بارزًا في جمعية العلماء، أصدر جريدة الجزائر (1925م) والبرق (1927م) والوفاق (1938م)، له مساهمات كثيرة في الصحافة المشرقية، ومن آثاره: "الإسلام في حاجة إلى دعاية وتمشير".
للإطلاع راجع:
- الزاهري السوسى، شعراء الجزائر، ج 1، ص 62.
- البرق، عدد 19، (1927م) .
- الجابري، النشاط العلمي، ص 189، هـ 2.
- نويهيض، معجم الأعلام، ص 62.
- Ali Merad, Le réformisme musulman, P.111.

إلى الزيتونة وحصل على شهادة التطويع سنة 1925م، وكان له دور بارز في الحركة الإصلاحية، التحق بجهة التحرير سنة 1956م وغداة الاستقلال أُنتخب نائبًا بالمجلس الوطني إلى غاية 1964م حين قرر اعتزال السياسة.

للإطلاع راجع: - محمد عباس، رواد الوطنية، ج 2، ص 284.

28. بن الدراجي فرحات أبو حامد (1906 -

1951 م)

ولد بليشانة (منطقة الزاب الكبرى) من أسرة ثرية، حفظ القرآن الكريم في زاوية فرفار وبوشقرون كما تتلمذ على يد الشيخ خير الدين وفي حريف 1924م انتقل إلى جامع الزيتونة لينال فيها شهادة التطويع سنة 1931م وبعد عودته إلى الجزائر التحق بمدينة سيق ليخلف مكان الشيخ التبسي، وأُنتخب كئانب للكاتب العام لجمعية العلماء سنة 1937م، ومع اندلاع الحرب الكبرى الثانية زُجَّ به في السجن، يُطلق سراحه سنة 1943م ويُعين كاتبًا عامًا للجمعية، كما شغل مُحررًا لجريدة البصائر II ابتداءً من منتصف عام 1947م. ومن آثاره: "شرح مفتاح الأصول للشريف التلمساني"، "فديب المدونة".

للإطلاع راجع: - بن ذياب، "فرحات بن الدراجي"، مجلة الثقافة، عدد 35.

29. رأس عمر (1884 - 1959 م)

وهو عمر بن علي بن سعيد بن محمد البجائي، من مواليد العاصمة تعلّم بكتابيتها، عُرف بأفكاره الإصلاحية والوطنية معتقًا للعبودية ومُنتصرًا لها، أنشأ مجلة الجزائر (1908) ثم ذو الفقار (1913) اشتهر بإتقانه للخط العربي ورسم المنمنمات ولاقى الخن الشديدة في سجنه إبان الحرب الكبرى الأولى، ومن آثاره تراجم أعلام الجزائر (مخطوط) ومقالات عديدة.

للإطلاع راجع:

- جريدة البرق، عدد 02، (1927/04/11) .

إلى تونس ويتحدث عن نفسه: «مكنت سنتين بمدرسة السلام القرآنية فكانت هي المدرسة التي تلقيت فيها مبادئ العربية على يد الشيوخ الشاذلي المورالي عبد العزيز الباوندي ومبادئ الفرنسية عن الأستاذ صالح بن الأحمر... ثم دخلت المدرسة الخلدونية... ثم في الجامع الأعظم... ثم مدرسة الترجمة، وتحصلت على شهادة الثانوية...»، كما نشط داخل حزب النجم ثم حزب الشعب، وزج به في السجن أكثر من مرة. وشارك في الثورة الجزائرية، وبعد الاستقلال أثر البقاء في تونس إلى وفاته من آثاره دواوين شعرية.

للاطلاع راجع:

- الهادي سنوسي، شعراء، ج1، ص.ص (150 - 151).
- نويهض، معجم الأعلام، ص 309.
- عمار هلال، العلماء الجزائريون، ص 95.
- الجندي، الفكر والثقافة، ص.ص (266-267).

35. بن السايح محمد اللقاني (1894 - م) (1313 - هـ)

وُلد بنفطة بتونس، رحلت عائلته من الطيبات القبليّة إلى نقطة لطلب العلم فأخذ بها عن فطاحل العلماء والنّبغاء كالشيخ النوري والشيخ سيدي محمد بن بكير، ولما بلغ عمره الثامنة عاد به والده إلى الطيبات وبعد وفاة والده ترحل عائلته إلى وادي سوف، ليعود هو إلى نقطة سنة 1332 هـ حيث أحازه ثلثة من العلماء في تعليم المبادئ، ثم انتقل في أول 1334 هـ إلى تونس العاصمة، وحضر دروس الشيوخ: محمد النخلي، وأبي الحسن النجار، ومحمد الصادق النيفر، وعثمان بن خوجة... وفي سنة 1338 هـ انخرط في جامع الزيتونة وحصل منه على شهادة التطويح، ليرحل بعدها إلى تماسين وقمار ويُؤسس بهما مدرستين، وكان عضواً بارزاً في جمعية العلماء المسلمين.

للاطلاع راجع: الهادي السنوسي، شعراء الجزائر، ج1، ص.ص (31 - 32).

32. الزاهري محمد الهادي السنوسي (1902 -

1969 م) - (1320 - 1383 هـ)

شاعر واديب ولد بقرية ليانة " قرب بسكرة " تعلم بقسنطينة وتونس وشارك في النهضة الإصلاحية، حيث كان من أوائل معلمي ومدرسي المدارس الحرة للجمعية. وقد لجأته ظروف قاهرة في الحرب العالمية الثانية إلى العمل بالإذاعة الجزائرية ليعود بعد الاستقلال إلى التعليم الثانوي، من أولى الصحف التي نشر فيها قصائده ونثره: المنتقد، الشهاب.

من آثاره: شعراء الجزائر في جزأين (طبع بتونس)، أناشيد مدرسية وروايات تمثيلية، درّس في العاصمة وعين تيموشنت وتلمسان وسيدي بلعباس، ومراكز تعليمية للجمعية بفرنسا حيث كان يُحاضر ويعلم بحج كلشي.. توفي في حادث تسمم بالغاز.

للاطلاع راجع:

- الهادي سنوسي، شعراء الجزائر، ج1.
- بوكوشة، "الشيخ الهادي"، مجلة الثقافة، عدد 24، ص.ص (99 - 102).

33. الزريبي المولود الزهري (1897 - 1925 م)

ولد بزرية الواد (قرب بسكرة)، تعلّم بالكتاب في ليانة، ثم انتقل إلى جامع الأزهر، واشتغل بالتعليم والوعظ والإرشاد منذ 1920م، وترأس تحرير جريدة الصديق، من آثاره: " بلور الأفهام أو شغوس الأحلام على عُقيان بن عاشر خير اطمام"، وله شعر جيد ضاع أكثره، احتضرتة المنية بعد داء عضال.

للاطلاع راجع:

- الهادي سنوسي، شعراء، ج2، ص.ص (99-124)
- محمد ناصر، المقالة الصحفية، ج2، ص 228.

34. زكريا مفدي بن سليمان بن يحي (1912 -

1973 م) - (1331 - 1396 هـ)

ولد بقرية بني يزقن وحينما شب أدخله والده الكتاب. وفي السابعة من عمره ارتحل مع أبيه إلى عنابة بقصد التجارة وبقي كذلك إلى أن رافق أول بعثة ميزابية

38. الشريف صالح (1862 - 1920 م)

من أصول جزائرية وُلد بتونس، كان جده الشيخ العربي من كبار أدباء جامع الزيتونة، ومن الذين أولاهم أحمد باشا الأول التدريس بجامع الزيتونة لما أسس خطة التدريس سنة 1842م، وقد توفي جده وتركه وعمره أربعين يوماً كما ذكرت عمته فطومة، والده المختار أنجب عدة أولاد أشهرهم ذكراً أخوه الطيّب، وعندما قامت ثورة المقراني سنة 1870م هاجر إلى تونس عبد الرحمان الشريف البيحاني وكان من أساتذة الشيخ صالح بكتاب سيدي منصور، في سنة 1881م دخل جامع الزيتونة ونال فيها شهادة التطويح سنة 1888م وتولى التدريس في الطبقة الأولى سنة 1894م ثم لُيَسَّمي مدرساً بالمدرسة العصفورية سنة 1897م كما كان يلقي دروسه بزواية سيدي منصور، ونظراً لنشاطه السياسي المكثف في أوساط التونسيين تعرّض لمضايقات من طرف السلطة الاستعمارية مما جعله يهاجر إلى استنبول في صورة حاج سنة 1906م، وبعد مناظرة بينه وبين الشيخ أبو الهدى، قرّر السلطان إرساله للتدريس بالمسجد الأموي بدمشق، ليصدر فيما بعد فرمان يُكلف بمقتضاه الشيخ صالح بالإشراف على هيئة عسكرية توجهت إلى الخيـجاز للتوفيق بين ابن المسعود وابن الرشيد... كما شارك في الجهاد ضد الإيطاليين أين جرحت ذراعه... كان له دور كبير في التضال المهجري الجزائري التونسي بأوربا أثناء الحرب الكبرى الأولى، توفي بموترو وعمره 58 سنة.

للاطلاع راجع:

- انفاذي الحسني، "الشيخ صالح الشريف"، جريدة الشعب، عدد 7023، 17/03/1986.
- التميمي، "صالح الشريف"، م.ت.م، عدد (23 - 24)، ص.ص 350.
- Dossier, Salah Cherif Ettomisi B2.84, Doc N:°01. S.D.N.T.MI.
- بيتر هاين، قومي من شمال إفريقيا، م.د.ب، عدد 1
- بيتر هاين، صالح الشريف، ج3، عدد 24، 1985م

36. بن سماية عبد الحليم (1866 - 1933 م) - (1283 - 1351 هـ)

من أوائل المصلحين الجزائريين، تنتمي أسرته إلى آل سماية وهي أسرة تركية من أتراتك أزمير، وُلد بالجزائر وتعلم بها وتونس، تولى خطة التدريس بالعاصمة في ديسمبر 1896م ثم بالجامع الجديد في أكتوبر 1900م، ودرّس بالمدرسة التجالية أيضاً، وفي أواخر عمره أصيب بمرض عقلي. ومن أهم آثاره: اهتزاز الطواد والرّبي من مسألة تحليل الربا، كما نشر في جريدتي كوكب إفريقيا والإقدام.

للاطلاع راجع:

- نويهض، أعلام، ص.ص (178 - 179).
- دبور، نهضة الجزائر، ج1، ص.ص (106 - 125).
- عمار هلال، العلماء الجزائريون، ص 85.

37. بن سليمان حمود رمضان (1906 - 1929 هـ)

وُلد في غرداية ثم انتقل مع والده سليمان إلى غليزان حيث حفظ القرآن الكريم وتعلّم الفرنسية، سافر مع البعثة الميزابية إلى تونس وعمره 16 سنة، فمكث فيها ثلاث سنين، وتحصّل في سنته الثانية على شهادة ابتدائية عربية فرنسية وحائزة ستية وبسبب مرضه عاد إلى مسقط رأسه أسفاه من آثاره: "خمسة عشرة قصيدة"، وقصة بعنوان "الفتى"، وخواطر فلسفية "بذور الحياة"، توفي وعمره 23 سنة.

للاطلاع راجع:

- الهادي السنوسي، شعراء الجزائر، ج1، ص 70.
- خرفي صالح، حمود رمضان.
- محمد ناصر، حمود رمضان (حياته و آثاره).
- الشهاب، ج12، مج5، جانفي 1930م.
- نويهض، أعلام، ص 153.
- محمد ناصر، المقالة الصحفية، ج2، ص 227.
- عمار هلال، العلماء الجزائريون، ص 94.
- عمير بن قينة، صوت الجزائر، ص.ص (137 - 145).

ثم جريدة "الاتحاد الإسلامي" في 23 أكتوبر 1915م، انتقل إلى تركيا وتوفي بعدها بفترة قصيرة، ويذكر سعد الله أبو القاسم بحسب ما ذهب إليه سهيل الخالدي إلى أن عائلته قد تكون انقرضت من دمشق وأن ثلاثة منها استشهدوا في صفوف الثورة السورية، وقال عن جريدته المهاجر أنها كانت يومية متنوعة. للاطلاع راجع:

- نويهض، معجم الأعلام، ص.ص (85 - 86).
- عمار هلال، العلماء الجزائريون، ص.ص (84-85).
- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ص.ص (604 - 605)، ه2.
- Bardin, op Cit, P.P(170 - 171).
- 41. الطرابلسي محمد بن الحاج إبراهيم (1887 -

1948 م

ولد بطرابلس وكان والده قد نزع إليها من بريان (الجزائر)، بها حفظ القرآن الكريم وأتقن تجويده بالروايات السبعة واشتغل بمدارس الاتحاد والترقي، وبعد الغزو الإيطالي لطرابلس عاد إلى مسقط رأسه (بريان) اشتغل بالتعليم طول حياته وشارك بقلمه في الصحف العربية شعراً ونثراً وهو عضو بارز من أعضاء جمعية العلماء توفي ببريان.

للاطلاع راجع:

- الهادي سنوسي، شعراء، ج2، ص 121.
- الشهاب، عدد (1927/03/31 م).
- محمد دبور، نخضة الجزائر، ج2، ص 220.
- عمار هلال، العلماء الجزائريون، ص 457.
- محمد ناصر، المقالة الصحفية، ج2، ص 229.
- 42. العاصمي محمد (1888 - 1951 م)

ولد بناوحي مدينة المنصورة (بلاد القبائل) درس بزواوية الهامل (بوسعادة)، ودرّس بها لسنوات ثم انتقل إلى الأغواط فمدرسة السلام بالعاصمة؛ عُين مفتياً رسمياً للمذهب الخنفي في سنة 1944م، كان من أبرز أعضاء جمعية العلماء ثم انقلب ضدها في الأربعينيات بعد أن أسس مجلة "صوت المسجد"، كان يمضي

39. الشريف إدريس بن محفوظ بن الحاج أحمد (1866 - 1936 م)

من أصول جزائرية، من أبرز أعلام الفكر والإصلاح بينزرت وقد وفدت عائلته التي يتصل نسبها بالبيت النبوي من بلدة دلس بالجزائر واستقرت بينزرت، من مواليد حي المقر بينزرت، توفي والده وعمه سنة واحدة كفله جده ثم عمّه الفقيه الحاج محمد الشريف، بعدها التحق بالكتاب وحفظ القرآن الكريم على مشايخ بترت والبي كانت في أغلبها ذات أصول جزائرية كالشيخ محمد بن مالك الشريف الزواوي ومحمد بن الحاج أحمد الشريف المقراني وأحمد بن يوسف الملياني، بعدها أتم دراسته بجامع الزيتونة ليُحرز منها على شهادة التطويع عام 1895م كما درّس بالزيتونة لمدة سبع سنوات، ومُصححاً بالمطبعة الرسمية بتونس وإثر هذه المدة رجع إلى بترت عام 1920م، وهناك انكب على التأليف والتدريس، وله مؤلفات كثيرة في تخصصات مختلفة، وعُيّن في سنة 1921م إمامي الخميس والجمعة بجامع الكبير بينزرت وبقي كذلك إلى أن توفي بعد أن بلغ سبعون عاماً، قال عنه الباحث التونسي رشيد الذواودي: «من شدة تبحره في العلوم الشرعية كان يقال في تلك الفترة "لا يُفتى وإدريس في بنزرت"»، وله مواقف مشهودة حول قضية التجنيس والتبشير المسيحي بتونس.

للاطلاع راجع:

- مقابلة شخصية مع رشيد الذواودي، أوت 2001.
- الذواودي، أعلام بترت، ص.ص (55 - 56).
- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص.ص (285 - 286).

40. شطة النهامي (ت بعد 1915م - 1333هـ)

هو محمد النهامي شطة، كاتب وصحفي من دعاة الإصلاح الإسلامي، ولد ونشأ في مدينة الأغواط وبعد احتلالها سنة 1852م انتقل إلى تونس وأقام بها إلى أن أُحتلت هي الأخرى سنة 1881م فغادرها إلى سوريا، أنشأ جريدة "المهاجر" بدمشق في 11 جانفي 1912م

46. العقي الطيب بن محمد بن إبراهيم (1880 -

1960 م)

ولد ببلدية سيدي عقبة، ثم هاجر مع عائلته إلى الحجاز وبالمدينة المنورة تعلّم وتكوّن وشارك في الحياة السياسية هناك قبل الحرب وبعدها، أدار جريدة (القبلة) بإيعاز من الشريف حسين، ثم عاد إلى الجزائر سنة 1920م بعد أن طرد من الحجاز قبيل قيام الثورة العربية، وفي الجزائر أظهر نشاطاً منقطع النظير في محاربة البدع والضلالات، رابط بعد 1927م بنادي الترقّي بالعاصمة واعظ ومرشداً ومع تأسيس جمعية العلماء عيّن نائباً للكتاب العام، أصدر جريدة الإصلاح (1927 - 1948 م) كما ساهم في كل الصحف الإصلاحية، توفي بداء السكري.

للاطلاع راجع:

- الهادي السنوسي، شعراء، ج1، ص 125.

- الخطيب، جمعية العلماء، ص.ص (158-163).

- بوصفصاف، جمعية العلماء، ص.ص (71-80).

- محمد ناصر، المقالة الصحفية، ج2، ص 230.

- Ali Merad. Le réformisme musulman. P 93.

47. العقون عبد الكريم (1918 - 1959 م)

ولد بقرية برج غدير (سطيف) وفيها تلقى تعليمه الابتدائي ثم تتلمذ على يد الشيخ بن باديس (1933 - 1936م)، وقصد بعدها تونس وهناك أحرز على شهادة التحصيل ثم عاد إلى الجزائر العاصمة ليشغل بالتدريس مدة خمسة عشرة عاماً، اغتالته الشرطة الفرنسية.

للاطلاع راجع:

- دوغان، شخصيات، ص.ص (52 - 53).

- بن قينة، صوت الجزائر، ص.ص (201-207).

48. العمودي محمد الأمين (1890 - 1957 م)

محم - كاتب - صحفي من رجال الحركة الإصلاحية، ولد في وادي سوف تعلم في قسنطينة، فنال شهادة المحاماة والترجمة، اختير أميناً عاماً لجمعية

أغلب مقالاته يامضاء " كاتب كبير " توفي إثر حادث بسيارته بالعاصمة.

للاطلاع راجع: - محمد ناصر، المقالة الصحفية، ج2، ص 230.

43. بن العربي محمد (1850 - 1939 م)

ولد في شرشال وتلقى فيها مبادئ القراءة والكتابة والقرآن الكريم ثم انتقل إلى العاصمة ودخل المدرسة العربية الفرنسية ثم مدرسة الطب ونال الدكتوراه من باريس سنة 1884م ويُتقن عدة لغات منها (اليونانية، اللاتينية..) ومن أصدقائه فيكتور هيجو، وبعد عودته إلى الجزائر اشتغل طبيباً.. ثم سياسياً حيث دخل النيابة في المجلس البلدي بالعاصمة منذ 1888م وله أخ يدعى قدور عمل طبيباً في بلاط باي تونس وذكر العابد الجلاي أن له كتابات بالفرنسية.

للاطلاع راجع:

- العابد الجلاي، تقويم الأخلاق، ص 59.

- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6،

ص.ص (226)، (270).

44. العريبي محمد (1917 - 1946 م)

ولد بتونس، أصيل تيارت، تعلّم بالزيتونة، ساهم في الحياة الفكرية شعراً وقصة ومقالة، كما شارك في تحرير عدد من الصحف: صيرة، الزمان، الزهرة، السبوق، المباحث، غادر تونس للعمل بإذاعة الكونغو برازفيل، توفي بباريس مُتحرراً في ظروف غامضة.

للاطلاع راجع: الجابري، النشاط العليسي، ص 191. 2هـ

45. العقي أحمد بن العابد (ت بعد 1926م)

أديب، ناظم، له اشتغال بالصحافة من أهل سيدي عقبة تعلم بالزاوية العثمانية، بدأ نشر قصائده سنة 1921م في جريدة " الصديق " ثم أصدر جريدة " صدى الصحراء " (1925 م).

للاطلاع راجع: - نويهض، معجم الأعلام، ص 238.

- جمعية التراث، أعلام الأباضية، ج3، ص.ص (628 - 630).

- دبوز، مُحضة الجزائر، ج2، ص.ص (263-264).

51. العوامر أبو محمد إبراهيم بن محمد السـوـفي
(1888-1934م)

من شيوخ العلم والقضاء بواد سوف، تعلم ببلدته ثم بتونس ودرس بها وأفتى، وكان من أتباع الطريقة القادرية، ومن آثاره: الضروف في تاريخ الصحراء وسوف، وحدة السينات في عنق المنكر الخالد بن سنان للإطلاع راجع: - نويهض، معجم الأعلام، ص 182.

52. بن عيسى الطيب (1885 - 1965 م)

من أصل جزائري، وهو من فسل بن عيسى الدفين بجهة بسكرة بقروا، ومات بها، ومحمد قروار ترك له ولد ازداد في تونس دعاه محمد أيضا، وهو بدوره أنجب ولدين (الطيب وأحمد) أما ذرية الشيخ بن عيسى قروار من الإناث فهن كثيرات استقرنوا بالجزائر العاصمة وتونس، وقرية قروار تابعة لحكم الصومعة (2 كلم عن بوفاريك)، درس بالزيتونة وساهم منذ نشأته المبكرة في تحرير عدد من الصحف بتونس منها: الرشيدية والصواب، كما أنشأ سنة 1911م جريدة المشير ثم الوزير سنة 1920م، كان عضواً بارزاً الحزب الحر الدستوري(القديم والجديد)، وأنتخب عضواً بالمجلس الملّي وسجن في حوادث أفريل 1938 إلى غاية 1943م حيث أعاد إصدار الوزير، ثم المشير بعد الاستقلال، ومن آثاره: "المغرب الأقصى بين عهدين"، "خواطر حاج"، "مذكرات سجين"، "تحرير المرأة".

للإطلاع راجع:

- "استطلاع للطيب بن عيسى"، الوزير، عدد (20 / 1928/09)، عدد (14/10/1928).

- دبوز، مُحضة الجزائر، ج1، ص 114.

- بن قفصية، أضواء، ص.ص (103 - 104).

- الجابري، النشاط العلمي، ص 160، 1/هـ.

العلماء المسلمين أنشأ جريدة الدفاع، كان ممن اغتالهم منظمة اليد الحمراء.

للإطلاع راجع:

- المدني، حياة كفاف، ج2، ص 356.

- عبد القادر الساجي، الأمين العمودي، ص 23 وما يليها.

- بوكوشة، "الأمين العمودي"، الثقافة، عدد 06، ص.ص (46-62).

- بن قينة، صوت الجزائر، ص.ص (187-198).

- نويهض، معجم الأعلام، ص 244.

49. محمد بن محمود بن محمد بن حسين (1775 -

1851 م)

من أسرة جزائرية كان لها اعتبارها الديني والفكري كان جده المفتي الحنفي، وتمكن محمد من ارتقاء عدة مناصب عالية كمنصب القضاء الحنفي سنة 1208هـ وعمره دون تسع عشرة، كما تولى الإفتاء الحنفي بين (1213-1236)هـ وهي الفترة التي أدى فيها الحج، وأثناء عودته آثر الإقامة بمصر، حيث تولى التدريس بجامع الأزهر نحو نسع سنوات، وعندما سقطت العاصمة قرر كلوزيل(CLOZEL)طرده من العاصمة، حيث توجه صوب الإسكندرية، وفيها تولى الإفتاء إلى أن عزله عباس باشا(حفيد محمد علي) له مؤلفات عديدة أهمها: السعي المحمود في نظام الجنود، صيانة الرياسة ببيان القضاء والسياسة.

للإطلاع راجع:

- سعد الله، المفتي بن العنابي، ص 19 وما يليها.

- حمدان خوجة، المرأة، ص.ص (221-224).

- بن قينة، صوت الجزائر، ص.ص (19-22).

50. العنق عمر إبراهيم (1882 - 1956 م)

ساهم مساهمة فعالة في تأسيس الجمعية الصديقية ومدرستها في مدينة تبسة سنة 1913م من أصول ميزابية وكانت له مواقف في الحركة الإصلاحية بتبسة وساند البعثات الميزابية إلى تونس ماديا ومعنويا.

للإطلاع راجع:

56. بن قدور عمر الجزائري (1886 - 1932 م)

ولد بمدينة الجزائر، تعلم بالكتاب ثم بمدرسة الثعالبية عرف باتجاهه الإصلاحية ونشاطه الصحفي، أنشأ جريدة الفاروق ونفته السلطات الاستعمارية إلى الأغواط، أطلق سراحه سنة 1918م، بعدها عاد إلى نشاطه الصحفي من خلال جريدة الصديق... لكنه لم يلبث أن اعتزل ودخل في عزله صوفية، من مؤلفاته: "الإبداء والإعادة في مسلك سائق السعادة".

للإطلاع راجع:

- محمد ناصر، المقالة الصحفية، ج2، ص 221.
- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص.ص (267 - 182).

57. قلاتي حسن علي (1880 - 1966 م)

من أصول جزائرية، ومن مواليد قصر البخاري (قرب العاصمة) هاجرت عائلته إلى تونس بعد احتلالها وعمره لم يتجاوز السنة استقر بتونس عند نقل والده علي بن أحمد المترجم العدلي من سوسة إلى تونس حيث أنهى نشاطه المهني، لم يلبث حسن أن عاد إلى الجزائر لدراسة الحقوق بجامعة تونس وتحصل على شهادة البكالوريا من معهد الحقوق بتولوز سنة 1902م ولما عاد إلى تونس اشترك مع علي باش حامية في تأسيس حركة تونس الفتاة وجريدة التونسي (1907 م)، ثم انخرط مع علي باش حامية في لجنة عمل لمساعدة الليبيين في حرمهم مع إيطاليا، وكانت له مواقف جريئة من أحداث الزلازل (1911 م) ومقاطعة الترمواي (1918 م) كلفته النفي والسجن بعد عودته إلى تونس ترأس جمعية الآداب المسرحية ثم الجمعية الخلدونية بعد خروج البشير صفر ومحمد الأصرم عنها. ساهم في تأسيس الحزب الدستوري وعندما اختلف مع أعضائه عقب مغادرة الثعالبية تونس أنشأ الحزب الإصلاحي وجريدة البرهان لسان الرثام الفرنسي التونسي، ومن أهم جرائده أيضا: النهضة الاقتصادية التي لم تُعمر طويلاً ثم جريدة النهضة اليومية ذات الاتجاه المعتدل وعندما فشلت كل مطاعه انكفأ على نفسه

53. بن عيسى صالح بن يحيى (ت 1948م) (ت 1367هـ)

عالم باطنية ولد ببني يزقن في ميزاب، أخذ عن الشيخ محمد يوسف اطفيش وغيره، رحل إلى تونس ضمن البعثة الثانية سنة 1917م، وأتم دراسته بالزيتونة، ثم استقر بتونس للتجارة، ويعتبر من المؤسسين للحزب الحر الدستوري التونسي قال عنه: توفيق المدني: «... هو الذي أظهر حزب الدستوري في تونس بدعايته وحماسه ومساندته للثعالبية المادية والمعنوية...» في 28 أكتوبر 1920م ألقى عليه القبض بتهمة التآمر ضد الدولة التونسية وأودع في السجن عدة مرات توفي بتونس.

للإطلاع راجع:

- المدني، حياة كفاح، ج1، ص 156.
- نويهض، أعلام، ص 194.
- جمعية التراث، أعلام الأباضية، ج3، ص.ص (487 - 488).

54. غرافة إبراهيم بن عيسى (ت 1944م)

من مواليد بني يسجن، تعلم ونشأ بمسقط رأسه، انتقل إلى العاصمة بقصد التجارة، كان نشيطاً في العمل السياسي وعضواً بارزاً في النجم وحزب الشعب، وأحد مقربي مصالي الحاج حيث دعمه مادياً ومعنوياً، ألقى القبض عليه في سبتمبر 1937م، مع مصالي ومفدي زكريا وخليفة عمار والأحوال حسين.

للإطلاع راجع: - جمعية التراث، أعلام الأباضية، ج2، ص (57 - 58).

55. الفرقد سليمان بن يحيى بوجناح (م 1905م)

ولد بمدينة غرداية، وبدأ دراسته بأحد كتابتها ثم سافر إلى تونس، وبعد عودته إلى الجزائر أتم تعليمه بثانوية باب الواد، عُرف بحماسة الوطني وقلمه الناري، ونفي إلى أعماق الصحراء مرتين لمواقفه الوطنية، ومن آثاره: "كتاب الفرقد"، وبعد الاستقلال عمل بالمحكمة الشرعية بمدينة غرداية

للإطلاع راجع: محمد ناصر، المقالة الصحفية، ج2، ص 223.

«فلا نجد واحداً من هؤلاء في الربع الأول من هذا القرن إلا وهو من تلامذته» تولى التدريس في جامع الكتاني منذ 1876م ثم المدرسة الحكومية 1879م ثم بالمدرسة الثعالبية كما عُين إماماً خطيباً بجامع سيدي رمضان بالعاصمة سنة 1908م، كان والده عبد الكريم قاضيًا بتلمسان لمدة 25 سنة و بقي الشيخ عبد القادر في قمة نشاطه إمامًا قديرًا وأستاذًا متمكنًا ومؤلفًا نشيطًا.

للإطلاع راجع:

- الحفناوي، تعريف الخلف، ج2، ص 446.

- الشهاب، ج2، مج8، مارس 1932.

- بن قينة، صوت الجزائر، ص.ص (69 - 78).

- محمد ناصر، المقالة الصحفية، ج2، ص 224.

61. محمد العيد آل الخليفة (1904-1979م)

ولد في عين البيضاء وتعلم القرآن الكريم واللغة العربية في مسقط رأسه، ثم أكمل نشأته في بسكرة ودرس على شيوخها على بن إبراهيم العقبي الشريف والمختارين عمر اليعلاوي والجنيد أحمد المكي، تابع دروسه في جامع الزيتونة عام 1922م لمدة سنتين، ليعود بعدها إلى بسكرة حيث أصدر مع العمودي جريدة صدى الصحراء ومع العقبي جريدة الإصلاح في 1927م وفي سنة 1927م أوكلت إليه مهمة التدريس بمدرسة الشبيبة الإسلامية كما أسهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين وفي عام 1954م يُلقى عليه القبض ثم تُفرض عليه الإقامة الجبرية، له ديوان شعر وملحمة شعرية بـ 426 صفحة ومسرحية شعرية بعنوان (بلال بن رباح).

للإطلاع راجع:

- دوغان، شخصيات، ص.ص (14 - 16).

- بن سميحة، محمد العيد، ص.ص (7 - 29).

- بن قينة، محمد العيد، ص.ص (343 - 370).

- جغلول، الاستعمار والصراعات، ص.ص (82 -

83).

وعَدَل عن السياسة قال عنه المدني: «كان قَطْبًا من أقطاب السياسة التونسية في أوائل القرن العشرين وكان من أكرم رفاقه الرعيل الأول من المناضلين السياسيين».

للإطلاع راجع:

- الزمرلي، أعلام تونسيون، ص.ص (333 - 338).

- المدني، حياة كفاح، ج1، ص 222.

- الجابري، النشاط العلمي، ص 293.

58. الماضي محمد (1902 - 1954م)

من أصول جزائرية، وهو من مواليد الصيفية (قسنطينة)، كان مناضلا بحزب الشعب الجزائري، ودخل السجن سنة 1940م أطلق سراحه الألمان، فاشتغل لصالحهم وأنشأ جريدة الرشيد وقدم الماضي نفسه على ضابط قديم في الجيش الفرنسي ألقى القبض عليه سنة 1937م، وتم تسريحه في جويلية 1938م توفي 1941م. اهتم بلجنة إفريقية الشمالية التي كانت تضم حوالي 1000 عضو، وقد أصدر عدة مؤلفات عبارة عن كراسات هي: " الوحدة العربية "، " إفريقيا الشمالية أرض التاريخ "، توفي بضواحي القاهرة.

للإطلاع راجع:

- Ageron, R.H.M, N: ° 7/8. 1977, P.P (25 - 33)

59. مامي السماعيل (1889 - 1956م) (1308

- 1376 هـ)

من مواليد قسنطينة، درس عن الشيخ بن باديس ثم بستونس ولكنه لم يُتم تعلمه فسرعان ما انصرف للصحافة مساعداً لمدير تحرير جريدة النجاح، لم يكن له اتجاه مُعين غير النزعة الانتفاعية المادية مات بداء القرع.

للإطلاع راجع: - محمد ناصر، المقالة الصحفية، ج2، ص 224.

60. المجاوي عبد القادر (1848 - 1913م)

ولد بقسنطينة، بدأ تعلمه بتلمسان ثم أمه بالمغرب الأقصى (القرويين)، واشتغل بمهنة التدريس والفتوى

وفي 1920م يعود إلى الجزائر حيث فشل في العثور على عمل، سنة 1923م عاد إلى فرنسا، واشتغل في مهن حرة، في 1926م تولى عضوية نجم شمال إفريقيا وكان ضمن الوفد الشيوعي في مؤتمر بروكسل، وفي 1929م يتم حل النجم ويُعيد تجديده في سنة 1933م وبتهمة إعادة تنظيم جمعية محله يحكم عليه بـ 06 أشهر سجن، ليفر إلى جنيف حيث شارك إلى جانب شكيب أرسلان في المؤتمر الإسلامي الأوربي (سبتمبر 1935)، ثم يعود إلى فرنسا مع صفوف الجبهة الشعبية سنة 1936م يوزور الجزائر حيث حضر المؤتمر الإسلامي، بعد حل النجم يؤسس حزب الشعب الجزائري في مارس 1937 لكنه أودع السجن فيما بعد، وبعد معانات كبيرة يُسرح سنة 1946م ليعلن عن تأسيس حركة انتصار الحريات الديمقراطية في فيفري 1952م يُنفي إلى فرنسا، ومع إعلان الثورة في نوفمبر 1954م تنتهي حياة مصالي السياسية، وبقي معزولاً عن وطنه إلى أن توفي في فرنسا.

للإطلاع راجع:

- Messali, le problem Algérien.
- C.Cold, L'étoile Nord Africaine, P.P (9-12).
- Ahmed Mahsas, Le Mouvement, P.P (178 - 195).

65. المكي بن مصطفى بن عزوز البرجي (1854-

1915م

من أصول جزائرية، ولد بنفطة بعد هجر والده مصطفى بن محمد إليها، حيث أسس بها زاوية نفطة الشهيرة، ومستقر عائلته كان في طولقة (بسكرة)، وكان ممن أجازوه والده ومحمد بن بلقاسم الهاملي وعلي بن عبد الرحمان خوجة، وألّى الإفتاء بنفطة، كان كثير التنقل بين الجزائر وتونس، ولما دعي إلى مقاطعة فرنسا اقتصادياً في الجزائر ألفت السلطات الفرنسية عليه القبض، فرحل منقياً إلى الأستانة سنة 1884م عينه السلطان مدرساً بدار الفنون لعب دوراً كبيراً في النضال الفكري والصحفي بالمهجر، من آثاره: "رسالة في

62. المدني أحمد توفيق (1899 - 1983 م)

ولد بتونس - من أصول جزائرية - تخرج من جامع الزيتونة ذو ثقافة واسعة، عُرف منذ حياته بنضاله الوطني وبشبابه السياسي، كان من مؤسسي الحزب الحر الدستوري وجمعية العلماء المسلمين ونادي الترقى بالعاصمة، كان الناطق الرسمي لجبهة التحرير وعضواً في الحكومة المؤقتة وبعد الاستقلال تقلد عدة وظائف دبلوماسية، له مؤلفات كثيرة ومتنوعة للإطلاع راجع:

- المدني، حياة كفاح، ج1، ج2، ج3.
- بن قفصية، أضواء، ص.ص (127 - 133).
- Ali Merad, Le réformisme musulman. P116.

63. مزهودي إبراهيم (1922 م)

ولد بقرية الحمامات (إكس لبيان) بتيسة، وترعرع في أسرة تنتمي إلى قبائل اللماشة، وبهذه القرية حفظ القرآن الكريم ثم دخل مدرسة التبسي لتهديب البنين، لُتابع دراسته بالزيتونة ويتخرج منها سنة 1946م، وبعد عودته إلى الجزائر عينته الجمعية للإشراف على حركة التعليم العربي بفرنسا، ثم ما لبث أن عُين مفتشاً عاماً على مدارس الجمعية وأثناء الثورة التحق بالولاية 2 كعضو في القيادة وشارك في مؤتمر الصومام أين كُلف بتسوية مشاكل الولاية الأولى، كما تكلف بالنشاط السياسي في تونس ليتولى بعدها مدير ديوان رئيس الحكومة المؤقتة بالقاهرة، وبعد الاستقلال يعتقل في أول حكومة، بعد الإفراج عنه اشتغل أستاذاً بدار المعلمين ثم مديراً للشؤون الثقافية ثم سفيراً للجزائر بمصر ليتقاعد ويتفرغ للوعظ والإرشاد.

للإطلاع راجع: - بوشارب، تيسة، معالم، ص.ص (34 - 35).

64. مصالي الحاج بن أحمد (1898 - 1974 م)

ولد بتلمسان من عائلة فقيرة - وكانت فترة طفولته معاناة - في عام 1918م يُستدعى للخدمة الوطنية، وفي فرنسا انتسب إلى جامعة بوردو كاستيع حر،

الاستقلال اشتغل بالتعليم ووظائف إدارية أخرى وبعد التقاعد التزم بيته حتى وفاته.

للاطلاع راجع: - بوشارب، تبسة معالم، ص.ص (37 - 38).

68. المكي الهاشمي بن عثمان (1881 - 1942 م)

انتقل من مسقط رأسه صحبة والده إلى العاصمة أين أتم تعليمه في جامع الزيتونة والخلدونية، كما كان له نشاط في العمل الصحفي حيث أصدر عدة جرائد كمجلة الإسلام وأبو قشة وطرابلس، وبعد عودته من طرابلس بقليل أودع السجن وبعد إطلاق سراحه سافر إلى تركيا وأندونيسيا وبما أسس مدرسة لتعلم العربية وأصدر جريدة "بوربودور" وبجارتها تزوج... وبقي فيها، ثم انتظمت أخباره بعد اندلاع الحرب الكبرى الثانية... للاطلاع راجع:

- بن قفصية، أضواء، ص.ص (96 - 97).

69. المنوي محمد الشريف التيجاني (1886 -

1942)

ولد ببوعرادة من أب جزائري وأم تونسية وكان والده شيخ الزاوية التيجانية ببوعرادة منذ 1868م، زاول تعليمه الابتدائي بالمعهد العلوي الذي غادره دون إتمام دراسته، أصدر ثلاثة جرائد متوالية: جريدة المنصف (1907م) وخطيب العالم (1908م)، والتسامح (1908م)، زار الجزائر أكثر من مرة، تطوع في الجيش الفرنسي مع اندلاع الحرب العالمية الأولى وبسبب إصابته بترلة رئوية سرح من الجيش ويتم ترحيله إلى تونس في أوت 1916م، وبقصد العلاج عاد إلى فرنسا ولم يعد إلى تونس إلا في سنة 1918م حيث تحول إلى النشاط التجاري ثم انضم إلى حزب الريف لكن محمد بن عبد الكريم أسره بعد ثلاثة سنوات، وقع ترحيله إلى الجزائر في أكتوبر 1926م وعاد إلى تونس وبقي فيها إلى أن توفي.

للاطلاع راجع: - التليلي، "الشريف التيجاني"، م.ت.م، عدد (55-56)، ص.ص (138-168).

أصول الحديث"، "السيف الرباني" و"هيئة الناسك"، "الأجوبة المكية على الأسئلة الحجازية"، وديوان شعر يضم ثلاثة آلاف بيت، توفي بالأستانة.

للاطلاع راجع:

- الهادي السنوسي، شعراء، ج1، ص.ص (138 - 139).

- دبوز، هُضة الجزائر، ج1، ص.ص (145 - 147).

- نويهض، معجم أعلام، ص 231.

- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص.ص (60 - 61)، ص 473.

- عمار هلال، العلماء الجزائريون، ص 24.

66. المكي الجنيد أحمد (1893 - 19 8 م)

ولد بمحنة سيدي ناجي (بسكرة)، نال شهادته الابتدائية سنة 1909م، ثم انضم إلى سلك تلامذة مدرسة قسنطينة لينتقل بعدها إلى مدرسة الجزائر أين نال شهادة التعليم العليا ليتولى بعدها خطة التدريس بوادي الزناتي 1917م، ثم ببسكرة سنة 1918م ثم انتقل إلى إفريقية الغربية الفرنسية.

للاطلاع راجع: - الهادي السنوسي، شعراء، ج1، ص.ص (99 - 100).

67. المكي الشاذلي (1912 - 1988 م)

ولد بمحنة سيدي ناجي (بسكرة) وبها حفظ القرآن الكريم واستقر مع عائلته في تبسة حيث عكف على العلم والتحصيل وفي شبابه ناضل في صفوف النجم، لكن فيما بعد التحق بجامع الزيتونة وهناك ترأس جمعية الطلبة الجزائريين، كما كان له نشاط في الأوساط الطلابية والفكرية بتونس، مع اندلاع الحرب الكبرى الثانية أعتقل بعين الصفراء وبعد إطلاق سراحه تفرغ للنضال الفكري السياسي السري، سافر إلى تونس ثم مصر، وكان الشيخ الفاضل بن عاشور هو الذي مكّنه من اجتياز الحدود التونسية الليبية، عمل ضمن نطاق الجامعة العربية، اشترك في الثورة التحريرية وغداة

72. بن نبي مالك (1905 - 1973) م

ولد بتبسة ثم انتقل إلى قسنطينة وتعلم بمدرستها الابتدائية ثم رحل إلى فرنسا لإكمال دراسته لكن خيبته كانت كبيرة فعاد بعدها إلى الجزائر ليشتغل في الفلاحة وفي مهن مختلفة، ثم أعاد الكرة وسافر إلى باريس وانخرط في مدرسة فنية للكهرباء غير أنه فشل كونه من الأهالي ثم تزوج من فتاة فرنسية أسلمت على يديه وعادا معاً إلى الجزائر، وبعد الحرب العالمية الثانية يعود مالك إلى باريس مرة أخرى ويضع جهوده وفكره في خدمة القضايا الطلابية بجمعية طلبة شمال إفريقيا وهناك توثقت علاقته ببعض زعماء تونس، وأقام في القاهرة سبع سنوات أصدر فيها معظم آثاره، بعد الاستقلال تولى إدارة التعليم العالي سنة 1964م وكان عضواً في مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة.

للاطلاع راجع:

- نويهيض، أعلام الجزائر، ص 282.
- الجابري، التواصل الفكري والعلمي، ص.ص (138 - 139) .
- الجندي، الفكر والثقافة، ص.ص (64 - 67) .
- بن قينة، صوت الجزائر، ص.ص (259 - 274) .

73. النوري حسن (1905 - 1939) م

من أصل جزائري، يعود أصل عائلته إلى عنابة، ولد ببسنزرت والدة الحاج أحمد بن أحمد النوري وأمه حبيبة اللزّام، وفي بسنزرت تلقى تعليمه الأول مع رفيقه الحبيب بوقطفة ثم زاول دراسته بالمعهد الثانوي وبعد أربع سنوات يقع طرده بسبب مواقفه الوطنية، شارك في مؤتمر قصر هلال وبسبب موقفه الرفض للتجنيس طُرد من الجزائر سنة 1934م وسمح له بالعودة سنة 1936م أين أسس الجامعة الدستورية، كما شارك في أحداث الماتلين حيث سجن وبتهم بالجنون، وفي جانفي 1938م يتم إبعاده إلى الجزائر ويُسجن في الخراش وبه مات عليلاً من شدة التعذيب والمعاناة.

للاطلاع راجع: - الذوايدي، حسن النوري، ص.ص (09 - 16) .

70. المهوب محمد بن المولود (1866 - 1939)

ولد بقسنطينة، ساهم في تأسيس نادي صالح باي حيث كان مفتي محاضراته الثقافية، كما قام بعمل وعظي وإرشادي كبير في الجامع الأخضر يُعِين في سنة 1895م استناداً للدراسات الإسلامية بمدرسة سيدي الكتّاني لسُرفعي إلى مُفتي المذهب المالكي سنة 1908م، ساهم في الحركة الصحفية من خلال مقالاته التي نشرها في عدة جرائد كجريدة كوكب إفريقيا، والصديق والإقدام.

للاطلاع راجع:

- جريدة النجاح، عدد 2289، (جوان 1939) .
- الهادي السنوسي، شعراء الجزائر، ج2، ص31.
- محمد ناصر، المقالة الصحفية، ج2، ص 218.

71. الميلي مبارك (1898 - 1945) م

(1316 - 1364) هـ

من قبيلة أولاد مبارك الهلالية، ولد بالميلية وبها حفظ القرآن الكريم وزاول دروسه الابتدائية، ثم يلتحق بدروس الشيخ ابن باديس بقسنطينة ليلتحق بجامع الزيتونة وأخذ عن علمائها، وبعد تحصيله على شهادة التطويق رجع إلى الجزائر سنة 1924م لينخرط في العمل الإصلاحي ويُنشئ مع ابن باديس جريدة المنتقد والمطبعة الجزائرية، ثم واصل رسالته التعليمية بالأغواط حيث مكث بها سبع سنوات ليعود إلى الميلية فأنشأ بها مسجداً ومدرسة ونادياً، وبعد وفاة ابن باديس اضطلع بتحرير البصائر ومن أبرز أعماله: " تاريخ الجزائر في القديم " ورسائله عن الشرك ومظاهره. قال فيه ابن باديس عندما سُئل عنه: « إنه ابن الزيتونة ».

للاطلاع راجع:

- المجلة الزيتونية، مارس 1945م، ص.ص (270 - 273) .
- المدني، حياة كفاح، ج2، ص (7 و 10) .
- الجيلالي، " من وحي الذكرى "، الثقافة، عدد 80.
- محمد ناصر، المقالة الصحفية، ج2، ص 225.

شارك في مقتل الإمام يحيى باليمن سنة 1948م، ولما طلبته حكومة الإمام أحمد لجأ إلى لبنان ثم سافر إلى تركيا ليموت بها، كتب في أغلب الصحف والمجلات العربية واتصل بالعديد من الملوك والرؤساء في العالم وأسس العديد من الجمعيات واللجان في المشرق العربي.

للاطلاع راجع:

- الفضيل الورتلاني، الجزائر النائرة، ص.ص (9-25)
- نويهض، معجم الأعلام، ص.ص (340 - 341).
- مرحوم، "مواقف من جهاد الورتلاني"، الثقافة، عدد 34، ص.ص (47 - 64).

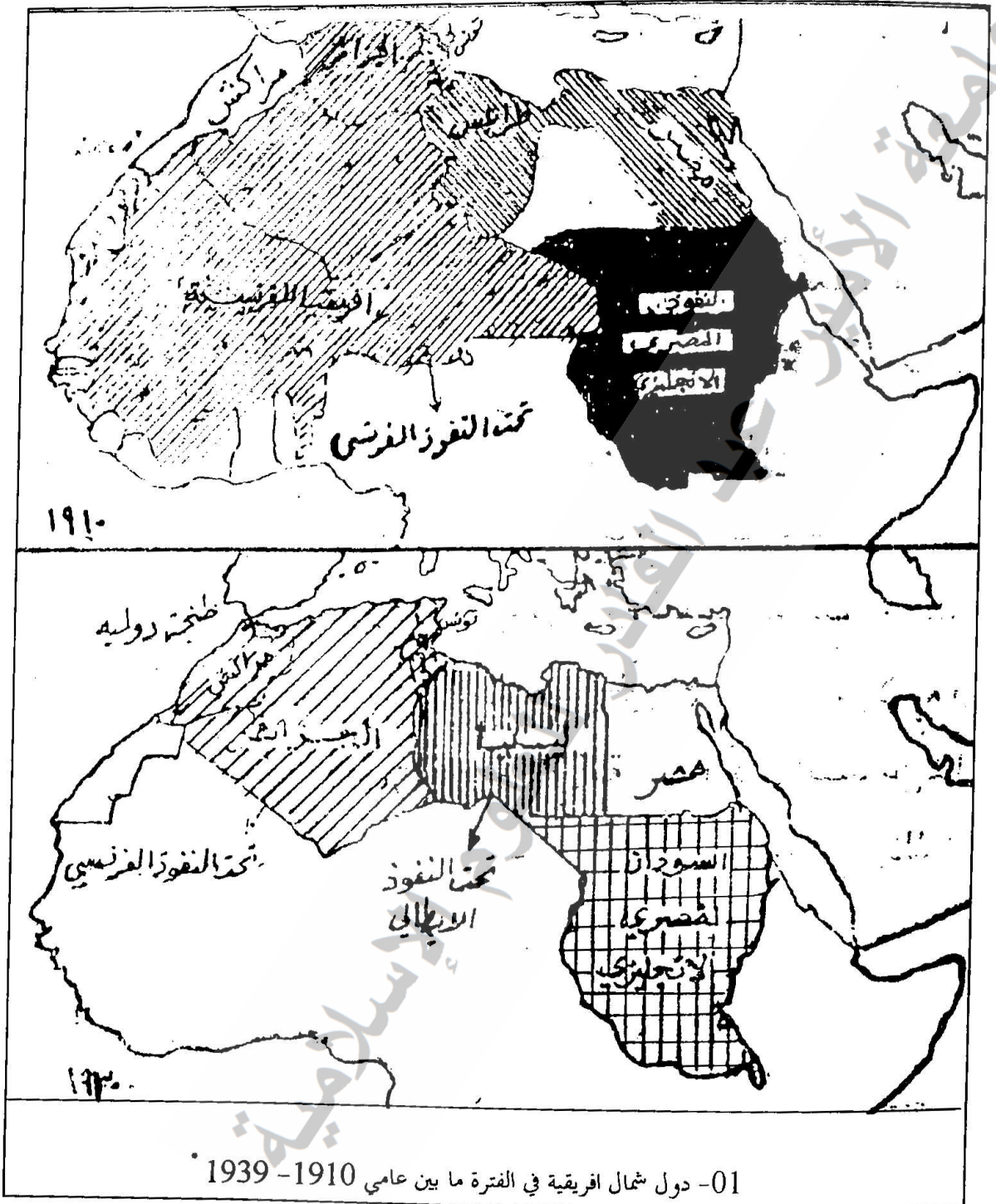
74. بن الهاشمي عبد الحفيظ بن علي بن عمر

من مواليد طولقة، درس بزواوية جده علي بن عمر، ثم التحق بجامعة الزيتونة بتونس سنة 1911م، ولما عاد إلى الجزائر بعد الحرب الكبرى الأولى ساهم في النهضة الصحفية التي كانت قسنطينة في ريادتها حيث أسس بها جريدة النجاح في نفس عام وصوله إليها وتقلّب في عدة مناصب إدارية وقضائية وتعليمية ومن أهم آثاره مجموعته الشعرية.

للاطلاع راجع: - محمد ناصر، المقالة الصحفية، ج2، ص 219.

75. الورتلاني الفضيل (1900 - 1959 م)

ولد في بني ورتلان (سطيف)، في 1930م يلتحق بقسنطينة ويتلمذ على يد الشيخ بن باديس ليُكلف في الفترة (1933 - 1934)م بالتدريس كأستاذ مساعد ثم يُنتدب سنة 1936م للتعليم بفرنسا وفي سنة 1940م يسافر إلى مصر ويلتحق بجامعة الأزهر حيث تحصل على شهادة العالمية بكلية أصول الدين، وفي 1949م أسس مكتبًا بالقاهرة لجمعية العلماء كما



* - نقلًا عن: يسري الجوهري، شمال إفريقيا، ص. 206.

المسألة التونسية. كلمة إلى السيد حسن قلاطي الإصلاحي*!

Khaled reproche à Guallati Hassène, de soutenir, Les réformes présentées par le protectorat Français en Tunisie. alors que les destouriens et le peuple tunisien luttent pour des réformes profondes, et l'accuse d'être au service du colonialisme français.

من المعلوم أن جريدة «لادبيش تونزيان» مضادة للمسلمين عمومًا والتونسيين خصوصًا فطلبها منك يا حسن قلاطي إبداء رأيك في مسألة الإصلاحات الجديدة التي منحتها الدولة الحامية للشعب التونسي دون أن تطلب أحد الدستوريين المعتبرين يدل على غرضها فيك لكونك من الشاكرين المستحسنين للإصلاحات. لقد تجاوزت والله وقاحتك الحد وما جزأوك وسياستك المخادعة إلا الصد عنك والبعد أتريد أن تُدير شؤون التونسيين وأنت لست منهم؟. أم هذا جزاء أولئك الكرام الذين أكرموا مثواك؟ الأمة كلها تلهج بلهجة واحدة طالبة الحسيّة وأنت تبدي السرور من تلك الإصلاحات الخيالية فهل بعد هذا الضلال؟ لقد انكشف عنك اليوم الستر والستار وارتكبت العار وبوعت بغضب من التونسيين ومقت من الجزائريين لأن سياستك هذه لا تُجيدك نفعًا بل تُرديك وأن أُنالئك قليلاً من متاع الحياة الدنيا حيث أنك لم تخذع إلا نفسك بكشفك عن حبيث ضميرك للناس خيب الله سعيك إذ مثلك لا يُوقف سير الشعب المتحد وقد بقيت كالغريب الذليل المنفرد وقى الله التونسيين من مكرك وجعل كيدك في نحرِكَ.

الأمير خالد

* - Emir khaled, L'Ikdam, September 1922.

- M. Kaddache, Emir khaled (D.E), P. P(146 - 147)

الملحق II - رقم 02

إحصاء الطلبة الجزائريين المرفوتين من الجامع الأعظم من أجل نشاطهم السياسي
من 1933 إلى 1939م

السنة	عددا مرفوتين أو المعرضين للتبعات	أسباب الرفت	نوع العقوبات
1933م	08 جزائريين	- تكوين لجنة الدفاع عن الإسلام - تحريض على الشغب والإضراب - الإنتماء إلى الحزب الدستوري - توزيع المنشور	- الرفت من الجامع الأعظم - الإقامة الجبرية والمراقبة الإدارية
1934م	عدد غير معروف من الجزائريين	- القيام بأنشطة دستورية أثناء حوادث سبتمبر 1934 - تكوين شعبة دستورية - التورط في حوادث المكين	- الرفت من الجامع الأعظم والإقامة الجبرية - 15 يوماً سجن (4 طلبة)
1936م	20 طالباً جزائرياً تم إجلاهم فيما بعد	- إثارة الشغب في الجامع الأعظم وفرع قفصة وفرع القيروان - القيام بنشاط في صفوف الحزب الدستوري الجديد - التحريض عن الإضراب عن الدروس - التحريض على العصيان - القيام بمظاهرة في الطريق العام (قفصة)	- الرفت من الجامع الأعظم وسكنى طلبة - الإقامة الجبرية - سجن 3 طلبة - الإقامة الجبرية - حظر الإقامة في بعض المناطق الخاضعة للرقابة المدنية
1937م	مجموعة جزائريين	- تكوين لجان طلابية والتحريض على الإضراب عن الدروس وإثارة الشغب - تكوين جمعية غير معترف بها (الشبيبة الزيتونية)	- الرفت من الجامع الأعظم ومدارس الطلبة - الإقامة الجبرية والمراقبة الإدارية
1938م	طالبين جزائريين	- المشاركة في المظاهرات - تحرير وتوزيع المنشور المحرصة على الإضراب - تعليق العلاقات والانخراط في الحزب الدستوري الجديد - الدعوة إلى التمرد	- نفس العقوبات

- مقتطفات -

- من النظام الأساسي لنجم شمال إفريقيا الشمالية الذي أقرته الجمعية العامة -

- بتاريخ 20 جوان 1926* -

- المادة الأولى: أُسس في باريس تجمع أخذ له اسماً نجم إفريقيا الشمالية. جمعية من المسلمين الجزائريين والتونسيين والمغاربة. فرع الأتروكولونيال.

- المادة الثانية: مقرها في باريس. 3 شارع باطريارش (Marché des Patriarches) (الدائرة الخامسة).

- المادة الثالثة: هدف الجمعية هو الدفاع عن المصالح المادية والمعنوية والاجتماعية لمسلمي شمال إفريقيا، وكذلك التثقيف الاجتماعي والسياسي لكافة أعضائها.

- المادة الرابعة: تعمل الجمعية ضمن إطار الأتروكولونيال ووفقاً لأهدافه. ومن واجب الجمعية توجيه مسلمي شمال إفريقيا نحو الأرضية الفرنسية لكي يعرضوا على الرأي العام تظلمات وشكاوي أهالي شمال إفريقيا.

- المادة الخامسة: تضع الجمعية بياناً بالمطالب العاجلة والموحدة لكل من الجزائر وتونس والمغرب وتسعى إلى تحقيقها بكافة الوسائل التي تملكها، وتستخدم في سبيل ذلك الصحافة والاجتماعات العامة والمصققات، والعمل النيابي، والعرائض المقدمة إلى السلطة العامة، وغير ذلك من النشاطات التي تؤدي في النهاية إلى التحرير الكامل لمسلمي شمال إفريقيا.

- المادة السادسة: إن جمعية نجم شمال إفريقيا غير محسوبة على أي حزب أو أي شخص سياسي ولكنها تُقدر موقف الفريق الذي يساند مطالبها ويُساعد على تحقيق أهدافها.

- المادة السابعة: توصي الجمعية بوحدة العمل مع التجمعات التي تمثل الطبقة العاملة والشعوب المضطهدة.

- المادة الثامنة: شكلت لجنة (تنفيذية) من 35 عضواً، تتولى تسيير شؤون الجمعية حتى انعقاد المؤتمر الأول الذي يمكنه أن يستبدلها أو يُجدد لها لمدة عام يلي انعقاد المؤتمر.

- المادة التاسعة: (العضوية) تقبل كعضو فيها كل مسلم شمال إفريقيا يُبدي رغبة بالالتزام بأنظمة الجمعية والدفاع عن برنامجها ويتقيد بانضباطها..... فالأعضاء العاملون والمتسبون يجب أن يكونوا حكماً من مسلمي شمال إفريقيا.....

- المادة الثالثة عشر: (الانتظام) يتجمع أعضاء الجمعية في قسامات محلية في كافة المدن سواء في فرنسا أو في الجزائر أو في تونس باعتبار قسمة في كل مدينة

* - Centre de documentation national , Tunis. Série :MouVement National. Dossier. ENA. Par. Chedly Khairallah, B.3.33. F2. «Statues de l'ENA, adoptes par l'assemblée générale du 20/06/1926».

أشهر الصحف التي أصدرها الجزائريون بتونس (1888 - 1921) م.*

عدد رتبي	اسم الجريدة	مديرها	تاريخ صدورها
1.	الحاضرة	علي بوشوشة	1305هـ - 1888م
2.	سبيل الرشاد	عبد العزيز الثعالبي	1313هـ - 1895م
3.	إظهار الحق	أحمد القبائلي	1322هـ - 1904م
4.	السعادة العظمى	الخضر بن حسين	1322هـ - 1904م
5.	تحقيق الأمل	البشير زروق	1323هـ - 1905م مجلة
6.	القسطاس	البشير القروي	1325هـ - 1907م
7.	المنصف	محمد الشريف المنوبي التيجاني	1325هـ - 1907م
8.	التسامح	محمد الشريف المنوبي التيجاني	1325هـ - 1907م
9.	المنبر العربي الفرنسي	بطراس لاموتيري وعزوز بن عيسى	1325هـ - 1907م
10.	بوقشة	محمد الهاشمي المكي	1326هـ - 1908م
11.	الإسلام	محمد الهاشمي المكي	1326هـ - 1908م
12.	الثريا	بن عيسى بن الشيخ أحمد	1327هـ - 1909م
13.	جحاح	بن عيسى بن الشيخ أحمد	1327هـ - 1909م
14.	التونسي	عبد العزيز الثعالبي والبشير بن عز الدين	1327هـ - 1909م
15.	الاتحاد الإسلامي	عبد العزيز الثعالبي وعلي باش حامبة	1327هـ - 1909م
16.	جحجوح	بن عيسى بن الشيخ أحمد	1329هـ - 1910م
17.	الضحك	بن عيسى بن الشيخ أحمد	1329هـ - 1910م
18.	كاركوز	الحاج الصادق بلخوجة	1329هـ - 1910م
19.	المشير	الطيب بن عيسى	1330هـ - 1911م
20.	صدى الساحل	عبد السلام القلي	1338هـ - 1920م
21.	الوزير	الطيب بن عيسى	1338هـ - 1920م
22.	لسان الشعب	البشير الخنقي	1339هـ - 1921م
23.	البرهان	حسن قلائي	1340هـ - 1921م

* نقلا عن: بن قفصية، أضواء على الصحافة التونسية (بتصرف).

مذكرة موجهة إلى مؤتمر السلام من اللجنة الجزائرية - التونسية*

في كانون الثاني (يناير) 1919، على إثر رسالة رئيس الولايات المتحدة ولسن حول حق الشعوب بتقرير مصيرها؛ وجهت لجنة جزائرية - تونسية مذكرة إلى مؤتمر السلام الملتم في فرساي من أجل تصفية المشاكل المنبثقة عن الحرب العالمية الأولى حيث تطالب بالاستقلال للجزائر وتونس.

نص المذكرة: « لقد حُرّم شعبنا الذي كان يتمتع باستقلاله الأكمل، من حقوقه وحرياته؛ كما في الجزائر أُقيم في تونس نظام ظلم وإرهاب وحُرّم الشعب من ضمانات قانونية..

وحدها القوة الوحشية تفرض هذا النظام الحديدي على شعب صغير! إذ أن الشعب الجزائري-التونسي لم يرضخ للسيطرة الفرنسية قط. له حضارته الخاصة وما من شيء مشترك بينه وبين الفرنسيين، وقد ناضل من أجل استقلاله في المقاطعات، وساعد سكان مقاطعة تونس الجزائريين في الدفاع عن أرضهم، وبعد الاحتلال كثيرون هم الجزائريون الذين هاجروا إلى تونس، وسنة 1881م حملوا السلاح مع إخوانهم التونسيين لمحاربة الفرنسيين؛ وسقط الشعب الجزائري-التونسي حاملاً سلاحه، وأخضع بالقوة ولكنه لم يستسلم، لم يتخلّ عن استقلاله لأنه لم يتوقف قط عن الاعتراض الفعلي ضد النير الأجنبي عبر انتفاضات وحركات تمرد... لسوء الحظ! ليس فقط أن الحكومة الفرنسية لا تعترف للشعب الجزائري-التونسي بحق التصرف بحرية بمصيره في المستقبل؛ بل تُحافظ كذلك على نظام التعسف والعنف والاعتصاب الذي فرضته عليه منذ الاحتلال، إجمالاً تنوي الحكومة الفرنسية مواصلة حرماننا من حقوقنا الأكثر شرعية، باسم حق الاحتلال والقوة الوحشية وحدها!.

يجب أن ينتهي هذا الوضع ويجب تحرير شعوب شمال أفريقيا من الهيمنة التي أقامتها وتُحافظ عليها القوة الوحشية وحدها!.

ولقد بذل الشعب الجزائري-التونسي دمه بغزارة في هذه الحرب وساهم في تحرير البلدان المحتاجة في فرنسا وبلجيكا وفي تحرير شعوب مهبورة، أليس من العدل رفع القهر عنه وتحريره من سيطرة القوة! فقد شارك منذ اليوم الأول في الحرب العالمية وله الحق في المشاركة بالسلام، هل من العدل منعه من إرسال مندوبين إلى مؤتمر السلام للمطالبة بتحرير نفسه فيما الذين ساعدتهم على استرجاع استقلالهم من صربيين وبولونيين وتشيكوسلوفاكيين ويوغسلاف... الخ... ممثلين في هذا المؤتمر.

إن الشعب الجزائري-التونسي يطالب باستقلاله التام، وهو يُنادي بالضمير العالمي كي يعترف له بحق التصرف بحرية بمصيره ويعلم لمطالبه المشروعة مؤتمر السلام الذي سينعقد بعد بضعة أيام لتعديل خريطة الكون وصياغة مبادئ جديدة لضمان حقوق الإنسان والشعوب...».

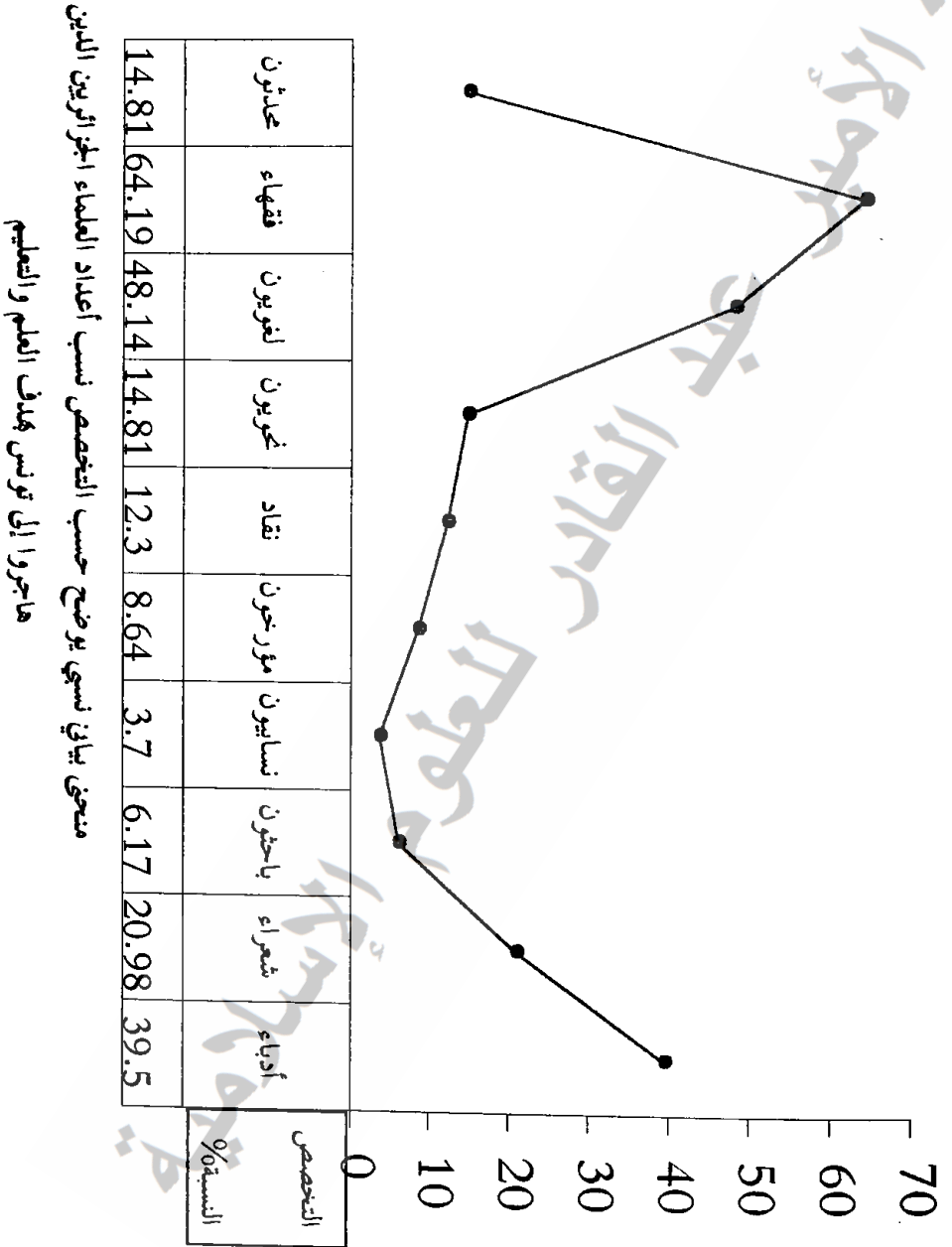
توقيع: - الشيخ صالح الشريف (جزائري) - محمد الخضر بن الحسين (جزائري) - محمد باش حامية (تونسي)

- محمد مزيان تلمساني (جزائري) - حمدان بن علي (جزائري) - محمد برباز (جزائري)

- محمد الشبيبي (جزائري)

* - C.D.N.T (Centre de documentation national , Tunis. Série :Mouvemente National. Dossier. Mohamed Bach-Hamba. B1.28. Doc N:°56 / et la Paix in la revue du "Magreb" du 9 & 12/1918, in l'action tunisienne du 20/02/1968.

1/ العلماء الجزائريون في تونس حسب إختصاصهم
في الفترة من ق (3 - 14) هـ - إلى ق (9 - 20) م




الفكرة عن: عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية والإسلامية. ص 120.

الأدباء التونسيون في جريدة الفاروق الجزائرية* (نموذج للتبادل الصحفي)

عدد 10/ ماي 1913م	- الصحر يمشي (شعر)	- صالح السويسي
عدد 14/ ماي 1913م	- آية للسائلين (شعر) «وفيها ثناء على جريدة الفاروق وصاحبها عمر بن قدير الجزائري»	- إبراهيم بن شعبان
عدد 15/ جوان 1913م	- بريد الإسلام تونس	- أبو الوفاء
عدد 16/ جوان 1913م	- تقدم ذا البساط	- صالح السويسي
عدد 20/ جويلية 1913م	- بني الدين (شعر)	- صالح بن علي النجار
عدد 24/ أوت 1913م	- صيامنا وصيامهم (شعر)	- صالح السويسي
عدد 27/ أوت 1913م	- وداع رمضان (شعر)	- صالح السويسي
عدد 28/ سبتمبر 1913م	- العيد (شعر)	- صالح السويسي
عدد 45/ جانفي 1914م	- تفاقم خطر البدع في القطر التونسي	- حسين الجزائري
عدد 47/ فيفري 1914م	- دمعة على الشعور	- حسين الجزائري
عدد 48/ فيفري 1914م	- كيف سادوا بالعلم وشقينا بالجهل	- حسين الجزائري
عدد 50/ فيفري 1914م	- المرأة التونسية تعليمها، رفع الحجاب عنها	- حسين الجزائري
عدد 64/ جوان 1914م	- جوق الشيخ سلامة حجازي في تونس	- حسين الجزائري
عدد 66/ جوان 1914م	- تونس السعادة (شعر)	- حسين الجزائري
عدد 70/ جويلية 1914م	- تعهدوا روض العلوم (شعر)	- إبراهيم بن شعبان
عدد 71/ جويلية 1914م	- تقاليدنا في المحازي	- حسين الجزائري
عدد 72/ أوت 1914م	- بئس ما يقذفون	- حسين الجزائري
عدد 73/ أوت 1914م	- واعظ المنام أحقائق أم أحلام	- حسين الجزائري
عدد 75/ أوت 1914م	- الغيرة	- حسين الجزائري
عدد 84/ أكتوبر 1914م	- حديثي مع الخيال. هل أنت قارئ؟	- حسين الجزائري
عدد 85/ أكتوبر 1914م	- قلب يتعذب وآخر يتنعم	- حسين الجزائري
عدد 86/ نوفمبر 1914م	- رعوا عواطف بناتكم	- حسين الجزائري
عدد 89/ ديسمبر 1914م	- ما أشقاك يا صاحب القلم	- حسين الجزائري
عدد 91/ ديسمبر 1914م	- اللغة العربية ورجالها	- إبراهيم بن شعبان

* خرفي، في رحاب المغرب العربي، ص. ص (99 - 101).



جريدة (سبيل الرشاد)

Sabil al-Rashad

Journal de l'Éducation, de la Culture et de la Vie

مركز النشر: دار الرشاد، حي الرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية

العدد 10 - سنة 1401 هـ

الطبعة: 10 - سنة 1401 هـ

إدارة: سبيل الرشاد، حي الرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية

رأس مال: 100000 ريال سعودي

الرقم 12 مارس سنة 1401

Directeur et Rédacteur en Chef: MOHAMMED ABU EL AHSAN SYHABU

تم إصدارها لأول مرة في 12 مارس سنة 1401

تحت إشراف: العالم الإسلامي بعيد
النظر المبارك

أصدرها: الشيخ عبد العزيز آل سعود، سنة 1401 م.

دياجة جريدة (سبيل الرشاد)

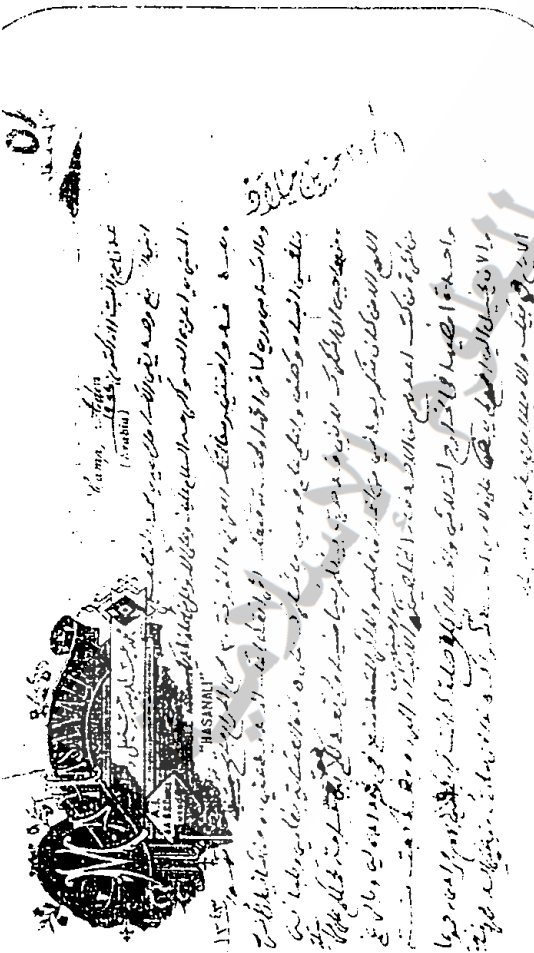
صاحب امتيازها ومديرها السياسي (محمد عبد العزيز آل سعود)

* أصدرها: الشيخ عبد العزيز آل سعود، سنة 1401 م.

نص القصاصة المصورة من رسالة
(التعليبي) إلى (المستوري)

عدن يوم السبت 11 أكتوبر 1924
ابني النايف وصديقي محمد المنصف المستوري. أعزه الله
وأكرم.

السلام عليك وعلى أهلك وكل من شمله نديك.
ويعد. فقد وافقتي رسالتك العزيزة المؤرخة 30 محرم الحرام فاتح
شهور 1343. وما أشد سروري لما قرأتها. ولحمت توقيعك إثر
لقطاعك العديد عتي. ومن ثنائي أن لا أسرّ بقلبي أبناء وطني، وأعلم
علم قومي. فأشكرك على هذه العناية بقلبي وبلساني، ومن واجبي أن
أشكرك، لأنني قد صرت بينكم نسبيًا منسبًا. ولم تعد لكم بي حاجة
تحصلكم على مراسلتني. اللهم إلا من كان منكم يورثني من أعصاق قلبه.
ولا أثر للتصنع في وداده لي. وبالرغم من كثرة من كنتك أهدم من
الأصدقاء المخلصين، وأحسبهم من الأبناء البررة، فقد كنتك سنة واحدة
أمضيتها في الخارج، فتلاشي وانحلال كل صلة كانت تربطني بهم،
فرادي وجموعًا. وإن يخيل إليّ أنه لم يبق علي ولاي أحد منهم
سواك. هذا إن سلمت من غير الدهر ومناسبة (أو مناسبه)؟ الأيم
فيك، وإلا فلا أمل يبقى ولا رجاء.



مستهل الرسالة التي وجهها (التعليبي) إلى (محمد منصف المستوري) والتي اقتطفنا منها (كلمة الغلاف) والرسالة بتاريخ
(11) أكتوبر (1924) من عدن وهي حافلة بمعاناة (التعليبي) العنوية والمادية بعد خروجه من تونس

Autour de la Délégalion Parisienne
au Congrès Musulim d'Alger

ALERTE AU PEUPLE ALGERIEN !

Un Comité a l'honneur d'adresser aux Musulmans d'Algérie et de l'extérieur, et de leur offrir, par l'intermédiaire de leur délégalion, les salutations fraternelles de la Délégalion Parisienne au Congrès Musulim d'Alger.

Cette délégalion n'a aucun caractère public, ni aucune mission pour parler au nom de la Colonie Algérienne de Paris et de la Banlieue, se composant de 80 000 habitants.

Pour servir la vérité nous donnons un aperçu de ce qui s'est passé : la petite comité de famille s'est réunie, composée de 3 personnes dont un commerçant et quelques autres personnes et les délégués au Congrès de Paris ont été nommés par le Comité d'Alger. Ils ont voté, entr'eux sans se consulter le public, ce procédé est déloyal, ils ont ainsi abusé de la confiance de l'autorité.

Nous mettons au garde nos frères musulmans de l'Algérie et de Paris contre les agissements de cette délégalion qui a pour but de créer le désaccord dans le Congrès Musulim d'Alger.

Nous fritions nos compatriotes Amar BACHOUCHE, Publiaris à Paris, de sa vigoureuse protestation et son refus de ce comité.

Vous êtes invités à participer au Congrès Musulim d'Alger, à Paris, le 26 Juin 1936, à 20 heures, à la Salle de la Mutualité, 24, Rue St-Victor (Métro: Madeleine).

Vous êtes invités à assister en masse au Congrès Populaire et Conférencier, qui se tiendra prochainement à la Salle Wagram (Métro: Foch), sous les auspices du Comité de l'Union et de l'Action Musulim Algériennes.

LE COMITÉ

Dites-le en brief, vous renforcez service au Peuple Algérien !

مكتب حزب الشعب الجزائري يبارك في البعثة الباريسية التي حضرت اجتماع الدائم للإسلام العالمي (1936).

01- منشور لحزب الشعب الجزائري بهاجم فيه البعثة الباريسية التي حضرت اجتماع المؤتمر الإسلامي الجزائري (1937)

حضرت اجتماع المؤتمر الإسلامي الجزائري (1937)



Association Nord-Africaine

Association pour la défense
des Peuples colonisés

ORGANISME AVEC LE CONCOURS
DES REPRESENTANTS DES PEUPLES OPPRIMÉS

un GRAND MEETING qui aura lieu

le VENDREDI 26 JUIN à 20 h. 30

à la Salle de la Mutualité, 24, Rue St-Victor (Métro: Madeleine).

Dans ce meeting les orateurs qualifiés prendront la parole pour exposer les revendications des populations qu'ils représentent, au Peuple de France et au Congrès Populaire.

Il importe donc que les Algériens, les Tunisiens, les Marocains, les Syriens, les Noirs de l'Afrique et des Antilles, les Indochinois, viennent en masse pour assister devant le Peuple de France leurs représentants et démontrer au gouvernement de la République leur désir ardent de voir se réaliser, enfin, leurs revendications.

ORATEURS

ABIB BOURBOURA, le Chef du Parti des Peuples Opprimés de la Colonisation de l'Algérie.

MESSALI MADA, Président de l'Union Nord-Africaine.

Un Orateur du Parti Nationaliste Syrien.

EL MOHRABEL, du Parti National marocain.

Un Orateur du Parti Radical.

Un Orateur de l'Afrique noire.

N'OUVEN, Indochinois.

BOINEUF, Antillais.

Un Orateur du Parti Radical.

Un Orateur de l'Afrique noire.

Un Orateur de l'Afrique noire.

Un Orateur de l'Afrique noire.

02- دعوة موجهة من النجم وجمعية الدفاع عن الشعوب المستعمرة لحضور مهرجان خطابي (1936)

مهرجان خطابي (1936)

هتضة جزائرية بالحاضرة التونسية

« إن الشعور الوطني إذا أفعم القلوب، لابد أن تظهر ثمراته في الأعمال حتى تبلغ به الأمم غاية الكمال، فهو كالماء تحت الجماد، لابد أن ينبعث فتشقق له الحجارة، وتتفجر منه الأنهار. وهاهم أولاء إخوتنا الميزابية، سرى فيهم شعور صحيح، فولعوا بالتقدم، فأخذوا يتمسكون بأسبابه يجد واجتهاد، وأخذوا في طريق التجارة حتى ملكوا أزمتهما، وصاروا العضد القوي الإسلامي بالجزائر فيها. وهاهم اليوم يسعون في طريق العلم، ويرحلون في طلبه، وأخلق بهم أن ينالوا منه ما يريدون...».

عبد الحميد بن باديس

الملحق II - رقم 15

كلمة الشيخ عبد العزيز الثعالبي إلى الشعب التونسي إزاء حملة الصحف الاستعمارية الأثيمة*

(هذا أول مقال خطته أنامل الزعيم الأكبر بعد قدومه لتونس العزيزة. نقلناه عن جريدة (العمل) الدستورية لأن آلام الشمال الإفريقي وآماله واحدة، فكلمة الزعيم هي للأفارقة كلهم ولبسائهم أجمعين) مجلة (الشهاب) الجزائرية.

يلوح لي مما تظالنا به الصحف الاستعمارية أن بعض كتابها المغالين في الدعوة إلى سياسة التفوق الإفريقي في تونس لم يرزقوا حظاً من التهذيب الراقي العالمي، وكأنهم من بقايا عهد الصيادين الذي يعتمد فيه المرء على قوسه ونشابهه وقبضته الحديدية التي يضعها في مخانق طرائده، لا هم لهم إلا إذكاء الشر وإيقاد الفتنة والبغضاء في صدور مواطنيهم الوديعين من الإفريسيين حفاد الثورة الكبرى ثورة الحق على الطغيان ليمثلوا لنا فرنسا الكريمة في صورة كاسر يريد أن ينقض على أفراخ وديعة زغب الحواصل، ونحن نعرف فرنسا في صورتها الحقيقية الماثلة لنا في عبقريتها ونظامها وجامعاتها ومبائدها، ولا نريد أن نعرف إليها من هوج النازحين الذين لا يمتون لها بصلة إلا من طريق الاسترزاق واستخدام سمعتها ونفوذها المناهضة الأمة التونسية العيوفة التي تريد أن تعيش في بلادها آمنة مطمئنة على ذاتيتها بجهودها وموابها بل يعيشون كلاً على الغير بوسائل الظلم والإرهاق، تلك المعيشة المقيتة التي يتحاشاها الرجل الأثيل، ورهط هذا شأنه لا يشغل بال التونسيين، ولا يقض مضاجعهم بل يقلق راحة فرنسا ويقض مضاجع رجالها العالمين الذين انتدجهم لإفريقيا الشمالية وغيرها وأناطت بكفاءتهم تحقيق مبادئ السلام والرفاه في هذه البلاد فهم لا ينفكون عن إلقاء العثرات في سبيلهم لكي يصدوهم عن تحقيق الرغبات الشريفة التي تنشر صيت فرنسا في العالم وتثبت بالدلائل القطعية بأنها معلمة الشعوب حقاً ومذكية روح الاستقلال في جميع

* نشر في: الشهاب، ج6، مج13، جمادى الثانية 1356هـ / أوت 1937م.

الممالك التي مرت بها واتصلت بشعوبها على قواعد الحق العام الدولي والمعاهدات الصريحة التي توثق العلائق بين الدول والأمم لا تلك الإتفاقيات الخادعة التي مبنها استرهاب الفرد الضعيف بقوة السيف والنار والجند الراسد للكفاح - فهذه الإتفاقيات وإن كانت غير مبررة في ذاتها لكنها قد تغم على الإنسان وتربكه في وقت من الأوقات وقد يبدو منه الإقنياد لها فيستسلم أمامها مقهوراً ولكنه يبقى له حق الشكوى والتذمر والمطالبة بتغييرها وهو حق طبيعي لكل إنسان وفي المثل «ما ضاع حق وراه طالب».

ومهما كانت نوايا رهط المرتزقة من الكتاب الإستعماريين الذين ينفثون روح العدا بين عناصر السكان هذه البلاد ويحاولون تشويه مقاصد التونسيين في المطالبة بحقوقهم كاملة ذات كيان دولي وحدود مصانة وجنسية، فإنني لا أشك بأنه يوجد في فرنسا جمهور عظيم من العقال النصفين يعملون لإنصاف الأمم من أنفسهم ويهتمهم كثيراً أن يبيضوا صحائف تاريخهم السياسي لا بأقلام كتابهم لا بل بأقلام الكتاب التونسيين يدوتونه بأسطار من النور على صدر الشعب التونسي لا على الأوراق.

ومن الهين على أية حكومة توجد في فرنسا أن تنظر في هذا الجوهر السامي من العظمة الخالدة فتضرب على أيدي الدسائين من دعاة التفوق وما هم إلا دعاة المهزومة والتعويق الذين يخدمون مصالح أفراد من الأنايين لا مصلحة فرنسا الكبرى التي يجب أن تسير مع الإسلام جنباً إلى جنب على مبادئ التحرير والسلام في شمال إفريقيا.

الملحق II - رقم 16

التجنس والتوبة منه*

بسم الله الرحمن الرحيم، وصل الله على محمد وآله
التجنس بجنسية غير إسلامية يقتضي رفض أحكام الشريعة، ومن رفض حكماً واحداً من أحكام الإسلام
عد مرتداً عن الإسلام بالاجماع.

والتجنس - بحكم القانون الفرنسي - يجري تجنسه على نسله، فيكون قد جنى عليهم بإخراجهم
من حظيرة الإسلام، وتلك الجناية من شر الظلم وأقبحه، وأثمها متجدد عليه ما بقي له نسل في الدنيا خارجاً
عن شريعة الإسلام بسبب جنائته.

فإذا أراد المتجنس أن يتوب فلا بد لتوبته من إقلاع، كما هو الشرط اللازم بالاجماع، في كل توبة، وإقلاعه
لا يكون إلا برجوعه للشريعة الإسلامية.

ولما كان القانون الفرنسي يبقى جارياً عليه رغم ما يقول هو في رجوعه، وإقلاعه لا يتحقق عندنا في ظاهر
حاله، وهو الذي تجري عليه الأحكام بحجسه، إلا إذا فارق البلاد التي يأخذ فيها ذلك القانون إلى بلاد تجري عليه
فيها الشريعة الإسلامية.

* البصائر، العدد 95، السنة 03. جانفي 1938م.

الملحق الثاني ----- وثائق ومقالات

قد يكون صادقا في ندمه فيما بينه وبين الله، ولكننا نحن في الظاهر الذي أمرنا باعتباره في إجراء الأحكام، لا يمكننا أن نصدقوه وهو ما يزال ملابسا لما ارتد من أجله من أحكام تلك الجنسية، ولهذا لا تقبل توبته ولا تجزي عليه أحكام المسلمين.

والذي يقع عليه القضاء بحكم يتحقق أنه حكم الشريعة الإسلامية فيسعى في نقضه بحكم من غيرها، هو برفضه لذلك الحكم وطلبه لغيره مرتد عن الإسلام.

وتوبة هذا بإقلاعه عن طلب الحكم الآخر أو بتنفيذه لحكم الإسلام إن كان غيره قد وقع. ومن جعل (التيسطاما) ومن قسمة ماله بين من يشاء بعد موته على غير القسم الإسلامي رافضا للحكم الإسلامي... فهو مرتد على الإسلام وتوبته بإبطال (التيسطاما) ورجوعه إلى حكم الإسلام. ومن تزوج بامرأة من جنسية غير إسلامية فقد ورط نسله في الخروج من حظيرة الشريعة الإسلامية، فإن كان راضيا لهم ذلك ومختارا له على بقائه في حظيرة الشريعة الإسلامية فهو مرتد عن الإسلام، جان عليهم، ظالم لهم، وإن كان غير راض لهم بذلك ولا مختارا لهم ذلك على شريعة الإسلام، وإنما غلبته شهوته على ذلك الزواج، فهو آثم بجنايته عليهم وظلمه لهم، لا يخلصه من إثمه العظيم إلا إنقاذهم مما أوقعهم فيه بهجرته بهم. (توضيح) :

ما أكثر ما سئلنا عن هذه المسألة العظيمة وطلب منا الجواب عنها على صفحات البصائر، ومنهم حضرة رئيس المتجنسين بتونس الأستاذ التركي وبعثنا له مرتين بكتابين مطولين، فأدينا الواجب الديني بهذه الكتابة ونحن مع ذلك نحترم كل ذي رأي في رأيه وكل ذي جنس في جنسه، ونقدر لكل ذي قيمة قيمته، ونعلم أن في أبناء الجزائر ممن رفضوا جنسيتها ولم يقتصروا في خدمتها نادمين على ما فرطوا، وما كنا لهم ناسين. والعلم عند الله. قاله وكتبه خدام العلم وأهله:

عبد الحميد بن باديس

الملحق II - رقم 17

رسالة من متجنسي تونس

سيدي التحرير العالم العامل الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين بين بقسنطينة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد، فلقد قرأت بجريدة «البصائر» الغراء فتواكم في مسألة التجنس وغيرها ولقد سررتني كثيرا صراحتكم المعهودة وإبداؤكم حكم الله فيما وقع استفتاؤكم فيه وذلك شأن العالم بعلمه والذي لا يخشى في الله لومه لائم ولا يكتف ما علمه الله من كل سائل يريد حكم الله سؤاله خلافا لبعض علمائنا بتونس الذي آثروا الخنوع للسلطة المحلية وحب الدنيا عن الآخرة ولم يخافوا وعيد الله ورسوله لمن يكتف ما علمه الله عن المؤمنين ورضوا بأن يلجموا بلجام من النار خيرا من أن يغضبوا سيدهم ظنا منهم أن حياتهم ورزقهم متوقفان على رضاه.

أرى نفسي من أية الشكر من مسألتنا التي أصبحت أعقد من ذنب الضب لما أحدثته من مشاكل الدولية في نظر المستعمرين لان باعترافهم بأحقية مطالبنا في الرجوع إلى جنسيتنا المحبوبة اعترافا منهم بوجود الجنسية التونسية وهذا ما لا يرضونه ولن يعترفوا به ما دام علماءنا التونسيون في صمم عن إجابة سؤالاتنا المتكررة ووفودنا المستمرة في إبداء حكم الله في مسألتنا وهم عنا لاهون، وبوجودنا لا يشعرون، كأن نكن بعضنا منهم كان اتبع هوى النفس فيما مضى وزاغ عن الهوى وأراد الآن الرجوع إلى الحق وسواء السبيل مع أن الإسلام قد أمر في الحالة بالتحريض على التسامح بالنسبة لمن لم يكن له أصل ثبت في الإسلام وثبت بالسبب فضلا على هذا وأن تقاسعهم عن الإجابة أن لم أقل تصریحهم بما علمهم الله قد جر على المتوظفين منا الويل والثبور وعظائم الأمور فقد نظرت الإدارة، للمتوظفين منا نظر العدو البغيض الذي وجوده بالحاضر وسعيه المتواصل للحصول على التصريح من الهيئة الشرعية بتونس، إخراجا لمركزها فعمدت أخيرا إلى وسائل الضغط والإرهاق فأبعدت رئيس جمعيتنا الفاضل الأستاذ السيد محمد الصالح التركي وعينته بمحكمة الكاف بعد أن كان مترجما بالإدارة المركزية للوزارة

للمتراكيب ولم تعتبر ما لهذا المتوظف من الخدمات السابقة لبث الثقافة الفرنسية في المكاتب السلطانية ومدارس ترشيح المعلمين بالممالك العثمانية مدة تزيد عن أربعة عشر عاما الأمر الذي استوجبت تقليده الصنف الأعلى من وسام العلوم والمعارف نعم ارتكبت الإدارة هاته المخالفات بعدم احترامها للقوانين ظنا منها أن بإبعاد الأستاذ محمد الصالح التركي على الكاف إضعافا لنشاط جمعيتنا وراحة لعلمائنا الإعلام المعبر عنهم (كذا). بمصايح الظلام وهم قد تركونا في عمى عن الهداية ولم ينيروا لنا مصايح الإسلام في طريقنا التي ناشدناهم بتعاليمها أن يعلمونا بحكم الله في قضيتنا.

وبالآخر فبلسان جمعيتنا نتقدم إليكم حاملين على كواهلنا شواهد الشكر والامتنان على تصریحكم بالحقيقة وإبدائكم ما علمتم من تعاليم الإسلام وأن جميع معتنقيه يقدرون جمعيتهم العاملة وطأة الاستعمار في هذا الشمال المنكوب.

ولا بد أن جل جلاله يثبت لكم أقدامكم ويمدكم بروح منه والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

عن جمعية المسلمين التونسيين المتجنسين بالفرنساوية

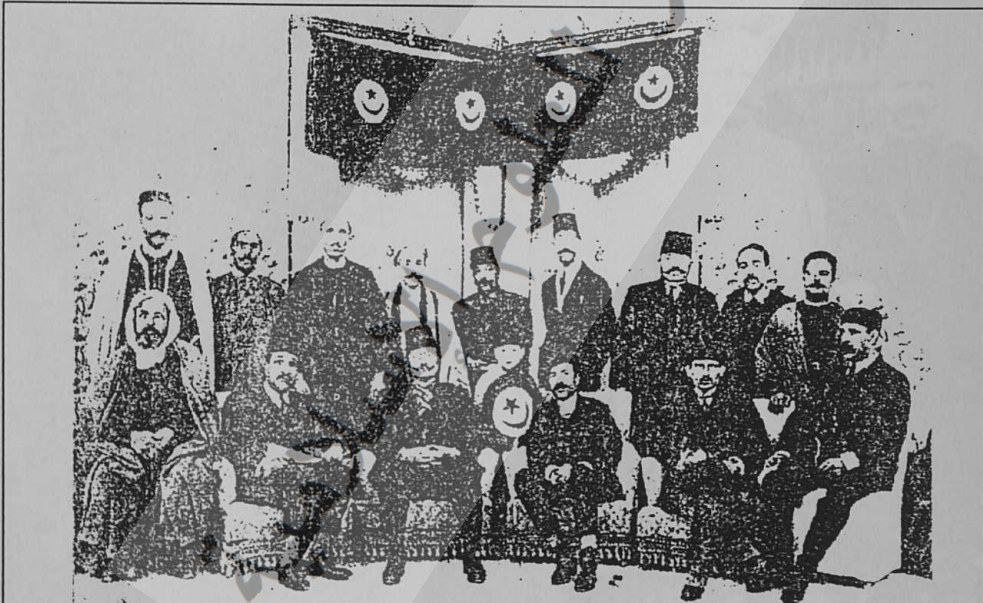
الراغبين في الرجوع للجنسية التونسية

(الكاف) : ضياء نوري



01 - الوفد التونسي للحزب الدستوري بقيادة لوسيان سان ممثل فرنسا بتونس

من الشمال إلى اليمين: علي القرقوري، أحمد السلامي، أحمد الصافي، سليمان الجادوي صاحب «مرشد الأمة»، حمودة الخماسي. ثم محمد الجعابي صاحب «الصواب»، علي كاهية، أحمد سلامة، الطيب بن عيسى صاحب «الوزير»، راجح إبراهيم، أحمد توفيق المدني، صالح فرحات، محمد الصالح ختاش، الشاذلي المورالي صاحب «المنير».



02 - بمناسبة سفر الوفد الثالث لباريس الجالسون من اليمين إلى اليسار:

1- الشاذلي خزنة دار. 2- أحمد توفيق المدني. 3- الطيب جميل. 4- أحمد الصافي. 5- صالح فرحات. 6- الشيخ صالح بن يحيى. الواقفون: 7- زين العابدين السنوسي. 8- محمد الجعابي. 9- حسين الجزيري. 10- الطاهر آغا. 11- علي بوكرداغة. 12- عبد الرحمان يعلاوي. 13- محي الدين القليبي.



02- الوسط: محمد الغميري

اليمن: توفيق المدني

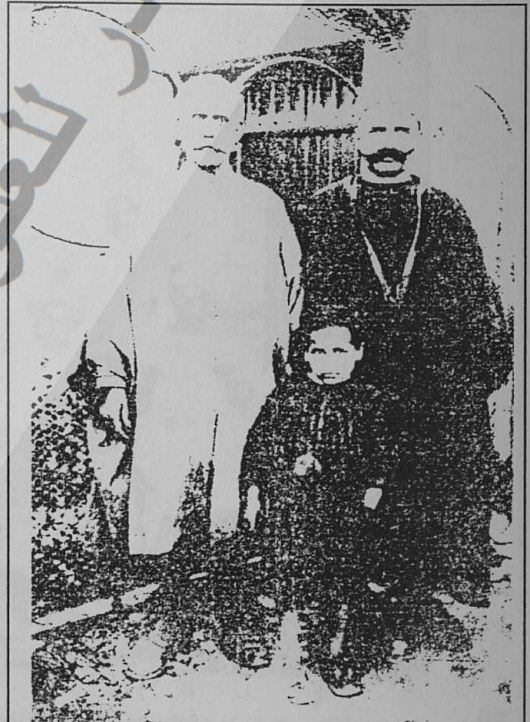
اليسار: الطاهر بن سالم



01- من اليمين: علي بن الحارث بطل المهديّة



04- الشيخ عبد العزيز الثعالبي



03- علي اليمين: حمودة بن ميهوب

(زعيم الأحرار بمدينة ماطر)



02- صورة أثرية لزيارة المصلح الإسلامي العظيم المرحوم الشيخ محمد عبده، سنة 1903 لمدينة الجزائر، وإلى جانبه العلامة الشيخ عبد الحليم ابن سماية.

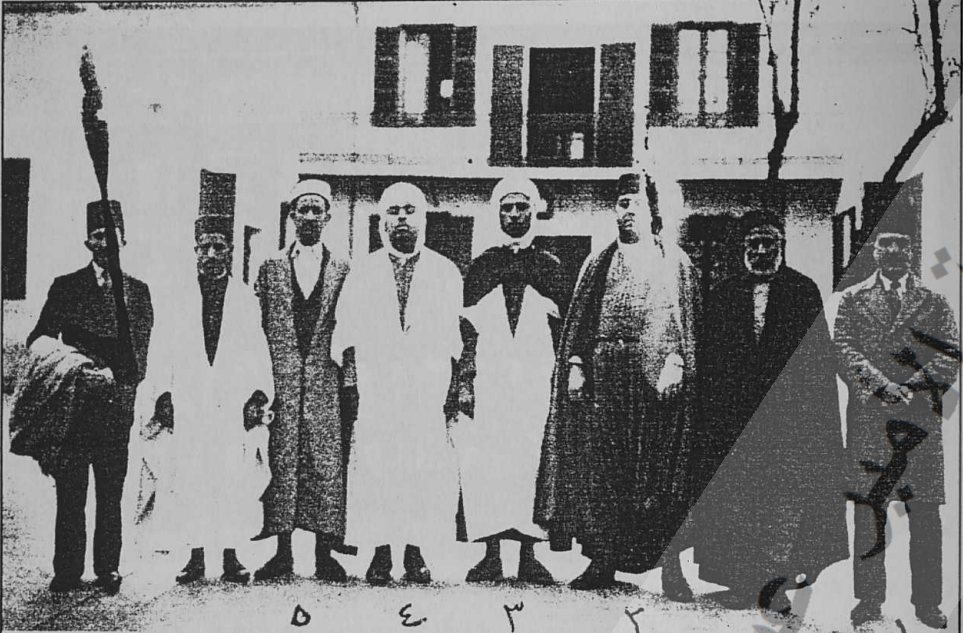


01- المدين رفقة الكاتب التونسي الشاذلي خير الله واقف إلى جنبه.



03 - من أعضاء اجلس الاول جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشيوخ: 1- عبد الحميد بن باديس. 2- محمد البشير الإبراهيمي. 3- مبارك الملي. 4- العربي تيسي. 5- إبراهيم أبو اليقطان. 6- الأمين العمودي. 7- يحيى حمودي. 8- محمد خير الدين. 9- الطيب العقي. 10- السعيد الزاهري

- نقلا عن: المدين، مذكرات، ج2.



01- بعض أقطاب التعليم العربي الإسلامي بالعاصمة الجزائرية: 1- المرحوم الرشيد بطحوش أحد أقطاب العاملين.
2- المؤرخ الجزائري الكبير العلامة عبد الرحمن الجيلالي. 3- الشاعر الجزائري العملاق الشيخ محمد العيد آل خليفة.
4- المرحوم الشيخ فرحات الدراجي. 5- الأستاذ باعزيز بن عمر صاحب الإمضاء المستعار «الفتي الزواوي».¹



03- الشيخ الخضر في زيارة اللواء محمد نجيب عقب توليه
- في عهده - مشيخة الأزهر³



02- صورة تذكارية بين الزعيمين أثناء زيارة الشيخ بن باديس لتونس
مناسبة عودة الشيخ الثعالبي من المشرق في جويلية 1937م.²

¹ نقلا عن: المدني، مذكرات، ج2.

² نقلا عن: محمد الطاهر فضلاء، دعائم النهضة، ص152.

³ نقلا عن: محمد كرو، الشيخ الخضر، ص37.



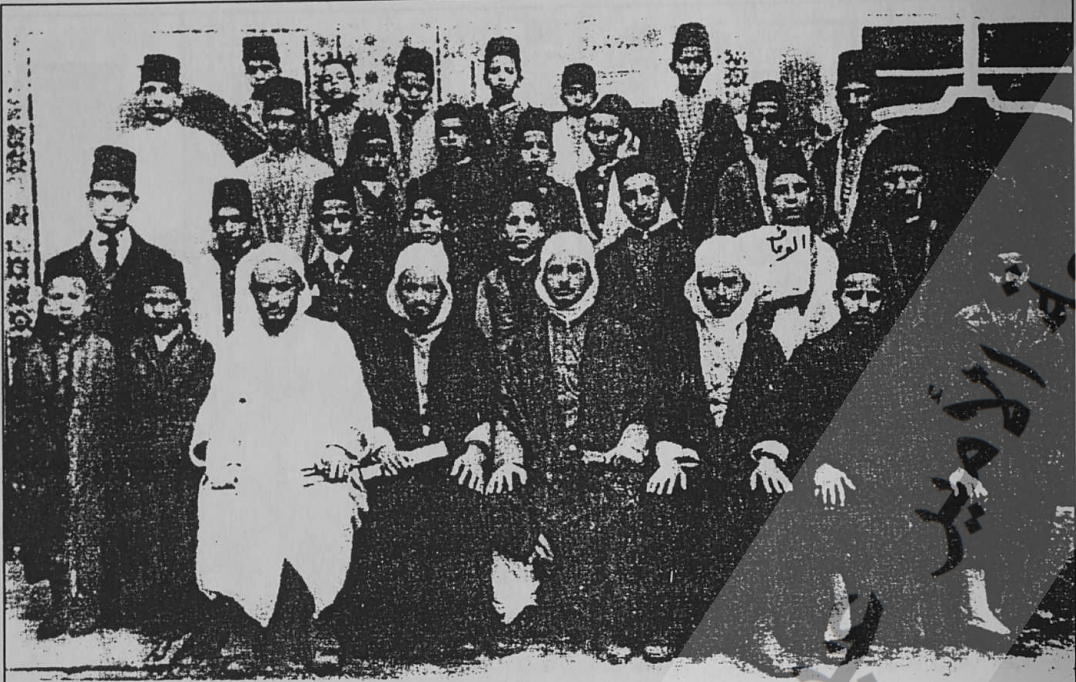
01- المجلس الإداري الأول لجمعية الشبان المسلمين يتوسط الجالسين رئيس الجمعية الأستاذ عبد الحميد بن سعيد، وعن يمينه الشيخ الحضرمي العلامة أحمد تيمور، وعن يساره الشيخ عبد العزيز جاويش ثم محب الدين الخطيب¹



02- أخذت هذه الصورة لاجتماع وفد المؤتمر الجزائري بعد رجوعه من باريس لتقدم مطالب الجزائريين في الملعب البلدي بريسو- شهر أوت 1936 ويظهر فيه الشيخ عبد الرحمان بن عمر وبجانبه الكاتب عدون ممثل جريدة الأمة.²

¹ نقلاً عن: محمد كرو، الشيخ الحضرمي، ص.33.

² نقلاً عن: النوري، نبذة عن حياة وادي ميزاب، ص.402.

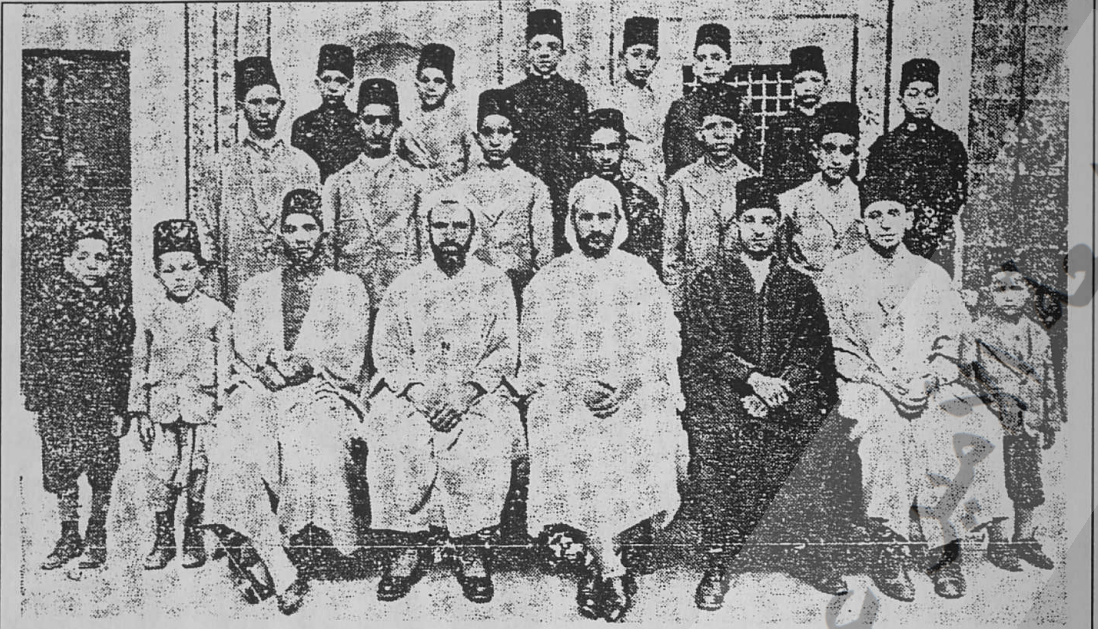


01- تمثل هذه الصورة البعثة العلمية الميزابية بتونس في سنة 1924م، ويُرى مفدي زكريا يحمل جريدة الوفاق

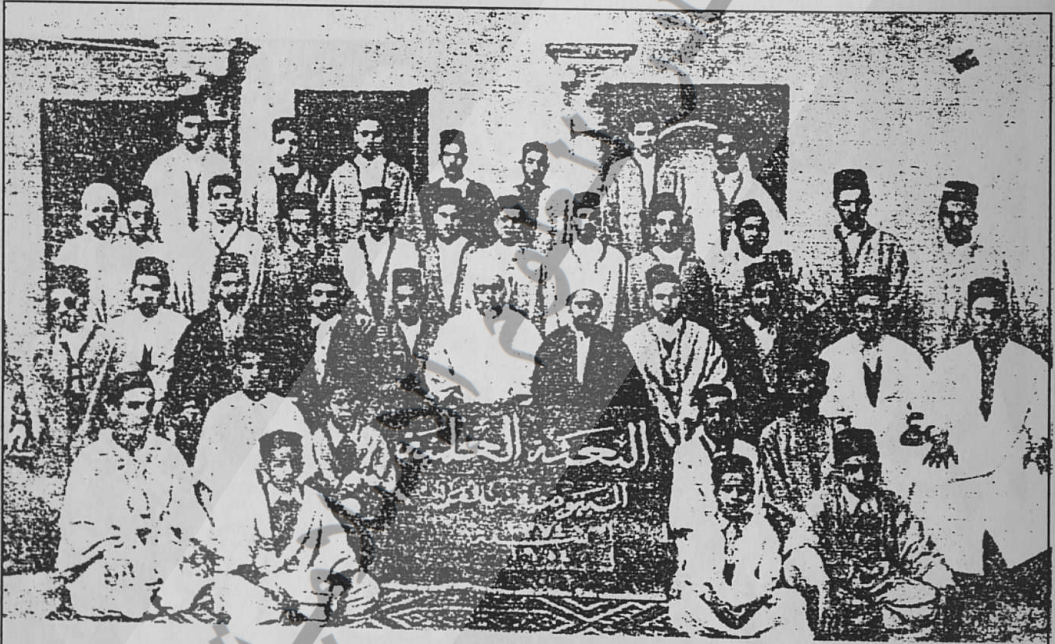


02- البعثة العلمية الميزابية في تونس في سنة 1926م

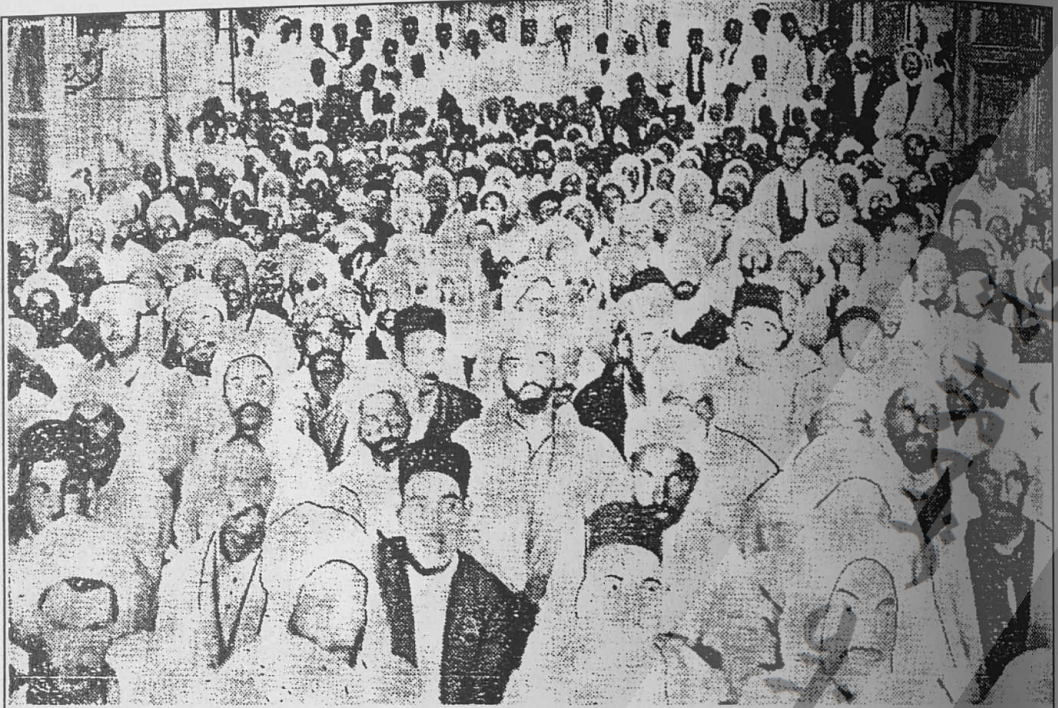
الجالسون في الصف الثاني من اليمين إلى الشمال المشايخ: عبد العزيز التميمي، بوزيد العزاي، عبد الرحمن بكلي، أبو اليقظان، محمد التميمي، قاسم بن الحاج عيسى، مصطفى العزاي، صالح بابكر، سليمان بزملا، الشاعر بكير بن الحاج سليمان الناصر



01- البعثة العلمية لجمعية الاستقامة في تونس. يتوسط الجالسين عميدها الشيخ محمد بن الصالح التميمي رحمه الله وهو الثالث من اليمين
أخذت الصورة في عام 1356هـ 1937م.



01- البعثة العلمية البيوضية في تونس في عام 1374هـ 1954م في دارهم الأنيقة الواسعة في شارع ابن خلدون. أوفدتها الجمعيات
الخيرية في ميزاب يتوسط الجالسين الشيخ إبراهيم بيوض بلباسه الأبيض وعلى يمينه رئيس البعثة الأستاذ محمد بن عمر العساكر،
وعلى يساره السيد الحاج يحيى بن حمو الواهج الذي خدم البعثة في نشاط وإخلاص وأشبلى عليها.

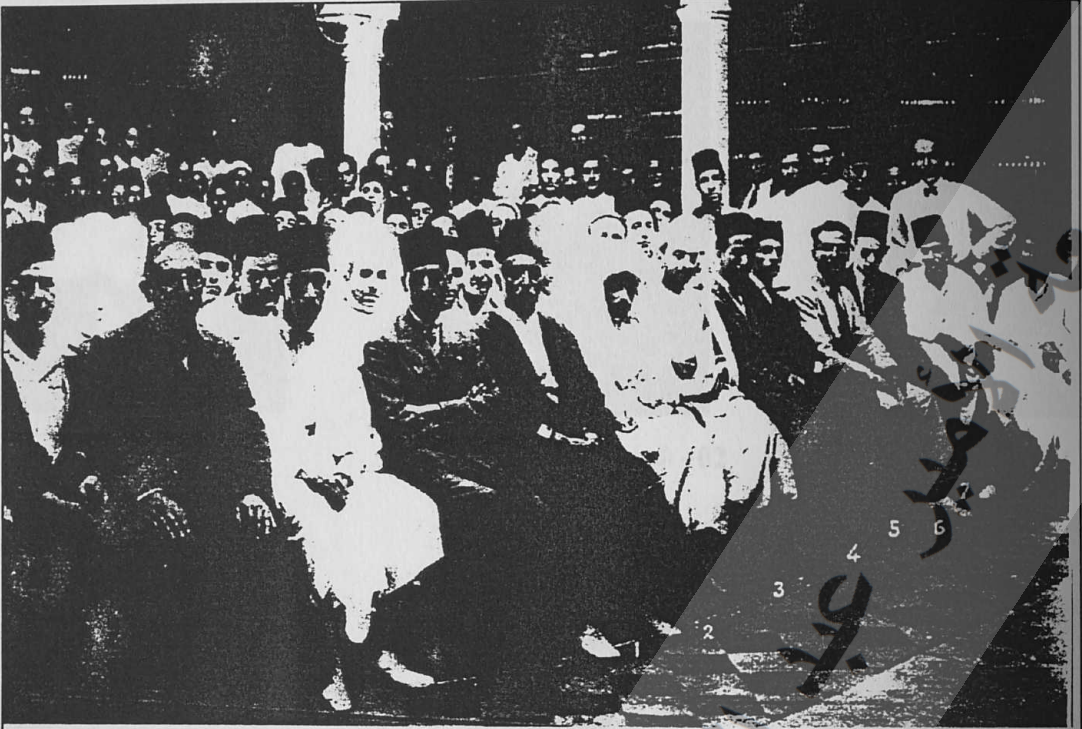


01- الجمعية التأسيسية العامة لجمعية العلماء في نادي الترقى في يوم 17 ذو الحجة 1349هـ 05 ماي 1931 وهو يوم تأسيس جمعية العلماء المباركة



02- أساطين إدارة جمعية العلماء الأولى. الجالسون من اليمين إلى الشمال المشايخ: الطيب المهاجي، عبد القادر القاسمي، البشير الإبراهيمي، عبد الحميد بن باديس، مبارك الميلبي، الطيب العقبي. والواقفون من اليمين إلى الشمال المشايخ: إبراهيم بيوض، والخامس هو الأمين العمودي على يمينه محمد السعيد الزاهري وفي شماله محمد خير الدين، ومحمد العيد، وأستاذ من الحاضرين وهؤلاء الأربعة ليسوا إداريين.

- نقلًا عن: دبور، نهضة الجزائر، ج1، ص. 101 - ص. 151.



الجلسة العامة للمؤتمر بقاعة الخلدونية

(شمال القاعة)

- السادة: 1- عبد الرحمان الكعاك. 2- محمد بن عبد الله. 3- الشاذلي بن القاضي مدرس. 4- بوعلام علواش.
5- عبد الرشيد مصطفاوي. 6- محمد الياسيني. 7- محيي الدين الشرقي.

- عن نشرية محاضر جلسة المؤتمر الأول لجمعية طلبة شمال إفريقيا 1931م



03- الأستاذ الشاذلي المكي



02- الشيخ أبو إسحاق إبراهيم اطفيش



01 - الشيخ صالح الشريف



06- الأديب السيد إبراهيم بن نوح امتياز



05- الشيخ الحاج بكير



04- إبراهيم مزدهودي



09- الشيخ العلامة عبد الحميد ابن باديس



08- أحمد توفيق المنسي



07- غرافة إبراهيم بن عيسى



03- الشيخ الأستاذ مبارك المليبي



02- الشيخ محمد البشير الإبراهيمي



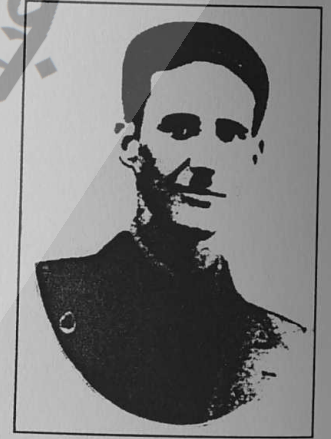
01- الأستاذ عمر راسم



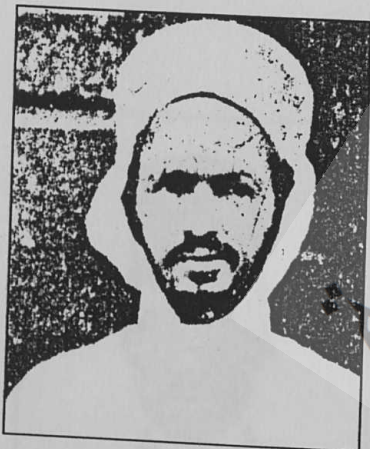
06- السيد فرحات عباس



05- السيد الهادي السنوسي



04- السيد حسن النوري



09- الشيخ أبو اليقظان



08- الأديب السيد محمد العيد حم علي



07- الإمام الشهيد الشيخ العربي التبسي



03- الأديب السيد مفدي زكرياء بن سليمان



02- الشيخ الطيب العقبي



01- الأديب السيد أحمد كاتب ابن الغزالي



04- الأديب السيد الجنيدي أحمد مكي



07- الأديب السيد حمود رمضان ابن سليمان



06- الشيخ اللسقاني بن السانح



05- الشيخ محمد السعيد الزاهري

- Archives du Premier Ministère (A.P.M),Tunis 1/ أرشيف الوزارة الأولى تونس
1. S-D.35. Dos.08. P06.
 2. S-D.35. Dos.28. P17.
 3. S-D.36. Dos.01. P01.
 4. S-D.36. Dos.01. P04.
- Centre de Documents Nationale.Tunis (وزارة الإعلام) تونس 2/ مركز الوثائق الوطني. تونس (وزارة الإعلام)
- (C.D.N.T) . (M.I)
5. S.M.N, Dos, Mohamed-Bach Hamba, B-1.28, Doc N:° 15.
 6. S.M.N, Dos, Mohamed-Bach Hamba, B-1.28, Doc N:° 38.
 7. S.M.N, Dos, Mohamed-Bach Hamba, B-1.28., Doc N:° 56.
 8. S.M.N, Dos, Sliman Ben Sliman, B-2.21, Doc N:° 2.
 9. S.M.N, Dos, Salah Cherif El tounsi, B-2.84, Doc N:° 1.
 10. S.M.N, Dos, Ali-Bach Hamba, B-3.11, Doc N:° 32.
 11. S.M.N, Dos, E.N.A (Par Chedly Khairallah), B-3.33, Doc N:° 2.
 12. S.M.N, Dos, A.E.M.N.A, A-4.44, Doc N :°1.
 13. S.M.N, Dos, A.E.M.N.A, A-4.44, Doc N :°19.
 14. S.M.N, Dos, A.E.M.N.A, A-4.44, Doc N :°344.
 15. S.M.N, Dos, A.E.M.N.A, A-4.44, Doc N :°500.

ب/ مقابلات شخصية

1/ مع الأستاذ: طاهر بن عيشة (الجزائر)

فندق باب البحر، طرابلس، الجماهيرية الليبية

الجمعة 27 جويلية 2001م، الساعة: (20.30 - 23.10) ليلاً.

2/ مع الأستاذ: رشيد الذواوي (تونس)

فندق زليتن، مدينة زليتن، الجماهيرية الليبية.

الثلاثاء 24 جويلية 2001م، الساعة: (10.00 - 11.00) .

ج / التقاويم

1/الجلالي (محمد العابد)، تقويم الأخلاق، قسنطينة: المطبعة الإسلامية، جانفي 1927م.

2/التعبوري (محمد) وآخرون، التقويم الذهبي التونسي، تونس: المطبعة التونسية، (1938-1939)م.

الفهارس

• فهرس المصادر والمراجع

• فهرس الأعلام

• فهرس الأماكن

• فهرس الموضوعات

الإسلامية

- المذكرات الشخصية:

• باللغة العربية

1. الأمير (محمد سعيد)، مذكراتي عن القضايا العربية والعالم الإسلامي، ط2، الجزائر: دار ومكتبة الشركة الجزائرية، 1968م.
2. الحاج (محمد بن عمر عيسى)، مذكرات ووثائق عن وادي ميزاب من ناحيته الدينية والسياسية والاجتماعية (1853 - 1951)، تونس: مطبعة النهضة، 1951م.
3. خير الدين (محمد)، مذكرات، ج1، الجزائر: مطبعة دحلب، 1985م.
4. بن عتيق (محمد الصالح)، أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر، الجزائر: مطبعة دحلب، 1990م.
5. بن العقون (عبد الرحمان)، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، ج1، ج2، الجزائر: م.و.ك، 1984م.
6. كافي (علي)، مذكرات الرئيس علي كافي، من المناضل السياسي إلى القائد العسكري (1946 - 1962)، الجزائر: دار القصة للنشر، 1999م.
7. المدني (أحمد توفيق)، حياة كفاح (مذكرات)، ج1، ج2، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1983م.
8. المدني (أحمد توفيق)، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار (نقيب أشرف الجزائر)، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1974م.
9. بن نبي (مالك)، مذكرات شاهد القرن، ج1، ط1، تر مروان القنواقي، بيروت: دار الفكر، 1969م.
10. بن نبي (مالك)، مذكرات شاهد القرن، ج2، بيروت: دار الفكر، ب.ت.
11. الورتاني (محمد المقداد)، البرنس في باريس، ج1، ط1، تونس: المطبعة الرسمية العربية، 1914م.

• باللغة الفرنسية

1. Messali (Hadj), Les Mémoires de Messali Hadj, Ed J.C. lattes, Paris :1982.

- (جريدة الأمة) العدد 02 - 25 سبتمبر 1934
 (جريدة الأمة) العدد 14 - ديسمبر 1934
 (جريدة الأمة) العدد 15 - ديسمبر 1934
 (جريدة الأمة) العدد 51 - 19 نوفمبر 1935
 (جريدة الأمة) العدد 76 - 26 ماي 1936
 (جريدة الأمة) العدد 111 - أبريل 1937
 (جريدة الأمة) العدد 113 - ماي 1937
 (جريدة الأمة) العدد 130 - 20 جويلية 1937
 (جريدة الأمة) العدد 134 - أوت 1937
 (جريدة البرق) العدد 02 - 11 أبريل 1927
 (جريدة البرق) العدد 19 - 18 جويلية 1927
 (جريدة البصائر) العدد 01 - 20 مارس 1936
 (جريدة البصائر) العدد 16 - 24 أبريل 1936
 (جريدة البصائر) العدد 17 - 01 ماي 1936
 (جريدة البصائر) العدد 18 - 08 ماي 1936
 (جريدة البصائر) العدد 19 - 15 ماي 1936
 (جريدة البصائر) العدد 20 - 22 ماي 1936
 (جريدة البصائر) العدد 22 - 05 جوان 1936
 (جريدة البصائر) العدد 24 - 19 جوان 1936
 (جريدة البصائر) العدد 25 - 26 جوان 1936
 (جريدة البصائر) العدد 27 - 02 جويلية 1936
 (جريدة البصائر) العدد 28 - 09 جويلية 1936
 (جريدة البصائر) العدد 29 - 16 جويلية 1936
 (جريدة البصائر) العدد 89 - 03 ديسمبر 1937
 (جريدة البصائر) العدد 95 - 14 جانفي 1938
 (جريدة الفاروق) العدد 50 - 2 أبريل 1914
 (جريدة الفاروق) العدد 66 - 22 جوان 1914
 (جريدة الفاروق) العدد 68 - 6 جويلية 1914
 (جريدة البصائر) العدد 101 - 26 فيفري 1938
 (جريدة البصائر) العدد 171 - 22 جوان 1939
 (جريدة الشعب) العدد 01 - 27 أوت 1937
 (جريدة الشعب) العدد 02 - 15 أكتوبر 1937
 (جريدة الشهاب) العدد 82 - 31 مارس 1927
 (جريدة الشهاب) العدد 89 - 27 أكتوبر 1927
 (جريدة الشهاب) العدد 10 - 5 نوفمبر 1929
 (جريدة الشهاب) العدد 11 - 7 فيفري 1931
 (جريدة الشهاب) العدد 11 - 8 أكتوبر 1931
 (جريدة الشهاب) العدد 2 - 8 مارس 1932
 (جريدة الشهاب) العدد 2 - 9 ديسمبر 1933
 (جريدة الشهاب) العدد 2 - 10 جوان 1934
 (جريدة الشهاب) العدد 11 - 12 جانفي 1937
 (جريدة الشهاب) العدد 5 - 13 جويلية 1937
 (جريدة الشهاب) العدد 6 - 13 أوت 1937
 (جريدة الشهاب) العدد 7 - 13 سبتمبر 1937
 (جريدة الشهاب) العدد 4 - 14 جوان / جويلية 1938
 (جريدة الفاروق) العدد 01 - 28 فيفري 1913
 (جريدة الفاروق) العدد 15 - 18 مارس 1913
 (جريدة الفاروق) العدد 43 - 10 جانفي 1914
 (جريدة الفاروق) العدد 69 - 13 جويلية 1914
 (جريدة الفاروق) العدد 72 - 3 أوت 1914
 (جريدة المغرب) العدد 25 - 18 نوفمبر 1930
 (جريدة المغرب) العدد 27 - 2 ديسمبر 1930
 (جريدة المغرب) العدد 33 - 12 فيفري 1931
 (جريدة النجاح) العدد 44 - 19 ديسمبر 1921
 (وادي ميزاب) العدد 57 - 17 نوفمبر 1927
 (وادي ميزاب) العدد 70 - 17 فيفري 1928

- (وادي ميزاب) العدد 111-7 ديسمبر 1928
 (وادي ميزاب) العدد 116-11 جانفي 1929
 (وادي ميزاب) العدد - 3 ديسمبر 1936

- (جريدة الوزير) العدد- 14 أكتوبر 1928
 (جريدة الوزير) العدد- 18 فيفري 1932
 (جريدة التقدم) العدد- 5 أوت 1937

ج/ بالفرنسية

- Revue In Afrique Française, Jun-Fev 1915
 - Journal El-Ouma, N:°36- 11Dec 1935
 - Journal El-Ouma, N:°58-Dec 1937
 - Journal El-Ouma, N:°61-11Mar 1938

- (وادي ميزاب) العدد 76-30 مارس 1928
 (وادي ميزاب) العدد 80-27 أبريل 1928
 (وادي ميزاب) العدد 83-6 ماي 1928
 (وادي ميزاب) العدد 88-22 جوان 1928

ب/ التونسية

- (جريدة الإدارة) العدد 880- سبتمبر 1951
 (جريدة الأسبوع) العدد 53-30 مارس 1947
 (جريدة الأفكار) العدد 03- جانفي 1937
 (جريدة التقدم) العدد- 26 ديسمبر 1907
 (جريدة التقدم) العدد- 12 فيفري 1908
 (جريدة التقدم) العدد- 23 جويلية 1908
 (جريدة الحاضرة) العدد 960-1 أبريل 1902
 (جريدة الزمان) العدد- 6 جويلية 1937
 (جريدة الزهرة) العدد 9234- 21 جوان 1937
 (جريدة الزهرة) العدد- 21 أكتوبر 1937
 (المجلة الزيتونية) العدد- نوفمبر 1936
 (الشباب التونسية) العدد 01- 5 مارس 1937
 (الشباب التونسية) العدد 03- 7 مارس 1937
 (جريدة العمل) العدد 24- 10 جوان 1937
 (جريدة العمل) العدد 33- 12 أوت 1937
 (جريدة العمل الشعبي) العدد- 11 جانفي 1937
 (مجلة العرب) العدد- جوان 1925
 (جريدة المشير) 6 أوت 1911
 (المجلة التونسية) مج 08- أبريل 1954
 (جريدة النهضة) العدد- 21 ماي 1937
 (جريدة النهضة) العدد- 21 أوت 1937
 (جريدة الوزير) العدد- 11 أكتوبر 1920
 (جريدة الوزير) العدد- 30 جوان 1925
 (جريدة الوزير) العدد- 22 سبتمبر 1927
 (جريدة الوزير) العدد- 01 نوفمبر 1927

1. أبي اليقظان (إبراهيم بن عيسى)، سليمان الباروني باشا في أطوار حياته، ج1، ج2، الجزائر: المطبعة العربية، 1956م
2. الأشرف (مصطفى)، الجزائر الأمة والمجتمع، تر. حنفي بن عيسى، الجزائر: م.و.ك، 1983م.
3. الأمير محمد (بن عبد القادر الجزائري)، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ط2، ج2، بيروت: دار اليقظة العربية، 1964م.
4. أوزقان (عمار)، الجهاد الأفضل، ط1، بيروت: دار الطليعة، 1962م.
5. الإبراهيمي (محمد البشير)، عيون البصائر، ط2، ج1، ج2، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1971م.
6. ابن أبي ضياف (أحمد)، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج3، تع، أحمد الطويلي، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1979م.
7. البلهوان (علي)، تونس الثائرة، القاهرة: لجنة تحرير المغرب العربي، 1954م.
8. بيرم الخامس (التونسي)، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، مصر: المطبعة الإعلامية، 1311هـ.
9. الثعالي (عبد العزيز)، الكلمة الحاسمة، تح حسن أحمد جغام، تونس: منشورات دار المعارف، 1989م.
10. الثعالي (عبد العزيز)، تونس الشهيدة، تر سامي الجندي، بيروت: دار القدس، 1975م.
11. الثعالي (عبد العزيز)، روح التحرر في القرآن، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1985م.
12. بن الحاج (عثمان الشريف)، أضواء على تاريخ تونس الحديث (1881-1924م)، تونس: دار بوسلامة للنشر والتوزيع، 1982م.
13. حسن حسني (عبد الوهاب)، خلاصة تاريخ تونس، ط2، تونس: المطبعة التونسية، 1344هـ.
14. خريف (مصطفى)، شوق وذوق، تونس: الشركة التونسية لفنون الرسم، 1965م.
15. الخضر (حسين)، تونس وجامع الزيتونة، دمشق: المطبعة التعاونية، 1971م.
16. ابن خلدون (عبد الرحمان)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، مج06، ق1، لبنان: دار الكتاب للطباعة والنشر، 1958م.
17. بن الخوجة (محمد)، صفحات من تاريخ تونس، تق. تح، حمادي الساحلي والجيلاني بن الحاج يحيى، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1986م.
18. دبور (محمد علي)، فهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ط1، ج2، الجزائر: المطبعة العربية، 1971م.
19. دي طرازي (فيليب)، تاريخ الصحافة العربية، ج3، ج4، بيروت: المطبعة الأدبية، 1913م.
20. الزاهري (محمد السعيد)، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، ط2، دمشق: مطبعة الاعتدال، 1352هـ - 1934م.

21. السنوسي (محمد بن عثمان)، خلاصة النازلة التونسية، تق محمد الصادق بسيس، تونس: د.ت.ن، 1976م.
22. السنوسي (زين العابدين)، الأدب التونسي في القرن 14، ج1، تونس: د.ت.ن، 1971م.
23. بن عاشور (محمد الفاضل)، الحركة الأدبية والفكرية في تونس، ط3، تونس: د.ت.ن، 1983م.
24. الفاسي (علال)، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، المغرب: دار الطباعة المغربية، 1948م.
25. الفاسي (علال)، المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى، مصر: المطبعة الفنية الحديثة، 1971م.
26. فرحات (عباس)، حرب الجزائر وثورتها، ليل الاستعمار، تر بوبكر برحال، المغرب: مطبعة فضالة المحمدية، ب.ت.
27. قنانش (محمد)، الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين (1919 - 1939)، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1982م.
28. قنانش (محمد)، المواقف السياسية بين الإصلاح والوطنية (في فجر النهضة)، الجزائر: ش.و.ن.ت، ب.ت.
29. مجاهد (مسعود)، أضواء على الاستعمار الفرنسي للجزائر، مصر: دار المعارف، ب.ت.
30. المدني (أحمد توفيق)، كتاب الجزائر، الجزائر: دار الكتاب، 1963م.
31. معمر (علي بن يحيى)، الإباضية في الجزائر، ط1، القاهرة: مكتبة وهبة، ب.ت.
32. الميرلاي (إسماعيل سرهنك)، تاريخ دول المغرب، تق ومر حسن الزين، بيروت: دار الفكر الحديث للطباعة والنشر، ب.ت.
33. الورتلاني (الفضيل)، الجزائر الثائرة، الجزائر: دار الهدى، 1992م.
34. وزارة الشؤون الدينية، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ط1، ج3، الجزائر: دار البعث، 1984م.

- باللغة الفرنسية

35. Abbas (Ferhat), De la colonie à la province, le jeune Algérien, Paris 1931.
36. Chedly (Kairallah), Essai d'histoire et de synthèse des mouvements nationalistes tunisiens « Le mouvement jeune - Tunissien », Tunis : Etablissements Bonici. S.D.
37. Guenanche (M), le Mouvement d'indépendance en Algérie entre les deux guerres (1919-1939), E.N.L, Alger 1990.
38. Hammamy (aly), Idris, Ed₂, E.N.L, Alger 1988.
39. L'acheraf (Mostafa), L'Algérie nation et société, S.N.E.D, Alger 1978.
40. Le Bjaoui (M), Vérité sur la révolution algérienne, Ed Gallimard, Paris 1970.
41. Mahsas (Ahmed), le Mouvement révolutionnaire en Algérie, Ed l'harmatton, Paris 1979.
42. Messali (Hadj), le Problème Algérien Appelaux nations unies, Paris :Imp du château d'eau, S.D.
43. Rinn (louis), Histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie, Alger 1891.
44. Servir (Andrée), le Péril de l'avenir, le nationalisme musulman (en Egypte. en Tunisie. en Algérie), 2^{ed} : Constantine , 1913.

- بالعربية

1. إبراهيمي (عبد الحميد)، المغرب العربي في مفترق الطرق في ظل التحولات العالمية، ط1، بيروت: م.د.و.ع، 1996م.
2. أبو خليل (شوقي)، الإسلام وحركات التحرير العربية، دمشق: دار الفكر، 1991م.
3. أبو طالب (صوفي)، دروس في المجتمع العربي، القاهرة: دار النهضة العربية، 1966م.
4. أجرون (شارل روبير)، تاريخ الجزائر المعاصرة، تر عيسى عصفور، بيروت: منشورات عويدات، 1982م.
5. أحمد (خالد)، أضواء من البيئة التونسية على الطاهر الحدّاد ونضال جيل، ط2، تونس: د.ن.ت، 1979م.
6. الأزهر (علال)، المسألة القومية والترعة الأمازيغية، وبناء المغرب العربي، الرباط: دار الخطابي للطباعة والنشر، 1988م.
7. أعوش (بكير بن سعيد)، ميزاب يتكلم، تاريخيًا، عقائديًا، اجتماعيًا، الجزائر: المطبعة العربية، 1993م.
8. أعوش (بكير بن سعيد)، وادي ميزاب في الحضارة الإسلامية، الجزائر: المطبعة العربية، 1991م.
9. أكاديمية العلوم في الإتحاد السوفياتي (معهد الإلتشراق)، تاريخ الأقطار العربية المعاصرة (1917-1970م)، ج2، موسكو: دار التقدم، 1976م.
10. ألفرد (بل)، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي إلى اليوم، ط3، تر عبد الرحمان بدوي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1987م.
11. أندري (برينان) وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، تر رابح اسطمبولي وآخرون، الجزائر: د.م.ج، 1960م.
12. بلاسي (نبيل أحمد)، الإتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
13. بلحسن (عمّار)، المشروعية والتوترات الثقافية، بيروت: م.د.و.ع، 1982م.
14. بلقريز (عبد الإله) وآخرون، الحركة الوطنية المغربية والمسألة القومية (1947-1986م)، ط1، بيروت: م.د.و.ع، 1992م.
15. بن سميّة (محمد)، محمد العيد آل خليفة، الجزائر: م.و.ك، 1989م.
16. بنيس (محمد)، مداخلة في ندوة إشكالية بناء المغرب العربي، المغرب: جوان 1985م.
17. بوشارب (عبد السلام)، تبسة، معالم ومآثر، الجزائر: نشر المتحف الوطني للمجاهد، 1996م.
18. بوصفصاف (عبد الكريم)، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية، ط1، الجزائر: دار البعث، 1981م.

19. بوصفصاف (عبد الكريم)، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى، الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1998م.
20. بوعزيز (بجي)، ثورات الجزائر في القرنين (19-20) م، الجزائر: دار البعث، 1980م.
21. بوعزيز (بجي)، ثورة 1871م، ودور عائليتي المقراني والحدّاد، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1978م.
22. بوعزيز (بجي)، كفاح الجزائر من خلال الوثائق، الجزائر: م.و.ك، 1986م.
23. بوعزيز (بجي)، السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري (1830-1954)م، الجزائر: د.م.ج، 1995م.
24. السيومي (محمد رجب)، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، بيروت: منشورات المكتبة العصرية، 1980م.
25. بن تاويت (محمد) والعفيفي (محمد الصادق)، الأدب المغربي، ط2، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1969م.
26. تركي (رابح)، عبد الحميد بن باديس (فلسفته في التربية والتعليم)، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1984م.
27. تشايحي (عبد الرحمان)، المسألة التونسية والسياسة العثمانية (1881-1913)م، تر، عبد الجليل التميمي، تونس: دار الكتب الشرقية، 1973م.
28. الجابري (محمد الصالح)، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1990م.
29. الجابري (محمد الصالح)، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس (1900-1962)م، تونس: الدار العربية للكتاب، 1983م.
30. الجابري (محمد الصالح)، ديوان الشعر التونسي الحديث (تراجم ومختارات)، تونس: الشركة التونسية للتوزيع، 1976م.
31. الجابري (محمد العابد)، يقظة الوعي العروبي في المغرب، بيروت: م.د.و.ع، 1986م.
32. جاسم (العدول) وآخرون، تاريخ الوطن العربي المعاصر، العراق: جامعة الموصل (قسم التاريخ)، ب.ت.
33. جاك (توبي)، الإمبريالية الفرنسية والولايات العربية في السلطنة العثمانية (1840-1914)م، تر.فارس غصوب، مر مسعود طاهر، بيروت: دار الفارسي، 1990م.
34. جعفر (ماجد)، الطاهر الحدّاد، تونس: الشركة التونسية للتوزيع، 1979م.
35. جفلول (عبد القادر)، الإستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر، تر سليم قسطون، بيروت: دار الحدّانة، 1984م.
36. جفلول (عبد القادر)، تاريخ الجزائر الحديث (دراسة سوسولوجية)، ط3، تر فيصل عباس، بيروت: دار الحدّانة، 1983م.
37. جلال (بجي)، الثورة العربية، بيروت: دار المعرفة، 1959م.
38. جلال (بجي)، السياسة الفرنسية في الجزائر (1830-1960)م، مصر: دار المعرفة، 1959م.

39. جلال (يحيى)، العالم العربي الحديث والمعاصر (فترة بين الحربين)، ج2، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1998م.
40. جلال (يحيى)، العالم العربي الحديث، مصر: دار المعرفة، 1966م.
41. جلال (يحيى)، المغرب الكبير، ج4، بيروت: دار النهضة العربية، 1981م.
42. الجندي (أنور)، الرسائل الإسلامية (أعلام الإسلام)، مصر: دار الإعتصام، ب.ت.
43. الجندي (أنور)، عبد العزيز التعالي (رائد الحركة والنهضة الإسلامية)، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1984م.
44. الجندي (أنور)، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، 1965م.
45. جوليان (شارل أندري)، إفريقيا الشمالية تسير (القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية)، تر المنجي سليم وآخرون، تونس: د.ت.ن، 1976م.
46. جوليان (شارل أندري)، المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي، تر مزالي (محمد)، بوسلامة (البشير)، تونس: ش.ت.ن، 1967م.
47. جوليان (شارل أندري)، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج2، تر مزالي (محمد)، بوسلامة (البشير)، تونس: د.ت.ن، 1969م.
48. الجوهري (يسري)، جغرافية المغرب العربي، الإسكندرية: منشأة المعارف، 1981م.
49. الجوهري (يسري)، شمال إفريقيا (دراسة في الجغرافية التاريخية)، مصر: دار المعارف، 1978م.
50. حاطوم (نور الدين)، محاضرات عن المراحل التاريخية للقومية العربية، مصر: دار المعارف، 1963م.
51. حجاج (السعيد رزق)، العالم الإسلامي في الحرب العالمية الأولى، ط1، مصر: مطبعة الأمانة، 1989م.
52. حرب (أديب)، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري (1808-1947م)، ج1، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1982م.
53. حسن (علي حسن)، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (المرابطين والموحدين)، ط1، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1980م.
54. الحصري (أبو خلدون)، آراء وأحاديث في القومية الوطنية، ط2، بيروت: م.د.و.ع، 1985م.
55. حقي (إحسان)، الجزائر العربية (أرض الكفاح المجيد)، ط1، بيروت: منشورات المكتب التجاري، 1961م.
56. همدى (بن حماد)، بترت عبر العصور، تونس: مطبعة شركة فنون الرسم والنشر والصحافة، 1979م.
57. همدى (حافظ) والشرقاوي (محمد)، الجزائر، كفاح شعب ومستقبل أمة، مصر: الدار القومية للطباعة والنشر، ب.ت.
58. همو (محمد عيسى النوري)، نبذة من حياة الميزاب الدينية والسياسية والعلمية (1505-1965م)، ج1، باريس: دار الكروان، 1984م.

59. حوراني (ألبرت)، الفكر العربي في عصر النهضة (1798-1939م)، ط3، بيروت: دار النهار للنشر، 1977م.
60. الخالدي (مصطفى)، وفروخ (عمر)، التبشير والإستعمار في البلاد العربية، ط1، بيروت: 1957م.
61. خدة (محمد)، الرسم الجزائري، باريس: منشورات المركز الثقافي الجزائري، 1990م.
62. خرفي صالح، الجزائر والأصالة الثورية، الجزائر: ش.و.ن.ت، ب.ت.
63. خرفي صالح، الشعر الجزائري، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1970م.
64. خرفي صالح، حمود رمضان، الجزائر: م.و.ك، 1985م.
65. خرفي صالح، عبد العزيز التعالبي (من آثاره وأخباره في المشرق والمغرب)، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1995م.
66. خرفي صالح، عمر بن قنبر الجزائري، الجزائر: م.و.ك، 1984م.
67. خرفي صالح، في رحاب المغرب العربي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ب.ت.
68. الخطيب (أحمد)، الثورة الجزائرية، دراسة وتاريخ، بيروت: دار العلم للملايين، 1958م.
69. الخطيب (أحمد)، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، الجزائر: م.و.ك، 1985م.
70. الخطيب (أحمد)، حزب الشعب الجزائري، ج1، الجزائر: م.و.ك، 1986م.
71. خيربسة (عبد الصاحب وادي)، الفكر القومي العربي في المغرب العربي (1830-1962م)، بغداد: دار الرشيد للنشر، 1982م.
72. درمونة (يونس)، المغرب العربي في خطر، مصر: دار الطباعة الحديثة، 1956م.
73. ديوبا (ج)، تونس، تر الصادق مازيغ، تونس: د.ت.ن، 1969م.
74. الذوايدي (رشيد)، حسن النوري (1905-1939م)، تونس: منشورات محمد بوذينة، 1997م.
75. الذوايدي (رشيد)، هذه بنزت، تونس: منشورات جمعية صيانة مدينة بنزرت، 1980م.
76. ركيبي (عبد الله)، الأوراس في الشعر العربي (ودراسات أخرى)، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1982م.
77. ركيبي (عبد الله)، قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، الجزائر: م.و.ك، 1983م.
78. زاهر (رياض)، شمال إفريقيا في العصر الحديث، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1967م.
79. زاهية (قدور)، تاريخ العرب الحديث، بيروت: دار النهضة العربية الحديثة، 1975م.
80. الزبير (سيف الإسلام)، تاريخ الصحافة في الجزائر، ج4، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1982م.
81. زوزو (عبد الحميد)، الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين، ط2، الجزائر: م.و.ك، 1985م.
82. زيادة (نيقولا)، تونس في عهد الحماية من 1881م إلى 1934م، القاهرة: معهد الدراسات العربية العليا، 1964م.

83. السائحى (محمد الأخضر)، محمد الأمين العمودي (الشخصية المتعددة الجوانب)، الجزائر: م.و.ك، 1988م.
84. سعد الله (أبو القاسم)، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1996م.
85. سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1954)، ط4، ج2، ج3، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1992م.
86. سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ج3، ج4، ج5، ج6، ج7، ج8، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998م.
87. سعد الله (أبو القاسم)، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط2، القاهرة: دار الأدب، 1970م.
88. سعد الله (أبو القاسم)، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، 1977م.
89. سعد الله (أبو القاسم)، منطلقات فكرية، بيروت: الدار العربية للكتاب، 1977م.
90. سعدي (عثمان)، عروبة الجزائر عبر التاريخ، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1982م.
91. سمير (أمين) وآخرون، المتجمع والدولة في الوطن العربي في ظل السياسات الرأسمالية الجديدة (المغرب العربي)، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1998م.
92. الشابي (علي) وآخرون، الزعيم الشيخ عبد العزيز التعالبي وتجديد الفكر الديني، تونس: المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 1993م.
93. شكري (محمد فؤاد)، السنوسية دين ودولة، سوريا: دار الفكر العربي، 1948م.
94. الشوابكة (أحمد فهد)، حركة الجامعة الإسلامية، سوريا: مكتبة المنار، 1984م.
95. الطاهر (عبد الله)، الحركة الوطنية التونسية، ط2، تونس: دار المعارف للطباعة والنشر، 1990م.
96. عبد العظيم (رمضان)، الغزوة الاستعمارية للعالم العربي وحركات المقاومة، القاهرة: دار المعارف، 1985م.
97. عبد الغفار (محمد حسين)، صفحات من تاريخ العرب المعاصر، القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، ب.ت.
98. العروي (عبد الله) وآخرون، في النهضة والتراكم، المغرب: دار توبقال، 1986م.
99. العروي (عبد الله)، مجلد تاريخ المغرب، ج3، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1999م.
100. العسلي (بسام)، الأمير خالد الهاشمي الجزائري، ط2، بيروت: دار النفائس، 1984م.
101. العقاد (صلاح)، الجزائر المعاصرة، مصر: مطبعة الرسالة، 1964م.
102. العقاد (صلاح)، السياسة والمتجمع في المغرب العربي، مصر: المطبعة الفنية الحديثة، 1971م.
103. العلي (صالح أحمد)، وآخرون، تطور الفكر القومي العربي، ط2، بيروت: م.د.و.ع، 1986م.
104. عمارة (محمد)، العروبة في العصر الحديث، القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1967م.
105. عمارة (محمد)، الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1968م.
106. عمر (عبد العزيز عمر)، جوانب من تاريخ المغرب العربي في العصر الحديث، مصر: دار المعرفة الجامعية، 1998م.

107. عميراي (احميدة)، دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية (1827-1840م)، قسنطينة: دار البعث، 1987م.
108. العياشي (مختار)، البيثة الزيتونية (1910-1945م)، نح حمادي الساحلي، تونس: دار التركي للنشر، 1990م.
109. غراب (سعد)، المذهب المالكي عنصر ائتلاف في المغرب الإسلامي، تونس: الجامعة التونسية، 1978م.
110. الغزي (المهدي حمودة)، الأدب التونسي في العهد الحسيني (شعر) (1705-1881م)، تونس: د.ت.ن، 1972م.
111. غليسي (حوان)، الجزائر الثائرة، تر خيري حماد، بيروت: دار الطليعة، 1961م.
112. الغويل (سليمان صالح)، الدولة القومية، طه، بنغازي: منشورات جامعة قار يونس، 1990م.
113. فركوس (صالح)، أصالة وتغريب (مشروع فرنسا الصليبية والمجاهة الإسلامية)، الجزائر: دار الكوثر، 1991م.
114. فضلاء (محمد الطاهر)، التحريف والتريف في كتاب حياة كفاح، طه، الجزائر: دار البعث، 1982م.
115. فضلاء (محمد الطاهر)، دعائم النهضة الوطنية الجزائرية، الجزائر: دار البعث، 1984م.
116. الفيلاي (مصطفى)، المغرب العربي الكبير، نداء المستقبل، ط2، بيروت: م.د.و.ع، 1989م.
117. بن قفصية (عمر)، أضواء على الصحافة التونسية، تونس: دار بوسلامة للطباعة والنشر، 1972م.
118. بن قبيصة (عمر)، صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث (أعلام.. وقضايا ومواقف)، الجزائر: د.م.ج، 1993م.
119. بن قبيصة (عمر)، الشيخ عبد الحميد بن باديس (رجل الإصلاح والتربية)، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1974م.
120. الكامل (أبي راس محمد)، أبي اسحاق إبراهيم اطفيش، قسنطينة: مطبعة الشهاب، 1965م.
121. الكثيري (مصطفى)، الخصوصية التاريخية والحضارية لبلدان المغرب العربي، ومدى انعكاسها على التنمية الإدارية، عمان: شركة الشرق الأوسط للطباعة، 1986م.
122. كرو (محمد أبو القاسم)، محمد الخضر حسين، تونس: دار المغرب العربي، 1973م.
123. ليون (فيكس)، الجزائر حثف الإستعمار، تر محمد عيتاني، بيروت: مكتبة المعارف، ب.ت.
124. مالكي (محمد)، الحركات الوطنية والإستعمار في المغرب العربي، ط2، بيروت: م.د.و.ع، 1994م.
125. مجموعة من المؤلفين، وحدة المغرب العربي، بيروت: م.د.و.ع، 1987م.
126. المحافظة (علي)، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، ط3، بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، 1983م.
127. محمد (عوض محمد)، الاستعمار والمذاهب الاستعمارية، ط3، مصر: دار المعارف، 1957م.
128. مرتاض (عبد المالك)، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1854-1925م)، ط2، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1983م.

129. مركز دراسات الوحدة العربية، القومية العربية والإسلام، ط1، بيروت: م.د.و.ع، 1981م
130. المنجي (الشملي)، خير الدين باشا، تونس: د.ت.ن، 1968م.
131. منير (شفيق)، في الوحدة والتجزئة، بيروت: دار الطليعة، 1979م.
132. مهداوي (محمد)، البشير الإبراهيمي (نضاله وأدبه)، سوريا: دار الفكر، 1986م.
133. موعدة (محمد)، محمد الخضر حسين، حياته وآثاره، تونس: د.ت.ن، 1974م.
134. الملي (محمد)، ابن باديس وعروبة الجزائر، بيروت: دار الثقافة، 1973م.
135. ناصر (محمد)، الشيخ القراري، حياته وآثاره، الجزائر: المطبعة العربية، 1990م.
136. ناصر (محمد)، الصحف العربية الجزائرية (1874-1939م)، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1980م.
137. ناصر (محمد)، المقالة الصحفية، مج1- مج2، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1978م.
138. ناصر (محمد)، رمضان حمود (حياته وآثاره)، الجزائر: م.و.ك، 1985م.
139. ناصر (محمد)، مفدي زكريا (شاعر النضال والثورة)، الجزائر: المطبعة العربية، 1984م.
140. الهرماسي (عز الدين محمد)، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي في القرنين 05 و06 الهجريين، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1985م.
141. الهرماسي (محمد عبد الباقي)، المجتمع والدولة في المغرب العربي، ط1، بيروت: م.د.و.ع، 1989م.
142. هلال (عمار)، نشاط الطلبة الجزائريين إبان ثورة نوفمبر 1954م، الجزائر: مطبعة لافوميك، 1986م.
143. هنري (كلود) وأندري برينان وايف لاکوست، الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي، تر محمد عيتاني، بيروت: منشورات مكتبة المعارف، ب.ت.

- بالفرنسية:

1. Ageron (ch.roberty), l'Algérie algérienne de napoleon III à degaulle, Paris :Ed, Sinbad, 1980.
2. Ageron (ch.roberty), les Algériens musulmans et la france (1919-1971), TII, Paris: P.U.F, 1968.
3. Ageron (ch.roberty), Politique coloniale au magreb, Paris: P.U.F, 1972.
4. Bardin (pierre), Algériens et tunisiens dans l'empire ottoman de (1848 à 1914), Paris : Ed, du C.N.R.S, 1979.
5. Collot (claud) et Henry (jean R), le Mouvement national algerien (textes). (1912-1954), Paris :Ed, l'harmatten, 1978.
6. Gilbert (meynier), l'Algérie révélée, geneve :librairie droze, 1981.
7. Goldstein (daniel), Libération ou annexion, aux chemins croisés de l'histoire tunisienne (1914-1922), tunis :M.T.E, 1975.
8. Julien (ardre, ch), l'Afrique du nord en marche, paris :julliard, 1952.
9. Kaddache (M) et Guenaneche (M), L'étoile nord-africaine (1926- 1937), alger :O.P.U, 1984.
10. Kaddache (Mahfoud), L'Amir khaled, alger :O.P.U, 1987.
11. Mahdjoubi (Ali), Les origines du mouvement national en tunisie (1904-1934), tunis :publications de l'université du tunis, 1982.

12. Merad (Ali), Ibn Badis, commentateur du coran, alger, S.N.E.D, 1971
13. Merad (Ali), Le Réformisme musulman en algerie de (1925 à 1940), Paris , 1967.
14. Nouchi (Ardre), La naissance du nationalisme algerien (1914-1954), Paris :les éditions de minuit, 1962.
15. Rager (Jean Jaques), Les Musulmans algériens en france et dans les pays Islamiques (societes), Paris :Ed, les belles lettres, 1950.
16. Rousseau (Alphonse), Les annales tunisiennes, 2^{ed}, tunis :Ed bousslame, 1930.

ب/ المقالات

٥ - بالعربية:

1. أبو عمران (الشيخ)، "علي الحمامي وقصة إدريس"، الثقافة، ع(42)، الجزائر: ديسمبر/جانفي 1978م، ص.ص(75-79).
2. أنابوزو، "العلاقات بين قسنطينة وتونس في القرن 19م قبل الحماية"، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع(9)، تونس: 9 أوت 1994م، ص.ص(218-236).
3. أوغسلي (حسن)، "صفحات مجهولة من حياة المغفور له أحمد توفيق المدني"، التاريخ، ع(18)، الجزائر: 1985م، ص.ص(34-43).
4. بوجليدة (أحمد)، "أبو اليقظان عميد النضال الصحفي بالجزائر"، الجيش، ع(405)، الجزائر: أبريل 1997م، ص.ص(39-41).
5. بوحوش (عمار)، "أسباب الهجرة إلى فرنسا"، الثقافة، ع(14)، الجزائر: أبريل/ماي 1973م، ص.ص(56 - 63).
6. بوضرساية (بوعزة)، "بعض جوانب الحركة الوطنية في منظور ديارمي"، الثقافة، ع(104)، الجزائر: سبتمبر/أكتوبر 1994م، ص.ص(106-117).
7. بوعزيز (يحيى)، "أضواء على انتفاضة سكان واحة الزعاطشة والشيخ بوزيان عام 1949"، الثقافة، ع(32)، الجزائر: أبريل/ماي 1976م، ص.ص(39-50).
8. بوعزيز (يحيى)، "دور تونس في دعم حركات التحرير الجزائرية وموقف الجزائريين من احتلالها"، الثقافة، ع(70)، الجزائر: جوان/جويلية 1982م، ص.ص(45-57).
9. بوعزيز (يحيى)، "عودة إلى مراسلات الأمير عبد القادر..."، المجلة التاريخية المغربية، ع(41-42)، تونس: جوان 1986م، ص.ص(135-145).
10. بوكوشة (همزة)، "الأمين العمودي"، الثقافة، ع(06)، الجزائر: جانفي 1972م، ص.ص(46 - 62).
11. بوكوشة همزة، "الشيخ الهادي السنوسي"، الثقافة، ع(24)، الجزائر: ديسمبر/جانفي 1975م، ص.ص(99-102).

12. بيتر (هاين)، "صالح الشريف التونسي"، حوليات الجامعة التونسية، ع(24)، تونس: 1985م، ص.ص(101-110).
13. بيتر (هاين)، "قومي من شمال إفريقيا في برلين أثناء الحرب العالمية الأولى (صالح الشريف التونسي)"، مجلة الدراسات التاريخية، ع(1)، الجزائر: 1984م، ص.ص.؟.
14. تركي (رايح)، "ابن باديس ونشأة الحركة الإصلاحية في الجزائر"، الأصالة، ع(14-15)، الجزائر: 1973م، ص.ص(277-286).
15. تركي (رايح)، "الصراع بين جمعية العلماء وإدارة الاحتلال الفرنسي (1933-1939م)"، الثقافة، ع(85)، الجزائر: جانفي/فيفري 1985م، ص.ص(183-202).
16. التليلي (العجيلي)، "أضواء على حياة الشريف التيجاني..."، المجلة التاريخية المغربية، ع(55-56)، تونس: ديسمبر 1989م، ص.ص(137-168).
17. التميمي (عبد الجليل)، "الشيخ صالح الشريف التونسي"، المجلة التاريخية المغربية، ع(23-24)، تونس: نوفمبر 1981م، ص.ص(345-362).
18. التميمي (عبد الجليل)، "محاضر جلسات إصلاح التعليم الزيتوني (1924-1925م)"، المجلة التاريخية المغربية، ع(21-22)، تونس: 1981م.
19. التميمي (عبد الجليل)، "مغامرة الحماية التونسية على وهران 1931م"، المجلة التاريخية المغربية، ع(5)، تونس: 5 جانفي 1976م، ص.ص(4-17).
20. الجابري (محمد العابد)، "تطور فكرة المغرب العربي"، مجلة دراسات عربية، ع(7)، بيروت: ماي 1983م، ص.ص(5-16).
21. الجابري (محمد عابد)، "يقظة الوعي العروبي في المغرب"، مجلة المستقبل العربي، ع(85)، بيروت: ماي 1986م، ص.ص(19-36).
22. الخيلاني (عبد الرحمان)، "من وحي ذكرى مرور أربعة عقود على وفاة الشيخ مبارك الميلي"، الثقافة، ع(80)، الجزائر: مارس/أفريل 1984م، ص.ص(187-193).
23. حفناوي (زاغر)، "العربي التبسي"، الثقافة، ع(94)، الجزائر: جويلية/أوت 1986م، ص.ص(123-139).
24. حمادي (الساحلي)، "نشاط الوطنيين التونسيين في المهجر أثناء ح ع I"، المجلة التاريخية المغربية، ع(33-34)، تونس: جوان 1984م، ص.ص(182-192).
25. بن حميدة (عبد السلام)، "التقابات والوعي القومي مثال تونس"، مجلة المستقبل العربي، ع(83)، بيروت: جانفي 1985م، ص.ص(43-59).
26. خرفي (صالح)، "أبو اليقظان في الخالدين"، الثقافة، ع(14)، الجزائر: أفريل/ماي 1973م، ص.ص(8-20).
27. بن ذياب (أحمد)، "فرحات بن الدراجي، الأديب العالم" الثقافة، ع(35)، الجزائر: أكتوبر/نوفمبر 1976م، ص.ص(35-42).

28. الزبير (سيف الإسلام)، "التاريخ النضالي للصحافة الوطنية"، الأصالة، ع(24)، الجزائر: مارس/أفريل 1975م، ص.ص(74-94).
29. زنيير (محمد)، "دور الثقافة في بناء المغرب الكبير"، مجلة المستقبل العربي، ع(79)، بيروت: سبتمبر 1985م، ص.ص(23-50).
30. سعد الله (أبو القاسم)، "الإلتجاه العربي في الحركة الوطنية"، الثقافة، ع(31)، الجزائر: فيفري/مارس 1976م، ص.ص(23-38).
31. سعد الله (أبو القاسم)، "حركة الأمير خالد السياسية"، الجيش، ع(3)، الجزائر: جوان 1973م، ص.ص(17-30).
32. سعد الله (أبو القاسم)، "مدارس الثقافة العربية في المغرب العربي"، الثقافة، ع(79)، الجزائر: جانفي/فيفري 1984م، ص.ص(55-102).
33. سلمان (إسماعيل)، "صفحة من نضال التيار الإصلاحي في الشمال الإفريقي"، مجلة الفيصل، ع(284)، السعودية: جويلية 2000م، ص.ص(29-32).
34. الشابي (علي)، "صلة النخبة التونسية بجمال الدين الأفغاني"، المجلة التاريخية المغربية، ع(10-11)، تونس: جانفي/فيفري 1978م، ص.ص(3-14).
35. بن شنب (سعد الدين)، "النهضة العربية بالجزائر"، مجلة كلية الآداب، ع(1)، الجزائر: 1964م، ص.ص(38-68).
36. صفوت (محمد مصطفى)، "علاقات فرنسا بشمال إفريقيا في النصف الثاني للقرن التاسع عشر"، مجلة كلية الآداب، مج6، مع7، الإسكندرية: (1952-1953)، ص.ص(36-67).
37. العربي (علي)، "أصدقاء جزائرية في جريدة الحاضرة"، مجلة الحياة الثقافية، ع(32)، تونس: 1984م، ص.ص(65-72).
38. العقاد (صلاح)، "الصراع الثقافي في المغرب العربي"، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية، ع(2)، مصر: 1971م، ص.ص(195-211).
39. علي (الزبيدي)، "بين الصادقية والزيتونة"، المجلة التاريخية المغربية، ع(1)، تونس: 1974م، ص.ص(119-126).
40. عليان (الجاودي)، "الشيخ إسماعيل الصفائح، دراسة في مواقفه وآثاره (1918-1953)م" مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع(10)، قسنطينة: سبتمبر 2001م، ص.ص(98-113).
41. العيد (مسعود)، "العلاقات الثقافية بين الجزائر والمشرق في العهد العثماني"، مجلة سيرتا، ع(1)، قسنطينة: 1979م، ص.ص(46-54).

42. الفيلاي (مصطفى)، "مفهوم المغرب العربي تطوراً تصوراً وممارسة"، مجلة المستقبل العربي، ع(77)، بيروت: جويلية 1985م، ص.ص(88-103).
43. قداش (محفوظ)، "الأمير خالد في شبابه"، تر حنفي بن عيسى، الجيش، ع(3)، الجزائر: جوان 1973م، ص.ص(4-6).
44. قداش (محفوظ)، "الأمير خالد ونشاطه السياسي (1919-1925)م"، تاريخ وحضارة العرب، الجزائر: جانفي 1968م.
45. كريستلو (ألان)، "حول بداية النهضة الجزائرية"، الثقافة، ع(46)، الجزائر: أوت/سبتمبر 1978م، ص.ص(55-64).
46. مالكي (محمد)، "إشكالية وحدة المغرب العربي"، المجلة التاريخية المغربية، ع(45-46)، تونس: جوان 1986م.
47. محمد (إدريس) وأحمد (بن ميلاد)، "الخلافة ومؤتمر القاهرة (ماي 1926م)، والحزب الدستوري"، المجلة التاريخية المغربية، ع(1)، تونس: 1974م، ص.ص(163-194).
48. محمد (الصلاح رمضان)، "ابن العابد الجلاي"، الثقافة، ع(82)، الجزائر: جويلية/أوت 1984م، ص.ص(191-197).
49. المسدي (أحمد توفيق)، "الأخوة الجزائرية التونسية أواخر أيام الأمير عبد القادر"، الثقافة، ع(75)، الجزائر: ماي/جوان 1983م، ص.ص(150-175).
50. مرتاض (عبد المالك)، "نشأة الصحافة وتطورها بالجزائر"، الثقافة، ع(33)، الجزائر: جوان/جويلية 1976م، ص.ص(29-45).
51. مرتاض (عبد المالك)، "نضال الصحافة العربية في الجزائر قبل الثورة"، الثقافة، ع(39)، الجزائر: جوان/جويلية 1977م، ص.ص(57-71).
52. مرحوم (علي)، "لمحات من حياة الشيخ ابن باديس"، الأصالة، ع(24)، الجزائر: مارس/أفريل 1975م، ص.ص(95-115).
53. مرحوم (علي)، "مواقف من جهاد الشيخ الفضيل الورتلاني"، الثقافة، ع(34)، الجزائر: أوت/سبتمبر 1976م، ص.ص(47-64).
54. مرحوم (علي)، "نظرة على تاريخ الصحافة العربية الجزائرية"، الثقافة، ع(46)، الجزائر: ديسمبر/جانفي 1978م، ص.ص(21-40).
55. مرسي (مصطفى)، "إتحاد المغرب العربي، دراسة للعوامل المهيمنة للتجمع الإقليمي"، التعاون، ع(14)، ؟ جوان 1989م، ص.ص(103-128).
56. معريش (محمد العربي)، "مالك بن نبي والإنتاج الحضاري في الحركة الوطنية بين الحرين"، الثقافة، ع(85)، الجزائر: جانفي/فيفري 1985م، ص.ص(203-217).

57. المكي (الناصري)، "وحدة المغرب العربي في ظل الإسلام"، الثقافة، ع(15)، الجزائر: جوان/جويلية 1973 م، ص.ص(7-24).
58. مناصرية (يوسف)، "النشاط الوطني والوحدوي العربي الإسلامي لجمعية العلماء المسلمين"، مجلة الموافقات، ع(06)، الجزائر: 1997 م، ص.ص(651-666).
59. ناصر (محمد)، "أبو اليقظان والقضايا الإسلامية والعربية"، الثقافة، ع(22)، الجزائر: أوت/سبتمبر 1974 م، ص.ص(54-66).
60. ناصر (محمد)، "عمر راسم المصلح الثائر"، الثقافة، ع(34)، الجزائر: أوت/سبتمبر 1976 م، ص.ص(65-78).
61. ندوة المستقبل العربي، "الوعي القومي في المغرب العربي"، مجلة المستقبل العربي، ع(76)، بيروت: جوان 1985 م، ص.ص(126-144).
62. النيفر (الشاظلي)، "في ذكرى الشيخ عبد الحميد بن باديس"، الثقافة، ع(80)، الجزائر: مارس/أفريل 1984 م، ص.ص(195-197).
63. الهادي (الحسني)، "الشيخ صالح الشريف المجهول"، جريدة الشعب، ع(7023)، الجزائر: السبت 17 مارس 1986 م، ص.4.
64. الهرماسي (عبد الباقي)، "المغرب العربي المعاصر"، مجلة المستقبل العربي، ع(84)، بيروت: فيفري 1986 م، ص.ص(76-82).
65. هلال (علي الدين)، "إشكالية التوحيد العربي (المناهج والأساليب)"، مجلة شؤون عربية، ع(43)، تونس: سبتمبر 1985 م، ص.ص(56-69).
66. هلال (عمار)، "أصداء الهجرة الجزائرية نحو الشرق العربي"، الثقافة، ع(88)، الجزائر: جويلية/أوت 1985 م، ص.ص(139-168).
67. هلال (عمار)، "الطلبة الجزائريون في الأزهر عام (1916م)"، الثقافة، ع(79)، الجزائر: جانفي/فيفري 1984 م، ص.ص(119-143).
68. هلال (عمار)، "الهجرة الجزائرية نحو الولايات العثمانية"، الثقافة، ع(82)، الجزائر: جويلية/أوت 1984 م، ص.ص(65-120).
69. وارنير (آنده)، "الوطنيون العرب ونشاطهم الصحفي حتى نهاية الحرب العالمية الأولى"، الأصالة، ع(52)، الجزائر: ديسمبر 1977 م، ص.ص(50-72).

- بالفرنسية:

70. Adrron (V), " L'étoile Nord africaine et le modèle communiste, éléments d'une enquête comparative ", C.T, Txxix, N :°(117-118), P.P(199-235).
71. Alain (Messaoudi), "Etre Algérien en Tunisie (1830-1962)", revue correspondance , N :°54, Tunis :Jan-Fev 1999, P.P(10-15).

72. C. Sammut, " la jeunesse du nationalisme tunisien le mouvement jeunes tunisien (1881-1914)", R.H.M, N :°1, Tunis :jan 1974, P.P(62-66).
73. C. Sammut, "la jeunesse du nationalisme tunisien", R.H.M, N :°2, Tunis :juill. 1974, P.P(151-168).
74. C. Sammut, "le parti réformiste tunisien (1920-1926)", R.H.M, N :°4, Tunis :Juill.1975, P.P(150-162).
75. Collot (Claud), "Dans Revue Algérienne juridique Econom et Politique", N :°02, Juin 1969.
76. Collot (Claud), "L'étoile Nord-Africaine, étude dactylographiée", Alger :Mai 1970, P.P(7-26).
77. Merad (Ali), "conformation du presse Islamique à Alger (1919-1930)", IBLA, N :°02, 1964.
78. Tlili (Bachir), "La grande Guerre et les questions tunisienne : le groupement de la revue du Magreb (1916-1918)", T_{XXVI}, revue des sciences humaines, N :°(101-102),Tunis 1978.

ج / الرسائل الجامعية

1. بلقاسم (محمد)، الإتجاه الوجدوي في المغرب العربي (1910 - 1954)م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف أبو القاسم سعد الله، معهد التاريخ - جامعة الجزائر، السنة الجامعية (1993 - 1994)م.
2. فيلالي (السايع)، العلاقات السياسية الجزائرية التونسية (1972 - 1837)م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف مناصرة يوسف، معهد التاريخ - جامعة قسنطينة، السنة الجامعية (1997 - 1998)م.
3. قرقب (عيسى)، الإمام إبراهيم بيوض رائد الحركة الإصلاحية في الجنوب الجزائري (1920 - 1981)م، بحث لنيل شهادة دكتوراه الدولة في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف إبراهيم فخار، معهد التاريخ - جامعة قسنطينة، السنة الجامعية (1995 - 1996)م.
4. مناصرة (يوسف)، الحزب الحر الدستوري التونسي (1919 - 1934)م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف أبو القاسم سعد الله، معهد التاريخ - جامعة الجزائر، السنة الجامعية (1985 - 1986)م.

د / كتب المعاجم والأعلام:

1. أمين (أحمد)، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1971م.
2. بوعزيز (يحيى)، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1985م.

4. الحفناوي (أبو القاسم)، تعريف الخلف برجال السلف، ط1، ج1، ج2، الجزائر: مطبعة فونتانة، 1324هـ-1906م.
5. دبوز (محمد علي)، أعلام الإصلاح في الجزائر (1921 - 1975 م)، ج1، ج2، الجزائر: مطبعة دار البعث، 1976م.
6. دوغان (أحمد)، شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر، الجزائر: م.و.ك، 1989م.
7. الذوايدي (رشيد)، أعلام بنزرت، تونس: دار المغرب العربي، 1971م.
8. الزاهري (محمد الهادي السنوسي)، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ط1، ج1، تونس: المطبعة التونسية، 1926م.
9. الزركلي (خير الدين)، الأعلام «قاموس التراجم»، بيروت: دار العلم للملايين، 1980م.
10. الزمرلي (الصادق)، أعلام تونسيون، تق حمادي الساحلي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1986م.
11. بن عاشور (محمد الفاضل)، أركان النهضة الأدبية بتونس، تونس: مكتبة النجاح، 1381م.
12. عباس (محمد)، رواد الوطنية، ج2، الجزائر: مطبعة دحلب، 1992م.
13. عطية الله (أحمد)، القاموس السياسي، ط3، القاهرة: دار النهضة العربية، 1968م.
14. محفوظ (محمد)، تراجم المؤلفين التونسيين، ج2، ج3، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1982م.
15. نويهض (عادل)، معجم أعلام الجزائر (من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر)، بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية، 1983م.
16. هلال (عمار)، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين (14/3 هـ)، الجزائر: د.م.ج، 1995م.

فهرس الأعلام

- 146..... أحمد بن سليمان
- 147..... أحمد بن صالح بن ذياب القنطري
- 52، 37..... أحمد بن محمد المختار التيجاني
- 37..... أحمد بن مصطفى بن عليوة
- 92، 91، 89..... أحمد بن ميلاد
- 117..... أحمد بومنحل
- أحمد توفيق المدني 20، 33، 65، 66، 69، 72، 74، 80، 86، 108، 114، 122، 126، 128، 144، 145، 155، 162، 173، 177، 186، 195
- 127..... أحمد حماني
- 126..... أحمد سحنون
- 162..... أحمد طالب
- 91..... أحمد كسوس
- 118..... أحمد مجاهد الغريسي
- 66..... أحمد نجاح
- 103..... الأخضر حسين
- 154..... الأخضر عمروش
- 182، 160، 159، 157..... إدريس الشريف
- 27..... أرجين كوميلس (نائب فرنسي)
- إسماعيل الصفائح 103، 104، 105، 107، 109، 111، 112
- 148، 45، 29..... الأفغاني جمال الدين
- 55..... ألفونسو روسو
- 191..... الإمام مالك
- الأمير خالد 21، 22، 30، 68، 74، 81، 82، 83، 84، 85، 187، 188، 195
- 110، 82..... الأمير سعيد باشا
- 53..... إبراهيم الرياحي
- 80..... إبراهيم الزواوي
- 53..... إبراهيم بن أحمد الشريف
- 136..... إبراهيم بن الحاج عيسى
- 136..... إبراهيم بن بكر
- 122..... إبراهيم بن شعبان
- 52..... إبراهيم بن محمد
- 75..... إبراهيم بيوض
- 54..... إبراهيم سراج المدني
- الإبراهيمي محمد البشير 28، 41، 100، 114، 146، 151، 158، 159، 160، 196
- 126..... أبو العيد دودو
- أبو اليقظان 36، 67، 68، 73، 77، 83، 125، 126، 129، 130، 135، 151، 152، 153، 155، 157، 161، 175، 188، 197
- 53..... أبو بكر بن أحمد الشريف
- 157، 112..... أبو يعلى الزواوي
- أجرون شارل روبير..... 16، 61، 62، 111
- 147..... أحمد البشير يجاوي
- 42..... أحمد الخضير
- 162..... أحمد الدرعي
- 68، 23..... أحمد السقا
- 75، 69، 65، 24، 20..... أحمد الصافي
- 118..... أحمد القبائلي
- 16، 55..... أحمد باي
- 147..... أحمد بن أبي زيد قسيبة
- 54..... أحمد بن أبي ضياف
- 68..... أحمد بن الحاج إبراهيم بن كاسي

- 73.....بعلبي صالح بن بعلبي
- 86.....بلغول
- 55.....بن بلقاسم حناشي
- 92، 47.....بلقاسم راحف
- 22.....بلوم فيوليت
- 180، 26.....بوشوشة صلاح الدين
- 16.....بيجو
- 25.....بيير تون (المقيم العام)
- 127.....تونسي
- 69.....التيحاني بن سالم
- 63، 59.....جان جاك راجي
- الجباري محمد العيد، 64، 78، 79، 114، 126،
138، 145، 184، 187
- 83.....الجعائي
- 180، 175.....جلال الدين النقاش
- 116.....بن جلول
- 108.....جمال باشا
- 182، 19.....جول كامبون
- 163، 94.....جوليان شارل أندري
- 31.....جونار
- 158.....الجيلاني بن الحاج
- الحاج أحمد مصالي، 23، 81، 86، 87، 88،
90، 91، 92، 93، 94، 115، 152، 193،
194
- 105.....الحاج إسماعيل بن محمد
- 82، 74، 67.....الحاج بكير العنق
- 67.....الحاج بن يحيى
- 196، 86.....الحاج علي عبد القادر
- 134.....الحاج ناصر كروش
- 129.....الحبيب الخلصي
- الحبيب بورقية، 25، 78، 79، 89، 91، 94،
96، 97، 178
- الأمير عبد القادر، 16، 42، 43، 45، 53، 54،
55، 60، 86، 102، 105، 107، 195
- 197.....الأمير عبد المالك
- 110، 107، 105، 82.....الأمير علي باشا
- 110، 107، 82.....الأمير علي باشا
- 112، 109، 83.....الأمير علي باشا
- 65.....الأمير محمد الحبيب
- 189، 156، 153.....الأمين العمودي
- 109، 105.....أنور باشا
- 62.....أوغسطين بيرك
- 37.....ابن الحسن الشاذلي
- 136.....ابن خلدون عبد الرحمان
- 43.....بن اسماعيل
- اطفيش إبراهيم، 73، 74، 75، 80، 83، 104،
186
- 56.....الباجي القسنطيني
- 111، 62.....باردان
- 67.....باعامر يحيى بن قاسم
- 197.....باعزيز بن عمر
- 26.....الباهي الأدغم
- الباي علي
- 24.....الباي محمد المنصف
- 25.....البحري قيقة
- 18.....بريار (الجنرال)
- البشير الإبراهيمي، 28، 41، 101، 115، 145،
150، 151، 157، 158، 159، 197
- 125.....البشير الخنقي
- 105.....البشير الفورقي
- 119.....البشير القروي
- 47.....البشير المهدي
- البشير صفر، 19، 28، 98، 133،
73.....بعلبي الحاج صالح بن محمد

- ديفول 27
- دعيشيل (معاهدة) 16
- رابح بوكابوية 113، 111
- رشيد رضا 108، 49
- الرصاع محمد بن قاسم 52
- روبير هنري 17
- بن رويلة 64
- زعموم 92
- زكري بن السعيد 73
- بني زيد قبائل 66
- بني خمير (قبائل) 18
- زين العابدين السنوسي 162
- سالم بوحاجب 28
- سامي الجندي 70
- ستيع 84
- السعيد الزاهري 49، 112، 114، 125، 126،
128، 134، 139، 140، 155، 157،
162، 188، 197
- السعيد الساحلي 94
- سعيد بن محمد السطيفي 157
- سعيد بن مخلوف الحجازي 147
- سلطاني 57
- سليمان الباروني 104، 102
- سليمان الجادوي 83
- سليمان بن أحمد جرّاد 47
- سليمان بن سليمان 93، 92، 89
- بن سماية عبد الحلیم 188، 49
- السيد قبائلي 70
- الشاذلي السنوسي 105
- الشاذلي المكي 147
- الشاذلي المورالي 73
- الحبيب ثامر 114، 89، 81، 26
- بن حيلس بلقاسم 114، 113
- حسن الزغيدى 158
- حسن العنابي 56
- حسن النوري 180، 162، 156، 78
- حسن بن بريهمات 53
- حسن بن عيسى 145
- حسن حسني عبد الوهاب 100
- حسن قسلاقي 21، 65، 69، 75، 76، 83،
104، 121، 124، 144، 173
- الحسين الجزيري 20، 66، 122، 128، 149،
174
- حسين باي 54
- الحصري ساطع 163
- حمادى الفيلاي 158
- حمدان بن علي 111، 110
- حمدان خووجه 45
- حمزة بوكوشة 44، 125، 126، 129، 151
- همو كروش 139، 134
- همود رمضان 139
- الحنفي 64
- الخصر حسين 21، 34، 104، 106، 107،
108، 109، 111، 119، 120، 138،
142، 144، 177، 178، 188، 192،
197
- خليفة محمد 126
- الخمّار 198، 150
- خير الدين باشا 18، 27، 28، 36، 53، 55،
132، 185
- الداي حسين 15
- الدراجي بن الحسين 105
- دوبون (مؤرخ) 37

- صالح النجّار..... 122
- صالح باي..... 31
- صالح بن الحاج عمر (سييرسيو)..... 73
- صالح بن يحيى .. 67، 68، 69، 71، 73، 74،
186، 82
- صالح بن يوسف..... 78
- صالح خباشة..... 126
- صالح حرفي..... 126
- صالح فرحات..... 81، 69
- طاهر الجزائري..... 112
- طاهر الجنادي..... 57
- الطاهر الحدّاد.. 97، 129، 157، 158، 162،
الطاهر باشا..... 54
- الطاهر بن صالح الزواوي..... 158
- الطاهر بن عاشور... 148، 159، 160، 185
- الطاهر صفر..... 25، 162، 176
- الطرابلسي إبراهيم..... 155
- الطيب الجميل..... 89، 186
- الطيب العقبي 101، 115، 125، 128، 155،
189
- الطيب بن عيسى 69، 83، 118، 120، 121،
122، 124، 126، 128، 143، 173،
176
- الطيب بن قائد حسين..... 78
- الظاهر خير الدين..... 186
- عابد الجابري..... 193، 199
- العابد الجلالبي..... 156
- عابدين..... 53
- عباس بن حمّانة..... 74
- عباس حلمي..... 104
- عباس فرحات 30، 43، 59، 111، 112،
113، 114، 152، 166
- الشاذلي خزندار..... 66، 81
- الشاذلي خير الله..... 24، 86، 87، 90، 91
- الشاذلي درغوث..... 121
- شارل جيد..... 70
- شانزي..... 183
- شبيبة الجيلالي..... 86
- شكيب أرسلان..... 48، 94، 102
- بن شهرة..... 64
- شوتان..... 184
- الشيخ الحدّاد..... 43، 61
- الشيخ بوعمامة..... 57، 61
- الشيخ بيرم التونسي 26، 28، 30، 42، 43،
102
- الشيخ حسن لازغلي..... 27
- الشيخ عبد الحميد بن باديس 23، 38، 44، 45،
49، 79، 97، 98، 99، 100، 114، 131،
134، 135، 139، 146، 150، 156،
157، 158، 159، 160، 170، 172،
173، 178، 179، 187، 188، 196،
197
- الصادق الباي..... 19، 55
- الصادق الرزقي..... 66
- الصادق الزمري..... 121
- الصادق النيفر..... 76، 131، 140
- الصادق بن خوجة..... 119
- الصادق دندان..... 128
- صالح التيجاني..... 53
- صالح السويسي..... 175
- صالح الشريف 21، 103، 104، 105، 107،
108، 109، 110، 111، 112، 187،
188، 192
- صالح المهيري..... 116

- عبد الحق الناصري 33
- عبد الحميد التيجاني 147
- عبد الحميد السلطان 29
- عبد الحميد الشافعي 126
- عبد الحميد مهري 200
- عبد الرحمان اليعلاوي 126، 80، 77، 72، 71، 194، 186، 178، 154، 141
- عبد الرحمان اليعلاوي 127، 81، 78، 73، 72، 196، 188، 179، 155، 142
- عبد الرحمان شيبان 149، 127
- عبد الرحمان ياسين 47
- عبد الرشيد مصطفىاوي 115
- عبد السلام القسنطيني 135
- عبد السلام القلي 119، 69
- عبد الكريم الخطابي 196
- عبد اللطيف بن علي القنطري 50
- عبد الله بن إبراهيم أبو العلا 68
- عبد الله بن إبراهيم 37
- عبد الله ركيبي 126
- عبد الله زروق 118
- عبد الله شريط 126
- عبد المجيد حيرش 147
- عبد المجيد مزبان 110
- بن عتيق 177، 139، 50
- عثمان بن المكّي 118
- عثمان بن مكّي 157
- عثمان عثمان الصايغي 147
- عثمان كعاك 175، 129، 74
- نعري التبسي 150، 135
- نعروي عبد الله 192
- عز الدين القلال 176، 127
- عبد السلام القلي 119، 69
- عبد العزيز الباوندي 116
- عبد العزيز الثعالبي 21، 23، 24، 26، 30، 34، 56، 64، 65، 67، 68، 69، 70، 71، 73، 74، 75، 79، 80، 81، 82، 83، 84، 95، 96، 98، 99، 100، 112، 119، 120، 121، 123، 124، 130، 135، 142، 144، 148، 157، 172، 173، 176، 187، 190، 196
- عبد العزيز جاويش 102
- عبد القادر السائحي 126
- عبد القادر المجاوي 53، 54
- عبد القادر المغربي 112
- عزوز بن عيسى 119
- العقاد 45
- بن العقون عبد الرحمان 82
- علال الفاسي 80، 95، 199
- علي أو موسى 57
- علي أو مليل 200
- علي البلهوان 89، 114
- علي الحمامي 160
- علي الزاوش 113
- علي النيفر 131
- علي باش حامية 20، 21، 29، 65، 102، 104، 105، 106، 121، 186
- علي بن محمد الشرقي 147
- علي بوشوشة 57، 116، 117، 176، 181، 196
- علي رضا 106
- علي فنخار 118
- علي كافي 138، 141، 148

الكواكي عبد الرحمان 149
 كوبلاني 37
 الكونت دي بورمون 15
 لابون 26
 اللقاني السايح 126
 لوسيان سان 76، 74
 لوي فيليب 165
 ليون فيكس 168
 مارسى 59
 المازنى 45
 مامى إسماعيل 116
 مبارك المليى 188، 180، 134، 126، 67
 الحامى دستوى 65
 محمد أبو شامى 77
 محمد أطفيش 105
 محمد أغوبوشن 47
 محمد الأخضر السائحي 147، 126، 125،
 148
 محمد الباي 17
 محمد الجاوى 162، 85
 محمد البشير زروق 105
 محمد التهامى شطة 111
 محمد الحبيب بوقطفة 180، 159
 محمد الحسنارى 55
 محمد الرياحى 71
 محمد السعيد الخلصي 114، 66
 محمد السنوسى 191، 148، 116، 56
 محمد الشاذلى النيفر 141، 131
 محمد الشارف 42
 محمد الشيبى 111، 110
 محمد الصادق باي 55، 19
 محمد الصالح الجابري 120

على كاهية 81
 على مراد 36، 17
 على يوسف 103
 عمار النجار 148، 147
 عمار غيماش 194، 92
 عمر البرناوى 126
 عمر العجرة 126
 عمر بن قنور 120، 118، 66، 64، 45،
 121، 122، 128، 148، 149، 155،
 157، 188، 196
 عمر بن محمد بوحجام 135، 68
 عمر بن يحيى 82
 عمر بوحجام 136، 69
 عمر راسم 189، 157، 156، 120
 بن عيسى بن الشيخ أحمد 118
 بن عيسى 64
 الفاضل بن عاشور 136، 119
 فرحات بن الدراجى 44، 41
 فرحات بن عياد 124
 الفضيل الورتلانى 94
 فلاندان 123، 69
 فور جمول 18
 القائد الأخضر 105
 قاسم الجزائرى 69
 قاسم بن الحاج عيسى 74
 قداش محفوظ 82
 قدور ساطور 115
 بن قدور 64
 بن قفصية عمر 177، 124
 الكاردينال لافيجرى 154، 152، 77، 72
 كلود كوللو 17

- محمد بن حسين 69
- محمد بن خوجة 185، 118
- محمد بن خوجة 186
- محمد بن زاوي 105
- محمد بن شطة 105
- محمد بن عبد الرحمان القشتولي 37
- محمد بن علي السنوسي الخطابي 37
- محمد بن عمار 80
- محمد بن عيسى الإدريسي 37
- محمد بن مبروك السناني 147
- محمد بن مصطفى الخوجة 49
- محمد بن نعمان 75، 21
- محمد بيراز 111، 110
- محمد حربي 194، 94
- محمد خير الدين 141، 126
- محمد زروق 69
- محمد زغواني 136
- محمد شرعي باشا 104
- محمد عبد السلام 57
- محمد عبده 148، 49، 48، 29
- محمد علي الحامي 161
- محمد علي دبوز 184
- محمد فريد 102
- محمد مرازقة 148
- محمد مزيان التلمساني 111، 110، 107
- محمد ناصر 141
- محمود الثاني 54
- محمود القروي 56
- محمود الماطري 25
- محمود بورقيبة 176، 129، 125
- محمود كحول 118
- محمد الصالح الشريف 21، 102، 103
- 106، 105، 107، 108، 109، 110، 185
- 186، 190، 196 ،
- محمد الصالح باوية 126
- محمد الصالح ختاش 69، 64
- محمد الصالح صديق 127
- محمد العربي بن إسماعيل الصايغي 147
- محمد العربي 126، 57
- محمد العزيز الوزير 158
- محمد العنابي 157
- محمد العود 158
- محمد العيد آل خليفة .. 44، 126، 188، 197
- محمد الفاتح القيرواني 175
- محمد اللقاني 57
- محمد المرزوقي 158
- محمد المكي بن عزوز 56
- محمد المكي 107، 56
- محمد المهدي 176
- محمد المليبي 158، 127
- محمد الناصر 141، 65، 24
- محمد النخلي 160، 131
- محمد النيفر 66
- محمد الهنتاتي 69
- محمد الويشي 47
- محمد باش حامية ... 105، 106، 107، 111،
- 187، 188
- محمد برالي 106
- محمد بلعربي 57
- محمد بن الأكحل 197
- محمد بن الحاج صالح الثميني ... 74، 129، 178
- محمد بن الصغير 105

- 135، 68..... الناصر بن صالح ملالي
 66..... نوري باشا
 126..... الهادي السنوسي
 198..... الهادي السنوسي
 161..... الهادي المدني
 147..... الهادي بن أبي القاسم السطايفي
 119..... الهادي بن أحمد عباس
 114..... الهادي بن سماية
 93، 92، 89..... الهادي نويرة
 143، 118..... الهاشمي بن المكّي
 64..... الهاشمي
 137..... هنري دي مونتي
 27..... هنري كلين
 77، 76..... هيريو
 43..... الونيسي
 وورد ويلسن 23، 46، 68، 73، 82، 108،
 109
 136..... يحيى بن باحمد
 139..... يحيى بوعزيز
 68..... يوسف بن بكير
 173..... يونس بحري
 105..... محي الدين السنوسي
 175، 123، 90، 69، 24..... محي الدين القليلي
 37..... محي الدين عبد القادر الجيلاني
 147، 136..... المختار بن محمود
 56..... مختار ختاس
 192، 191..... مصطفى الأشرف
 157..... مصطفى العنابي
 55..... مصطفى باشا
 147..... مصطفى بن سعيد الجيجلي
 53..... مصطفى بن عزوز
 179..... مصطفى خريف
 54..... مصطفى خوجة الكمال
 53، 48، 19..... مصطفى كامل
 48..... مصطفى كامل
 131..... معاوية التميمي
 مفدي زكريا .. 44، 94، 95، 113، 114،
 126، 144، 161، 197
 64، 62، 60..... المقراني
 80، 77..... المكّي أبو شامي
 152، 134، 127، 91، 61..... ملك بن نبي
 51..... المليكشي محمد بن عمر البجائي
 116..... المنحي سليم
 81..... منصف المستيري
 64..... المنوي
 147..... المنهدي البجائي
 168..... موريس توريز
 107..... مولاي عبد الحفيظ
 127..... مولود قاسم
 43..... بن الموهوب المولود
 165..... نابليون الثالث
 136..... ناصر الملالي

فهرس الأماكن والمدن

46	بولونيا	104	أدرار			
16	التافنة معاهدة	121، 106، 104، 102، 101	الأستانة			
57	تاقيطونت	103	الأغواط			
،64، 20	تالة	57	أقبو			
149، 135، 134، 64، 56	تبسة	،108، 107، 106، 104، 103، 46	ألمانيا			
108، 104، 67، 60، 46	تركيا	109				
46	تشيكوسلوفاكيا	196	الإنجليز			
56، 62	تقرت	151، 150، 63، 57، 16	الأوراس			
،114، 103، 61، 60، 49، 33	تلمسان	47، 23، 18	إيطاليا			
194		190، 21	اسطنبول			
136، 55، 52	توزر	52	باب المنارة			
57	تيارت	64، 52	باجة			
114	تيطوان	،84، 85، 82، 77، 75، 74، 70، 23	باريس			
57	ثنية الحد	،123، 114، 112، 94، 90، 87، 86	86، 87، 88، 89، 90، 91، 92، 93، 94، 95، 96، 97، 98، 99، 100، 101، 102، 103، 104، 105، 106، 107، 108، 109، 110، 111، 112، 113، 114، 115، 116، 117، 118، 119، 120، 121، 122، 123، 124، 125، 126، 127، 128، 129، 130، 131، 132، 133، 134، 135، 136، 137، 138، 139، 140، 141، 142، 143، 144، 145، 146، 147، 148، 149، 150، 151، 152، 153، 154، 155، 156، 157، 158، 159، 160، 161، 162، 163، 164، 165، 166، 167، 168، 169، 170، 171، 172، 173، 174، 175، 176، 177، 178، 179، 180، 181، 182، 183، 184، 185، 186، 187، 188، 189، 190، 191، 192، 193، 194، 195، 196، 197، 198، 199، 200، 201، 202، 203، 204، 205، 206، 207، 208، 209، 210، 211، 212، 213، 214، 215، 216، 217، 218، 219، 220، 221، 222، 223، 224، 225، 226، 227، 228، 229، 230، 231، 232، 233، 234، 235، 236، 237، 238، 239، 240، 241، 242، 243، 244، 245، 246، 247، 248، 249، 250، 251، 252، 253، 254، 255، 256، 257، 258، 259، 260، 261، 262، 263، 264، 265، 266، 267، 268، 269، 270، 271، 272، 273، 274، 275، 276، 277، 278، 279، 280، 281، 282، 283، 284، 285، 286، 287، 288، 289، 290، 291، 292، 293، 294، 295، 296، 297، 298، 299، 300، 301، 302، 303، 304، 305، 306، 307، 308، 309، 310، 311، 312، 313، 314، 315، 316، 317، 318، 319، 320، 321، 322، 323، 324، 325، 326، 327، 328، 329، 330، 331، 332، 333، 334، 335، 336، 337، 338، 339، 340، 341، 342، 343، 344، 345، 346، 347، 348، 349، 350، 351، 352، 353، 354، 355، 356، 357، 358، 359، 360، 361، 362، 363، 364، 365، 366، 367، 368، 369، 370، 371، 372، 373، 374، 375، 376، 377، 378، 379، 380، 381، 382، 383، 384، 385، 386، 387، 388، 389، 390، 391، 392، 393، 394، 395، 396، 397، 398، 399، 400، 401، 402، 403، 404، 405، 406، 407، 408، 409، 410، 411، 412، 413، 414، 415، 416، 417، 418، 419، 420، 421، 422، 423، 424، 425، 426، 427، 428، 429، 430، 431، 432، 433، 434، 435، 436، 437، 438، 439، 440، 441، 442، 443، 444، 445، 446، 447، 448، 449، 450، 451، 452، 453، 454، 455، 456، 457، 458، 459، 460، 461، 462، 463، 464، 465، 466، 467، 468، 469، 470، 471، 472، 473، 474، 475، 476، 477، 478، 479، 480، 481، 482، 483، 484، 485، 486، 487، 488، 489، 490، 491، 492، 493، 494، 495، 496، 497، 498، 499، 500، 501، 502، 503، 504، 505، 506، 507، 508، 509، 510، 511، 512، 513، 514، 515، 516، 517، 518، 519، 520، 521، 522، 523، 524، 525، 526، 527، 528، 529، 530، 531، 532، 533، 534، 535، 536، 537، 538، 539، 540، 541، 542، 543، 544، 545، 546، 547، 548، 549، 550، 551، 552، 553، 554، 555، 556، 557، 558، 559، 560، 561، 562، 563، 564، 565، 566، 567، 568، 569، 570، 571، 572، 573، 574، 575، 576، 577، 578، 579، 580، 581، 582، 583، 584، 585، 586، 587، 588، 589، 590، 591، 592، 593، 594، 595، 596، 597، 598، 599، 600، 601، 602، 603، 604، 605، 606، 607، 608، 609، 610، 611، 612، 613، 614، 615، 616، 617، 618، 619، 620، 621، 622، 623، 624، 625، 626، 627، 628، 629، 630، 631، 632، 633، 634، 635، 636، 637، 638، 639، 640، 641، 642، 643، 644، 645، 646، 647، 648، 649، 650، 651، 652، 653، 654، 655، 656، 657، 658، 659، 660، 661، 662، 663، 664، 665، 666، 667، 668، 669، 670، 671، 672، 673، 674، 675، 676، 677، 678، 679، 680، 681، 682، 683، 684، 685، 686، 687، 688، 689، 690، 691، 692، 693، 694، 695، 696، 697، 698، 699، 700، 701، 702، 703، 704، 705، 706، 707، 708، 709، 710، 711، 712، 713، 714، 715، 716، 717، 718، 719، 720، 721، 722، 723، 724، 725، 726، 727، 728، 729، 730، 731، 732، 733، 734، 735، 736، 737، 738، 739، 740، 741، 742، 743، 744، 745، 746، 747، 748، 749، 750، 751، 752، 753، 754، 755، 756، 757، 758، 759، 760، 761، 762، 763، 764، 765، 766، 767، 768، 769، 770، 771، 772، 773، 774، 775، 776، 777، 778، 779، 780، 781، 782، 783، 784، 785، 786، 787، 788، 789، 790، 791، 792، 793، 794، 795، 796، 797، 798، 799، 800، 801، 802، 803، 804، 805، 806، 807، 808، 809، 810، 811، 812، 813، 814، 815، 816، 817، 818، 819، 820، 821، 822، 823، 824، 825، 826، 827، 828، 829، 830، 831، 832، 833، 834، 835، 836، 837، 838، 839، 840، 841، 842، 843، 844، 845، 846، 847، 848، 849، 850، 851، 852، 853، 854، 855، 856، 857، 858، 859، 860، 861، 862، 863، 864، 865، 866، 867، 868، 869، 870، 871، 872، 873، 874، 875، 876، 877، 878، 879، 880، 881، 882، 883، 884، 885، 886، 887، 888، 889، 890، 891، 892، 893، 894، 895، 896، 897، 898، 899، 900، 901، 902، 903، 904، 905، 906، 907، 908، 909، 910، 911، 912، 913، 914، 915، 916، 917، 918، 919، 920، 921، 922، 923، 924، 925، 926، 927، 928، 929، 930، 931، 932، 933، 934، 935، 936، 937، 938، 939، 940، 941، 942، 943، 944، 945، 946، 947، 948، 949، 950، 951، 952، 953، 954، 955، 956، 957، 958، 959، 960، 961، 962، 963، 964، 965، 966، 967، 968، 969، 970، 971، 972، 973، 974، 975، 976، 977، 978، 979، 980، 981، 982، 983، 984، 985، 986، 987، 988، 989، 990، 991، 992، 993، 994، 995، 996، 997، 998، 999، 1000	،123، 114، 112، 94، 90، 87، 86	197، 195	برج البوف
16	جزر الأتيل	187، 79	برج بوغريريج			
144، 65، 20	الجلاز	57	برلين			
185، 107، 105، 102، 93، 92	جنيف	،106، 105، 102، 82، 47، 21، 18	،108، 107			
103، 102، 53	الحجاز	87	بروكسل			
158، 109، 107، 106، 103، 102	دمشق	57	بريان			
102، 101، 60، 29، 18	الدولة العثمانية	20	البلمار			
74	رادس	،159، 156، 78، 64، 62، 61	بنزت			
114	الرباط	180، 162، 160	160، 162، 163			
47	روما	47	بنغازي			
109	ستكهولم	16	بني شقران			
57	السرسو	79	بني قردان			
199، 60	سوريا	73	بني يزقن			
136	سوسة	52	بوعرادة			
71، 64	سوق الأربعاء					
74	سوق اللغة					

ليبيا 137، 105، 66، 47، 23
 ماطر 26
 المدينة المنورة 158، 103، 102
 مراكش 149، 105، 103، 95
 المرسي 141، 19
 مصر 199، 110، 102، 48
 معسكر 60، 31، 16
 المغرب الأقصى 105، 103، 96، 85، 47
 193، 192، 163، 122، 114
 مليكة 67
 منطقة أولاد عنان 73
 مهدية 62
 موسكو 47
 نالوت 66
 نانسي 47
 نجد 107
 نفاوة 56، 55
 نفطة 134، 56، 55، 52
 نصح الديوان 72
 النيل 104
 وادي الزناتي 57
 وادي ريغ 56
 وادي سوف 134، 62، 56
 وادي ميزاب 75، 74، 67، 62، 57، 35
 154، 153، 134، 129، 82
 واشنطن 47

سويسرا 107، 103، 82، 46، 21
 سيدي فرج 15
 الشام 170، 106، 102، 60
 الشلالة 57
 صفاقس 157
 طرابلس 108، 107، 105، 104، 101، 29
 193، 192
 عنابة 156، 81، 71، 61، 54
 عين التركي 16
 عين بسام 16
 فاس 96
 فرساي 84
 قالمة 73
 القرارة 82، 67
 قسنطينة 63، 56، 61، 54، 34، 33، 16
 141، 137، 134، 114، 103، 81، 64
 187، 183، 156
 قصر هلال 79، 25
 القصرين 20
 قمار 134
 قناة السويس 86
 القيروان 136، 56، 52
 الكاف 160، 136، 52
 الكويف 96
 لاهاي 109
 لندن 47
 لوزان 110، 104

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
إهداء	
شكر وامتنان	
المختصرات المستخدمة في البحث	
المقدمة	1 - 14
الفصل الأول: الوضع السياسي والفكري للقطرين ودوافع المساهمة الجزائرية	15 - 65
المبحث الأول: الحالة السياسية للجزائر وتونس	15
1. تمهيد حول دخول الاستعمار الفرنسي وردود الفعل الوطنية إلى غاية مطلع القرن العشرين	15
2. آثار الحرب العالمية الأولى والمعطيات السياسية الجديدة	21
المبحث الثاني: الحالة الفكرية للجزائر وتونس	27
1. توطئة حول المظهر الفكري العام والفعل الاستعماري	27
2. التطور الفكري النهضوي من مطلع القرن العشرين إلى اندلاع الحرب العالمية الثانية	30
المبحث الثالث: الدوافع الأساسية لتفاعل الجزائريين ومساهماتهم في الحياة التونسية	39
1. توطئة	39
2. المعطيات الطبيعية والحضارية	39
3. معطيات ذاتية وسياسية متجددة	43
4. تأثير الشرق في التواصل بين القطرين	48
المبحث الرابع: المظاهر الأولى للتواصل الجزائري - التونسي وبداية التفاعل العفوي	52
1. التبادل الفكري والدور الجزائري في تونس	52
2. المشاركة السياسية الجزائرية والموقف من الحماية ودور الجزائريين في المقاومة التونسية	54
3. دور الهجرة الجزائرية في الحياة التونسية	58
الفصل الثاني: مساهمات جزائرية في الحياة السياسية التونسية	66 - 117
المبحث الأول: النشاط السياسي الجزائري، وأثره في الحركة الوطنية التونسية	66
1. النضال السياسي الجزائري من مطلع القرن العشرين إلى سنة 1919م	66
2. النضال السياسي الجزائري ما بين الحربين	69
المبحث الثاني: مساهمة التيارات الجزائرية في الحياة السياسية التونسية	83

83	1. مساهمة حركة الأمير خالد
86	2. مساهمة نجم شمال إفريقيا
95	3. مساهمة حزب الشعب الجزائري
99	4. مساهمة جمعية العلماء الجزائريين
103	المبحث الثالث: النضال المهجري الجزائري - التونسي، وأثره في القضية التونسية
103	1. النضال المهجري المشترك
113	2. العمل الجمعي والطلابي المهجري المشترك
118-165	الفصل الثالث: مساهمات جزائرية في الحياة الفكرية التونسية
118	المبحث الأول: العمل الصحفي الجزائري، ودوره في التطور الفكري التونسي
118	1. مساهمة الجزائريين في العمل الصحفي التونسي
129	2. مساهمات الصحافة الجزائرية في القضايا التونسية
135	المبحث الثاني: النضال الطلابي الجزائري ودوره في الحياة الفكرية التونسية
135	1. تمهيد: الحالة العلمية ومركز التعليم بتونس
136	2. البعثات والرحلات التعليمية من الجزائر إلى تونس
138	3. وضعية الطلبة الجزائريين
144	4. الدور الطلابي الجزائري وتعدد مساهماته
145	5. العمل الجمعي الطلابي
151	المبحث الثالث: الإسهام الجزائري في بعض القضايا الفكرية بتونس
151	1. الإسهام الفكري في القضايا ذات البعد الديني والإيديولوجي
159	2. الإسهام الفكري في القضايا ذات البعد الثقافي والاجتماعي
166-203	الفصل الرابع: تقييم المساهمة الجزائرية
166	المبحث الأول: خصوصية العلاقة وطبيعة المساهمة الجزائرية
176	المبحث الثاني: أثر المساهمة الجزائرية وردود الفعل التونسية
185	المبحث الثالث: موقف الاستعمار الفرنسي ومحاولة تقزيم الدور الجزائري
193	المبحث الرابع: المساهمة الجزائرية وأثرها في تفعيل الوعي المغاربي
204-209	الخاتمة
210-257	الملاحق
210	الملحق الأول: تراجم الأعلام الجزائريين
229	الملحق الثاني: وثائق ومقالات

246 الملحق الثالث: صور الشخصيات الوطنية
297- 258 الفهارس
258 قائمة المصادر والمراجع
278 فهرس الأعلام
286 فهرس الأماكن والمدن
288 فهرس الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية